دكتورة طيبة [illegible]

ألفاظ الحضارة العباسية

في مؤلفات الجاحظ



دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب

ألفاظ الحضارة العباسية

في مؤلفات الجاحظ

الكتـــــــاب : ألفاظ الحضارة العباسية فى مؤلفات الجاحظ
المؤلـــــــف : د. طيبة صالح الشذر
تاريخ النشر : ١٩٩٨ م

الناشـــــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب
شركة مساهمة مصرية
المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان
والمطابــــــع المنطقة الصناعية (C1)
ت: ٠١٥/٣٦٢٧٧٢٧
الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون
الدور الأول - شقة ٦
ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨
رقـم الإيــــداع : ٩٧/١٠٢٤١
الترقيــم الدولى : I. S. B. N.
977-5810-63-9

ألفاظ الحضارة العباسية

في مؤلفات الجاحظ

د. طيبة صالح الشذر

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وما أُوتيتُم من العِلْمِ إلا قليلاً ﴾

صدق الله العظيم

(الإسراء : ٨٥)

تقديم

هذا كتاب يدرس ألفاظ الحضارة العربية الإسلامية فى ضوء مؤلفات الجاحظ ، ويمثل إضافة جادة للبحوث اللغوية فى تاريخ المفردات العربية . وهذا العمل جزء من منظومة دراسات جامعية استوعبت بالبحث المعجمى جوانب شتى من تراث العربية من القرن الثانى الهجرى حتى بدايات العصر الحديث . وقدّمت لبنات مهمة لصنع المعجم التاريخى للعربية . اللغة لا تحيا فى فراغ ، وهى ذات دلالة كبيرة على نمط الحضارة وحياة المجتمع .

مؤلفة هذا الكتاب تخرجت فى كلية الآداب بجامعة الكويت وعرفها أساتذتها بتميزها وتفوقها وطموحها ، ثم التحقت بالدراسات العليا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وظلت تعمل بأناة وصبر ودأب ، إلى أن حصلت على درجة الماجستير بامتياز ، ثم نالت درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى . وانتظم مسار بحوثها بعد ذلك فى الربط بين النمو المعجمى والتغير الدلالى فى العربية من جانب والتغيرات فى نمط الحياة والعلم والحضارة من الجانب الآخر .

هذا الكتاب واضح الخطة والمحتوى ، ضم فى بابه الأول الألفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية ، ثم الحياة السياسية ، ثم الحياة الاقتصادية ، ثم الحياة العلمية . وهنا نجد قراءة لغوية معجمية لنمط الحضارة وحقائق المجتمع فى ضوء ألفاظ دالة تناولتها المؤلفة فى ضوء مؤلفات الجاحظ ، وسياق استخدامه لها . أما الباب الثانى فكان للدراسة الدلالية ، وفيه نجد الألفاظ ذات الأصول العربية من جانب وما دخل العربية من ألفاظ إيرانية أو يونانية أو آرامية أو هندية من الجانب الآخر . واهتمت المؤلفة بموقف العربية من هذه المعربات .

إنّ هذا الكتاب عمل له أهميته ، فقد أفاد من تراث اللغويين ، ولكنه

تجاوز هذه الجهود إلى جمع المادة من كتب الجاحظ فى نصوص طبيعية موثقة ومحققة ، فأضاف الكثير إلى تاريخ ألفاظ العربية . وقدّم الكتاب إلى دراسة اللغة العربية فى السياق الحضارى ما يمثل رؤية معجمية للتحولات فى المجتمع العربى فى القرن الثانى الهجرى وبدايات القرن الثالث الهجرى .

ولهذا كله ، يطيب لى أن ينشر هذا العمل الذى أجازته كلية الآداب بجامعة القاهرة عندما تقدمت به الباحثة على شكل رسالة جامعية فى عام ١٩٧٥ . ويسعدنى أن أقدّم هذا العمل لجمهور الباحثين والقراء .

والله ولى التوفيق

أ.د. محمود فهمى حجازى

فهرس الموضوعات

الفصل الرابع : الألفاظ الخاصة بالحياة العلمية

الباب الثاني « الدراسة الدلالية »

الفصل الأول : الألفاظ ذات الأصول العربية

الفصل الثاني : الألفاظ ذات الأصول غير العربية

تقديم

يعد أبو عثمان الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب درة في جبين المعرفة العربية والإنسانية ، عالماً في كل فن آخذاً في كل علم بطرف بل بأطراف ، ألّف نفائس الكتب التي كتبت له ولها الخلود بعد مماته ٢٥٥ هـ .

هذا البحث هو بداية الطريق لمعرفة ألفاظ الحضارة العباسية في ضوء المفردات التي ذكرها الجاحظ في كتبه ورسائله التي قاربت الثلاثمائة والستين كتاباً ، وكتابي هذا هو أول عمل يتعرض بالتفصيل لجانب من الدلالة في لغة الجاحظ ، فكل ما سبق من بحوث كانت تتناول الجاحظ الأديب والناقد والمفكر ، أما لغة الجاحظ فهناك إشارات بين دفات الكتب لا تتعدى الصفحات القليلة . وقد كان هدف هذه البحوث هو شرح أمر من أمور اللغة وليس تناول الجاحظ من حيث استخداماته اللغوية وما استحدثه من اشتقاقات ودلالات تمثل معجمه اللغوي الخاص به . ولا شك أن ما جاء في كتب الجاحظ من ألفاظ تمثل العصر العباسي لا يمكن الإحاطة بها جميعاً وإحصاؤها إحصاء دقيقاً . . ولكن بشكل تقريبي نستطيع ذكر جانباً من الألفاظ لنقل ما في الواقع في ذلك العصر .

ومما يجدر الإشارة إليه أن الألفاظ التي يمكن أن تمثل بعض جوانب العصر العباسي ليست بالضرورة وليدة ذاك العصر نفسه ، ولكن المقصود بالألفاظ التي وردت عند الجاحظ وكانت شاهداً على جانب بعينه أو مظهر من مظاهر الحياة العامة استحدثه التطور الحضاري في ذلك العصر . وقد كان انتقائي لألفاظ الحضارة العباسية من خلال ما عرضه الجاحظ في مؤلفاته ورسائله فهو يعطينا صورة واضحة المعالم لتلك الحضارة الزاهرة .

لقد اعتمدت على نصوص الجاحظ ولا سيما تلك التي وردت في البخلاء والرسائل والحيوان ، وقد توخيت أن تكون النصوص قصيرة موجزة جهد

الإمكان . وجعلت هذه الدراسة في بابين يتفرعان إلى عدة فصول . وجعلت الباب الأول خاصاً بالدراسة الدلالية لألفاظ الحياة في العصر العباسي بكل ما تعنيه كلمة الحياة وما يتبعها من فعاليات اجتماعية وسياسية ودينية واقتصادية وعلمية . وتناولت الحياة المعيشية لأفراد المجتمع العباسي فدخلت البيت العباسي وتعرضت لمحتوياته وأقسامه وما يقدم فيه من أطعمة وأشربة وما يلبس أفراده من أزياء وعايشت تقاليده وأعرافه وما يسوده من أساطير . ولغة هؤلاء الأفراد ولهجاتهم أفردت لها مكاناً خاصاً في رسالتي هذه وقد كانت تقسيمات الباب الأول إلى أربعة فصول : الأول منها يعني بالألفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية وما تحتويه من فعاليات تتعلق بالحياة اليومية مثل الأطعمة والأشربة والملبس واللهو والعادات واللهجات للفئات المتنوعة والثاني عن الحياة السياسية والتيارات الدينية . والفصل الثالث عن ألفاظ الحياة الاقتصادية وما يتعلق بهذه الحياة من أمور زراعية وصناعية وتجارية وحركة ملاحية واسعة تجوب الأقطار . أما الفصل الرابع فهو عن الألفاظ الخاصة بالحياة العلمية وما في هذه الحياة من تقدم علمي في مجال الطب ، والعلاج والعقاقير وعالم الحيوان والنبات والتعدين والظواهر الطبيعية .

والباب الثاني جعلته من فصلين خصصت الفصل الأول للقضايا اللغوية التي تتعلق بالألفاظ ذات الأصول العربية ، فتتبعت الألفاظ التاريخية القديمة ووصفت طريق سيرها عبر القرون وقد أفردت حيزاً كبيراً للألفاظ الحضارية الشائعة في عصر الجاحظ . ومن القضايا التي اعتنيت بها في هذا الفصل قضية التغير الدلالي عند الجاحظ وما أوجده الجاحظ من الدلالات الجديدة والتغيرات التي لحقت هذه الدلالات فغيرت من مجالها أو ضيقت هذا المجال أو وسعته أو خصصته .

وكان أساس الانتقاء تلك الكلمات التي أوجدها الجاحظ بدلالة جديدة

وبمعنى مغاير للمعنى الذي جاء في المعاجم العربية ، وقد تأكدت من معرفة ذلك من لسان العرب وتاج العروس وغيرها من المعاجم لأنها تعطي الاستخدام البدوي القديم على نحو موثق ودقيق ولسان العرب وتاج العروس حددا معنى الدلالة في هذا المجال . وقضية أخرى تعرضت لها في هذا الفصل وهى قضية الاشتقاق عند الجاحظ وقد استعنت بالمعاجم والكتب اللغوية لمعرفة أصول الكلمات الحضارية التي تكونت عن طريق الاشتقاق .

والفصل الثاني خصصته للألفاظ المعربة وهى الألفاظ ذات الأصول غير العربية وهذا الفصل زاخر بعدد كبير من الألفاظ التي وردت في كتابات الجاحظ من اللغات الإيرانية والآرامية واليونانية وقد شملت هذه الألفاظ المعربة جميع مظاهر الحضارة العباسية . وقد استعنت بالمعاجم الأجنبية وبكتب المعربات لتحديد أصول هذه الألفاظ الأجنبية وكان كتاب المعرب للجواليقى خير مرشد في طريق الألفاظ المعربة وقد قسمت هذه الألفاظ إلى مجموعات دلالية ثم البحث في القضايا اللغوية المترتبة على استخدامها ، كالتغير الدلالي الذي طرأ عليها بانتقالها من لغاتها إلى مجال اللغة العربية وجمود هذه الألفاظ أو خضوعها للاشتقاق بعد تعريبها ، وإن كانت هذه الصيغ الاشتقاقية قليلة جدًا عند الجاحظ .

ويعتمد البحث أساسًا على كتابات الجاحظ وعلى مصادر أخرى عديدة ومتنوعة ، منها الحضارية واللغوية وكتب التاريخ والكتب التي تتعرض للحياة العباسية في عصر الجاحظ بصفة عامة ولحياة البصرة بصفة خاصة ، وفي مقدمتها كتاب شارل بيلات الذي عنونه باسم الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء . وكتاب د. طه الحاجري عن الجاحظ حياته وآثاره وكتاب د. وديعة النجم وهو يتحدث عن الجاحظ والحاضرة العباسية وكتب أخرى مثل كتاب الحضارة الإسلامية لآدم ميتز وغيرها من الكتب التي تعني بحياة العرب بوجه

عام وحياة الشعوب غير العربية وكذلك كتب أصول الدين والأحكام . وقد اعتمدت على المعاجم مثل لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس والمخصص لابن سيده ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي وكذلك استعنت بكتب اللغة مثل أدب الكاتب وديوان الأدب وشذا العَرْف . وكتب المعربات مثل المعرَّب للجواليقي وشفاء الغليل للخفاجي وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ومعجم اشتاينجس للألفاظ الفارسية.

والحقت بالبحث كشافًا لغويًا عامًا يشمل جميع الألفاظ التي وردت في البحث لتوفير مزية أخرى في التصنيف ، يستفيد منها القارئ الباحث عن أشياء بعينها قد لايتيسر العثور عليها في إطار التصنيف الأساسي للمواد .

وختاماً تحية إكبار وإجلال لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي لما أولاني من رعاية ومتابعة وما بذله من جهد صادق لإخراج هذا البحث على هذه الصورة، وكم أنا عاجزة حقاً عن شكره . والله ولي التوفيق .

الباب الأول

المجالات الدلالية

الفصل الأول

الألفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية

الفصل الثاني

ألفاظ الحياة السياسية

الفصل الثالث

الألفاظ الخاصة بالحياة الاقتصادية

الفصل الرابع

الألفاظ الخاصة بالحياة العلمية

الفصل الأول

الألفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية

الفصل الأول
الألفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية

اهتم الجاحظ اهـتماماً كبيراً بالحـياة الاجتماعية ووصفـها ، وأفاد في ذلك من عدد كبـير من الألفاظ ليعبـر بها عن البيئـة الجغرافية التي عاش فـيها ، في البصرة وبـغداد وكذلك عن الفئـات الاجتماعية وطـبقاتها ، كما عـبرت ألفاظ كثيرة عن أزياء طبقات وفئات المجتمع وألـفاظ أخرى عن جوانب عديدة لدورة الحياة اليومية وتدبير الحياة المعيشية وعن العادات واللهو والصيد ، وإلى جانب هذا كله فقد اهتم الجاحظ باللغة عند الفئات الاجتماعية في العراق في عصره، ونحاول فـي هذا الفصـل أن نعرض للألفـاظ الخاصة بالحيـاة الاجتماعـية بأن نعرض لها من جوانبها الكثيرة المتنوعة .

أولاً : الألفاظ الخاصة بالبيئة الجغرافية

البَصْرة صور الجاحظ في كتبه البلدان والأمصار المختلفة التي كان لها شأن كبير في عصره ، فأعطانا صورة واضحة المعالم لأحوال بلدان معينة كانت لها مكانة خاصة في العصر العباسي مثل : البصرة والكوفة وبغداد وغيرها من أمهات المدن الإسلامية ، وعن بيئته المحلية حدثنا الجاحظ عن البصرة مدينته المفضلة ومسقط رأسه فقد ولد ونشأ فيها وعاش ما عاش شديد التعلق بها والحنين إليها، ويدلل على علو منزلتها فيقول : « العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق» ، وعن أهل البصرة قال الجاحظ : «ويدل على صلاح مائهم وكثرة دورهم ، وحسن عقولهم ، ورفق أكفهم ، وحذقهم لجميع الصناعات وتقدم ذلك لجميع الناس[1] . وقد ظل الجاحط وفياً لمدينة البصرة حتى بعد استقراره في بغداد مقر الخلافة العباسية . ويؤكد هذا القول شارل بيلات في كتابه عن الجاحظ والبصرة فيقول : «إن الجاحظ في الواقع نتاج صاف للبصرة حيث قضى فيها القسم الأوفى من حياته ، ولكنه كان نبتة إقليمية تغذت بنسغ قوي مستمد من أرض خصبة ، فلم تتفتح بصورة كاملة ، ولم تؤت ثمارها إلا في العاصمة بغداد»[2] .

وعن اسم البصرة وهل هى من أصل أعجمي يجيب شارل بيلات فيقول : «وتبدو صفة البصرة العربية بوضوح في اسمها بالذات الذي يصعب نسبته إلى أصل أعجمي ، مع العلم بأن المسألة ليست سهلة الحل والمظنون أن الاسم مشتق من طبيعة الأرض[3] . فقد أطلق على البصرة مدينة الفطر النابت (Villes Chanpsgnons) . فهى وليدة خطة رسمية غايتها تحضير البدو ،

(١) الفصول المختارة جـ ٢ ص ٢١٦ .

(٢) الجاحظ ، شارل بيلات ص ١١ .

(٣) الجاحظ ، شارل بيلات ص ٢٦ .

ويستمر شارل بيلات في حديثه عن البصرة المدينة الخالدة في تاريخ الفكر الإسلامي والحضارة الإنسانية فيقول : فإن البصرة وطن الجاحظ قد طغت فوق الأحداث التي أوجدتها وذلك بخلقها عوامل رخاء اصطناعية جعلت منها مدينة كبرى»[١] . أما المواصفات التي وضعها الجاحظ لإقامة المدن وتشييدها يحددها بقوله : لا تبني المدن إلا على الماء والكلأ والمحتطب[٢] . وقال : «لا تقيموا ببلاد ليس فيها نهر جار وسوق رائجة وقاضٍ عادل»[٣] .

١ - أسماء الأماكن :

فصل الجاحظ الحديث في أسماء الأماكن بالبصرة وبغداد تفصيلاً يعكس اهتمامه الكبير بالمدينتين وأهم هذه الأسماء التي ذكرها الجاحظ في حديثه عن البصرة : المِربَد ، والأبلة ، والخريبة ، والحربية ، والسبابِحة ، وباب الجسر ، والقاطول - والأساورة ، والسدة ، والشماسية .

المِرْبَد : من معاني كلمة المربد أنها مكان تحبس فيه الإبل والماشية ، وما يجفف فيه التمر وبهذا المعنى جاء قول بعضهم : « فلو أراده أبو هام وجد من ثمامة مربداً» جميع مساحة الأرض[٤] ، وبيئة المربد الذي كان وسطاً «في موقعه بين بادية العرب وسواد العراق كانت ذات أثر ظاهر في الحياة اليومية العراقية إذ أن بيئة المربد كانت حلقة الاتصال بين الحياة العربية الصميمة والحياة العباسية الجديدة وهذا ما أكده الجاحظ بقوله عن المربد : «عليك بالمِرْبَد ، فإنه يطرد

(١) الجاحظ ، شارل بيلات ص ٣٦٤ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٩٣ .

(٣) البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٩٣ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ١١٠٥ وانظر - البخلاء ص ٢١٠ وانظر الحيوان جـ ١ ص ٢٥٨ ، ص ٢٦٠ ، جـ ٦ ص ٧٨ ، ص ٢٣٩ .

الفكر ، ويجلو البصر ، ويجلب الخير ، ويجمع بين ربيعة ومضر[١] . ويعلق طه الحاجري على هذا القول ويؤكد أن المربد أقرب البيئات إلى بيئة الحياة اليومية العاملة بطبيعة الأصل فيه ، وبطبيعة الجمهور الذي يغشاه[٢] . ونرى بعض شخصيات المربد المرموقة يتمسكون بعاداتهم العربية الصميمة وإن تغيرت بعض ألوان الحياة الاجتماعية والثقافية ، ويورد لنا الجاحظ نصاً يؤكد هذا القول بأن صيغة الحياة العربية البدوية بقيت غالبة على بيئة المِربد فيقول : «إن مواليه من ولد جعفر وكُبار أهل المربد ، كانوا لا يطمعون أن يشهدوه إلا على أمر صحيح لا اختلاف فيه[٣].

السَّبَابِجَة وهي مكان كان يسكنه السبابجة بالبصرة وكانوا من الجلاوزة وحراس السجون .

الأَسَاوِرَة وهو مكان نزله قوم من العجم بالبصرة وقد ذكر هاتين اللفظتين بقوله : «حدثني يونس قال : لما بنى فيل ، مولي زياد داره وحمامه بالسبابجة عمل طعاماً لأصحاب زياد ودعاهم إلى داره ، وأدخلهم حمامه فلما خرجوا منه غداهم ثم ركب وغبر في وجوههم»[٤] . وقال عن الأساورة : ومررت يوماً وأنا أريد منزل لمكي بالأساورة[٥] . وذكر الجاحظ الخريبة والباطنة والبلالية وهذه كلها مواضع في البصرة يسكنها الشطار فقال : «وما أظن أن أحداً يدعو مثلي إلى الخريبة من الباطنة . ثم يأتيه بكسرات وملح[٦] . وقال : «والصبر

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٤٥ ، جـ ٢ ص ١٥٥ ، جـ ٢ ص ٢٥٤ ، جـ ٤ ص ١١ .
(٢) الجاحظ - الحاجري ص ١٠٠ .
(٣) فخر السودان على البيضان ص ١٨٢ .
(٤) الحيوان جـ ٧ ص ٨٣
(٥) الحيوان جـ ٥ ص ٣٤٠ .
(٦) البخلاء ١٢١ ص ١٣٨ .

على قتال السجون ، فسل عن ذلك الخليدية، والكتفية والبلالية والخريبية»[1].

وقال «وحدثني بعض أصحابنا عن شيخ من أهل الخريبة»[2] .

القَاطُول : من أماكن بغداد ، قال الجاحظ : «وأردت مرة القاطول - وهى المباركة وأنا خارج بغداد»[3] .

الحَرْبِيَّة ذكرها بقوله : «تحول أبو عبد الله الكرخي اللحياني إلى الحربية فادعى أنه فقيه»[4] .

وقال ذاكراً **باب الجِسْر** وهى منطقة مشهور في بغداد : وبكرت على أبي رجاء إلى باب الجسر ، أحدثه بالحديث[5] .

السُّدَّة : «وكما قالوا : أبو مالك السدي كان يبيع الخمر في سدة المسجد»[6] .

الشَّمَّاسِيَّة وهى من الأماكن التي يسكنها الأرستقراط والطبقة المرفهة ، وقد ذكرها الجاحظ في كلامه عن القصور وأصحابها فقال : «قال : ونظر إليه جعفر والفضل ابنا يحيى وهو واقف في ظل قصر من قصور الشماسية»[7] .

الأُبُلَّة : المدينة المجاورة للبصرة التي اكتسحتها البصرة على الرغم من أهميتها لأنها تصل العرب بدور العجم كما ذكر الجاحظ في حيوانه فقال : «إن

(١) مناقب الترك ص ٢٧ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣٥٦ ، جـ ٢ ص ٢٥٢ وانظر البخلاء ص ٥٠ .

(٣) مناقب الترك ص ٦٢ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٨ .

(٥) الحيوان جـ ٤ ص ١١٦ .

(٦) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٤ .

(٧) كتاب البغال ص ٢٤٢ .

مسيلمة طاف قبل المتنبي في الأسواق التي كانت بين دور العجم والعرب ، يلتقون فيها للتسوق والبيعات كنحو سوق الأبلة»[1] .

طرقات الأبلة : «فأما الذي شهدت أنا من أبي إسحاق بن سيار النظام ، فأنا خرجنا ليلة في بعض طرقات الأبلة»[2] .

نهر الأبلة : والبصرة تتصل بالأبلة بنهر يسمى نهر الأبلة ويصف الجاحظ هذا النهر فيقول : «وهذا بحر البصرة والأبلة يأتيهم ثلاثة أشهر معلومة معروفة من السنة السمك الأسبور»[3] .

٢ - اجزاء المدينة العباسية

المَحَلَّة : فالمحلة تعني : مكان صغير يشبه الحي تقيم به فئة معينة من الناس وأحياناً يطلق على هذه المحلة اسم ساكنيها ، وقد ذكر الجاحظ هذه اللفظة محدداً اتساع رقعتها في الأحياء السكنية إذ أنها لا تتعدى بضعة بيوت فيقول : «ويكون طيرانه لا يجاوز محلته»[4] ويورد نصاً يحدد به سعة هذه المحلة فيقول: «ونقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة»[5] ويحذر الجاحظ من يريد تغير سكناه فيقول : «وتوخوا المتجاورين في المحلة والمتقاربين في الدور من الموفرين على النبيذ ، والمقصورين على التنادم»[6] .

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٣٦٩ وانظر البخلاء ص ١٧٥ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ٢٨١ وانظر فخر السودان على البيضان ص ١٩٥ .

(٣) الحيوان جـ ٤ ص ١٠١ ، جـ ١ ص ٢٨١ ، جـ ٤ ص ٣١٦ ، ص ٣٦٩ وانظر البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٩٧

(٤) الحيوان جـ٣ ص ٢٧٤ .

(٥) مناقب الترك ص ٢٨ .

(٦) الحيوان جـ ١ ص ١٥٨ وانظر جـ ٢ ص ١٥٥ .

الكُور : «وبعث في الكور وأنحى على أهل الشرف والبيوتات حسداً لهم وإشفاء لغليل صاحبه منهم»[1].

جِيزَة : فقد وردت عند الجاحظ بقوله : «وما قسم الله تعالى لأهل كل جيزة من الشكل والصورة ومن الأخلاق واللغة»[2] .

الدَّرْب : «وزعم لي غلماني وغيرهم من أهل الدرب ، أنه كان ينبح على كل راكب يدخل الدرب إلى عراقيب برذونه»[3] .

الأَوْب : فقال « ورموني بسهامهم من كل أوب وأفق وتتابعوا على تتابع الدبر على مشتار العسل»[4] . ولفظة أوب من الممكن أن نضعها إلى ألفاظ الطرق وإلى الألفاظ الخاصة بأجزاء المدينة فهي تمثل جزءاً من المدينة وتفرعاتها.

٣ - الطرق داخل المدينة :

وهذه الطرق التي توصلنا إلى أجزاء المدينة وأطرافها الآهلة بالسكان تدعي بأسماء مختلفة ومتعددة ، أوردها الجاحظ في كتبه من خلال أحاديثه عن الناس أو عن الطرق التي سميت بأسماء أشخاص معينين ذاع صيتهم لأمر من الأمور مثل : سكة بني مازن ومربعة بني منفر ، وسكة اصطفانوس وغيرها .

وأهم الألفاظ المستخدمة في هذا المجال :

الجادة ، والسكة والجمع سكك ، والشارع ، والرائغ ، والأزقة ، والرحبة ، والمربعة ، والجهارسوك والنقب .

(١) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٦ .

(٢) مناقب الترك ص ١١ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ١٢٩ ، جـ ٣ ص ٢١٥ .

(٤) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٦٧ .

الجَادّة هى اللفظة التي أطلقها الجاحـظ على الطريق الواسع الممتد فقال : «وعليك بالجـادة فإنه خير لك ، ودع الثنيات ، فـإنه أمثل بك»[1] . وقال عن الجادة : «فاستقبـلني واحد فلزم الجادة التي أنـا عليها ، فلما غشيـني انحرفت عنه يمنة فانحرف معي»[2] .

السِّكّة : السكة والجمع سكـك ووصف لنا سكك معينة بأسمـاء ساكنيها وهذه السكـك تربط المناطق السـكنية وأهل المحلـة بعضهم ببعـض ، فقال عن السكة : ولـم أجد أهل سكة اصطفـانوس ، ودار جارية ، وباعه مربـعة بني منـقر يشكـون أن كلباً كـان يكون في أعـلى السكـة وكان لا يجوز ، فـحرس الحارس أيام الأسبوع كله[3] وقال : «كان بالبصرة شيخ مـن بنى نهشل يقال له عُروة بن مـرتد نزل ببني أخـت له في سكة بـني مازن[4] وقال عن الـسكك : «وكان إبليس يتراءى في السكك في صورة سراقة المدلجي»[5] .

الشارع : ويترادف معها الرائغ وقد ذكرهما الجاحظ بقوله : «قد أردت أن أهدم المسجد الذي كنت بنيته ليزيد بـن هشام حين ترك أن يبنيه في الشارع وبناه في الرائغ»[6] .

الأزقة : ذكرت في نـص لم يعطـنا معناهـا بالتحـديد وسأورده كمـا قاله الجاحظ بـدون أن توضح لي صورة هــذه الأزقة من شبـكة الطرق التـي نحن بصددها قال الجاحـظ في نصه : «ولنا المواجأة في الأزقة ، والصـبر على قتال السجون»[7].

(١) التربيع والتدوير ص ٧١ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٤٦٩ وانظر جـ ٥ ص ٣٩٤ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ١٢١ وانظر جـ ٣ ص ١٤٢ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٣١ .

(٥) الحيوان جـ ١ ص ٢٩٩ .

(٦) البخلاء ص ٢١٠ .

(٧) مناقب الترك ص ٢٧ .

النَّقَب : ولنا القتـال عند أبواب الخنادق ورؤوس القنـاطر ، ونحن الموت الأحمر عند أبواب النقب[1] .

المُرَبَّعَة : والجهار سوك ، قال الجاحظ عنهما مفسراً لاستعمالهما من قبل هذه الفئات : «وأهـل البصرة إذا التقت أربع طرق يـسمونها مربعة ، ويـسميها أهل الكوفة الجهارسوك . والجهار سوك بالفارسية[2] والمربعة تعني التقاء الطرق الأربعة .

الرَّحْبَة : فقال : «وتـركت مجلسك فـي ساباط غيث ، وإشرافـك على رحبة بني هاشم ، وجلسك في الأبواب التـي تلي رحبة بني سليم ، وجلست على هذا النهر في مثل هذا اليوم»[3] .

٤ - أماكن السكن ومواد البناء :

المحاريب : «ولم صوروا في محاريبهم وبيوت عباداتهم ، صور عظمائهم ورجال دعوتهم»[4] .

الدُّور : «لا يدعون في صحون دورهم وأعالي سطـوحهم شيئاً من الصفر إلا رفعوه»[5] .

البيوت : «ثم إنا نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملاء روثاً وتراباً»[6] .

(١) مناقب الترك ص ٢٧ .
(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٠ .
(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٢٩ .
(٤) البيان والتبيين جـ ١ ص ٦ .
(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٣١٦ .
(٦) البيان والتبين جـ ٣ ص ٤٧ وانظر الحيوان جـ ٥ ص ٣٥٩ وأماكن أخرى كثيرة .

الجواسق قال : «وإن جف قبل انقضاء الصيف ، وعاد عليه الحر ، عاد عليه بالأثارة والصب وبالمثل فإنهم اتخذوا نوعاً من الجواسق»[1] .

الأخصاص : كانت الأخصاص بيوت الطبقة الدنيا وسكنا لهم وهذه الأخصاص كانت تضمها رقعة واحدة عرفت باسم أخصاص البصرة وقد ذكره الجاحظ في بيانه فقال : «أخطب الناس صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة»[2] .

مواد البناء :

حدثنا الجاحظ عن البيوت والدور والقصور ووصف لنا أشكالها ، والمواد التي تستعمل في بنائها تختلف حسب مستوى الفرد في المجتمع العباسي فالطبقة المرفهة تستعمل مواد غير التي كانت تستعملها الطبقات الدنيا وهكذا جاءت البيوت مختلفة حسب اختلاف الطبقات والأفراد فمنها من يستعمل الطين ، والآجر بألوانه والجبسين والجبس والجص الأبيض والشورج والقرميد والبلاط والرخام واستعمال هذه المواد جاءت بنصوص في كتب الجاحظ وكأنه المعماري الخبير بأمور البناء فيقول في وصف بناء بيت بالبصرة : «إن الدار في البصرة إنما يتم بناؤها بالطين واللبن وبالآجر ، والجص ، والأجذاع ، والساج ، والخشب، والحديد والصناع»[4] . حتى الأيدي العاملة ذكرها في هذا النص إذ أنه لا يتم تشييد البيت إلا بها .

(١) البخلاء ص ٢٠٥ ، ص ٩١

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٩٨ .

(٣) عيون الأخبار جـ ١ ص ٣١١ .

(٤) البلدان ص ٤٢ .

وعن مواد البناء : أتي يحيى بن خالد ابنه جعفراً وهو يبني داره التي ببغداد بقرب الدور وأتاهم يبيضون حيطانهم فقال : اعلم أنك تغطي الذهب بالفضة ، فقال جعفر ليس في كل مكان يكون الذهب أنفع من الفضة ، ولكن هل ترى عيباً ؟ قال : نعم مخالطتها دور السوقة[1] .

الجِّص والآجر بألوانها فقال : «وإذا رأيت بناءهم وبياض الجص الأبيض بين الآجر الأصفر لم تجد لذلك شبهاً أقرب من الفضة بين تضاعيف الذهب[2] .

القِرْمِيد : «وإن كانت الدار مقرمدة أو بالآجر مفروشة»[3] . وذكر الجص والجبسين فقال : «وكانوا يطلون حوائط دورهم بالجص والجبسين[4] .

الجبس وهو مادة يطلى به الحائط أيضاً : «فمتى وجد من لا علم له في أسفل القمقم كالجبس ، أو وجد الباقي من الماء مالحاً عند تصعد لطائفة ، على مثال ما يعتري ماء البحر ، ظن أن النار التي أعطته اليبس[5] .

مُجَصَّصَة فقال : «وهشموا بلاطها بالمساحي[6] وعن البيوت المجصصة قال: «إن الأقدام إذا كثرت كثر المشي على ظهور السطوح وعلى أرض البيوت المجصصة»[7] .

وذكر الجاحظ ألفاظاً كانت تستعمل في مواد البناء :

(١) عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، جـ ١ ، ص ٣١١ .

(٢) الفصول المختارة على هامش الكامل للمبرد جـ ٢ ص ٢١٦ .

(٣) البخلاء ص ٨٤ وانظر الحيوان جـ ٣ ص ٣٣٥ .

(٤) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٦٨ .

(٥) الحيوان جـ ٥ ، ص ٣٨ .

(٦) البخلاء ص ٨٣ .

(٧) البخلاء ص ٨٢ .

السميط وهو الآجر القائم بعضه فوق بعض .

ولكن الجاحظ جاء بلفظة فارسية تعبر عن هذه الكلمة ولا توفي بالمعنى المطلوب وهى لفظة :

الرَّزْدَق وهو السطر والصف من النخل وغيره . «لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ الخريز ، ويسمون السميط الرزدق[1] . ومنهم من استعمل في بناء داره الفسيفساء والرخام وقد ذكر الجاحظ هذه الكلمات بقوله : «سألقي عليك علم الإدراك وسبك الرخام وصنعة الفسيفساء[2] .

الشَّوْرَج قال الجاحظ : «فيأكلان من شورج أصول الحيطان ، وهو شئ بين الملح الخالص وبين التراب الملح[3] . وما تبقى من عملية البناء وفضلات المواد يدعي . اشكنج وهو قطع الطوب والآجر المكسر قال الجاحظ عنه :«وما كان من اشكنج فهو مجموع للبناء ، ثم يحرك ويثار ويخلل حتى يجتمع قماشه ثم يعزل للتنور[4] .

في النصوص السابقة تبين لنا ما كانوا يستعملونه في العصر العباسي من مواد بناء ساهمت في تشييد الدور والقصور الشاهقة فأنعشت حركة العمران والتقدم الحضاري . وهناك أدوات لا يمكن الاستغناء عنها في عمليات البناء وتشييد البيوت إذ أنها من مكملات مواد البناء مثل الضبة والرزات والغلق والدروند وقد ذكر الجاحظ هذه الأدوات عندما تحدث عن الصناع والحرفيين

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٩ .

(٢) البخلاء ص ٤٨ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ١٥٣ .

(٤) البخلاء ص ١٤٣ .

وأدواتهم وفي مجال إتمام عمليات البناء والمحافظة لصيانة الدور لابد أن تستعمل الأقفال والرزات ومفردها الرزة .

الرِزَّة : قال الجاحظ : ونـزعت مسامير الأبـواب قلعت كل ضبـة ونزعت كل رزة[1] . وذكر الرزات بـقوله : «وجعـلوا لدورهم الأبواب يـحكم غلـقها الأقفالوالرزات»[2] .

الحَوْزَة : «وقلعت كل ضبة ونزعت كل رزة وكسرت كل حوزة»[3] .

الغَلَق : «والبانون الذي يقف على الباب ويسل الغلق ، ويقول بانوا»[4].

الدَّرْوَنْد : وهى التي تـستقبل الباب من أعـلى الأسكفة وهو النـجاف كما ذكر ابن الأعرابي وهى كلمة فارسية وفى اللسان نجف[5] قال الجاحظ : «وربما جعلت مأواها بالليل دروند الباب»[6] .

يورد الجاحظ نصاً يـدعو فيه إلى الاعتناء بالدور فـقال : «إذا أكثر الدخول والخروج والفتح والإغلاق والأقفال وجذب الأقفـال تهشمت الأبواب وتقلعت الرزات»[7] .

٥ - اجزاء البيت :

وبعد هذه المقدمة عن البيوت : ذكر الجاحـظ البيت العباسي بأجزائه ابتداء من العتبـة وحتى السطح وكذلك أمـاكن الفضلات ومن ألفاظ أجـزاء البيت :

(١) البخلاء ص ٨٣ .
(٢) البخلاء ص ٨٢ ص ٨٣ .
(٣) البخلاء ص ٨٣ .
(٤) البخلاء ص ٥٢ .
(٥) حاشية الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٨ .
(٦) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٨ .
(٧) البخلاء ص ٨٢ .

عتبة - ودهليز - ومرمة - وساباط ، والكناديج وايوان ، وصحن ، وعلالي، وحمامـات ، وكذلك شاذروان ، والدرج ثم الـبالوعة والبالـوعات والخلاء ، والكنيف ، والمزبلة ومايرمى بها من كساحة ، وسوف أذكر النصوص التي أورد فيها هذه الألفاظ . وهى كثيرة ولكني سأورد بعضها .

وأول جزء تطؤه قدم الداخل للبيت العباسي :

العَتَبَة قال الجاحـظ : «وربما خرجن مـن الفتح الـذي يكون بين أسـفل الباب العتبة»[1] ، وبعد العتـبة ندخل البيت فيـصادفنا الدهليز وهـو الممر المؤدي إلى صحن الدار . وللدهليز دور مهم في البـيت ففيه يتقي أصحاب البيت من حرارة الجو صيفاً . ويكون الدهليز أحيانـاً ملاذاً لعابري السبيل ممن لا تربطهم بأصحاب البيت علاقة حميمة . فهو مستراح لهم ، والبيت مهماً كان صغيراً لا يمكن أن يستغنى عن .

الدهليز : «وقيـل للجمـاز : رأيناك في دهـليز فلان وبـين يديك قصـعة وأنت تأكل»[2] . وقال : «فدعني أبـيت بقية ليلتـي في الدهليز في ثيـابي التي على فإذا كان مع الـفجر مضيت»[3] . ومن الدهليز ندخـل إلى صحن الدار قال الجاحظ : «وان كان في أرض الدار فضل وفي صحنها متسع»[4] .

وقال عن **الإيوان** : لقيانهم في مقدار سطح الإيوان»[5] .

والسَّابَاط وهو الجزء الذي يـكثر فيه الظل لأنـه يقوم على أعمدة ويـظلله سطح ذكره الجـاحظ بقوله : «وتركت مـجلسك في ساباط غـيت ، وأشرافك

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٣٢٠ .

(٢) البخاء ص ٧٣

(٣) البرصان والعميان ص ٢٦٠ .

(٤) البخلاء ص ٨٣ .

(٥) صناعات القواد ص ٣٨٩ .

على رحبة بني هاشم»[1] . وقد وصفه صاحب الألفاظ الفارسية بأنه مأخوذ من ساية بوشي ومعناها المظلة ، أي هو السقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ . وبعد أن تجولنا بين أجزاء البيت من الداخل نصعد الدرج لنصل إلى جزء مهم في البيت العباسي وهو .

السطح والجمع سطوح وقد اتخذوا المطابخ في السطوح واستعمل السطح للنوم صيفاً وفي نص للجاحظ يبين لنا النوم في السطوح إذ جاء على لسان أحدهم فقال : «ليس نحن في الصيف فأضيق على عيالك السطح»[2] وفي السطوح اتخذوا .

العلالي وهى ماكان الطبخ ، والغرفة التي في السطح تدعي العلية والجمع علالي ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله :«ثم يتخذون المطابخ في العلالي على ظهور السطوح وإن كان في أرض الدار فضل وفي صحنها متسع»[3] إذاً اتخاذ المطابخ في السطوح هى عادة عباسية وليس ضيق المكان هو الذي أجبرهم على ذلك لأنه من النص السابق نرى الجاحظ يقول وإن كان في أرض الدار فضل وفي صحنها متسع . وقال موضحاً أهمية السطح «ثم لا ينصبون التنانير ولا يمكنون القدور إلا على متن السطح»[4] ويصل لهذه العلالي بواسطة .

الكَنَادِيج وهى خشبة يستخدمها الباني في بناء الجدران والطيقان وقال عنها الجاحظ : «يصعد إلى العلالي فوق الكناديج درجة بعد درجة وكذلك نزوله»[5] .

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٩ وانظر جـ ٧ ص ١٢٢ .
(٢) البرصان ص ٢٦٠ .
(٣) البخلاء ص ٨٣ وانظر الحيوان جـ ٣ ص ٢٥٦ .
(٤) البخلاء ص ٨٤ ، ص ٨٧ .
(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٢٤ .

الدرج : «والصعود على الدرج الكثيرة ، فينقشر الطين وينقلع لذلك الحصى وينكسر العتب[1] فقد ذكر الدرج والمفرد درجة ، وذكر أيضاً أشباه الدرج فقال : «وقد تصعد الحيات في الدرج وأشباه الدرج لتطلب بيوت العصافير»[2] .

ويقول آدم ميتز : لقد كشفت لنا حفائر سامرا عن :

طريقة بناء الدور عند أهل العراق في القرن الثالث الهجري ، فقد كانت الدور بسامرا تبني على مثال واحد يصل بينها وبين الشارع أو الدرب دهليز سقوف يفضى إلى صحن واسع قائم الزوايا يبلغ عرضه ثلثي طوله في العادة ، ويتصل به من جانب العرض القاعة الكبرى وفي أركانها غرف صغيرة ، ويحيط بالصحن أيضاً غرف متجاورات مربعة للسكنى وللمرافق المنزلية ، ولا تخلو الدور قط من حمامات ومجارٍ تحت الأرض[3] . ومن مرافق البيت **الحمامات** التي كانت تعتبر في العصر العباسي من دلائل الترف ومن أمارات هيئة أهل الشرف والبيوتات كما ذكر الجاحظ في البخلاء : «واتخذوا الحمامات في الدور، وأقاموا وظائف الثلج والريحان[4] وهناك لفظة تدل على الغنى والترف وهي **الشاذَرْوَان** في البيوت ، وهو عبارة عن نافورة تكون في وسط البيت العباسي الغني ، وقد ذكر الجاحظ هذه الكلمة فقال :«وحدثني إبراهيم ابن الندي : قال كان على ربض الشاذروان شيخ لنا من أهل خراسان»[5] ، ونعود للمرافق الصحية التي يستخدمونها لتصريف الفضلات مثل مياه الغسيل والاستحمام والأمطار وغيرها من الفضلات التي يجب التخلص منها بواسطة

(١) البخلاء ص ٨٢ .

(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٣٥٣ .

(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٢١٠ .

(٤) البخلاء ص ٢٠٥ .

(٥) البخلاء ص ٢٤ .

البالوعات التي يقوم على تنقيتها عمال اتخذوا هذه المهنة حرفة لهم قال الجاحظ في بخلائه عن هذه العملية الصحية ، وذكر لفظة البالوعة والجمع بالوعات : «وكان من البخل يؤخر تنقية بالوعته إلى يوم المطر الشديد وسيل المتاعب ، ليكتري رجلاً واحداً فقط ، يخرج ما فيها ويصبه في الطريق فيجترفه السيل ويؤديه إلى القناة»(١) . وقال عن البالوعات : «واتخذوا في دورهم بالوعات لتصريف الفضلات الإنسانية» وعملية تنقية البالوعة من فضلاتها كانت تعتبر في عصر الجاحظ من دلائل الكرم لكثرة الزوار، وفي هذا يقول الجاحظ: «الخصال التي تدعو إلى ذلك كثيرة ، وهي قائمة معروفة . من ذلك سرعة امتلاء البالوعة وما في تنقيتها»(٢) . ثم مرفق آخر لتصريف الفضلات وهو الخلاء أو الكنيف أو الحش ، وكلها كنايات كما قال الجاحظ : «وكذلك الخلاء والحش والغائط وكلها كنايات»(٣) وذكر الكنيف فقال : «قال : قد تحرك بطني فأريد المنزل قال : فلم لا تتوضأ ها هنا ؟ فإن الكنيف خال نظيف»(٤) .

وهناك ألفاظ تستعمل لإلقاء الفضلات وهى المزبلة التي ترمي فيها الكساحة المتخلفة من عملية التنظيف أو الكسح كما يسميها الجاحظ : «ولا تكسح عليها الأرض إلا في الفرط»(٥) وقال على لسان أحد بخلائه : «وألا يلقوا عظماً ولا يخرجوا كساحة»(٦) وقال في البخلاء أيضاً : «وكان أبو سعيد ينهي خادمه أن تخرج الكساحة من الدار»(٧) وهذه المخلفات أو **الكُسَاحَة** تجمع في المزبلة التي

---

(١) البخلاء ص ١١٣ .

(٢) البخلاء ص ٨٢ ، وانظر الحيوان جـ ١ ص ٢٤٧ .

(٣) البرصان والعرجان ص ٧٣ .

(٤) البخلاء ص ١٩٨ .

(٥) البخلاء ص ٦٧ .

(٦) البخلاء ص ٨٢ .

(٧) البخلاء ص ١٢٩ .

تكون من الملحقات المهمة في البيت ، فقال الجاحظ على لسان أحد ملاك البيوت : «ونظفناها لتحسن في عين المستأجر وليرغب فيها الناظر فإذا خرج ترك مزبلة وخراباً»[1] .

٦ - أدوات البيت :

ذكر الجاحظ مسميات الأدوات الضرورية للبيت في نصوصه ، قال عن الإضاءة : «دخلت على رجل من أهل خراسان ليلاً ، وإذا هو قد أتانا بمسرجة فيها فتيلة في غاية الدقة وإذا هو قد ألقى في دهن المسرجة شيئاً من الملح» . وعنوا بالزرع وزينوا دورهم بالورود ووضعوها في **قَوَاصِر** داخل البيت ، وذكر الجاحظ هذا فقال : «إن حب الأراك يغرس في جوف طين في قواصر ويسقى الماء أياماً» . ومن وسائل الترف **الخُيُوش** ومفردها خيش قال الجاحظ واصفاً لنا عملية التهوية والتكيف في عصره : «ربما لبس في الصيف خف لبود وهو جالس في الخيش» وقال عن الخيوش : «لو كانوا إذا جلسوا في الخيوش ، واتخذوا الحمامات في الدور وأقاموا وظائف الثلج والريحان»[2] ويقول الطبري عن الخيوش : في عهد المنصور العباسي اتخذت طريقة أخرى للتبريد فكانوا ينصبون الخيش الغليظ ، ولا يزالون يبلونه بالماء . فيبرد الجو ، وكان الخيش ينصب على قبة ثم اتخذت بعدها الشرائح[3] ومن الطبيعي أن من يستعمل هذه الأشياء في بيته هو الثرى المترف لأنها كلها أمور تبين إلى أي مدى وصل الترف في الحضارة العباسية وكذلك استعملوا في بيوتهم رشى اللبن في البيت للوقاية من الذبان ، وفي نص للجاحظ يبين لنا هذه العملية الوقائية قال : «ويقال إن

(١) البخلاء ص ٦٧

(٢) البخلاء ص ٢٠٥ .

(٣) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٤١٨

اللبن إذا ضرب بالكندس ونضح به بيت لم يدخله ذبان»[1] واستعملوا **الطَّسْت** من أجل تنظيف الملابس وأمور أخرى ، قال الجاحظ يعدد فوائد الطست : «إذا فرغ من غسل يده في الطست نفض يديه من الماء»[2] وقال : «وكانوا يلقون النوى في طست»[3] واستعملوا **الزِّبِّيل** لجمع الكساحة . وهذا ما ذكر في أماكن عدة منها في بخلائه : «فإذا كان في الحين جلس وجاءت الخادمة ومعها زبيل فعزلت بين يديه من الكساحة زبيلاً»[4] وقال : «فما كان إلا بقدر ما يكنس الرجل زبيلاً حتى تركناهم»[5] .

وعن التبريد يحدثنا آدم ميتز نقلاً عن المقدسي : ويحكي المقدسي أنه رأى في دار عضد الدولة بشيراز بيوت الخويش يبللها الماء على الدوام بواسطة قنى حولها من فوق ويظهر أن هذه الطريقة في التبريد كانت شائعة جداً في بغداد»[6] .

٧ - تأثيث البيت وفرشه :

اهتم الجاحظ ببيان أثاث البيت وفرشه ، وذكر في هذا المجال كلمات كثيرة أهمها : سرير . أسرة . الكلة . اللحاف . الملاءة . المخاد . البواري .

ما يرويه الجاحظ عن أحد بخلائه فقال : «كان يجعل سريره في الشتاء من قصب مقشر لأن البراغيث تزلق عن ليط القصب لفرط لينه وملاسته»[7] وقال

---

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٣٨٥ .

(٢) البخلاء ص ٧٦ وانظر الحيوان جـ ٤ ص ١١٦ .

(٣) البخلاء ص ١٥٠ .

(٤) البخلاء ص ١٤٢ .

(٥) صناعات القواد ص ٣٨٩ .

(٦) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٢١٢ .

(٧) البخلاء ص ١٠٢ .

عن هذه الظاهرة : «فاحتالوا لبراغيثها بالأسرة فلم ينتفعوا بذلك لأن براغيثهم تمشي»[١] واستعملوا لمنامهم الكلة ، واللحاف والملاءة والمخاد ولفرشهم المساد والبسط والبواري والحصر ، وهذا الفرش يتفاوت حسب منزلة الفرد الاجتماعية وموارده الاقتصادية وقد ذكر الجاحظ ألفاظهم المستعملة في إعداد أسرتهم أو في فرش دورهم فقال عن **الكلّة** وهي الستر الرقيق الذي يتوقى به النائم من البعوض ، قال : «وفي الذبان خبر آخر : وذلك أنهن ربما تعودن المبيت على خوص فسيلة وأقلا بها من فسائل الدور أو شجرة أو كلة»[٢] وذكر **اللحاف** فقال : «ومعي لحاف لي سمل»[٣] وقال عن الملاءة : «اشتريت ملاءة قذارية فلبستها ما شاء الله رداء وملحفة»[٤] **والمخاد** قال عنها : «جعلت مادون خرق المخاد للقلانس»[٥] وعن المساد قال : «وذكرتم الاتكاء على المساد . وربوضى ذات الأربع»[٦] . ومن الفرش : **البسط** والبواري والحصر ذكرها الجاحظ بقوله : «فبطنوا البواري وبطنوا الحصر وبطنوا البسط وبطنوا الغداء بشربة باردة»[٧] وقال عن **البواري** : «فألقى على باب داره - البواري، وجلس إليه الجيران»[٨] وعن **الحصر** قال : «حدثني عن وصفك أطباق الرطب وبسطك الحصر في السكك»[٩] والملاحظ أن الطبقة الغنية سكنت في محلات خاصة بها وأبت أن تخالطها طبقة العامة ، وفرشت الدور بالفرش المترف الذي يدل على

---

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٣٧٣ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣٣٢ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٤٥٢ .

(٤) البخلاء ص ١٠٥ .

(٥) البخلاء ص ١٠٥ .

(٦) البرصان والعرجان ص ٣٥٢ .

(٧) البخلاء ص ١٠٤ .

(٨) الحيوان جـ ٣ ص ٨ وانظر كتاب البغال ص ٢٦٤ .

(٩) البخلاء ص ١٣٤ .

مستوى معيشتها المرتفع . أما الطبقة الفقيرة التي ترزح تحت عبء الحاجة فقد تكتلت في أماكن خاصة بها ، وسوف نتطرق إلى هذا في كلامنا عن الفئات التي تكون المجتمع . وقبل أن نترك البيوت وساكنيها والبيئة المكانية البصرية أو البغدادية نرى أن الرفاه الحضارى تمثل في ترتيب البيوت بالأثاث الرقيق المترف المتلائم مع المناخ الذي يسود العراق وخاصة في فصل الصيف ، ويعلق شارل بيلات بقوله : «ونجد إلى جانب رقة الأنواع ، ترف الخوان والأثاث»[1] . وبعد أن تجولنا مع الجاحظ في بيئته التي عاش فيها والتي تمثل الحضارة العباسية بأوج ازدهارها ، بعد هذه الجولة سنتناول أمور الحياة المعيشية لطبقات المجتمع العباسي ، فالحياة اليومية لها جوانب متعددة سنتطرق إليها .

يقول آدم ميتز في وصفه للبيت العباسي :

كان يستعمل في هذه البيوت الصيفية مروحة تشبه شراع السفينة تعلق في سقف البيت ويشد بها حبل يديرها ، وهى تبل بالماء وترش بماء الورد ، فإذا أراد الرجل أن ينام وقت القائلة جذبها بحبلها ، فتذهب بطول البيت وتجئ ويهب منها نسيم بارد طيب[2] .

(١) الجاحظ شارل بيلات ص ٣٤٥ .

(٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٢١٢ .

ثانياً: الألفاظ الخاصة بالفئات الاجتماعية

كانت البصرة من أكبر المراكز التي تجمعت فيها القبائل العربية المختلفة من عدنانية ويمنية ، وقد اندمجت في وقت مبكر عناصر أجنبية جاءت من فارس والهند في هذه القبائل العربية التي تكون سكان البصرة بصفتهم جنوداً مرتزقة ، واشتركوا في الفتوح التي كانت تجوبها تلك العناصر العربية الناشرة لدين الإسلام . وهكذا استوطنت البصرة فروع من القبائل العربية الرحَّل والمتحضرة. كما أن الآراميين كانوا يشكلون قسماً كبيراً من أهل السواد الذين يطلق عليهم كتاب العرب دون تمييز اسم النبطيين . وقد ظل هؤلاء النبطيون منعزلين عن العرب ويؤلفون طبقة الزراع الدنيا . ومن غير العرب أيضاً الإيرانيون والسند والهند والمالقيون والزنج . والمالقيون يعتبرهم المؤرخون بصورة عامة **السيابجة** و **الزط** ، وهم من زمرة واحدة . وقد ذكر لنا الجاحظ كل هذه الأصناف والفئات في كتبه وعدد صفاتهم ومواصفاتهم .

فنرى الجاحظ يعدد بعض هذه الأنواع بصورة عامة بقوله : وزعم أن جند الخلافة اليوم على خمسة أقسام خراساني وتركي ومولي وعربي وبنوي[(١)] . وبتحديد أكثر نراه يصف أقواماً في بيئات معينة كقوله :«سل عني **الكتفية** و **الخليدية** و **الخريبة** و **البلالية** وبقية أصحاب صخر ومصخر وبقية أصحاب فاس وراسي مقلاسي»[(٢)]. وقد عدد الجاحظ **الزنج** بأنواع مختلفة قال «قالوا : وأنتم لم تروا الزنج الذين هم الزنج قط ، وإنما رأيتم السبي يجيء من سواحل قنبلة وغياضها وأوديتها ، ومن مهنتنا وسفلتنا وعبيدنا ، وليس لأهل قنبلة جمال ولا عقول. **وقنبلة** : اسم الموضع الذي ترفون منه سفنكم إلى ساحله.

(١) مناقب الترك ص ٩ .

(٢) البخلاء ص ٥٠ .

لأن الزنج ضربان : قنبلة ولنجويه[1] . وقد ذكر الجاحظ كل هذه الأصناف من البشر في رسالته الجامعة لهذه الأجناس البشرية فخر السودان على البيضان .

١ - طبقات المجتمع :

إن التغيير السياسي في المجتمع العباسي أعقبه تغيير اجتماعي في تقسيم الطبقات الاجتماعية وترتيب منازل فئاتها تبعاً لتغير الوظائف الاجتماعية التي تؤديها هذه الفئات والطوائف والطبقات ، وقد أوضح لنا الجاحظ طبقات المجتمع هذه عندما تكلم عن التقسيم الطبقي في مجتمعه قائلاً : «إن اجتمع الأعلون والأوسطون والأدنون فدعوت بواحد منهم دون من يعلوه في القدر لأمر لابد من الدعاء به له ، فأظهر العذر في ذلك لئلا تخبث نفسي من علاه ، فإن الناس يتغالب لمثل ذلك عليهم سوء الظنون»[2] .

فمن هذا النص نستطيع أن نميز طبقات المجتمع العباسي آنذاك فهي طبقات ثلاث : العليا ، والوسطى ، والعامة ، وقد أشار الجاحظ في أماكن عديدة من كتبه عن العوامل التي تؤثر في التقسيم الطبقي للمجتمع وأهمها العامل المادي وبين أهميته في تحديد نوع الطبقة الاجتماعية للشخص وذلك بملاحظته لأصحاب الحرف السفلى بأنهم لم يستطيعوا أبداً أن يثروا الثراء اللازم الذي يرفع من منزلتهم الاجتماعية ، فنراه يقول في الحيوان مدللاً على رأيه : «ولم أر سقاء قد بلغ حال اليسار والثروة وكذلك ضراب اللبن والطيان والحراث وكذلك ما صغر من التجارات والصناعات . ألا ترون أن الأموال كثيراً ما تكون عند الكتاب وعند أصحاب الجوهر ، وعند أصحاب الوشي والأنماط ، عند الصيارفة والحناط وعند البحريين والبصريين والجلاب أبداً ، والبيازرة

(١) فخر السودان على البيضان ص ٢١١ .

(٢) الرسائل كتاب الحجاب ص ٣٥ .

أيسر ممن يبتاع منهم»[1] .

أما الطبقة العليا فـقد عدد الجاحظ فئاتها ، وهم **الخلفاء** والأمراء والولاة والقواد **والوزراء** ، والخلفاء هم رأس الطـبقة العليا فقد حدثـنا الجاحظ بأنه لا يصح أن يكون للأمة غير خليفة واحـد ، وهو الرئيس الذي يجمع شمل الأمة فيقول : قضـية واجبة ، إن الناس لا يصلـهم إلا رئيس واحد يجمع شـملهم ويكفيـهم ويحميهـم من عدوهم ويمنع قـويهم من ضعيـفهم ، وقليل لـه نظام أقوى من كثر لا نظام لهـم ولا رئيس عليهم[2] . ويؤكد الجاحـظ رأيه هذا في كتابه الـعثمانية فيـقول «إن صلاح الدنيا وتمام النـعمة من تدبير الخـاصة وطاعة العامة»[3] ويقول في العثمـانية أيضاً : «فالرسل طبائعهم فـوق طبائع الخلفاء ، وطبائع الخلفاء فوق طبائع الوزراء»[4] .

والطبقة الـوسطى التي يعرض لنـا الجاحظ طوائفها وفئـاتها ، وهم **التجار** والشعراء و **القضاة** و **كتاب الدواوين** والمغنون ، فهي تضم في صفوفها عناصر عربية وأعجمية مسلمة وغير مسلمة ، ويعلل لنا شارل بيلات أسباب ظهور هذه الطبقة فـي المجتمع العباسي قائلاً ، بـأنها نشأت إزاء فكرة التوكل المـنتشرة في الأوساط العربية الخاضعة للنفوذ الأعـجمي فكرة أخرى توسعت بصورة خاصة بين الموالي وهـي فكرة الادخار وغايتها إدخـال مال احتياطي يدفـع به المرء عن نفسه غدر الـزمان وهكذا ظهرت طبقة بـورجوازية تعتمد علـى المال وتضم في صفـوفهـا أغلـبيـة المسلـمين والمسـلمين الجـدد الذين انـضم إلـيهـم اليـهود والمسيحيون»[5] .

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٢٣٤ .

(٢) هامش الكامل للمبرد ص ١٤٩ (جـ ١ كتاب النساء) .

(٣) العثمانية ص ٢٥١ .

(٤) العثمانية ص ٢٥٧ .

(٥) شارل بيلات - (الجاحظ) ص ٣١٥ .

وفي الدرك الأسفل من طبقات المجتمع العباسي كانت هناك الطبقة الدنيا، وهذه الطبقـة نالت من الجاحظ عناية خـاصة ، من حيث تحديد الفاصـل بينها وبين الطبقة العليا أي الطبقـة الخاصة ، وقد وصف لنا الجاحظ طوائف وفئات هذه الطبقة السفلى وصفاً مسهباً وأن أفرادها يقومون على أقل المهن الاجتماعية شأناً ، وهي تـتكون من عناصر عـربية وأعجميـة إسلامية ومجوسيـة ويهودية ونصرانيـة ، وحين يتحدث الجاحـظ عن العامة فإنـه كان ينبه إلى فـرق ما بين عامة المثقفين وعامة الأجناس ، ويجعلنا أمام فئات تمتاز بثقافتها المتوسطة وتسمو في مرتبتها الاجتماعية على فـئات أخرى فيقول : «إذا سمعتموني أذكر **العوام** فإني لست أعنى الفلاحين والحشوة والصناع والباعة ، ولست أعني **الأكراد** في الجبال ، وسكان الجزائر في البحار»[1] .

أما عامة الشعب فتضم :

طوائف وفئات اجـتماعية عديدة . وقد رجـح البعض سبب التسـمية هذه باسم **العامة** إلى كثرة أفرادها وعدم إحاطة الـبصر بهم ، وسموهم **السوقة** ، ويفسر ذلـك ابن منظور في لـسانه بقوله : الـسوقة بمنزلة الـرعية التي تسـوقها الملوك ، وسموهـا سوقة لأن الملوك يسوقونهـم فينساقون لهم . يـقال للواحد سوقة وللجماعة سوقة . وهم عند الجاحظ «هؤلاء حاشية **وأعلاج وأكرة** ونزال السواحل والآجـام والغيوض والجزائر من أكـار ومن صياد»[2] وذكـر **الحشوة** والطغـام قائلاً «فأما الحشـوة والطغام فإنمـا هم أداة للقادة وجوارح لـلسادة»[3] وذكر الجاحظ الآجام بقوله :«**زط الآجام** ورؤوس الأكراد **ومَرَدَة** الأعراب»[4].

---

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٩٩ .

(٢) الرسائل فخر السودان على البيضان ص ٢١٢ .

(٣) العثمانية ص ١٨ .

(٤) البخلاء ص ٤٩ .

ويعتبر الجاحظ أن طوائف عامة الشعب أداة للخاصة تبتذلها للمهن وترجى لها الأمور وتطول بها على العدو وتسد بها الثغور . ويرى الجاحظ أن من العوام الحشوة ورذال الناس والصناع والباعة والأكراد في الجبال وسكان الجزائر في البحار **والببر** ، **والطيلسان وموقان** ، **وجيلان** والزنج وأشباه الزنج»[1] .

ويعد من العامة في الحضارة العباسية سقاء الخمر في مجالس اللهو ، والباعة الجوالون الذين يجوبون الدروب ويمرون على الدور بتجارتهم ، وكذلك الأكرة ، وكان منهم من يكري دابته بالأجر[2] وكذلك الحمالون الذين كانوا يكرون بالأجر لحمل الأثقال[3] . ويشير الجاحظ إلى فئات من سفلة عامة الشعب مثل الحوائين والراقين ، ويكشف لنا عن حيلهم وعن خدعهم فنقول: «والحواء والراقي يرى الناس أنه إذا رأى جحراً لم يخف عليه : أجحر حية هو أم جحر شئ غيره ، فإن كان جحر حية لم يخف عليه أهي فيه أم لا . ثم إذا رقى وعزم فامتنعت من الخروج وخاف أن تكون أفعى صماء لا تسمع ، وإذا أراغها ليأخذها فأخطأ لم يأمن من أن تنقره نقرة لا يفلح بعدها أبداً ، فهو عند ذلك يستبري بأن يشم من تراب الجحر ، فلا يخفى عليه : أهي أفعى أم حية من سائر الحيات»[4] . وهناك طوائف من عامة الشعب تخصصت في حرف منوعة ظهرت كأثر من آثار الامتزاج الحضاري وما صاحبه من تقدم مادي وفكري وقد بين لنا الجاحظ صوراً لهذه الحرف وما كانت عليه من تنوع وتخصص ، فالمهنة وإن كانت وحدها لا تحدد الطبقة التي ينتمي إليها الفرد في مجتمعه إذ أن الطبقة سابقة على المهنة ، وكثيراً ما تؤثر الطبقة في اختيار المهنة، ويشير الجاحظ في كتبه مبيناً أثر الطباع التي أوجدها الله في النفوس

(١) البيان جـ ١ ص ١٣٧ .

(٢) البيان جـ ٣ ص ٦٨ .

(٣) البخلاء ص ١٢٥

(٤) الحيوان حـ ٤ ص ١٩٠ .

وأهميتها في المهنة التي يتخذها الفرد دون الآخر مما يؤثر في مكانته الاجتماعية في المجتمع قائلاً «فأما الصناعات فقد تقصر الأسباب بعض الناس على أن يصير حائكاً وتقصر بعضهم على أن يكون صيرفيا»[1] .

٢ - أصحاب المهن :

وصف لنا الجاحظ فئات الطبقة السفلى من المجتمع العباسي وحدد مهنة كل فئة من هذه الفئات واهتم بصفة خاصة بأقل المهن الاجتماعية شأناً ونراه ينظر نظرة ازدراء إلى بعض فئات من عامة الشعب التي تمتهن المهن الوضيعة في نظره مثل : الحجامين والحاكة وغيرهم ، وهذا المعيار من الرؤية بالنسبة لتلك المهن كان معياراً لعامة الناس في المجتمع العباسي في تلك الفترة من ازدهار الحضارة ورقيها ، فلو استعرضنا بعض المهن لتلك الطبقة السفلى من المجتمع العباسي لوجدنا **الأَكَرَة** ومفردها الأكار ، وقد ذكرهم الجاحظ في مواضع عديدة مثل قوله في الحيوان : قيل لما سرجويه «ما بال الأكرة ، وسكان البساتين، مع أكلهم الكراث والتمر ، وشربهم ماء السواقي على المالح أقل الناس خفشاناً وعمياناً وعمشاناً وعوراً»[2] ؟ «وجاء ذكرهم في البخلاء بقوله : «فإذا صرنا بأرضه كلف أكاره أن يجشمه في مجشة له»[3] .

وصنف آخر من المهنيين وهم **الحَاكَة** والبزازون فقد ذكرهم الجاحظ قائلاً: «قال أحمد الخاركي : لا تصير القرية قرية حتى يصير فيها حائك ومعلم»[4] . وذكرهم في الحيوان أيضاً في أماكن متفرقة كقوله : وإذا قالوا : فلان أخضر البطن ، فإنما يريدون أنه حائك فإن الحائك بطنه لطول التزاقه

(١) الحيوان جـ ١ ص ٢٠٢ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣٢٣ .

(٣) البخلاء ص ١٢٩ .

(٤) الحيوان جـ ٢ ص ١٩٣ .

بالخشبة التي يطوى عليها الثوب يسود»[1] وقال أيضاً : «ومن القنافذ جنس وهو أعظم من هذه القنافذ ، وذلك أن لها شوكاً كصياصي الحاكة»[2] ويقول الجاحظ في تشابه طبائع العامة في كل بلدة وكل عصر : ألا ترى أنك لا تجد بدافي كل بلدة وفي كل عصر للحاكة من أن يكونوا على مقدار واحد وجهة واحدة من السخط والحمق والغباوة والظلم ، وكذلك النحاسون على طبقاتهم من أصناف ما يبيعون ، وكذلك السماكون والقلاسون ، وكذلك أصحاب الخلقان كلهم في كل دهر وفي كل بلد على مثال واحد وعلى جهة واحدة»[3] «وذكر الجاحظ **البَزَّازِين** بقوله «قال : نلت أطول أمالي في قرب هؤلاء البزازين»[4] .

ثم نوع آخر من المهنيين وهم الحجامون والخناقون وحراس الأسواق والخمارون والدباغون والنفاطون وغيرهم . وقد جاءت هذه المهن ومن يقوم بها في مواضع كثيرة عند الجاحظ وكان الجاحظ ينظر إلى بعض هذه الطوائف والفئات التي تقوم بالمهن.المذكورة نظرة ازدراء وتحقر مثل ما يذكره من **الحَجَّامِين** والنحاسين والقلاسين : معنى القلاسين الضاربون بالدف «ويؤكد أن طبائع هذه الفئات تتشابه في كل عصر وبلد ، فيقول : وكل حجام في الأرض فهو شديد الاستهتار بالنبيذ وإن اختلفوا في البلدان ، والأجناس والأسنان»[5].
كان الحجام يقوم على حجامة الأمراء والسادة في دورهم ، ويدلنا على هذا ما يرويه الجاحظ عن فرج **الحَجَّام** مملوك الأمير جعفر بن سليمان يقول الجاحظ : «وكان فرج الحجام مملوك جعفر بن سليمان ، إذا حجمه أو أخذ من شعره لم

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٤٨
(٢) الحيوان جـ ٦ ص ٤٦٤ .
(٣) الحيوان جـ ص ١٠٥ .
(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٨-٣٠ .
(٥) الحيوان جـ ٢ ص ١٠٥ ص ١٠٦ .

يتكلم ولم يتحرك ، ولـم يأخذ في شئ من الفضول»[١] . ويصف لنا الجاحظ إقبال الناس على الحجامة والتطبب بها فيقول : «وكان أهل المربد يقولون : لا نرى الإنصاف إلا في حانوت فرج الحجام ، لأنـه كان لا يلتفت إلى من أعطاه الكثير دون من أعطاه القليل ، ويقدم الأول ثم الثاني ثم الثالث أبداً حتى يأتي علـى آخرهـم ، على ذلـك يأتيـه من يـأتيه ، فـكان المؤخـر لا يغـضب ولا يشكو»[٢]. ثم **الخناقون** نجدهم من سفلة العامة في المجتمع العباسي وقد كانوا مصدراً من مصادر التوتر في حياة الناس آنذاك ، ويحدثنا الجاحظ عنهم بقوله: «أنَّ الخناقِّين يظاهر بعضهم بعضاً ، فلا يكونون في البلاد إلا معاً ولا يسافرون إلا معاً ، فربما استولوا على درب بأسـره . أو على طريق بأسره ولا ينزلون إلا في طريـق نافذ ويكـون خلق دورهم : إمـا صحارى وإما بـساتين وإما مـزابل وأشبـاه ذلك ، وفـي كل دار كـلاب مربوطـة ودفوف وطـبول . ولا يـزالون يجعلون على أبوابهم معلم كتاب مـنهم ، فإذا خنق أهل دار منهم إنساناً ضرب النسـاء بالدفوف ، وضرب بـعضهم الكلاب ، فـسمع المعلـم فصاح بالصـبيان انبحوا وأجابهم أهل كل دار بالدفوف والصنوج ، كما يفعل نساء أهل القرى ، وهيجوا الكلاب فلو كان المخنوق حماراً لما شعر بمكانه أحد»[٣] .

أما مهنة حراس الأسواق فسوف أتكلم عنها عندما أتعرض لمهنة اللصوص وما يمارسونـه من فنون لصـوصية في ذلك الـوقت، والآن ننتـقل إلى أصحاب مـهنة أخرى وهم **النَّفَّاطُون** ، فقد ذكرهم الجاحظ بقولـه «لأن الطلق لو أوقد عليه ألف عام لم يـسخن وبه يتـطلى النـفاطون إذا أرادوا الدخول فـي النار»[٤] . وذكر **الدباغين** وهم أيضاً من الطبقة السفلى لعامة الشعب فقال يصف مهنتهم : الدباغة

(١) الحيوان جـ ٧ ص ٢٦١ .
(٢) الحيوان حـ ٧ ص ٢٦٢ .
(٣) الحيوان جـ ٢ ص ٢٦٤ .
(٤) الرسائل جـ ١ ص ٢٠٠ .

«ولذرقة غلات ، يعرف ذلك أصحاب الحجر وهو يصلح في بعض وجوه الدبغ»(١) ومهن أخرى كان الجاحظ ينظر إليها باحتقار وازدراء كالقلاسين والمكارين والقرادين والطوافين والمتكسبين وبائعي الخلقان ، وغيرهم من الفئات والطوائف الذين يعدهم من سفلة عامة الشعب ومن الدرك الأسفل للمجتمع فقد ذكر **القلّاسين** بقوله «ألا ترى أنك لا تجد بداً في كل بلدة وفي كل عصر للحاكة من أن يكونوا على مقدار واحد وجهة واحدة من السخط والحمق والغباوة والظلم ، وكذلك **النخّاسون** والقلاسون وكذلك أصحاب الخلقان كلهم في كل بلد على مثال واحد وعلى جهة واحدة(٢) . وذكر **المكارين** الذي يكرون دوابهم بالأجر قال : «ولقد كان أبو دبوبة الزنجي مولى» آل زياد ، يقف بباب الكوخ بحضرة المكارين فينهق ، فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير ، ولا متعب بهر إلا نهق(٣) وذكر الجاحظ **الطوّافين** والمتكسبين **والقرّادين** بقوله : «هذه السباع المشتركة الخلق المتولدة فيما بين السباع المختلفة الأعضاء المتشابهة الأرحام ، التي إذا صار بعضها في أيدي القرادين والمتكسبين والطوافين وصفوا لها أسماء فقالوا : مقلاس ، وكيلاس ، وشلقطير وخلقطير وأشباه ذلك(٤) ثم مهنة **الخمارين** وهؤلاء لهم صفات معينة ومواصفات خاصة تؤهلهم للمهنة وقد وصفهم الجاحظ بقوله : «وأعجب من هذا أني لا أنتفع بشربها حتى يكون بائعها على غير الإسلام ، ويكون شيخاً لا يفصح بالعربية ويكون قميصه متقطعة بالقار ، وأعجب من هذا أن الذي لابد منه أن يكون اسمه إن كان مجوسياً شهريار ومازيار ، وما أشبه ذلك مثل أدير ، وأردان ، ومازان ، فإن كان يهودياً فاسمه مانشا ، وأشلوما ، وأشباه ذلك وإن كان

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٥٣ .
(٢) الحيوان جـ ٢ ص ١٠٥ .
(٣) البيان جـ ١ ص ٧٠ .
(٤) الحيوان جـ ٦ ص ٢٨ .

نصرانيـاً فاسمه يوشع ، وشـمعون وأذين وازدانقاذارا وأشـباه ذلك»[1] ومهنة أخرى وهى الحـراسة وكان يقـوم بها **حراس الأسواق** وعلى رأسهـم صاحب الحرس وقد ذكرهم الجاحظ قائلاً : «وعلى أنا لو حلنا بين حرس الأسواق وما تشتـمل عليـه من حرائب الـناس ، وبين اتخـاذ الكلاب لامتـنعوا من ضـمان الحراسة ، ولا متنع كـل محروس من إعطائهم تلك الأجـرة ولوجد اللصوص ذلك من أعظم الغنم وأجود الفرص»[2] وقال يصف **صاحب الحرس** : «ومن تمام آلة صـاحب الحرس أن يكون زميـتا قطوبا أبيـض اللحية ، أقنـى ، أجنى ويتكلم بالفارسية»[3] . لقد وصف الجاحظ طوائف وفئات هـذه الطبقة السفلى من المجتمع وصفاً مسهباً وأورد بأن أفرادها يـقومون على أقل المهن الاجتماعية شأناً .

قال آدم ميتز عن الخمارين :

وقد حكى الجاحظ المـتوفي عام ٢٥٥ هـ . عـن أحد الثقات الذين يـعتمد عليـهم أن من تمام آلة الخمـار أن يكون ذمياً مخـتوم العنق . ويصـف الجاحظ عادة العـرافين فيقول : مـن تام آلة الخمـار أن يكون اسمه آذيـن أو مازيادا أو أزدانقا ذا أو ميشا أو شلوماً ويكون أرقط الثياب مختوم العنق[4] .

٣ - فئات ذات طبيعة اجتماعية خاصة :

هنـاك طوائف وفـئات في المجـتمع الـعبـاسي في عـصر ازدهار الحـضارة العباسية ذات طبيعة خاصة بالنسبة للمجتمع ، وهذه الفئات لها مكانتها في هذا المجتمع الخليط من الأجناس المتنوعة . وقد كانت لكل من هذه الفئات ظروف

(١) البيان جـ ١ ص ٩٤ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ٣٠٣ .

(٣) البيان جـ ١ ص ٩٥ .

(٤) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ١ ص ١٠٠-١٠٢ .

اجتماعية أو اقتصادية أوجدتها وفرضتها على ذلك المجتمع في عصر ازدهاره ، وهذه الفئات هي الجواري والغلمان والقصاص والشطار والمكديّون ، وسوف نتكلم عن هؤلاء بشئ من التفصيل عندما نتناول كل فئة على حدة ، وأول هذه الفئات هي :

الجواري والغلمان :

هذه الفئة تضم **الرقيق** بأنواعه والخصيان والسراري وغيرهم من أصناف الرقيق ، وقد حظيت هذه الفئة باهتمام خاص من الجاحظ حتى أنه أفرد للحديث من أحوالها بعضاً من كتبه ورسائله ، مثل كتابه مفاخرة الجواري والغلمان ، وكتابه في القيان ، وكتابه في النساء ، وعقد في الحيوان فصلاً تحدث فيه عن الخصيان وفصلاً عن النساء ، وتناول جانباً من أقوال هذه الفئات في كتابه البغال بما ضمنه من ملاحظات ، وكان للرقيق في المجتمع العباسي تجارة رائجة لها قواعدها وأصولها من حيث ما يحتاج إليه البائع والمبتاع في سوقها يقول الجاحظ : «إن الرقيق تجارة من التجارات تقع عليها المساومات والمشارة بالثمن ويحتاج البائع والمبتاع إلى أن يستشفى العلق ويتأملاه تأملاً بيناً بينما يجب فيه خيار الرؤية المشترط في جميع البياعات ، وإن كان لا يعرف مبلغه بكيل ولا وزن ولا عدد ولا مساحة فقد يعرف بالحسن والقبح»[١] وقد كان مقاييس الذوق في زمن ازدهار الحضارة العباسية بنظام الرقيق ، وكانت هذه المقاييس تختلف باختلاف الأمصار وتعتمد اعتماداً كبير على نوع الرقيق **والجواري** الذي كانت التجارة تأتي به إلى ذلك الجزء من العالم الإسلامي آنذاك ، هذا وقد تعددت جنسيات الجواري فمنهن البغلات ، والمطهمات ، والسراري والسباءة والعلات ، **بغلات** ومفردها **بغلة** وجنس آخر ، والواحدة منهن يقال لها بغلة ولهن أبدان ووثارة وخدارة ، فقد ذكر الجاحظ البغلات

(١) القيان رسائل الجاحظ ص ١٦١ .

بقولـه : «والبغلات : جـوار من رقيق مصـر ، نتاج ما بين الـصقالبـة وجنس آخر»[1] وذكـر **المُطَهَّمَات** بقـوله «وكذلك مـطهمـات جواري الكوفـة ، زرقا تجدهن»[2] **والسراري** جمع سرية وهى الأمة المملوكة ، وهذا النظام مسموح به للمسلمين ممنوع على النصـارى ، وقد جاء ذكره عند الجاحظ بقوله : «على أن الجاثليـق كثيراً ما يتغافـل عن الرجل العظيـم القدر له السلطان نـاحية ، وكان طيمانو رئيس الجاثليق ، قدهم بتحـريم كلام عون العبادي عندما بلغه من اتخاذ السراري ، فتوعده وحلف»[3] ثم **العَلاّت** وقد جاء كلام الجاحظ عـنهن بقوله «ثم كأنكم أولاد عـلات وضرائر أمهات»[4] .ولابد من الإشـارة إلى دور المرأة في ميادين الحرف والمـهن في المجتمع العباسي ، فقد أشـار الجاحظ إلى بعض النسـوة مارسن حرفاً معـينة كزينـب بنت جحش الـتي كانت امرأة صنـاع تدبغ وتخبز وتتصدق به[5] .

وذكر الجاحظ أنواع الغلمان كالقن بقوله «وصار هو العبد القن المملوك لمن ائتمنه على سره[6] . وقد نتـج عن تزاوج هذه الأجنـاس المتباينـة من الجواري والرقيق ظهور أجناس جديدة من مثـل الخلاص من الرقيق ، وهو الذي يتخلق بين الحبشي والبيـضاء وقد وصفهم الجاحظ بقوله : «إنهـم يخرجون أعظم من آبائهم وأقوى من مثل **البَيْسَرِي** من الرقيق ، وهو الذي يخـلق من بين البيض والهند ، وهذا النتاج لا يخرج على مقدار ضـخم الأبوين وقوتهما ولكنه يجئ أحسن وأفلح[7] . وكانت سوق الـقيان عامرة بأصنـافه المختلفة ويشـرف عليه

(١) كتاب البغال ص ٢٨١ .

(٢) كتاب البغال ص ٢٨٩ .

(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٢٧ .

(٤) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠١ .

(٥) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٢٩ .

(٦) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٧ .

(٧) الحيوان جـ ١ ص ١٥٧ .

المقين وهو الذي يأخذ الجوهر ويعطي العرض في سوق القيان ، . والغلمان كانوا على شاكلة القيان يباعون في سوق الرقيق وكانوا جنسيات مختلفة مثل الروم والسند وكان السادة يحرصون على أن يسير في مواكبهم غلمانهم ، وكانوا يقيمونهم على طهي الطعام في دورهم ، وقد تنوعت وظائفهم في هذه الدور ، فمنهم **الشواؤون والفراشون** والمعدون **والطهاؤون** ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأصناف في حيوانه فقال «وأراد تحويل رجال السند إلى موضع الفراشين من الروم»[1] وقال «والشوائين والطهائين والفهادين والبيازرة والصقارين والكلابين لا ترى أحداً منهم صار إلى غني ويسر ولا تراه أبداً إلا فقيراً محارفاً»[2] وقال وهو يصف القيان «والمعدين لوظائف الأطعمة وصنوف الأشربة»[3] .

ويذكر الجاحظ أن **القِيَان** كن يحذقن أموراً خاصة بصنعتهن ، مثل حذقهن الغناء والشعر الفاضح والعزف ، وكان يشترط في العازفة مواصفات معينة ، مثل قول الجاحظ في **الزَّامِرَة** «ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامرة سوداء»[4] والقهرمان هو الرأس المدبر لكل بيت من بيوت الطبقة العليا وكان يشرف على هؤلاء الجواري والغلمان ولا يستغنى عنه بأي حال من الأحوال ، وقد ذكره الجاحظ في بخلائه «أنه إذا دعى على مائدته بفضل دجاجة أو بفضل رقاق أو غير ذلك رد الخادم مع الخباز إلى القهرمان حتى يصل له بذلك إلى صاحب المطبخ»[5] وكان رقيق السند طباخين وطهاة مهرة ، وكما وصفهم الجاحظ «لا يوجد في العبيد أطبخ من السندي»[6] وولوهم الصيارفة أكسيتهم وبيوت

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٤٣٥ .

(٢) الحيوان جـ ٤ ص ٤٣٠ .

(٣) كتاب القيان ص ١٧٧ ط .

(٤) البيان جـ ٦ ص ٩٣ .

(٥) البخلاء ص ٥٦ .

(٦) فخر السودان على البيضان - ص ٢٢٤ .

صروفهم ويـرع هؤلاء الرقيق السـنديون بالعقاقـير أيضاً كما قـال الجاحظ «كل صيدلاني عندنا إلا وله غلام سندي»[1] .

أما **الزنج** فهم من الطـوائف التي جاءت للمجتـمع العباسي نتيجـة للسبى وكانوا يعملون في **القَشْكَرَة** وهى زراعة الأرض وفلاحتها[2] ، وبرع الزنج في الرقص والزمر فكان بعضهم يعمـل مع الرقاصين والزمارين وطوائف الملهين ، فقد وصفهم الجاحظ بقوله «أطبـع الخلق على الرقص الموقع الموزون والضرب بالطبل على الإيقاع المـوزون من غير تأديب ولا تعلم»[3] ومنهم مـن كان يقوم على رعاية الإبل[4] وقد يعمل بعضهم بالحجامة كقول الجاحظ وهو يصف أحد الشيوخ : «وقد جلس على قارعة الطريق وحجام زنجي يحجمه وقد وضع على كاهله وأخدعيه محاجم ، كل محجمة كأنها مقب»[5] أما رقيق الروم فقد كانوا يقومون عـلى رعاية الإبل، كقول الجاحـظ في وصفهم: «وقد كان يـحيى بن خالد أراد أن يحول إجراء الخيل عن صبيان الحبشان والنوبة إلى صبيان السند[6] .

القصاص والحاكية والوعاظ الشعبيون :

كان القصاص يثيرون الحماسة الدينـية أيام الفتوح الإسلامية ثم وصلوا في زمن مبكر إلى مزاولة مهنتهم في المسـاجد ، وقد كانوا عرضة لغضب السلطان لأنهم يسيئون استعمال حقهم في مـزاولة مهنتهم في المساجد ، وكانوا يذكرون تحت ستار الـقصص أنواع الترهات ، واختـلط الجاحظ بهؤلاء القصـاص كثيراً منذ حداثته وأفاد مـن تعاليمهم في مطلع شبابه ، فـقد زاد هؤلاء القصاص في

(1) الحيوان جـ ٣ ص ٤٣٥ .

(2) البيان جـ ١ ص ٦٠ .

(3) فخر السـودان على البيضان – ص ١٩٥ .

(4) الحيوان جـ ٢ ص ٢٣٤ .

(5) الحيوان جـ ٣ ص ٣٢ .

(6) الحيوان جـ ٣ ص ٤٣٥ .

تجاربه الإنسانية كما تدل على ذلك الاستشهادات المبعثرة في كتبه ، أما القصاص الرصناء فقد أسهموا ولا ريب في تكوينه الديني وفتحوا عينه على قضايا طرحتها الأساطير والأخبار التي تسيرها بين الناس ، وقد تكون خطب القصاص مصدراً للقضايا التي يثيرها الجاحظ في رسالته التربيع والتدوير ، وهؤلاء القصاص الذين من الصنف الآخر من القصاص المسجديين يعتمدون على ثقافة جديرة بالتقدير ، والقصاص ورد ذكرهم عند الجاحظ في البيان والتبيين وكذلك الحاكية والوعاظ الشعبيون، قال في بيانه يذكر **الحاكية**: «ومع هذا إنا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم ، لا يغادر من ذلك شيئاً . وكذلك تكون حكايته للخراساني والأهوازي والزنجي والسندي والأجناس وغير ذلك. نصم حتى تجده كأنه أطبع منهم، فإذا ما حكى كلام الفأفاء، فكأنما قد جمعت كل طرفة في كل فأفاء في الأرض في لسان واحد، وتجده يحكي الأعمى بصور ينشئها لوجهه وعينيه وأعضائه، لاتكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك كله ، فكأنه قد جمع جميع طرف حركات العميان في أعمى واحد»[1] وذكر الجاحظ **القُصَّاص** ومفردهم قاص بقوله وهو يصف مواصفات **القاص** وصفاته: «قال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة القصص أن يكون القاص أعمى ويكون شيخاً بعيد الصوت»[2] وقال عن الجادين الرصناء «ومن القصاص : أبو بكر الهذلي وهو عبد الله بن سلمى، وكان بينا خطيباً صاحب أخبار وآثار»[3] ومنهم موسى بن سيار الأسواري الذي كان الجاحظ مفتوناً بفصاحته وقد ذكره في بيانه قال : ومن القصاص : موسى بن سيار الأسواري ، وكان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور له فتقعد العرب عن يمينه،

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٦٩ .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٩٢ .

(٣) البيان : جـ ١ ص ٣٦٨ .

والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدري بأي لسان هو أبين»[1] وهناك قاص ورد ذكره كثيراً عند الجاحظ وهو عبد الأعلى ، وأدهش الجاحظ اشتقاقاته الغريبة وحكمه الموجزة كقوله : «الفقير رداؤه علقة وسرقته سلقة وجردقته فلقة ، وسمكته سلقة»[2] وعلى تقدير الجاحظ وإعجابه بهؤلاء الذين ذكرهم في كتبه[3] يعظم هزؤه بغيرهم من السذج ، وقد تصل به الحال إلى حد الكيد بهم .

الفتيان والشطار والفتاك :

الفتيان في المجتمع العباسي كانت لهم أساليبهم في الحياة ، فقد اتخذوا الفتوة سبيلاً إلى قيامهم بالعبث والسلب والنهب مما كان له أثر اجتماعي سيئ ، بحيث اعتبرت الخلافة العباسية الفتوة خطراً على المجتمع . والفتوة في الأصل مفهوم خلقي يعني الخصال التي يطلب أن يتحلى بها فتى من الفتيان في بلاد العرب قبل الإسلام ، وأبرزها الكرم والشجاعة ، وقد ظلت الفتوة طوال صدر الإسلام والعصر الأموي وشطراً من العصر العباسي مسلكاً فردياً يسلكه بعض الأفراد ، وفي بداية القرن الثاني الهجري انتشرت الفتوة بين الراغبين في الدنيا والتشوق إلى اللهو والمتعة. وفي نهاية القرن نفسه أخذت الفتوة تلاقي إقبالاً ، من جماعة عرفت بالشطار **والعَيَّارِين** ، ويبدو أن حركتهم كانت موجهة ضد الحكام والأغنياء وكان الدافع لميلهم إلى التطرف هو وضعهم الاقتصادي الذي ولد فيهم الرغبة في نيل ثأرهم من المترفين ، وكانوا يسمون أنفسهم بالفتيان ، فالعيار فيه فتوة وله مروءة «كما قالها ابن الأثير في كتابه الكامل ، وقد ورد

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٦٨ .

(٢) البخلاء ص ٩٤ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٣٢٤ وانظر في نفي التشبيه ص ٢٨٥ .

ذكر **الفتيان** عند الجاحظ في أماكن متعددة من كتبه ، قال في الحيوان: «وخبرني كم شئت أن نباتة الأقطع وكان من أشداء الفتيان وكانت يده قطعت من دون المنكب ، وكان ذلك في شقه الأيسر ، فكان إذا صار إلى القتال وضرب بسيفه فإن أصاب الضريبة ثبت وإن أخطأ سقط لوجهه ، وذكر **الفتوة** بقوله : «ونحن أفتك وأخشب ، ونحن أقطع للطريق وأذكر في الثغور من حسن القدود وجودة الخرط ومقادير اللحى وحسن العمة ، والنفس المرَّة وأصحاب الباطل والفتوة ، ثم الخط والكتابة والفقه والرواية»[٢] وجاء ذكر الشطار عند الجاحظ في بخلائه قال : «وإني لم أكل مع أحد إلا رأيتمنه بعض ماذمه وبعض ما شنعه ومتجه . فشئ يقبح بالشطار ، فما ظنك به إذا كان في أصحاب المروءات وأهل البيوتات»[٣] ؟ .

وكان للفتوة تنظيم متدرج فهناك الشيخ أو المقدم أو القاضي للفتيان الذي يقوم بنصحهم وموعظتهم وتنظيم أمورهم ، وقاضي الفتيان يشترط فيه أمور يجب أن تتوافر في شخصه حتى ينال منصبه : يفي بالعهد ويعفو عن الظالم ويبذل المعروف ويحتمل الأذى بالنسبة لجماعته ، وقد ذكره الجاحظ بقوله : «قالوا : ومن أبو الفاتك قال : قاضي الفتيان»[٤] وجاءت لفظة **فاتك** بمعنى اسم لشخص وهو قاضي الفتيان وبمعنى صفة لشخص تتوفر فيه صفات الفتوة كقول الجاحظ «وكان عبيد الله أفتك الناس وأخطب الناس»[٥] وتوالت الاشتقاقات من هذه الكلمة أفتك وفتك وفاتك والفتاك ، وقد أوردها الجاحظ في كتبه ورسائله قال عن **الفتك** : «ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٣١ .

(٢) مناقب الترك ص ٢٨ .

(٣) البخلاء ص ٦٧ .

(٤) البخلاء ص ٦٧ ، البرصان ص ٣٣٣ .

(٥) البيان جـ ١ ص ٣٢٥ .

لزعمت أن ابنه لا يقول شعراً»[1] وقال عن الفاتك «وإن الحارث بن ظالم كان فاتكاً»[2] ووردت كلمة **فتاك** في أماكن عديدة ، منها قول أحد بخلاء الجاحظ «وخالطت النساك والفتاك»[3] وقال «وكذلك أهلها لأهلها ، وفتاكها لفتاكها»[4] وقال : «عند الخاصة والعامة وعند النساك والفتاك»[5] هذا بعض ما أورده الجاحظ في كتبه عن الفتيان وقد أجاد في وصفهم ووصف عاداتهم ومفاهيمهم سواء في التصرف الاجتماعي أو في سلوك المواكلة بصورة خاصة بلسان أبي فاتك الذي يصفه الجاحظ بقاضي الفتيان . ونرى أبا الفاتك يوجه الفتيان توجيهات طريفة في أصول المواكلة والمائدة ، وقد وردت هذه التوجيهات في البخلاء وذكرتها عندما تكلمت عن عادات الطعام المذمومة .

الكدية والمكديون :

فئة **المكدين** من سفلة الطبقة العامة في عصر الجاحظ ، وقد أسماهم الجاحظ المكدين الذين أفنى أفرادها حياتهم في الاحتيال للحصول على المال غير عابئين بما يتخذون لذلك من وسائل وأساليب من قبل استخدامهم القوة والاستلاب بالعنف والغلبة ، واستغلال غفلة الناس وغرائز الرحمة والرقة التي تكمن في طبيعة كثير منهم . ونستطيع أن نتمثل السمات الاجتماعية التي تميز أفراد هذه الطائفة من خلال قصة وردت في البخلاء من مكد يدعي خالد بن يزيد نزل في منازل بني تميم بالبصرة ، وجلس في مجالسهم دون أن يعرفوا فيه صفة الكدية إلى أن وقف عليه سائل ، فأراد أن يخرج له فلساً من فلوس البصرة فغلط بدرهم بقلي ، ولم يفطن إلى غلطه حتى وضع الدرهم في يد

(١) الحيوان جـ ٣ ص ١٣١ .

(٢) العثمانية ص ٢٦٦ .

(٣) البخلاء ص ٤٨ .

(٤) مناقب الترك ص ٢٨ .

(٥) البرصان ص ٢٠٢ .

السائل ، فاسترده واستبدله بفلس ، واستنكر من حوله هذا الصنيع باعتباره من الأمور القبيحة ، لكنه رد عليهم بأنه لا يرى رأيهم ، ذلك أن طالب الإحسان ليس من مساكين الدراهم وإنما هو من مساكين الفلوس ، وهو يعرف بما لديه من فراسة فرق ما بين سائل وآخر[١] ، واحترف أناس **الكُدْيَة** ، وأطلق عليهم اسم بني - ساسان وأصحبت لهم تقاليد ومراسيم خاصة بحرفتهم[٢] وقد وردت كلمة كدية كثيراً في مؤلفات الجاحظ ، ففي الحيوان جاءت بمعنى آخر غير الذي يقصده قال الجاحظ «والكدية من الأرض : ارتفاع في صلابة»[٣] وقال في هذا المعنى «والضب لا يحفر إلا في كدية»[٤] وقال أيضاً في الحيوان «ولذنبها من الصلابة ما إذا اعتمدت به على الكدية والكدانة جرح فيهما»[٥] ثم جاءت الكلمات أكدى وتكدي ويكدي وتكدية وقد جاءت بمعان متعددة ثم كلمة مكد ومكدين الجمع ، ولنذكر أماكن ورود هذه الكلمات عند الجاحظ قال : بل يناله الاستبطاء عند أول الزلة وإن أكدي ، ويدركه العذل بأول هفوة وإن لم يرض»[٦] وجاءت كلمة تكدي بقوله «وأنت تعلم حين مضيت بطالاً هارباً من العمل ، الكدي أو تنجح»[٧] وقال : «فلولا أن صاحب برذون فرق بيننا لكان إلى الساعة يكدني»[٨] أما كلمة **مُكْدِي** وجمعها مكديّون ، فقد وردت في أماكن لا يمكن حصرها ولنأت بمثال على بعض مكدي الجاحظ وأشهرهم خالويه ، قال الجاحظ عنه في بخلائه : هو خالويه المكدي وكان قد بلغ به في البخل

(١) البخلاء ص ٤٦ .

(٢) المختار في كشف الأسرار للجوبري ص ٢٩ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ٥٠ .

(٤) الحيوان جـ ٤ ص ١٧٢ .

(٥) الحيوان جـ ٥ ص ٥٤٩ .

(٦) ذم أخلاق الكتاب ص ١٩١ .

(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٨٥ .

(٨) الحيوان جـ ٣ ص ٤٦٩ .

والتكدية وفي كثرة المال المبالغ التي لم يبلغها أحد»[1] وقال يذكر **المكدين** : «فأما الذي يجعل أولاد المكدين عمياناً وعرجاناً وعمشاو حدباً فهو يسمى المشعب[2] وشخصية خالويه ، المكدي أعجب شخصيات البخلاء عند الجاحظ ، وكان مصدراً مهماً يدير حوله نوادره وحكاياته ، وقد أبرز لنا خالويه صورة مجسمة ذات جوانب مختلفة الألوان من حياة الطبقات السفلى من الناس في عصر ازدهار الحضارة العباسية ففي شخصية خالويه تجتمع شخصيتان البخيل المتشرد والقاضي المحتال ، وهو مع هذا صاحب مال وثروة يخاف عليها ويبخل بها ، ونستدل من حديث خالويه المكدي عن نفسه وعن تفسير الجاحظ لما ورد في كلامه من ألفاظ أن هذه الطائفة كانت تضم فئات وجماعات من السفلة اتسموا بسوء الخلق مثل المخطراني ، والمستعرض والشحاذ ، والكاغاني ، والبانوان ، والقرسي ، والعواء ، والمشعب ، والفلور ، والمزيدي ، - والأسيطل وقال الجاحظ في شرحه لهذه الكلمات التي جاء بها خالويه **والمخطراني** : الذي يأتيك في زي ناسك ويريك أن بابك قد قور لسانه من أصله لأنه كان مؤذناً هناك ثم يفتح فاه كما يضع من يتثاءب فلا ترى له لساناً البتة ولسانه في الحقيقة كلسان الثور . وأنا أحد من خدع بذلك ، ولابد للمخطراني أن يكون معه واحد يعبر عنه أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصته[3] . وقال عن **المستعرض** : «الذي يعارضك وهو ذو هيئة وفي ثياب صالحة وكأنه قد مات من الحياء ويخاف أن يراه معرفة . ثم يعترضك اعتراضاً ويكلمك خفياً»[4] . وعن **الكاغاني** قال : «والكاغاني الذي يتجنن ويتصارع ويزبد ، حتى لا يشك أنه مجنون لا دواء له لشدة ما ينزل بنفسه وحتى يتعجب

(١) البخلاء ص ٤٦ .

(٢) البرصان جـ ٢٣٧ .

(٣) البخلاء ص ٤٦ ، ص ٥١ .

(٤) البخلاء ص ٥٣ .

من بقاء مثله علـى مثل علته»(١) وجاء ذكر الـكاغاني في الحيـوان «وهو اسم الذي يتجنن أو يتفالج فالج الرعدة والارتعاش»(٢) وصنف آخر من المكدين وهو **المقدّس** الذي قـال عنه الجاحـظ «والمقدس الذي يـقف على الميت يسائـل في كفنه، ويقف في طريق مكة على الحمار المـيت والبعير الميت فيدعي أنه كان له ويزعم أنه قد أحضر . وقـد تعلم لغة الخراسانية واليمانيـة والأفريقية. وتعرف تلك المدن والـسكك والرجّال . وهو متى شـاء كان أفريقياً ومتـى شاء كان من أهل فرغانة ومـتى شاء كان من أي مخاليـف اليمن شاء»(٣) **والبانوان** قال عنه الجاحظ في شرحه لكلام ابن خالويه : «والبانوان الذي يقف على الباب ويسل الغلق ويقول بانوا وتفسير ذلك بالعربية يا مولاي»(٤) ثم شرح كلمة أخرى وهى **القَرسي** قال : «القرسي الذي يـعصب ساقه وذراعه عصباً شديـداً ويبيت على ذلك ليلة . فإذا تورم واختنق الدم ، مـسحه بشئ من صابون ودم الأخوين - وقطر عليه شيئاً من سمن ، وأطبق عليه خرقة وكشف بعضه فلا يشك من رآه أن به الأكلة أو بليـة شبه الأكلة(٥) . ثم العواء قال عنـه الجاحظ في شرحه : «والعواء : الذي يسأل بين المغرب والعـشاء وربما طرب إن كان له صوت حسن وحلق شجن»(٦) ثم **المُشَعِّب** فسره قائلاً : «والمشعب الذي يحتال للصبي حين يولد بأن يعميـه أو يجعله أعم أو أعضد . ليسأل النـاس به أهله ، وربما جاءت به أمه وأبوه ليتولى ذلك منه بالعزم الثقـيل ، لأنه يصير حينئذ عقدة وغلة فإما أن يكتسـبا وإما أن يكرياه بكـراء معلوم . وربما أكروا أولادهم ممـن يمضي إلى

(١) البخلاء ص ٥٢ .
(٢) الحيوان جـ ٦ ص ٤٦٥ .
(٣) البخلاء ص ٥٣ .
(٤) البخلاء ص ٥٢ .
(٥) البخلاء ص ٥٢ .
(٦) البخلاء ص ٥٣ .

أفريقية فيسأل بهم الطريق أجمع بالمال العظيم»[1] وذكر المشعب أيضاً قال : الذي يجعل أولاد المكدين عمياناً وعرجاناً وعمشاً وحدباً فهو يسمى المشعب»[2] ثم القلور قال عنه «الذي يحتال لخصيته حتى يريك أنه آدر . وربما أراك أن بها سرطاناً أو خراجاً أو غرباً»[3] . ثم المزيدي وهو نوع آخر من المكدين شرح معنى الكلمة هذه الجاحظ بقوله : «**والمزيدي** الذي يدور ومعه الدريهمات ، ويقول : هذه دراهم قد جمعت لي في ثمن قطيفة ، فزيدوني فيها رحمكم الله . وربما احتمل صبياً على أنه لقيط . وربما طلب كفن»[4] .

وصنف آخر من المكدين وليس بالأخير لأن الجاحظ قال في تفسيره للكلمات التي قالها خالويه عندما ذكر أنواع المكدين إن «هذا تفسير ما ذكر خالويه فقط . وهم أضعاف ما ذكرنا في العدد . ولم يكن يجوز أن نتكلف شيئاً ليس من الكتاب في شئ»[5] وآخر من ذكر خالويه وشرح المعنى الجاحظ بقوله «**والأسطيل** هو المتعامى :إن شاء أراك أنه منخسف العينين وإن شاء أراك أنه نهم ماء ، وإن شاء أراك أنه لا يبصر للخسف ولريح السهل»[6] . إن شخصية خالويه المكدي بصفاته النفسية وهيئته لا تختلف عن شخصية أي مكد محترف في عصر الجاحظ عصر الحضارة العباسية الزاهرة سواء في المظهر أو التصرف منها نحن نرى خالويه يصف نفسه حينما يمارس مهنته قائلاً :«اللحية وافرة بيضاء والحلق جهير طل ، والسمت حسن والقبول على واقع إن سألت عين الدفع أجابت ، والقليل من رحمة الناس خير من المال الكثير وصرت

(١) البخلاء ص ٥٢ .

(٢) البرصان ص ٢٣٧ .

(٣) البخلاء ص ٥٢ .

(٤) البخلاء ص ٥٣ .

(٥) البخلاء ص ٥٣ .

(٦) البخلاء ص ٥٤ .

محتالاً بالنهار واستعملت صناعة الليل أو خرجت قاطع طريق أو صرت للقوم عيناً ولهم مجهراً . سل عني صعاليك الجبل وزواقيل الشام وزط الأجسام ولصوص القفص وسل عني القيقانية والقطرية وسل عني وسل عني المتشبهة وذباحي الجزيرة»[1] إن شخصية كخالويه التي تجمع بين القاضي والمكدي تعطينا صورة واقعية عن الطبقات السفلى في المجتمع العباسي وتكشف لنا عن جوانب مهمة من هذه الشخصية «المكدي» . والكدية أصبحت في عصر الجاحظ صناعة خاصة بطائفة بعينها ، تميزها صفات خاصة تفرق بينها وبين المتطفلين عليها ، وكما ذكر الجاحظ بأن المكدين كانوا يتكلمون أكثر من لغة وكانوا يجوبون في آفاق المملكة الإسلامية .

(١) البخلاء ص ٤٩ .

(٢) البخلاء ص ٥٣ .

ثالثاً: الألفاظ الخاصة بالملابس

كانت الملابس في عصر الحضارة العباسية الزاهرة متنوعة زاهية في ألوانها وأشكالها ، ومن أهم مظاهر الحضارة آنذاك تخصص كل فئة من فئات المجتمع بزي معين . وهكذا نرى أن تنوع الأزياء في عصر الجاحظ يعكس لنا طبيعة تباين طبقات المجتمع العباسي واختلاف عناصره ، وقد بين لنا الجاحظ هذه الظاهرة في بيانه وأفرد لها صفحات وهو يصف زي كل قوم على حدة فقال : «ولكل قوم زي : فللقضاة زي ، ولأصحاب القضاة زي ، وللشرط زي ، وللكتاب زي ، ولكتاب الجندزي . وكان لحرائر النساء زي ولكل مملوك زي ، ولذوات الرايات زي وللإماء زي»[1] ومن هذا نرى أن زي طائفة بعينها يعكس مكانتها الاجتماعية ، ولا يجوز أن يتساوى في هذه المكانة الأتباع مع من يتصلون به من رؤساء وغيرهم ، كل حسب مكانته في المجتمع . بل إن أفراد الطائفة الواحدة تتنوع أزياؤهم حسب تنوع الأحوال المعيشية والمناسبات والطقوس . ومثال على ذلك ترى أن التجار كان لهم زي خاص بهم ، ولكنهم مع هذا كانوا يتخذون للسفر ثياباً خاصة بجانب هذا الزي الخاص المتمثل في **العمائم والقَلانِس** والأكسية[2] أما بالنسبة لسكان بعض البلدان الإسلامية التابعة للخلافة العباسية كخرسان مثلاً ، كان لهم زيهم الخاص فقد كانوا يحرصون على أن تكون ثيابهم سوداء اللون باعتبار أنهم أهل الدعوة العباسية ومخرج الدولة وأن السواد شعارها ، وكأنهم أرادوا أن يكون زيهم معبراً عن اتجاههم السياسي . ولو أردنا أن نلقي نَظرة على ألبستهم وأنواعها في ذلك العصر لوجدنا أنواعاً مختلفة في نسيجها وفي تكلفتها ، وقبل أن نخص فئة معينة بألبسة مخصوصة نقلب الملابس التي ذكرها الجاحظ في كتبه لنرى ما نريده من معرفة لتلك الأزياء .

---

(١) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٦٤ ص ٩٦ – ٩٧ .

(٢) البخلاء ص ٢٢ .

١ - أنواع الألبسة :

من أزيائهم الجـبة وجمعها جباب والجلالـيب والمبطنة وجمعهـا مبطنات ، والدراعـة ، والنعـش ، والملـحفة وجـمعهـا الملاحف والـلحـف والمقطـعات والقطوع، والأقـبية ، والجمازات ، والجواشن ، والـبازيكند ، والطـيلسان ، والدواويج . وقد ذكر الجاحظ كل هذه الأنواع فـي أماكن عديدة منها ، قال : عن **الجُبَّة** والجبـاب «وكان عليَّ جـبة وقميـصان»[١] وذكـر **الجِبَاب** بقـوله : «وتقرض الـثياب الثميـنة وتفسد بـذلك اللحف والدواويـج والجباب»[٢] وذكر **الجلاليب** وهذه الكلمة خاصة بالجاحظ لأنه يـوجد جلاليب ومفردها جلباب ، وهذه اللفظة جاحظية بحتة، وقد أوردها في رسائله قائلاً «وما تخفيه الجلاليب مما يحل للزوج والولي ويحرم على غيرهما»[٣] والطمر بمعنى الثوب أيضاً ، وقد ذكر الجاحـظ في أثناء كلامـه عن الثياب قـائلاً «وقد يتخـذون للصبي طـمرين وكذلك الفصيل»[٤] ويؤكد آدم ميتز أن اللباس كان عند أهل الشرق في العصور الإسلامية من أهـم المطالب الأساسية التـي يحتاج إليها جسـم الإنسان وهى : الطعام واللـباس والمسكن وكانت صنـاعة الملابس أرقى في العصـر العباسي»[٥] ونوع آخر من الأردية : **المُبَطَّنَة** والجمع **مُبَطَّنَات** ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله «ربما رأيت المبطـنة الواحدة تقطع أربعـة أقمصة»[٦] وقال : «فمنهـم من يلبس المبطنة»[٧] وذكر المبطنات بـقوله : «يستغشون به بلـبس المبطنات»[٨] وذكر أيضاً

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٤٥١ انظر البخلاء ص ١٠٥ .

(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٣٢٢ .

(٣) كتاب القيان ص ١٥٤ .

(٤) البرصان ص ١٨٣ .

(٥) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٣٥٠ .

(٦) البخلاء ص ١٠٤ .

(٧) البيان جـ ٣ ص ١١٤ .

(٨) الحيوان جـ ٥ ص ٧٠ .

في بيانه **المقطعات** وهى الثياب التي تشبه الجـباب وتُصنع من الخز أو أنها برود عليـها وشى مقطـع ، وهذا ما جعلهـم يدعونها بـالمقطعات ، قـال الجاحظ : «وكانت الـشعراء تلبس الـوشى والمقطعات والأرديـة السود»[1] وذكرهـا وذكر القطوع معها في الحيوان قائلاً : «إذا تبلل مجلل بقطوع ومقطعات»[2] وضرب آخر من الثياب يدعي بالأقبية **الخفاتين** : جمع خفتان وهو لفظ فارسي - وقال أدى شـير ص ٥٦ إنه لفظ فـارسي محض وهـو ثوب من القـطن يلبـس فوق الدرع ، ومنه التركي والقفطان . وسمـى بذلك لاجتماع أطرافه وقد جاء ذكره عند الجـاحظ بقوله «والجـباب والأقبيـة والخفاتين وتحسـو الأدهان» وقال «ولا تعرفون **الاقبية** ولا السراويلات ولا تعلـيق السيوف»[3] وهناك رداء يلقى على الكتف وهو **البازِيَكَنْد** ، وقد ذكره الجاحظ قـائلاً «ومنهم من يلبس الـبازيكند ويعلق الخـنجر»[4] وذكـر أيضـاً : «ونحـن أصحـاب التـجافـيف والأجـراس والبازيكند واللبود الطوال»[5] ، وكساء آخر يـختص به المشايخ والعـلماء وهو **الطيلسان** ، وقد ذكره الجاحظ في الحـيوان قائلاً «نزعت طيلسانـي من عنقي فدببت به عني بدل كمي»[6] وهناك رداء يلبس في الشـتاء وهو الدواج وجمعه **الدَّواويج** ، وقد ذكر الجـاحظ الجمع فـي أماكن متـفرقة قائـلاً «وتِقيهم بـذلك اللحف والدواويج»[7] ثم **الملحفة** قال الجاحظ «ولا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميـص إلا الرداء» ، وأكد الجاحظ على فئة معينـة بلبسها **الدُّرَّاعَة** قائلاً «وأصـحاب السلـطان ومن دخل الدار عـلى مراتب : فمـنهم من يـلبس

(١) البيان جـ ٣ ص ١١٥ .

(٢) الحيوان جـ ٧ ص ٢٠١ .

(٣) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٨ .

(٤) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١١٥ .

(٥) مناقب الترك ص ١٩ .

(٦) الحيوان جـ ٣ ص ٣٤٦ انظر البخلاء ص ١٠٥

(٧) الحيوان جـ ٥ ص ٣٢٢ .

المبطنة ، ومنهم من يلبس الدراعة ، ومنهم من يلبس القباء»[1] ، وذكر **الجواشن** بقوله «ولا تعرفون الأقبية ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود ولا التجافيف ولا الجواشن»[2] **والتجافيف** هو ما جلل الفرس وقد يلبسه الإنسان أيضاً .

ومما تقدم نرى أنهم كانوا يتخذون في ذلك العصر تحت دروعهم أردية خاصة مثل الخفاتين والأقبية التي مر ذكرها ، واتخذت النساء زياً خاصاً في مناسبات معينة وهو **النعش** وقد ذكره الجاحظ «ومنها النعش وهى أستر للنساء وأصون للحرم»[3] وهذا الزي اتخذ للنساء بعد أن كثرت الإماء والجواري وأصبحت المرأة الحرة المحصنة ذات طابع خاص وزي يفرقها عن غيرها من الإماء .

وقبل أن أنتقل إلى وصف نوع آخر من الألبسة أرى من الضروري أن أذكر الأنواع للخامات التي تتخذ منها هذه الألبسة ، فليست كلها من نسيج واحد وإنما هى من أنسجة متعددة ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : البزيون ، والبز ، واللبد ، والمسوح ، والشعار والكرابيس .

٢ - أنواع الأنسجة :

ذكر الجاحظ **البَزْيُون** - وهو لفظة فارسية بمعنى السندسي الذي هو ضرب من رقيق الديباج - «ولا بشئ من مقاريض واسط ، وبزيون واسط»[4] وذكر **البَزّ** بقوله : «ولولا القوم لهلك أصحاب البز والغزول»[5] . وذكر **اللِّبْد** وهو

(١) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١١٥ .

(٢) البيان جـ ٣ ص ١٨ انظر التجافيف - مناقب الترك ص ١٩ .

(٣) فخر السودان على البيضان ص ٢٠٢ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٩٤ .

(٥) الحيوان جـ ١ ص ٧٠ .

نوع من الصوف بقوله : فإذا تحت النرد قطعة لبد»[1] **والمسوح** وهو كساء من الشعر ذكره الجاحظ «ولا ندب على المسوح» وذكر **الكرابيس** وهو ثوب من القطن «فلما قام عمر بن عبد العزيز ، جلله بالجلال وغطاه بالكرابيس»[2] وقد ذكر الجاحظ أسماء منوعة للأردية نذكر منها **الأردية القَطَرية** والكساء القومسيا والجمازات والثوب أتحمي ، وهذه كلها ذكرها الجاحظ في أثناء كلامه عن الأزياء قال في البيان والتبيين يصف هذه الأردية الثمينة : «وكان أبو العتاهية أهدى إلى أمير المؤمنين المأمون عصا نبع ، وعصا شريان ، وعصا آبنوس وعصا أخرى كريمة العيدان ، شريفة الأغصان ، وأردية قطرية ، وركان يمانية»[3] وهذه الأردية القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة ، وكانت ثمينة تأتيهم من قطر تلك البلاد البعيدة ذلك الوقت . ثم الثوب القومسيا ذكره الجاحظ بقوله «فلبست كساء في قومَسيًا خفيفا»[4] أما **الجَمَّازات** ومفردها **جمازة** فهي جبة من صوف ضيقة الكمين وايضاً بمعنى المركب السريع فلها معنيان ، وقد ذكرها الجاحظ في مجال الركوب قائلاً : «وقد علمتم أن أول شأن الجمازات أن أم جعفر أمرت الرحالين أن يزيدوا في سير النجيبة التي كانت عليها»[5] وهناك الثوب الذي يدعونه أتحمى وهو من البرود الحمر ، وقد ذكره الجاحظ في الحيوان قائلاً «وجعله نبيذاً ثم شربه وعليه ثوب أبيض صبغة عرقه ، حتى كأنه ثوب أتحمى»[6] ويقول في اللبس أيضاً : «**الشعار** دون الدثار» والشعار ما ولى شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب ، أما **الدثار** ما كان من الثياب

(1) الحيوان جـ ٥ ص ٣٨٢ .
(2) الحيوان جـ ١ ص ٥٧ .
(3) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٢١ .
(4) البخلاء ص ٥٩ .
(5) الحيوان جـ ١ ص ٨٣ .
(6) الحيوان جـ ٧ ص ٢٣١ .

فوق الشعار ، ومن المصطلحات الخاصة باللبس أيضاً **الجربّان** وهو جيب القميص يذكره الجاحظ في رسائله بقوله «وتركناهم في أضيق من جربان»[1] ، ومن أجزاء الثوب أيضاً **الرُّدْن** وهو الكم ، وقد ذكره الجاحظ قائلاً «فمتى رأيت بستاناً يحمل في ردن»[2] وأيضاً من أجزاء الثياب **التِّكَّة** ، وقد ذكرها الجاحظ «وعمل التكك والهرابش بالديوك»[3] ويبدو أن هذه الكلمة معربة كما قال عنها الخفاجي في شفاء الغليل . ثم كلمة **دَرْز** وهو مكان الخياطة ، قال الجاحظ «فما كان بقدر ما يخيط الرجل درزاً حتى قتلناهم وتركناهم»[4] فالدرز موضع الخياطة . ثم **الحوك** وهو ما نسج من ثياب ، ذكره الجاحظ بقوله «ويسمى أهل الكوفة الحوك الباذروج ، والباذروج بالفارسية والحوك كلمة عربية»[5] وكان لحرائر النساء زي يخالف زي الإماء والمملكين والعبيد ، وقد اختصت بعض مكملات الألبسة بالنساء عموماً دون الرجال منها **المرط** وجنة وجمعها جنن والحبرة والأزر وهذه الأخيرة «وربما قام فيهم وعليه إزاره قد خالف بين طرفيه اشترك بها الرجال والنساء ، فكلمة **أزر** تستعمل للجنسين ، قال الجاحظ يذكر الأزر : «والعمامة الواحدة تقطع أربعة **أزر**»[6] وقال ذاكراً «**المرط**» وزودته عند انصرافه خصلة من شعرها وقطعة من مرطها»[7] . وذكر **الجنة** والجمع جنن بقوله «وأمنع جنة هى الجامعة محبة قلوب العباد»»[8] فهنا بمعنى ما وقى من سلاح وغيره . والمعنى الذي نقصده وهو غطاء الرأس للمرأة

(١) صناعات اقواد ص ٣٨٤ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ٣٩ .

(٣) الحيوان جـ ١ ص ١١٨ .

(٤) صناعات القواد ص ٣٨٤ .

(٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٠ .

(٦) البخلاء ص ١٠٤ .

(٧) كتاب القيان ص ١٧٣ .

(٨) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

ولوجهها أيضاً مـا عدا العينين . وذكر **الجنن** بقوله : «فلو كان سـخياً لم يمنع منه بهذا السلاح ولم يجعل دونه الجنن»[١] وذكر **الحبرة** بقوله «واجعلها حبرة فإنها مما له مرجوع»[٢] .

٣ - ملابس الرجال وما يتعلق بها :

الأزياء الرجاليـة متنوعة حسب الفئات المـكونة للمجتمع فـي عصر الخلافة العبـاسية وبالذات فـي عصر الجاحظ ومن عـاصره من خلفـاء ووزراء وشعراء وكتاب ثم العامة مـن بقية فئات المجتمع العباسي ، وقد تمـيزت ملابس الخلفاء بعلامات فارقة حتى تكون ذات صفة مميـزة عن العامة وعن بقية أفراد الشعب، ويصف الجـاحظ هذه الظاهرة بـقوله «فإن كانـت القلانس مكشـوفة زادوا في طولـها وحدة رؤوسهـا ، حتى تـكون فوق قلانـس الأمة[٣] وقد جـاءت هذه الكلمة بلفظ المفرد **القَلَنْسُوة** ، وكان يصف الجاحظ حالة قلـنسوة الفقير قائلاً «ومن الإصـلاح الواجب قلـب خرقة الـقلنسـوة إذا اتسخـت ، وغسلهـا من اتساخها بعد القلب»[٤] . واتخذ القضاة **القَلانِس** للتعظيم والإجلال لأنها تعطي الهـيبة في لـبسهـا حتى إنـهم في شدة الحـر لا يتخـلون عنـها لأنها جـزء من شخصيتهم ، وبـهذا يقول الجاحظ «واتخاذ القضاة القلانـس العظام في حمارة القيظ»[٥] حتى زي المجالس تفنن فـيه الخلفاء وجعلوه يتبع نظـماً خاصة بهم . فقد حرصوا على أن يكون زي مجالسهم في الشتاء والصيف من فرش الصوف ليس غير ، وبهذا قال الجاحظ «وزي مجالـس الخلفاء في الشتاء والصيف فرش

(١) البخلاء ص ٧٢ .

(٢) البخلاء ص ١٠٥ .

(٣) البيان جـ ٣ ص ١١٧ .

(٤) البخلاء ص ١٠٥ وانظر البرصان ص ٢٥٥ .

(٥) البيان جـ ٣ ص ١١٧ .

الصوف . وترى أن ذلك أكمل وأجزل وأفخم وأنبل»[1] واتخذ الخلفاء لرؤوسهم مع القلانس **العمائم**. وإن لم تكن هذه القلانس في منزلة العمائم، ذلك لأن العمائم عربية الأصل ، وقد سئل عنها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : تيجان العرب وحين سئل أعرابي عن سبب كثرة لبس العمامة ؟ قال. إن شيئاً فيه السمع والتبصر لجدير أن يوقي من الحر والقر»[2] . وقد كان من تقاليد خطباء العرب لزومهم العمائم في أيام الجموع»[3] وقد استمر هذا التقليد إلى عصر الجاحظ ، وبهذا يقول : وقد لا يلبس الخطيب الملحفة ، ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء، والذي لابد منه العمة **والمِخْصَرَة**»[4] ويصف آدم ميتز نوعاً من الأزياء المنتشرة في العصر العباسي قال : أمر أبو جعفر المنصور في عام ١٥٣ هـ بلبس القلانس الطوال والدراريع مكتوب عليها بين كتفي الرجل : فسيكفيكهم الله ، كما أمرهم بتعليق السيوف في أوساطهم[5] وقد أحسنوا استخدام العمامة ، وكانوا ربما جعلوها لواء ، وربما شدوا بالعمائم أوساطهم عند المجهرة وإذا طالت العقبة»[6] وقد كان لهم أسلوبهم الخاص في الاعتمام ، ولم تكن عمائمهم على هيئة واحدة ، بل تباينت حسب طبقات المجتمع العباسي في زمن الحاضرة العباسية ، يقول الجاحظ : «للخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبقالين عمة ، ولأصحاب التشاجي عمة» . ولبس الرجال **الخُوذ** وهى من ألبسة الحرب ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «ولا تعرفون الأقبية ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا ولا الطبول ولا البنود ولا

(١) البيان جـ ٣ ص ١١٥ .

(٢) البيان جـ ٣ ص ١٠٠ .

(٣) البيان جـ ٣ ص ٦ .

(٤) البيان جـ ٣ ص ٩٢ .

(٥) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٢٢٥ .

(٦) البيان جـ ٣ ص ١٠٥ .

التجافيف ولا الجواشن ولا الخوذ»[1] وكان الرجال يرتـدون تحت الدروع أردية خاصة مثل : **الخفاتين والاقبية** التي مر ذكرها عندما تكلمنا عن الألبسة بصفة عامة . وانتفـعوا في أزيائهم بفراء الثـعالب ، وكان أندره عندهم فـراء الثعلب الأسود ، وإن كان الدعم عندهم فراء الثعلب الخاص الذي يدعي **بالخَلَنْجِي** ، وقد ذكره الجاحـظ بقوله : «ففي الثعـلب جلده وهو كريم الوبـر . وليس في الوبر أغلـى من الثعلب الأسود وهـو ضروب ، ومنه الأبيض الذي بـينه وبين الفنك ومنه الخلنجي وهو الدعم»[2] . واتخذوا أيضاً من جلود الحيات قمصاناً وكان يقال : لا ثوب ولا جناح ولا ستر عنكـبوت إلا وقشر الحية أحسن منه ، وأرق وأخف وأنعـم وأعجب صنـعة وتركيـباً»[3] ويتـبع أزيـاء الرجـال الأزياء الخاصة بالشعراء ، وقد كانوا على غير عادة الناس عندما ينشدون أشعارهم بين يدي الخلفاء ، فالزي الذي يميزهم عمامة عـظيمة الكور وخف مسدير للمس ، وكان الخلـفاء يتشددون بـالأخذ بهذا التـقليد ، ويذكـر لنا الجاحظ حـادثة عن الرشيد والشاعر الـعماني يقول «وأخبرني إبراهيم السنـدي قال : دخل العماني الراجز على الرشيد لينشد شعراً وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج فقال : إياك أن تنشدني إلا وعلـيك عمامة عظيمة الكـورة وخفان دمالقان»[4] وبما أننا بدأنا نتطرق إلى ذكـر الخفاف . ونرى أنهم في ذلك العـصر كانوا يستعمـلون النعال والخفاف وإن كانت العـرب تلهج بذكر النعال ، والفرس تلـهج بذكر الخفاف[5] وكان بعضهم يدهن **النعال** بالشحم لتقـويتها وإلا نتها[6] وكان من عـادتهم إذا

(١) البيان جـ ٣ ص ٨٤ .

(٢) البيان جـ ٣ ص ١٨ .

(٣) الحيوان جـ ٦ ص ٥ ٣ .

(٤) الحيوان جـ ٤ ص ١٧٧ .

(٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ٩٥ .

(٦) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٠٧ .

(٧) البخلاء ص ١٠٥ .

دخلوا على الخلفاء ينـزعون نعالهم خارجاً»[1] . وقد عرفـوا أنواعاً من الـنعال السندية والنعال السبتية والنعال البقرية وغيرها ، **والنعال السندية** كانت تأتيهم من السند ، وقد تميزت بالتخانة ولها صـرير عند المشي وكان من هذه النعال غير المشرك يـقول الجاحظ «فأنـت لا تجده أبداً» إلا حافيـاً أو لابساً نعلاً سـندية[2] ويقول عن **النعال السبتية** «**والنعال البقرية** من السبت وغير الـسبت مقسوم نفعها بين الماعز والبقر»[3] فالسبت هو الجـلد المدبوغ بالقرظ وتصنع مـنه النعال السبتية. وقد شبـه بعضهم النعال **بالخلاخيل** ، وفي ذلـك يقول الجاحـظ قال الأحنف: استجيدوا النعال فإنها خلاخيل الرجال»[4] ولبس الرجال «**الجورب**»، قال الجاحظ : «وشـهدته مرة وأشراطه علـى رأسه في السماطـين ، فقال أجد ريح جورب عفن مـنتن فتشممنا بأجمـعنا ، فلم نجد شيئاً ، ثـم تشمم وقال ، انزعوا خف ذاك ، فنزعوا خفه»[5] .

٤ - الحلي:

من حلي ومصاغ النساء الشنـف والجمع شنوف والرعاث والحبلات والمفرد حبـلة والخواتيـم والرشوم والـدملجـان والخنزاونة ، وقـد ذكر الجاحـظ هذه الأصنـاف وأنواعاً أخرى مـن الحلي التـي كانت سائـدة في عصره أيـام ازدهار الحضارة العباسية ، فقد جاء ذكر **الشَّنَف** في الحيوان «وشنف الأكفاء ، ومشناة الجلساء»[6] ؟ وقال فـي الحيـوان عن **الشنوف** «وفي الجرذان جـنس لها عـبث

(١) البيان جـ ٣ ص ١١٠ .

(٢) البخلاء ص ١٠٤ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٤٧٧ وانظر البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٢١ .

(٤) البيان حـ ٣ ص ١١٠ .

(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٤٢٥ .

(٦) الحيوان جـ ١ ص ٢٥ .

بالعقـود والشنوف»[1] . وذكـر الجـاحـظ **الرِّعاث** بقـوله «الرعـاث القـرطة» **والحبلات** : كل ما تزينـت به المرأة من حسن الحلي والـواحدة حبلة»[2] وقال عن **الرشوم** والخواتيم : «ونـقشت الرشوم وعملـت الخواتيم»[3] وقال يـذكر **الدملجان** وهذا الـنوع من الحـلي خاص بـالنساء ولـكن اتخـذه بعض المـلوك للـتجميـل ، وهي حليـة تخيط بـالمعضـد ، قال الجاحظ يـذكر هذه الحلـية : «ورأيت النعمان بن المنذر في أعظم ما كـان ملكه عليه قرطان ودملجان»[4] ثم **الخُنْزُوانَة** وهي تتخذ للنـساء وللبعير أيضاً ، وهذا يدل علـى مكانة الإبل عند العربي مهما واتته أسباب الترف والـتقدم الحضاري ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله «والأنف هو موضع الخنزوانة والنعرة»[5] **والسَّبَج** يستعمل أيضاً للحلي ، وهو خرز أسود ذكره الجاحظ بقوله : «فيزعم أن سواد السبج وبياض الثلج وحمرة العصفر وصفرة الذهب وخضرة البقل إنما تحدث عند روية الإنسان»[6] .

٥ - مواد التجميل :

مواد التجميـل التي كانوا يستعملـونها في عصر الحضارة العبـاسية العطور بأنواعها وهذه يستعملها الجنسان معـاً الرجال والنساء وتدعي الغالية وهي الطيب بأنواعه ومنها دهـن البنفسج ودهن الورد ثم الاثمد والسـبج ، وهذان النوعان لاستعمال النساء أكثر من الرجـال . وقد ذكر الجاحظ هذه الأنواع في صفحات كثيـرة من كتبـه ، وخص **الغالية** بعدة مـواقع ومن قوله : «والـغالية تـشيب

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٣٠١ .
(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٢ .
(٣) البخلاء ص ٩١ .
(٤) البرصان ص ١٠٢ .
(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٣٠٦ انظر البرصان ص ٢٩٥ .
(٦) الحيوان جـ ٥ ص ٨ .

الشعر»[١] وقال عن الغالية أيضاً : «قالوا : وثلاثة أشياء جاءتكم من قبلنا . منها الغالية وهي أطيب الطيب وأفخره وأكرمه»[٢] وقال : «ولم أر مثل أبي جعفر طرسوسي : زار قوماً فأكرموه وطيبوه وجعلوا في شاربه وسلبه غالية»[٣] وذكر الجاحظ **دهن البنفسج** قائلاً «ومما يعالج به الخنان أن يلين لسانه يوماً أو يومين بدهن البنفسج»[٤] وذكر **دهن الورد** بقوله «ثم يطلي بعسل ودهن ورد حتى يبرأ»[٥] . أما **الإثمد** فقد ذكره الجاحظ بأنه أحسن أنواع الكحل قائلا : وأكرم الأكحال الإثمد وهو أسود»[٦] . فمن أدوات الزينة المناقيش والمكحل والشيزان والليفة والجمع ليف ثم الإجانة والجمع إجانات ، وقد ذكر الجاحظ **المناقيش** بقوله «ولا إلى المناقيش والكحل»[٧] ثم **المِكْحَل** يقول عنه الجاحظ : «ثم لا يدع فريقاً ولا مكحلاً ولا زائفاً»[٨] ويذكر عملية تمشيط الشعر بأنها **التسريح** قائلاً : «وكانوا يكرهون تسريح الشعر»[٩] وعلى ذكر الشعر يذكر **الشّيزَان** وهو الخشب الأسود الذي تعمل منه الأمشاط فيقول : «وصاغوا من المنافع كالقرصطونات ، والقبانات والأسطرلابات وآلة الساعات ، وكالكوينا وكالشيزان»[١٠] . أما عملية تنظيف الجسم مما علق به من أوساخ فهذه يتركها إلى الليفة التي تقوم بهذه العملية يقول : «كنت أرى زياداً وهو أمير يمر بنا على

(١) البرصان ص ٤٠ .

(٢) فخر السودان على البيضان ص ٢ ٢ .

(٣) البخلاء ص ٥٨ .

(٤) الحيوان حـ ٣ ص٢٧٣ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٣ .

(٦) فخر السودان على البيضان ص ٥ ٢ .

(٧) التربيع والتدوير ص ٥٦ .

(٨) البخلاء ص ٨٥ .

(٩) الحيوان جـ ٥ ص ٣٧٧ .

(١) مناقب الترك ص ٦٨ .

بغلة في عنقها حبل من ليف مدرج على نمقها البخلاء»[1] هنا يذكر **اللّيف** بصورة عامة ولكن اختصاص **الليفة** يذكره بصورة خاصة في صناعة القواد قائلاً : «لقيناهم في مثل بيت الأنبار ، فما كان إلا بقدر ما يغسل الرجل رأسه حتى تركناهم في أضيق من باب الأثون ، فلو ليفة ما وقعت إلا على رأس الرجل»[2] وما يتبع تنظيف الجسم هو تنظيف الملابس وكانوا يستعملون **الإجانات** ومفردها **إجَّانَة** لغسل ملابسهم ، وقد ذكر الجاحظ هذا بقوله : «قد أخرج إجانة كان فيها ماء من غسالة أوساخ الثياب»[3] وذكر تفصيل هذه العملية عندما قال «وكانت عندهم أوعية يغسلون فيها ثيابهم يقال لها إجانات»[4] .

(١) البخلاء ص ٢٠٤ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٨ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٣٤٩ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٣٤٩ .

رابعاً: الألفاظ الخاصة بالحياة اليومية:

إن التطور المادي للحضارة العباسية استتبع تطوراً في الذوق والتصرف والعادات الاجتماعية . وبذلك نرى أن شئون الحياة المعاشية اليومية أصبحت في كثير من شؤونها في مراحل بعيدة عن البادية . واختلاف البادية عن الحاضرة لا يظهر في جانب واحد فحسب ، فالعادات الاجتماعية وأصول المؤاكلة ومقاييس الكرم والضيافة أو البخل والتقصير كل هذه الأمور اختلف الناس في نظرهم إليها في المجتمع العباسي عن أهل البادية .

فنرى أن مسألة الضيافة وآداب المؤاكلة من المسائل البارزة التي تظهر طبيعة الحاضرة الإسلامية التي تمتزج فيها عناصر حضارية مختلفة في جذورها وفي طبائعها . فالظروف التي بدأت تصيب المجتمع الإسلامي في طوره الحضاري المادي الجديد أحدثت اختلافاً في حياة الناس وأنماط معيشتهم، وخلفت وراء ظهرها كثيراً من المثل التي كان المجتمع الإسلامي يدين بها في أطواره السابقة، فالمبادئ الإسلامية مضافاً إليها العادات الفارسية التي تأثر بها المجتمع آنذاك . ويبدو أن التأثير الفارسي كان واضحاً في آداب المائدة وتنظيم شؤون الخدم وترتيب أنواع الأطعمة وإعدادها ، وهذا ما أوضحه لنا الجاحظ في كتاباته عن شئون الحياة اليومية .

١ - الطعام والشراب وأدواتهما:

فقد اتخذوا في دورهم التنانير والمطابخ لطهو الطعام وربما جعلوها في العلالي على ظهور أسطح الدور كما ذكر الجاحظ في البخلاء فقال : «ثم يتخذون المطابخ في العلالي على ظهور السطوح ، وإن كان في أرض الدار فضل وفي صحنها متسع ، مع ما في ذلك من الخطار بالأنفس ، والتغرير بالأموال ، وتعرض الحرم ليلة الحريق لأهل الفساد ، وهجومهم مع ذلك على

سر مكتوم وجنيء مستور : من ضيف مستخف ، ورب دار متوار ، ومن شراب مكروه ، ومن كتاب متهم ، ومن مال جم أريد دفنه ، فأعجل الحريق أهله عن ذلك من ، ومن حالات كثيرة وأمور لا يجب الناس أن يعرفوا بها»[١] .

هناك عدة كلمات أفاد منها الجاحظ لتسمية الأماكن التي تتخذ للطبخ وإعداد الأطمعة ، هى : التنانير ، والمرجل ، والوجار ، والأسرنج ، وقد وردت هذه الكلمات عند الجاحظ في أماكن عديدة ، فقد ذكر التنور والجمع **تَنَانِير** قال : ثم لا ينصبون التنانير ولا يمكنون للقدور إلا على متن السطح حيث ليس بينها وبين القصب والخشب إلا الطين الرقيق والشئ لا يقي هذا مع خفة المؤنة في إحكامها وأن القلوب من المتألف بسببها[٢] .

وقال موردا لفظة **تَنُّور** وهو يصف أحد بخلائه : ضرب الشواء ثمانين سوطاً لمكان الإنضاج . وذلك أنه قال له ضع الجدي في التنور حين نضع الخوان حتى استبطئك أنا في إنضاجه ، وتقول أنت بقى : قليل ثم تجئنا به وكأنه قد أعجلتك ، فإذا وضع بين أيديهم غير منضج احتسبت عليهم بإحضار الجدي[٣] . فالتنور هنا يؤدي وظيفة الفرن الكبير الذي يعد الخراف المشوية بحجمها الطبيعي وليست مقطعة فهو إذن كبير الحجم يصلح لإعداد الجداء وغيرها .

أما **الوِجَار** فقد ذكره الجاحظ بقوله : «ولما علم أنه ناء سيئ الهداية ، لم يحفر وجاره إلا عند أكمة ، أو صخرة ، أو شجرة ، ليكون متى تباعد عن جحره لطلب الطعم ، أو لبعض الخوف فالتفت ورآه أحسن الهداية إلى

(١) البخلاء ص ٨٣ .

(٢) البخلاء ص ٨٤ .

(٣) البخلاء ص ٥٦ .

جحره[1] . . وذكر **المرجل** فقال : «أنا لا أعرف الأكرار وحساب القفزان ولكن عندي مرجل أطبخ فيه تمر نبيذي ، وهو يسع مكوكين»[2] .

فهذا الوعاء الذي ذكره حدده بمقدار معين من الوزن الذي كان يستعمل آنذاك وهو المكوك ومن الأوعية التي تتخذ للطبخ **الأسْرَنْج** وهو يستعمل للخبز ، قال «وآلات معرفة الساعات ، وصنعة الزجاج والفسيفساء والأسرنج والزنجفور واللازورد والأشربة»[3] .

وجاءت كلمة **مَوْقِد** واضحة في رسائل الجاحظ قال : حتى تركناهم في أضيق من موقد نار فقتلناهم فلو سقطت مغرفة ما وقعت إلا في قدر»[4] .

ومن النص السابق نرى أيضاً أن استعمالهم **القدور** لإعداد طعامهم قال «ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها فلم ير الناس وقوداً قط أصفى ولا أحسن لهباً منه، وإذا كانت كذلك فهى أسرع في القدر ، لقلة ما يخالطها من الدخان»[5] وقال : «وصار هذا الدبس أضر علينا من العيال . وإن أنا جعلته نبيذاً ، احتجت إلى كراء القدور»[6] وقال : «وكان يكتري قدور الخمارين التي تكون للنبيذ»[7] وقال : «وكان إذا وجد القدور المختلفة الطعوم كدرها في قدر واحدة، وقال إن العرب لو أكلت هذا لقتل بعضها بعضاً»[8] وهناك نوع معين من القدور كان يستعمل في ذلك العصر ، وجاء ذكرها في البخلاء ، قال الجاحظ :

(١) الحيوان جـ ٦ ص ٤٢ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٤٨ .

(٣) الحيوان جـ ١ ص ٩١ .

(٤) صناعات القواد ص ٣٦١ .

(٥) البخلاء ص ٣٣ .

(٦) البخلاء ص ٦٣-١٢٦

(٧) البخلاء ٦٣-١٢٦ .

(٨) البخلاء ص ٢٠٢ .

«قال : فلم ألبث أن رأيتـها قد طلقت، وتبسمت . فقلت : يـنبغي أن يكون قد انفتح لـك باب الرأي في الدم . قالـت : أجل ذكرت أن عندي قدوراً شـامية جدداً . وقد زعـموا أنه ليس شئ أدبـغ ولا أزيد في قوتهـا من التلطيـخ بالدم الحار الدسـم . وقد استرحـت الآن إذ وقع كل شئ مـوقعه»[1] وذكر القدور الشامية بقوله «وكان لا يرى الطبخ في القدور الشامية ولا تبريد الماء في الجرار المذارية . لأن هذه ترشح ، وتـلك تنشف[2] وقد اتخذ العـظماء والأجواد في دورهم قدوراً بلغ من ضخـامتها أن شبهها الشعراء بالنعـامة ، كما قال الجاحظ والشعراء يشبهون القدر الضخمة التـي تكون بمنزل العظيم وأشباهه من الأجواد بالنعامة . قال الرماح بن ميادة :

إلى جامع مثل النعامة يلتق عوازبــه فوق[3]

ونجد إلى جانب رقة الأنواع ترف الخـوان وأدوات المائدة ، فاتخذوا الخون مع الموائد ليـوضع عليها الطعـام ، وذكر الجاحظ **الخِوَان** في كتبه الكـثيرة ففي الحيوان يقـول : «قال : وكنا إذا تغدينـا دنا من الخوان فزجرنـاه مرة أو مرتين فكان لا يقربـنا لمكان الزجر ولا يبعد عن الخـوان لعله الطمع ، فإن ألقـينا إليه شيئاً أكله ثم ، ودنا من أجل ذلك بعض الدنو[4] وذكره في البخلاء فقال «رفع يحيى بن عـبد الله بن خالد بن أمية بـن عبد الله بن خالد بن أسيـد رغيفاً من خوانه بيده ثم رطله والقوم يأكلون»[5] وقال وكنت أنا وأبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام وقـطرب النحوي ، وأبو الفتح مؤدب منصـور بن زياد على خوان فـلان بن فـلان . والخوان مـن جزعـة **والغَضَار** صيـني ملـمع أو **خَلَنْجِيّة**

---

(١) البخلاء ص ٣٤ .

(٢) البخلاء ص ٤٥ .

(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٣٣١ .

(٤) الحيوان جـ ٢ ص ١٣٠ .

(٥) البخلاء ص ٥٤ .

كَيْمَاكِيّة»[1] وقال : وليس بين قلة الخبز وكثرته كثير ربح . والناس يبخلون من قبل عدد جنزه ورأوا أرض خوانه»[2] وقال : فإن الخبز إذا كثر على الخوان فالفاضل مما يأكلون لا يسلم من التطليخ»[3] وقال : وكان يستعمل على خوانه من الخدع والمكايد والتدبير ما لم يبلغ بعضه قيس بن زهير والمهلب بن أبي صفرة وحازم بن خزيمة وهرثمة بن أعين»[4] وقال : قال : لأنك لا تدع لشرب الماء موضعاً : ، ولأنك تكتنز في جوفك كنزاً لا يجد الماء معه مدخلاً والعجب لا تتخم لأن من لا يشرب الماء على الخوان لا يدري مقدار ما أكل ، ومن جاوز مقدار الكفاية كان حرياً بالتخمة[5] ، وقال في الحيوان : وكان أبو إسحاق إبراهيم النظام والعدار إذا كان عند أيوب قاما عن خوانه إذا وضع عليه ضب»[6] ، وذكره أيضاً في الحيوان في عدة مواضع منها قال : «ومن جلودها تكون القرب ، والزقاق ،وآلة المشاعل ، وكل نحي وسعن ، ورطب ، وشكية وسقاء ، ومزادة ، مسطوحة كانت أو مثلوثة . وفيها ما يكون الخون ، وعكم السلف ، والبطائن والجرب . ومن الماعزة تكون أنطاع البسط ، وجلال الأثقال في الأسفار ، وجلال قباب - الملوك . وبقباب الأدم تتفاخر العرب»[7].

مما سبق نرى أن هذه الكلمة الخون أو الخوان جاءت في أماكن متعددة من كتب الجاحظ ، وفي أكثر المناسبات التي تصف الأكل أو الآكلين ، فهى المائدة التي تدار حولها أحاديث المواكلة ، هذه الأحاديث التي نراها متناثرة في كتاب

(١) البخلاء ص ٥٤ .

(٢) البخلاء ص ٩٤ .

(٣) البخلاء ص ٩٥ .

(٤) البخلاء ص ٩٩ .

(٥) البخلاء ص ١١٧ .

(٦) الحيوان جـ ٦ ص ٧٨ .

(٧) الحيوان جـ ٥ ص ٤٨٥ .

البخلاء فهى تكون الشطر الأكبر من هذا الكتاب الذي يصور فيه الجاحظ جوانبُ ممتعة من شخصية البخيل ويبرز لنا صورة غاية في الإمتاع .

٢ - أواني المائدة ومحتوياتها :

وبعد أن تكلمنا عن المائدة والعادات المتبعة في إعدادها لنرى ماذا أعد عليها من أوان وأطعمة ، وكيف تتنوع هذه الأواني وتتشكل تلك الأطعمة حسب المناسبات والشخصيات لنلقي نظرة على أواني المائدة ومحتوياتها ، نرى من الأواني السكرجات والجامات والطبق والغضار الصيني والصينيات والطفشيل والقصعة والأسيكرة والمغرفة والماعون والبارجين .

فقد جاء ذكر **السَّكَرَّجَات** ومفردها **سَكَرَّجة** في البخلاء قال الجاحظ : «دخل علي الأعمى على يوسف بن كل خير ، وقد تغدى ، فقال : «يا جارية هاتي لأبي الحسن غداء» : قالت : لم يبق عندنا شئ» . قال : «هاتي - ويلك - ما كان فليس من أبي الحسن حشمة» . ولم يشك على أنه سيؤتي برغيف ملطخ ، وبرقاقة ملطخة ، وبسكر وبقية مرق ، وبعرق وبفضلة شواء وببقايا ما يفضل في الجامات والسكرجات ، فجاءت بطبق ليس عليه إلا رغيف أرز قاحل ، لا شئ معه غيره»[1] . وذكرها في الحيوان في أماكن عدة كقوله : «خير الطعام في أسمان الكلاب رأس مطبوخ ، وأكارع بشعرها ، من غير أن تطعم من عظامها شيئاً . والسمن إذا طعم منه قدر ثلاث سكرجات مرتين أو ثلاث مرات فإن ذلك مما يسمنه ، ويقال أنه يعيد الهرم شاباً ، حتى يكون ذلك في الصيد وفي المنظر»[2] وقال : «مما يعالج به الكباد الزعفران والسكر الطبرزد وماء الهندبا يجعل في سكرجة ثم يوجر ذلك أو يمج في حلقه وهو على

(١) البخلاء ص ١٢٠ .

(٢) الحيوان جـ ٢ ص ٤٨ .

الريق»[1] وقال : وحدثني محمد بن القاسم قال : «قال الأعمش لجليس له : أما تشتهي بناني زرق العيون نقية البطون ، سود الظهور ، وأرغفة حارة لينة ، وخلا حاذقاً ؟ قال : بلى قال : فانهض بنا ، قال الرجل فنهضت معه ودخل منزله . قال : فأومأ إلى : أن خذ تلك السلة . قال : فكشفها فإذا برغيفين يابسين وسكرجة كامخ شبت : قال فجعل يأكل . قال : فقال لي تعال كل : فقلت : وأين السمك ؟ قال ما عندي سمك ، وإنما قلت لك : تشتهي[2] .

وقد ذكر **الجامات** ومفردها **جام** وهي آنية من الفضة لفئة معينة من أفراد المجتمع تضعها على موائدها فقال في البخلاء : إنه سيؤتي برغيف مطلخ ، ورقاقة ملطخة ، وبسكر وبقية مرق ، وبعرق وفضلة شواء وببقايا ما يفضل في الجامات والسكرجات[3] .

وقال في البخلاء أيضاً : «تغديت مع راشد الأعور فأتونا بجام فيه بياح سنجي الذي يقال له الدراج»[4] وقال «فأبطأ ساعة ثم جاءني بجام لبأ وطبق تمر فلما مددت قال يا أبا عثمان إنه لبأ وغلظه وهو الليل وركوده»[5] . وفي الحيوان ذكر الجاحظ الجام بقوله : «قال : وقدموا إلى أبي الحارث جميز جام خبيص وقالوا له : أهذا أطيب أم الفالوذج ؟ قال لا أقضي على غائب»[6] .

ومن الأواني التي يوضع فيها الطعام وأوعية الطعام الصغيرة أيضاً وهو **الطبق** ويستعمل للطعام الناشف مثل الخبز أو التمر وما شابه ذلك من الأطعمة المجففة التي لا تحتاج إلى سكب ، قال الجاحظ : «فجاءت بطبق ليس عليه إلا

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٣ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ١٩ .

(٣) البخلاء ص ١٢٠ .

(٤) البخلاء ص ١٩٦ .

(٥) البخلاء ص ١٢٣ جـ ٥ ص ١٩٢ .

(٦) الحيوان جـ ١ ص ١٠٧ .

رغيف أرز قاحل لاشئ معه غيره» وقال «قالوا : وكان له دكان لا يسع إلا مقعده وطبيقاً يوضع بين يديه وجعله مرتفعاً له عينان كي لا يرتقي إليه أحد»[1].

ومن الأواني التي تستعمل في تقديم الطعام **الصينيات والصينية** وهذه أواني تتخذ من الزجاج ، كما ذكرها الجاحظ قال «وكأنه مرآة صينية وكأنه وذيلة مجلوة وكأنه جمارة رطبة» وقال عن الصينيات : ثم جعلت ما دون خرق المخاد للقلانس ثم عمدت إلى أصح ما بقى منعته من أصحاب الصينيات والصلاحيات»[2] وذكر **الكُوز** والمركب الصيني فقال : «وبمثل ذلك قام الماء في جوف كوز السقاة المنكس . ولعلمهم يضيع الهواء إذا اختصر وإذا خصر ، جعلوا سمك الصينية مثل طولها أعني المركب الصيني»[3] .

وذكر **الغَضَار الصيني** فقال :«والخوان جزعة والغضار صيني ملمع»[4] ومن أنواع الغضار الخلنجية الكيماكية وهو نوع فاخر من الآواني ، وقد جاء ذكره عند الجاحظ بقوله «والخوان جزعه الغضار صيني ملمع أو خلنجية كيماكية» .

وهناك أوانٍ أخرى مثل **القصعة** التي ذكرها الجاحظ في أماكن كثيرة لا يمكن حصرها لأنها الآنية الرئيسية على الموائد المختلفة ، وهى معروفة للعرب جميعاً ، قال الجاحظ : فقال وتحت القصعة رقاقة فقال : **يا أبا الفتح خذ ذلك** الرغيف فقطعه وأقسمه على أصحابنا»[5] وقال «**وقيل للجماز : رأيناك في** دهليز فلان ، وبين يديك قصعة وأنت تأكل فمن أي شئ **كانت القصعة وأي**

(١) الحيوان جـ ١ ص ١٠٧ .
(٢) البخلاء ص ١٠٥ .
(٣) الحيوان جـ ٥ ص ١١٧ .
(٤) البخلاء ص ٥٤ .
(٥) البخلاء ص ٥٤ .

شيء كان فيها»[١] وقال : قاتل الله رجالاً كنا نوءاكلهم ، ما رأيت قصعة قط رفعت من بين أيديهم إلا وفيها فضل»[٢] وقال «قال أبو كعب : فربما نسى بعضنا فمديده إلى القصعة ، وقد مديده صاحبه إلى الماء . فيقول له موسى : يدك يا ناسي»[٣] .

وذكر في البخلاء أيضاً فأتوه يوماً بقصعة ضخمة فيها ثريدة كهيئة الصومعة مكللة بأكليل من عراق»[٤] .

ويعلق آدم ميتز على كلمة الخلنج فيقول : كان خشب الخلنج يستعمل في الطيافير وكان يجهز بكثرة في جرجان على بحر الخزر . وفي القرن الثالث الهجري بالمشرف أعجب الجاحظ بآنية من الخلنج الكيماكي (التركي إلى جانب آنية الصيني الملمع وكانت هذه محبوبة في جميع البلاد)[٥] .

وقد ذكر الأواني التي يتناول بها الطعام من أطباقه مثل **المَغْرَفَة** فقال : «حتى تركناهم في أضيق من موقد نار فلو سقطت مغرفة ما وضعت إلا في قدر»[٦] وذكر **البارْجين** فقال : «والله إني لأفضل الدهاقين حين عابوا الحسو وتقززوا من التعرق وبهرجوا صاحب التمشيش وحين أكلوا بالبارجين وقطعوا بالسكين ولزموا عند الطعام السكتة»[٧] وذكر **الأُسَيْكرة** فقال : «وأتانا بأرزة ولو شاء إنسان أن يعد حبها لعده ، ولتفرقه ولقلته . قال : فنثروا عليها لبكة من دبس مقدار نصف أسيكرة فوقعت ليلتئذ في فمي قطعة»[٨] .

(١) البخلاء ص ٧٣ .
(٢) البخلاء ص ٩٧ .
(٣) البخلاء ص ١٢٨ .
(٤) البخلاء ص ١٩٩ .
(٥) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٢٢٢ .
(٦) صناعات القواد ص ١٩١ .
(٧) البخلاء ص ٦٨ .
(٨) البخلاء ص ١٢٨ .

٣ - أنواع الأطعمة :

أما الأطعمة فـقد تنوعت في المجتمع الـعباسي تنوعاً ظاهراً واخـتلفت من بلد إلـى بلد ومن طائـفة اجتماعيـة إلى طائفة اجـتماعية أخـرى ، وغدت في تنوعها صورة واضحة لامتزاج العناصر المتباينة في المجتمع والطبقات المختلفة ، ففي الوقت الذي كان يعد فيه الخبز الطعـام الأساسي عند الطبقة العامة فهو لا يشكل سوى عنصر ثانـوي من عناصر الطعام عند الطبقة الغنـية ، تلك الطبقة التي استعارت من بلاد فارس أنوعاً من الأطعمة معقدة في إعدادها وفي طريقة أكلها، وقد نثر الجـاحظ في كتبه وخاصة البخلاء طائفـة من أسماء الأطعمة ، وقد خصص الفصل الأخير من كتابه هذا لأسماء الأطعمة البدائية المعروفة عند العرب القدماء ، ويظهـر بجلاء التضاد بين الحضارتين الفارسية والـعربية ومنها نستـخلص الأسماء لأنـواع الأطعمة الوافـدة علينا مـع تيار الحضارة فـمن هذه الأطعـمة (الشبـارقات - والسـكباجة والـطباهجـات والجوذابة والـديكبريـكة والمصوص والبزماورد والفالـوذجات) فقد ذكر الجاحظ **الشَّبارِقات** وهى ألوان من اللحم في الطبائخ ، وأصلها الفارسي شفارج قال : «الشبارقات والأخبصة **والفالوذَجات** قال : طـعام العـجم وعيـش كسرى ولـباب الـبر بلـعاب النـحل بخالص السمن»[1] وأيضاً من طعامهم نوع من العـرق يعمل باللحم والخل وهو **السِّكْبَاج** ، ويصفه الجاحظ في البخلاء بشكل تفصيلي يقول: «اشترى لحم بقر بدرهم واشترى بصلاً بدانق وباذنجان بـدانق وقرعة بدانق ، فإذا كان أيام الجزر فجزرا بدانق وطبخه كله سكباجا»[2] وذكره في الحيوان بقوله : «قال فأي شئ تأكل على الحجامة ؟ قال : أما في الصيف فـسكباجة محمضة عذبة ، وأما في الشتاء فديجيراجة خاثرة حلوة»[3] وقال في رسـائله : «فقال لـه ذات يوم وهو

(١) البخلاء ص ٢٠٣ .

(٢) البخلاء ص ١٢٢ .

(٣) الحيوان جـ ٧ ص ٢٦١ .

يحجمه : يا غلام أتحتجم ؟ قال نعم . قال : ومتى ؟ قال عند الحاجة . قال: وتعرف ذلك ؟ قال : أعرف أكثره وربما غلطت . قال فأي شئ تأكل ؟ قال : أما في الشتاء فداكبراه خاثرة حلوة وأما في الصيف فسكباجة حامضة عذبة»[1].

ومن أصناف الطعام **الطّباهجات** وهو طعام مثل الكباب تسميه العرب ... مفيف، وذكر أدى شير أن اللفظ فارسيته تباهة ، وقال إنه طعام من بيض وبصل ولحم، وقد ذكره الجاحظ في الحيوان بقوله «وللعصافير طباهجات وقلايا تدعي العصافيرية ولها حشاوى يطعمها العوام المفلوج[2] وذكر **الدكبراه** في رسائله فقال «قال : فأي شئ تأكل ؟ قال أما في الشتاء فدكبراه خاثرة حلوة»[3] ونوع آخر يعمل من فراخ الزنابير وهو **البَزْمَاورد** ، وقد ذكره الجاحظ بقوله: «وأهل خراسان يعجبون باتخاذ البزماورد من فراج الزنابير»[4] . ويقول في الحيوان عن هذا الصنف من الطعام وكيف أنه خاص ببلاد فارس وخاصة أهل خراسان، قال «كان بشر بن المعتمر خاصاً بالفضل بن يحيى ، فقدم عليه رجل من مواليه ، وهو أحد بني هلال بن عامر فمضى به يوماً إلى الفضل ليكرمه بذلك ، وحضرت المائدة فذكروا الضب ومن يأكله ، فأفرط الفضل في ذمه وتابعه القوم بذلك ، ونظر الهلالي فلم يرد على المائدة عربياً غيره وغاضه كلامهم فلم يلبث الفضل أن أتى بصحيفة ملآنة من فراخ الزنابير ، ليتخذ له منها بزماورد والدبر والنحل عند العرب أجناس من الذبان - فلم يشك الهلالي أن الذي رأى من ذبان البيوت والحشوش . وكان الفضل حين ولي خراسان استطرف بزماورد الزنابير ، فلما قدم العراق كان يتشهدها ، فتطلب له من كل

(١) فخر السودان على البيضان ص ١٨٢ .

(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٢٢٢ .

(٣) فخر السودان على البيضان ص ١٨٢ .

(٤) الحيوان جـ ٤ ص ٤٤ .

مكان . فشمت الهلالي به وبأصحابه»[1] وهناك صنف يدعي **الجُوذَابَة** وهو طعام يتخذ من اللحم والرز والسكر والبندق ، وقد ذكره الجاحظ حين قال : وقد أتيتم بهطة أو بجوذابة أو بعصيدة أو ببعض ما يجرى في الحلق ولا يساغ بالماء»[2] ونوع آخر من الطعام يدعي **المصوص** ، وقد جاء ذكره في البيان والتبيين ، قال الجاحظ : «ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ الخربز ويسمون السميط الرزدق ويسمون المصوص المزور ويسمون الشطرنج الاشترنج في غير ذلك من الأسماء»[3] .

وهناك أنواع أخرى تصنع من لحوم الجداء أو البقر أو غيرها من لحوم المجترات مثل الهريسة والكرنبية والطفشلية والفجلية وجميع أنواع الثريد الذي يغطي باللحوم .

فقد ذكر الجاحظ **الهَرِيسَة والطَّفْشِيلة** بقوله: «والعادة في مثل ذلك اللون أن يكون لطيف الشخصي صغير الحجم وليس الطفشيلية ولا كالهريسة ولا كالفجلية»[4] . وقال في الطفشلية أيضاً: «وتعشق واحدة ، فلم يزل يتبعها ، ويبكي بين يديها حتى رحمته وكانت مكثرة وكان فعلاً . فاستهداها هريسة وقال: أنتم أحذق بها . فلما كان بعد أيام تشهى عليها رؤوساً فلما كان بعد قليل طلب منها حبة . فلما كان بعد ذلك تشهى عليها طفيشيلة»[5] . وقول آخر في **الطَّفْشِيل** قال : «وتعشى أبو كعب القاص بطفشيل كثير اللوبيا وأكثر

(1) الحيوان جـ ٦ ص ٩١ .

(2) البخلاء ص ١٢٧ .

(3) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٩ .

(4) البخلاء : ص ٦٩ .

(5) البخلاء ص ١٢٤ .

منه وشرب نبيذ تمر ، وغلس إلى بعض المساجد ليقص على أهله»[1] وذكر **الفجْلية** بقوله : «والعادة في مثل ذلك اللون أن يكون لطيف الشخصي ، صغير الحجم ، وليس كالطفشيلية ، ولا كالهريسة ، ولا كالفجلية»[2] **والثريد** يتكرر في مناسبات عدة وهو الطعام المفضل للعرب بلا استثناء ، كما قال الجاحظ : وقال يوسف بن عمر لقوام موائده : أعظموا الزبدة فإنها لقمة الدرداء فقد يحضر طعامكم الشيخ الذي ذهب فمه والصبي الذي لم ينبت فمه وأطعموهم ما يعرفون ، فإنه أنجع وأشفى للقوم فقلتم : إنما أراد العجلة والراحة ، بسرعة الفراغ . وأن يكبدهم بالثريد ويملأ صدورهم بالعراق . وقد قال رسول الله - ﷺ - سيد الطعام الثريد[3] . . وقال أيضاً : «ولهذا ما قال الأعرابي حين قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم الذي فوق الثريد قال : لأن اللحم ظاعن والثريد مقيم»[4] وكانوا يفضلون نوعاً معيناً من الثريد هو الذي يكثر فيه العراق ممن كان غيره ذلك فهو مذموم عندهم ، ومنها التريدة البلقاء حين قال : «وإن ثريدته لبلقاء إلا أن بياضها ناصع ولونها الآخر أجهب[5] ويؤكد الجاحظ أن الثَّرِيد هو طعام العرب منذ القديم من قبل أن يمتزجوا بالأقوام الأخر ويروي حكاية تؤكد كلامه قال : «وقال عوف بن القعقاع لمولاه: اتخذ لنا طعاماً يشبع فضله أهل الموسم : قلتم : فلما رأى الخبز الرقاق والغلاظ والشواء والألوان ، واستطراف الناس للون بعد اللون ودوام أكلهم لدوام الطرف ، وأن ذلك لو كان لوناً واحداً لكان أقل لأكلهم ، قال : فهلا جعلته طعام يد ولم تجعله طعام يدين : فقلتم : اتسع ثم ضاق ، حين أراد

---

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٤ .

(٢) البخلاء ص ٦٩ .

(٣) البخلاء ص ٧٤ .

(٤) البخلاء ص ١٢٨ .

(٥) البخلاء ص ٥٧ .

إطعامهم الثريد والحيس وكل ما يؤكل بيد دون يدين . وابن القعقاع عربي كره لمولاه أن يرغب عن طعام العرب إلى طعام العجم»[1] . وكان من طعامهم لحوم الطيور مثل الديكة والبط والدجاج والدراج وما يعمل من هذه الأنواع من أطعمة مختلفة كالنمكود والديجيراجة والدجاجة الخلاسية والدراجة **والنَّيمْبَرْست** وعنها قال الجاحظ : «ومنهم من يشتهي النمكود . وليس بين النمكود وبين المصلوب اليابس كبير فرق وإنما يذبحون الديكة والبط والدجاج والدراج من أول الليل ليسترخي لحمها وذلك أول النجيف»[2] وقال عن **الديجيراجة** «وأما في الشتاء فديجيراجة خاثرة حلوة»[3] وقال يذكر الدراجة: «وكانوا ربما حضوه ، فوضعوا بين يديه الدراجة السمينة والدجاجة الرخيصة»[4]. وهناك أنواع كثيرة من الدجاج كانت تستعمل في أطعمتهم مثل الدجاج الخلاسي والدجاج الخوامزكي ، قال الجاحظ يذكر هذه الأنواع : «وما يصنع بذلك القائل ؟ هو ذا أنا أشتهي لحم دجاجتين : واحدة خلاسية مسمنة، وأخرى خوامزكية رخصة»[5] .

٤ - أنواع الأطعمة حسب الفئات والأقوام:

إن معلوماتنا عن طعام العامة كان طعاماً بسيطاً ، وهذا ما وصفه الجاحظ في أحاديثه المتفرقة ، فكان الأرز والماش والعدس واللوبيا مما يأكله الوقادون والزبالون ، وكانت الهريسة طعام السوقيين والسفلة[6] وكانت الأطعمة الشعبية تشمل الباقلاء والسمك بأنواعه ، وهو يعمل بأشكال مختلفة ، وجدت مثلاً

(١) البخلاء ص ٧٤ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ٢٢٩ .

(٣) الحيوان جـ ٧ ص ٢٦٢ .

(٤) البخلاء ص ٥٦ .

(٥) البخلاء ص ٦٢ .

(٦) الإمتناع والمؤانسة التوحيدى جـ ٣ ص ٧٠ .

دكاكين خاصة تبيع السمك المقلي[1] ، ومن الأطعمة الشائعة في العصر العباسي، وقد وردت عند الجاحظ مثل الباذنجان والبصل ، والجزر أما طعام أهل القرى فالكرات والبصل»[2] ومع روافد الحضارة العباسية تنوعت الأطعمة بتنوع البلدان وعرف كل بلد بنوع معين من الطعام وهذا ما وصفه الجاحظ بقوله : «وسئل بعضهم عن حظوظ البلدان في الطعام ، وما قسم لكل قوم منه ، فقال : «ذهبت الروم بالحشو والحسو وذهبت فارس بالبارد والحلو» وقال عمر : «لفارسْ الشفارق والحموض» وقال دوسر المديني : «لنا الهرائس والقلايا ، ولأهل البدو اللباء والسلاء والجراد والكمأة والخبزة في الرائب والتمر والزبد»[3] .

ومن هذا نرى أن البحريين قد أعجبوا بالأسماك عموماً وبأكل الرق والكوسج والبليل والبنى بصفة خاصة و والبليل وهو اللحم الذي في جوف الأصداف ، وكان السمك من طعامهم الرئيسي حتى قيل أن البصري لا يصبر على السمك ، وكانوا يرون في الشبوط والبني أجود أنواع السمك وكذلك البياح والجري والأسبور . وذكر الجاحظ **الشَّبُّوط** بكل تعظيم وافتخار ومفردها **شَبُّوطَة** قائلاً : واشترى مرة شبوطة وهو ببغداد . وأخذها فائقة عظيمة ، وغالى بها وارتفع في ثمنها ، وكان قد بعد عهده بأكل السمك . وهو بصري لا يصبر عنه . فكان قد أكبر أمر هذه السمكة ، لكثرة ثمنها ولسمنها وعظمها ولشدة شهوته لها»[4] وكان البصريون يفضلون أن يكون السمك طرياً وهو الأفضل والأحسن ، إذ قال الجاحظ في البخلاء : قال ابن جهانة الثقفية : عجبت ممن يمنع النبيذ طالبه ، لأن النبيذ إنما يطلب ليوم فصد . أو يوم حجامة

(١) الحيوان جـ ٣ ص ١٨ ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ ٧ ص ٧٥ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٢٤٨

(٣) البخلاء ص ١٧٨ .

(٤) البخلاء ص ١٠٠ .

أو يوم زيارة زائر ، أو يوم أكل سمك طري[1] ، وذكر **البُنِّي** بقوله «قال الأعمش لجليس له : أما تشتهي بناني زرق العيون نقية البطون سود الظهور ، وأرغفة حارة لينة»[2] ، وذكر **البِيَاح** بقوله «وحدثني إبراهيم بن عبد العزيز قال تغديت مع راشد الأعور ، فأتونا بجام فيه بياح سنجي ، الذي يقال له الدراج فجعلت آخذ الواحدة فأقطع رأسها ، ثم أعزله ثم أشقها باثنين من قبل بطنها فآخذ شوكة الصلب والأضلاع ، فأعزلها وأرمي بما في بطنها ، وبطرف الذنب والجناح ثم أجمعها في لقمة واحدة وأكلها»[3] ونوع آخر من الأسماك **الجري** قال الجاحظ «وفي الجري قال أبو كلدة : هو أدم العميان وجيد في الكوشان ، ودواء للكليتين»[4] وهناك أطعمة لها أسماء معينة تعد وتحضر من الأسماك مثل **الكَباب** ، وقد ذكره الجاحظ بقوله «فإن أصبنا من السمك شيئاً جعله كباباً على نار الخبز»[5] وقال «ولا يؤكل كباباً ولا يختار مطبوخاً ، ويرمي كله إلا ذنبه»[6] والجاحظ يقصد الجري وهذه أوصافه كما جاء ذكره في الحيوان»[7] **والكَوْشَان** والربيثاء والصحناة أطعمة تعد من السمك الردئ أو الصغير الرخيص الثمن ، وبهذا قال الجاحظ عن الكوشان «وفي الجري قال أبو كلدة هو أدم العميان وجيد في الكوشان ودواء الكليتين»[8] وقال في الربيثاء والسحناة «فأين من كان عن جداء كسكر وسمك كسكر وصحناة كسر وبيثاء كسكر»[9] وذكر سمكاً غير جيد وهو **الجُوَافَة** بقوله «فإذا أراد أن يتغذى أخذ الجوافة فسحها على وجه الرغيف»[10] .

---

(١) البخلاء ص ١٣٢ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ١٩ .

(٣) البخلاء ص ١٩٦ .

(٤) الحيوان جـ ١ ص ٢٣٤ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ١٩ .

(٦) البخلاء ص ١٢٩ .

(٧) الحيوان جـ ١ ص ٢٣٥ .

(٨) الحيوان جـ ١ ص ٢٣٤ .

(٩) الحيوان جـ ٣ ص ٢٩٥ .

(١٠) البخلاء ص ١٢٠ .

٥ - أنواع الحلوى والفطائر :

وكان فطائرهم وحلواؤهم متنوعة متشكلة حسب الفئات المكونة للمجتمع، ومن بين فطائرهم البستندود والخشكنان والكعك والفانيد وغيرها من الأنواع الأخرى ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأنواع في كتبه ليدلل على مظاهر الحضارة في عصر العباسيين وفي عصره بالذات ، فقال عن **البَسْتَنْدُود** : «فإذا صار إلى المنزل صار سبباً لطلب القصيدة والأرزة والبستندود»[1] وذكر **الخُشْكِنان** بقوله : «وقد عاب ناس من أهل المازح والمديرامور : منها أن خشكنانهم من دقيق شعير»[2] وهو نوع من الخبز المصنوع بالزبد والسكر والجوز والفستق ويكون على هيئة هلال»[3] وهذا حسب ما فسره محقق البخلاء ، ومن فطائرهم أيضاً الكعك ، وذكره الجاحظ بقوله «بعد أن كنا لا نرى إلا شيئاً كالبعر من يبس الكعك . وهذا ثلط يعبر عن أكل غض»[4] وذكر **الفانيد** بقوله «اشتكيت أياماً صدري ، من سعال كان أصابني . فأمرني قوم بالفانيد السكري ، وأشار على آخرون بالخزيرة تتخذ من النشاشتج والسكر ودهن اللوز وأشباه ذلك فاستثقلت المؤنة كرهت الكلفة ورجوت العافية»[5] . وكان من حلوائهم الجوزيينج والحريرة والحيس والفالوذق أو الفالوذج والخبيص والأرزة والعجوة والوطيئة والسلوى والزردج والسويق وغيرها ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأنواع من الأطعمة في أكثر من موضع في كتبه قال في **الجَوْزِيَينج** «وما أعرف ها هنا اجتماعاً على مشاكلة إلا في الإيثار بخبز الخشكار على الحواري والباقلي على

(١) البخلاء ص ٦٣ .

(٢) البخلاء ص ١٢٢ .

(٣) البخلاء ص ٣٦٩ .

(٤) البخلاء ص ٢٠١ .

(٥) البخلاء ص ٣١ .

الجوزيينج»[1] وهذا الضرب من الحلوى يصنع من الجوز ، ويقال له جوزنيق أيضاً وفارسيته كوزينة (اللوزنية) ، **والحَرِيرَة** ذكرها الجاحظ بقوله «وما أشبه ذلك من الحريرة والعصائد والحيسى»[2] وقال «وإن كان الطعام حيساً . أو ثريدا أو حريرة فهو طعام يد ، وإن كان شواء فهو طعام يدين»[3] ، **والحَيْس** والحيصة والحسو جاءت بمعنى واحد ووردت بأكثر من مكان قال : «فأتاه بلبن وتمر وحيس وخبز»[4] وقال «وهم وإن كانوا في بلاد جدب فإنهم أحسن الناس حالاً في الخصب فلا تظن أن كل ما يصفون به قدورهم وجفانهم وثريدهم وحيصهم باطل»[5] وقال : «وكان يحاس لأحدهما الحيسة على عدة أنطاع فكان يأكل منها الراكب والقائم والقاعد»[6] وقال في **الحَيْسة** أيضاً : «فلما كان بعد قليل طلب منها حيسة . فلما كان بعد ذلك تشهى عليها طفيشيلة»[7] . وعن الحسو قال : والله إني لأفضل الدهاقين حين عابوا الحسو وتقززوا من التمر»[8] ونوع آخر من الحلوى **الفالوذَج** أو الفالوذق والجمع **فالوذَجات** ، وقد ذكره الجاحظ حين قال : ومن أشرف ما عرفوه من الطعام ولم يطعم الناس أحد منهم ذلك الطعام إلا عبد الله بن جدعان وهو الفالوذج»[9] وقال «وكان له عرس ، فجعل طعامه كله فالوذق ، وذكره في البخلاء أيضاً فقال : «ثم يقول للذي يليه أبا فلان ما أدمك ؟ فيقول : الشبارقات والأخبصة والفالوذجات

(1) في الجد والهزل ص ٢٦٦ .

(2) البرصان والعميان ص ٣٤٥ .

(3) الحيوان جـ ٦ ص ٤٢٤ .

(4) البخلاء ص ٧٣ .

(5) البخلاء ص ٢٢٣ .

(6) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٣ .

(7) البخلاء ص ١٢٤ .

(8) البخلاء ص ٦٨ .

(9) البخلاء ص ٢٢٩ .

وقال : طعام العجم وعيش كسرى ولباب البر بلعاب النحل بخالص السمن»[١] وذكره في الحيوان بقوله · «قال وقدموا إلى أبي الحارث جميز جام خبيص وقالوا له أهذا أطيب أم الفالوذج ؟ فقال لا أقضي على غائب»[٢] وقد وردت في النص السابق كلمة **خَبِيص** وهى من الحلواء المخبوصة أي المخلوطة من السكر والزعفران والشيرج والدقيق وماء الورد والعسل والفستق ، وقد ذكرها البغدادي في كتاب الطبيخ ، وذكرها الجاحظ أيضاً بقوله : «وقالوا مثل ذلك في جميع الأخبصة والأنبذة»[٣] ونوع آخر من الحلوى **الأُرُزَّة** ، فقد ذكرها في البخلاء بقوله «صار سبباً لطلب العصيدة والأرزة وقال :«فلما رآنا لا تطاوعه دعا ليلة بالماء ، ثم خط بأصبعه خطاً في أرزة كانت بين أيدينا فقال : هذا نصيبي ، لا تعرضوا له ، حتى انتفع بشرب الماء»[٤] وذكر **العَجْوَة** بقوله «وقد يأكل الناس القت قداحاً والشعير فريكا ونوى البسر الأخضر ، ونوى العجوة»[٥] ونوع آخر يعمل من التمر وهو **الوَطِيئَة** ، وهو يعجن باللبن والأقط والسكر ، وقد ذكره الجاحظ في قوله : «والحيس والوطيئة والأرز»[٦] ثم السلوى وفيها يقول «ألذ من السلوى وأمتع من النسيم» فهى إذن حلوى من نوع فاخر التي تدعي **المن والسلوى**»[٧] والزردج ، وقد ذكره في الحيوان بقوله: «ولهم صب **الزَّرْدَج** واستخراج النشاستج وتعليق الخيش ، واتخاذ الجمازات ، وعمل الحراقات»[٨] ونوع آخر من حلوائهم التي تتخذ من الحنطة

(١) البخلاء ص ١٣١ ص ٢٠٣ .

(٢) الحيوان جـ ٥ ص ١٩٣

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ١٤ .

(٤) البخلاء ص ٦٣ ص ١٩٧ .

(٥) البخلاء ص ١٠٣ .

(٦) البرصان ص ٣٤٥ .

(٧) الحيوان جـ ١ ص ٢٣٢ .

(٨) الحيوان جـ ١ ص ٨٢ .

أو الشعير المدقوق وينساق في الحلق انسياقاً ، وقد ذكره الجاحظ في مواضع عدة منها قوله : «هو عنه بمعزل بغلاء الدقيق ، ولا عوز السويق ولا عزة الزيت - ولا فساد النبيذ»[1] فالذي يقصده حلوى **السَّوِيق** ذلك النوع الذي كان معروفاً عندهم وذكره في البخلاء قائلاً : «وهو الذي يلطع أصبعه ، ثم يعيدها في مرق القوم أو لبنهم أو سويقهم وما أشبه ذلك»[2] وقال «وعيت السويق بحضرة أعرابي فقال : لا تعبه فإنه من عدد المسافر ، وطعام العجلان ، وغذاء المبكر ، وبلغة المريض ، ويسر فؤاد الحزين ، ويرد من نفس المحدود ، وجيد في التسمين ، ومنعوت في الطب قفاره يجلو البلغم ومسمونه يصفي الدم . إن شئت كان ثريداً وإن شئت كان خبيصاً ، وإن شئت كان طعاماً وإن شئت كان شراباً»[3] ومما تقدم يبدو أن التأثير الفارسي واضحاً في أدب المائدة وتنظيم شؤون الخدم وترتيب أنواع الطعام ، وفي الوقت الذي كان يعد فيه الخبز طعاماً أساسياً عند الطبقة الشعبية فهو لا يشكل سوى عنصر ثانوي من عناصر الطعام عند الطبقة الأرستقراطية تلك الطبقة التي استعارت من إيران أنواع الأطعمة المعقدة المتنوعة[4] ، هذا ما قاله شارل بيلات عن نوع رئيسي من أنواع الأطعمة وهو الخبز الذي كان يتخذ من أنواع متعددة من الدقيق كالخشكار والحواري والدرمك والفريك والنخالة وغيرها ، كل حسب مستواه الاقتصادي لنوعية دقيقه وعمل خبزه ، ومن متطلبات الضيافة عند العرب منذ القدم أن يكون الطعام الذي يقدم للضيوف فائضاً عن حاجتهم بمقدار عظيم . والخبز يعتبر في هذا بالدرجة الأولى من الأهمية، ويبدو أن **الخبز** كان من أجل أنواع الطعام . فالغزالي في كتابه إحياء علوم الدين» يشرح مبيناً سبب إكرام الناس للخبز، بأنه

(١) كتاب القيان ص ١٧٨ .

(٢) البخلاء ص ٧٧ .

(٣) البخلاء ص ١٨٠ .

(٤) الجاحظ شارل بيلات ص ٢٤٤ .

يديم الرمق ويقوى على العبادة[1] . وفي بخلاء الجاحظ يعد البخيل بخيلاً لا لأنه لم يدع أصحابه إلى بيته بل لاختلاف طريقته في آداب المؤاكلة عن المستوى الذي يتخذ كمقياس للكرم والضيافة»[2] فالبخيل يلام لأن خبزه قليل ، ويعد بعض الناس بخلاء لأن الخبز الذي يقدمونه كان بعدد الآكلين ، بالرغم من أن الطعام قد أعد بعناية فائقة وهيئ وقدم باهتمام كبير . يقول الجاحظ : وكنت أنا وأبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام وقطرب النحوي وأبو الفتح مؤدب منصور بن زياد على خوان فلان بن فلان ، والخوان من جزعة ، والغضار صيني ملمع أو خلنجية كيماكية ، والألوان طيبة شهية وغذية قوية ، وكل رغيف في بياض الفضة كأنه البدر ، وكأنه مرآة مجلوة ، ولكنه على قدر عدد الرؤوس ، فأكل كل إنسان رغيفه إلاكسرة ، ولم يشبعوا فيرفعوا أيديهم ولم يمدوا بشئ فيتموا أكلهم والأيدي معلقة ، وإنماهم في تنقير وتنتيف»[3] ، وكان محمد بن أبي المؤمل عند الجاحظ من البخلاء ، رغم أنه يصرف الأموال الطائلة في إعداد طعام ضيوفه إعداداً جيداً ، لكن الجاحظ يلومه على قلة خبزه ، يقول : قلت لمحمد بن أبي المؤمل : أراك تطعم الطعام وتتخذه وتنفق المال وتجوده وليس بين قلة الخبز وكثرته كثير ربح . والناس يبخلون من قل عدد خبزه ورأوا أرضي خوانه . وعلى أني أرى جماجم من يأكل معك أكثر من عدد خبزك ، وأنت لو لم تتكلف ولم تعمل على مالك بإجادته والتكثير منه ثم أكلت وحدك لم يلمك الناس ، ولم يكترثوا لذلك منك ولم يقضوا عليك بالبخل والسخاء. . فزد في عدد خبزك شيئاً ، فإن تلك الزيادة القليلة ينقلب ذلك اللوم شكراً وذلك الذم حمداً»[4] .

(١) إحياء علوم الدين - الغزالي جـ ٢ ص ٤ .

(٢) الجاحظ والحاضرة العباسية د. وديعة النجم ص ١٥٦ .

(٣) البخلاء ص ٥٤ .

(٤) البخلاء ص ٩٤ .

وبعد هذه النبذة القصيرة عن أهمية الخبز على موائدهم في ذلك العصر لنرى أنواع هذا الخبز ، فهناك نوع اسمه **الجَرْذِق** وجمعه **جَرَاذِق** ، وهو معرب من الفارسية يقول الجواليقي : الجردق إنه الغليظ من الخبز ، وقد يقال في تقريبها جرذق بالذال ولكن الأول أجود ، ويقول استينجاس في تفسير معنى اللفظ الفارسي الذي هو كرده أنه يعني الرغيف المستدير الغليظ ، وهذا ما ذكر في حاشية الحيوان جـ ١ ص ١٠٧ ، أما ما ذكره الجاحظ عن هذا النوع من الخبز ، فهو يقول : «وحدثني أحمد بن المثني أنهم كانوا يعمدون إلى الجراذق التي ترفع عن مائدته»[١] وقال «والمقور الذي يقور الجراذق ، ويستأثر بالأوساط ويدع لأصحابه الحروف»[٢] وقال في البخلاء أيضاً «فما ألبث أن أرى أحدهم يأخذ حرف الجرذقة فيغمسها في الخل الحاذق ويغرقها فيه»[٣] وذكره في الحيوان بقوله : «الفقير سرقته سلفة ، ورداؤه علقة ، وجردقته فلقة ، وسمكته مشلقة ، وإزاره خرقة[٤] ، وذكره الجاحظ في البيان والتبيين بالدال أيضاً » وقال رجل لرجل : انتظرتك على الباب بقدر ما يأكل إنسان جردقتين»[٥] . فمرة يذكر الجاحظ هذا النوع من الخبز بالدال ومرة بالذال . وكان خبزهم يتخذ أيضاً من دقيق **الخُشْكَار** ، وقد ذكره الجاحظ بقوله : «وقد عاب ناس من أهل المازح والمدبير بأمور : منها أن خشكنانهم من دقيق شعير وحشوه الذي يكون فيه من الجوز والسكر من دقيق خشكار[٦] وذكره في البخلاء أيضاً : «قلت : فتأمر به للعيال : فيقوم الحواري المتطلخ مقام الخشكار النظيف[٧] وفي رسائله

(١) البخالء ص ٥٧ .

(٢) البخلاء ص ٧٧ .

(٣) البخلاء ص ٥٥ .

(٤) الحيوان جـ ١ ص ١٠٧ .

(٥) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٢٢١ .

(٦) البخلاء ص ١٢٢ .

(٧) البخلاء ص ٩٦ .

قال «وما أعرف ها هنا اجتماعاً على مشاكلة إلا في الإيثار بخبز الخشكار على الحواري والباقلي على الجوزيينج»[1] ثم **الحُوَّارِي** وهو الدقيق الأبيض الجيد وبالأصح لباب الدقيق وأجوده ، وقد ذكره الجاحظ في النص الآتي : «أبا فلان ما أدامك ؟ قال : اللحم السمين والجداء الرضيع» قال : فتأكله بالحواري؟[2] وقال في وصف الحواري وكيف أنه خبز المترفين وهو من أرقى أنواع الدقيق قلت : فتأمر به للعيال : فيقوم الحواري المتلطخ مقام الخشكار النظيف وعلى أن المسح والدلك يأتي على ما تعلق به من الدسم . قال : عيالي يرحمك الله - عيالان : واحد أعظمه عن هذا وأرفعه عنه وآخر لم يبلغ عندي أن يترف بالحواري . قلت : فاجعل إذا جميع خبزك الخشكار فإن فضل ما بينه وبين الحواري في الحسن والطيب لا يقوم بفضل ما بين الحمد والذم»[3] وذكره في الحيوان بقوله : «ما أعرف ها هنا اجتماعاً على مشاكلة إلا في الإيثار بخبز الخشكار على الحواري»[4] وقال في رسائله : «لا يتخذ حاجباً ولا يلبس كتانا ولا يأكل درمكاً»[5] وقال في البخلاء : «وإذا نظرت في أشعارهم علمت أنهم قد أكلوا الطيب وعرفوه ، لأن الناعم من الطعام لا يكون إلا عند أهل الثراء وأصحاب العيش فقال زياد بن فياض ، ويذكر الدرمك وهو الحواري»[6]، فإذن دقيق الحواري هو الذي يتخذ في عمل الطعام الجيد للطبقة المرفهة ، كما جاء في وصف أكلة الدرمك وهو من طعام الطبقات الغنية الميسورة . أما الطبقات العامة فهي تأكل **الفريك** وهو دقيق الشعير وبهذا قال

(١) في الجد والهزل ص ٢٦٦ .
(٢) البخلاء ص ٢٠٣ .
(٣) البخلاء ص ٩٦ .
(٤) في الجد والهزل ص ٢٦٦ .
(٥) كتاب الحجاب ص ٣١ .
(٦) البخلاء ص ٢٢٩ .

الجاحظ : والله لـو حملتم أنفسكم عـلى البزر والنوى ، وعلى قضـم الشعير واعتلاف القت ، لوجـدتموها سريعة القبول ، وقد يأكل الـناس القت قداحاً ، والشعير فريكاً ، ونوى الـبسر الأخضر ونوى العجوة»[1] وأحياناً تلجأ الطبقات المعدمة في ذلـك العصر من عصور الحضـارة العباسية إلى أكل مـا دون الشيء وهو **النخالة** ، يقول الجـاحظ : «يعالجـه بالنخالـة الحارة فيحـمدها»[2] وقال عليك بماء النخالة فاحسه حاراً» .

مواد تؤكل مع الخبز :

ومع الخبـز كانوا يأكلـون (الجبن والزبد والزيـتون والدبس والأقط والـلبأ والنيمرشت و البيض) فهذه أصناف كانت توضع على الموائد مع الخبز بأنواعه ، وقد ذكر الجاحظ **الجبن** والزبد بقوله : «زعم أن الـزبد الحادث بعد المخض لم يكن فـي اللبن وأن جبن الـلبن حادث ، وقاس مـاء الجبن على الجـبن. وليس اللبن إلا الجبن والماء»[4] وقال إذا كان في غداة كل جمعة حـمل معه منديلاً فيه جرذقتان ، وقطع لحم سكباج مبرد ، وقطع جبن وزيتونات وصرة فيها ملح»[5] وقال : وكان يتأدم بجـبنة عنده»[6] وذكر **الزبد** أيضاً بـقوله : «أنا لسـت أطعم الجزء المسلوق بالخل والزيت والمرى دون الكمـأة بالزبد والفلفل لمكان الرخص أو لموضع الاستفـضال ولكن لمكان طيبه فـي الحقيقة ولأنه صالح للـطبيعة»[7] **والدِّبْس** ذكره فـي أماكن كثيرة منهـا «فأتته مـن البصـرة هدايا فـيـها زقـاق

(١) البخلاء ص ١٠٣ .
(٢) الحيوان جـ ٤ ص ٢٢١ .
(٣) البخلاء ص ٣١ .
(٤) الحيوان جـ ٥ ص ١٣ .
(٥) البخلاء ص ٩٤ .
(٦) البخلاء ص ١٣١ .
(٧) الحيوان جـ ٥ ص ١٣ .

دبس»[1] والدبس موجود في هذه المنـطقة بكثرة ، وكذلك **الأَقْط** المادة البدوية المسـتعمـلة منـذ الأبد ، ولكن فـي زمن الجاحـظ اتخذوا الأقـط على مـوائد الشراب» قال الجاحظ : «ثـم دعا بالنبيذ ، فإذا هو في عس خـشب وإذا بنبيذ تمر، ثم دعا بنقل فإذا بأقط ومقل وتنوم»[2] ثم تطور المجتمع وزاد ترفه فإذا هو يرمي الأقط للمـعز بعد أن كان غذاء البدوي الرئيـسي ، قال الجاحظ : قال : والأقط للمعز . وقرونها هى المنتفع بها»[3] .

وكذلك اللبأ فنرى أحد شخصـيات الجاحظ يباهي بماعنده من **لَبأ** فيقول : «وعندي لبأ لم ير الناس مثله ، وتمر ناهيك به جودة»[4] .

هذه هى الـصورة الحضارية لـتلك المائدة الـعباسية بـأنواعها من الأطـعمة الكثيرة الغريبة في إعدادها واللذيـذة في طعمها ، ومع هذا نرى العربي لا يزال يحن إلى طبيعته البدوية في أكلـة الأقط واللبأ والدبس وغيرها من الأنواع التي عاصرت حياته منـذ القدم من قبل أن تأتيه هذه الأنواع من الأطـعمة مع ما أتاه من ترف وتطور حضاري . فهو يضع على مـائدته الزبد والسمن واللبأ والأقط بجانب البيـض الذي أصبح يدعي **النِّيمْبَرشْت** قال الجاحظ : «ليـحملا له من الزبد والسمن ، ومن اللبأ واللبن والبيض النيمبرشت»[5] .

وهناك مواد لا يمـكنهم الاستغناء عـنها في إعداد أطباقهـم وقد وردت عند الجاحظ مـثل الأبزار والأصبـار والسلاء والسـماني والكـزبرة والمرى والسـكر الطبرزد والـدار صيني والجوارشن والـنشاستج والزعـفران . إذ أن هذه المواد

(١) البخلاء ص ٦٩ .

(٢) كتاب البغال ص ٣٦٥ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٤٨١ .

(٤) البخلاء ص ١٢٣ .

(٥) البخلاء ص ٧٧ .

تعطي نكهة محببة للأكل . **والزَّعْفَرَان** يتصدر هذه المواد من حيث أهميته في الاستعمال فهو يستعمل في الأطعمة وفي العلاج وفي الصبغة وفي التطيب ، وقد ذكر الجاحظ الزعفران في الحيوان كعلاج قال : «فما يعالج به الكباد : الزعفران والسكر الطبرزد وماء الهندبا»(١) . وقال عن ولوع النساء به واستعماله في الصبغة والتعطير وغيرها من أمور التجميل قال : «وأهلك النساء الأحمران: الذهب والزعفران»(٢) . وقال «ومن الصفر يريد بن أبي مسلم قالوا: وكان كأنه الزعفران»(٣) والسكر **الطَّبَرْزَد** ، وقد ذكره فقال : فما يعالج به الكباد : الزعفران والسكر الطبرزد والدارصيني وهو من التوابل رخيص الثمن»(٤) ويستعمل كثيراً في الأطعمة يقول الجاحظ : «فدخلت عليه يوماً : وإذا قدامه قطع **دارصيني** لا تسوي قيراطاً ، فلما نال حاجته منها مددت يدى لآخذ منها قطعة ، فلما نظر إلى قبضت يدى ، فقال : لا تنقبض وانبسط واسترسل وليحسن ظنك ، فإن حالك عندي على ما تحب ، فخذه كله فهو لك بزوبره وبحذافيره»(٥) **والجُوَارِشْن** وهو مجموعة من التوابل يستعمل كدواء أحياناً ، قال الجاحظ : «قال : إنك لست تدري أنهم أكلوا أكل جوارشن كان عندي»(٦) والجوارشن ذكرها محقق البخلاء بالنون وتذكر بغير النون كوارش ، كما جاءت عند أدى شير ومعناه الهضام ، و «الهضام» ، هو الذي ذكره أدى شير يوافق ما ذكره التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون»(٧) ثم **الأبْزار** قال :

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٣ .

(٢) البخلاء ص ١٠٩ .

(٣) البرصان ص ١٠٠ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٣ .

(٥) البخلاء ص ١٢٢ .

(٦) البخلاء ص ٣٥ .

(٧) البخلاء ص ٢٩٩ .

«لا يبالي أن يدع ملحهم بلا أبزار»[1] والمري يذكر الجاحظ بقوله «وأنا لست أطعم الجزر المسلوق بالخل والزيت والمري دون الكمأة بالزبد والفلفل»[2] **والفُلْفُل** ذكره في نفس النص وهو من المواد المستعملة كثيراً في إعداد الأطعمة. **والكُزْبَرَة** ذكرها بقوله : «لأن الكزبرة من بين جميع الحب تنبت وإن كانت أنصافاً ، وهذا علم غامض إذا عرفه الشيخ الفلاح المجرب»[3] والسماني قال الجاحظ : «وأكل الطعام الذي فيه سماني يورث الدوار»[4] **والنشاسْتَج** وهذا يستعمل في الحلوى خاصة ، وقد ذكره الجاحظ أيضاً في مجال سياق كلامه عن فضل الكتب ومآثر المتقدمين ، فقال «ولهم صب الزردج واستخراج النشاستج وتعليق الخيش»[5] وذكره في البخلاء لاستعمال آخر قال : فأمرني قوم بالفانيد السكرى ، وأشار علي آخرون بالخزيرة تتخذ من النشاستج والسكر ودهن اللوز وأشباه ذلك»[6] .

٦ - الفاكهة :

أما فاكهتهم فكانت التمر بأنواعه يرص على الموائد ، فكأنه حلية المائدة ثم **الكمثرى والموز** والشمام **والتفاح** وأصناف أخرى من الفاكهة ، وكانت هذه الفاكهة تدفن في الثلج من أجل تبريدها ، وطريقة تقديمها على المائدة لها أصول يتبعونها مثل وضعها على أطباق مزدانة بالمناديل النظيفة ، يقوم على تقديمها الخدم والمعدون للموائد . ويصف لنا الجاحظ من يقوم بتقديمها وطريقة ترتيبها بقوله «ولو أن رجلاً جلس على بيدر تمر فائق ، وعلى كرسي كمثرى

(١) البخلاء ص ٧٧ .

((٢) البخلاء ص ٩٨ .

(٣) الحيوان جـ ٧ ص ٣٧ .

(٤) الحيوان جـ ٤ ص ٣٠٢ .

(٥) الحيوان جـ ١ ص ٨٢ .

(٦) البخلاء ص ٣١ .

منعوت ، وعلى مائة قنو موز موصوف ، لـم يكن أكله إلا على قدر استطرافه ولم يكن أكـله على قدر أكلـه إذا أتى بذلك في طبـق نظيف مع خادم نـظيف عليه منديل نظيف»[1] ويذكر لنا الجاحظ طريقة تبريد الـفاكهة والعناية بها بقوله «**والثلج** يؤكل ويشرب ويقضم قضماً ويمزج بـالأشربة ويدفن فيه الماء وكثير من الفواكه»[2] . أما أنواع التمر الـتي عددها الجاحظ فهى كثيـرة ومتعددة الألوان والأشكال منها الجيسران والهلباثا والهنسته والبرني والنابجي والسهرير وغيرها، وقد ذكر الجاحظ قائـلاً «فلم يلبث أن جاءنا بطبق عـليه رطب سكر **وجَيْسَران** أسود فوضعه بين أيدينا»[3] ويذكر **النابِجي** بقوله : «وأجمع أهـل البحرين أن لهم تمراً يسمى النابجي ، وأن من فضه وجعله نبيذاً ثم شربه وعليه ثوب أبيض صبغه عرقه حتـى كأنه ثوب أتحمى»[4] وقال عن **السهْرِير** فلو جئتـنا بشئ من السهريز والبـرني لأكلنا»[5] وعن الـهلباثـا قال : «إذا طعـمتهم الـيوم **البِرني** أطعمتهم غدا السكر وبعد غد الهلباثا»[6] **والشمام** ذكره الجاحظ بقوله : «وإنما هن بمنزلة الشمام والتفاح الذي يتهاداه الناس بينهم»[7] .

٧ - الأطعمة والمناسبات :

وبعد أن ذكر الأطـعمة بأنواعهـا المختلفة وطريـقة إعدادها ووضعهـا على الموائد أو الخوان يجب أن نذكر أنواع المناسبـات وأسماء الأطعمة التي تقدم في كل مناسبة وتختص بها دون غيرها من المنـاسبات التي اعتادها المجتمع العباسي

(١) البخلاء ص ٩٨ .
(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٦٨ .
(٣) البخلاء ص ١٩٧ .
(٤) الحيوان جـ ٧ ص ٢٣٠ .
(٥) البخلاء ص ١٩٧ .
(٦) البخلاء ص ١٣٤ .
(٧) كتاب القيان ص ١٤٨ .

في عصر الحضارة العباسية المزدهرة ، حتى إننا نرى بعض الفئات في المجتمع العباسي لها طعامها الخاص بها ، وهناك أطعمة تعد من الأنواع المذمومة وأخرى من الأنواع الممدوحة ، وهذه بالنسبة لمعيار العرف العربي والذوق الفارسي . ومن الأنواع الممدوحة التي يتفاخر بها العربي خاصة : **الحيس والخبز** :

كان من عاداتهم أن يقدموا اللحم على اللبن وعلى التمر ، وتزعم مخزوم أن أول من حاس الحيس سويد بن هرس»[1] والخبز يفخرون به بقولهم : منا آكل الخبز ومنا مجير الطير يعني ثوب ابن بني شحمة الذي يقال له آكل الخبز ، وهو سيد بني العنبر في زمانه «وليس عندهم فوق عقر الإبل وإطعام السنام شئ»[2] وكل هذه المعايير تغيرت بتغير مفاهيم الناس وبالتطور الحضاري الذي حصل في ذلك العصر العباسي ، فأصبحت عندهم أصناف أخرى من الطعام تعد في المركز الأول من موائدهم ، وإن كان الخبز والحيس لم يفقدا مكانتهما، ولكن هناك أنواعاً أخرى توضع بجانبهما على الموائد ، وقد ذكر لنا الجاحظ الطعام الممدوح آنذاك قائلاً : «ومن أشرف ما عرفوه من الطعام ، ولم يطعم الناس أحد منهم ذلك الطعام إلا عبد الله بن جدعان وهو الفالوذق»[3] وهذا صنف ذكرته في صفحات سابقة وهو من أجود أطعمتهم .

يحدثنا الجاحظ عن الأطعمة المذمومة عندهم ، ويذكر أنها على ضربين أحدهما طعام **المجاوع والحطمات والضّرائك والسباريت** واللئام والجبناء والفقراء والضعفاء ومثل هذه الضروب تقوم على أكل أصناف بعينها من الأطعمة عددها الجاحظ بقوله : «والطعام المذموم عندهم ضربان ، أحدهما

(١) البخلاء ص ٢٣٠ .

(٢) البخلاء ص ٢٣ .

(٣) البخلاء ص ٢٢٩ .

طعام المجاوع والحطمات والضرائك والسباريت واللئام والجبناء والفقراء والضعفاء . من ذلك الغث والدعاع **والهَبِيد والقُرَامَة** والقرة والعسوم ومنقع البرم والعضد والقد والحيات»[1] هكذا عدد الأطعمة الجاحظ في البخلاء . وذكر بعضاً منها في مجال الحديث عن الحيوان مثل الهبيد قال «والشعوبية تهجو العرب بأكل العلز والغث والدعاع والهبيد والمغافير وأشباه ذلك»[2] وقد فصل الجاحظ نوعية بعض هذه الأطعمة المذمومة ومما تتكون قائلاً : «والقرامة نحاتة القرون - والأظلاف والمناسم وبرادتها . والعلهز القردان ترخي وتعجن بالدم والقرة الدقيق المختلط بالشعر . كان الرجل منهم لا يحلق رأسه إلا على رأسه قبضة من دقيق ، ليكون صدفة على الضرائك ، وطهوراً : له ممن أخذ ذلك الدقيق للأكل فهو معيب»[3] .

والضرب الثاني من الطعام المذموم عندهم مثل **الخَزِيرَة** التي تعاب بها مجاشع بن دارم السخينة التي تعاب بها قريش ، وقد ذكرهما الجاحظ في البخلاء بقوله : «وذكرنا أحد صنفي الطعام المذموم والصنف الآخر كالخزيرة التي تعاب بها مجاشع بن دارم ، وكنحو السخينة التي تعاب بها قريش وكانت من طعام قريش»[4] وكانت تهجي الأنصار ، وعبد القيس وعذرة وكل من كان بقرب النخل ، بأكل التمر ، وتهجي أسد بأكل الكلاب وبأكل لحوم البشر ، هذا ما ذكر الجاحظ من الطعام المذموم عندهم ، ولكنه علل بعض هذه التهم التي ألصقت بقريش أو بغيرهم بقوله «فتهجو قريشاً بالسخينة ، وعبد القيس بالتمر . وذلك عام في الحيين جميعاً : ، وهما من صالح الأغذية والأقوات . كما تهجو بأكل الكلاب والناس وان كان ذلك إنما كان من رجل واحد ،

(١) البخلاء ص ٢١٦ .

(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٤٤٣ .

(٣) البخلاء ص ٢١٧ .

(٤) البخلاء ص ٢٣٣ .

ولعلك إذا أردت التحصيل تجده معذوراً»[1] .

وكان لبعض فئات المجتمع طعامهم الخاص بهم مثل الشعوبية والأزادمردية أكلوا الطيب وعرفوه من مثل الحواري والفالوذق ، وكانوا يهجون العرب بأكل العلهز والغث والدعاع والهبيد والمغافير وأشباه ذلك ، وقد ورد ما يثبت هذا الكلام في النص الآتي قال الجاحظ : «والشعوبية تهجو العرب بأكل العلهز والغث والدعاع والهبيد والمغافير وأشباه ذلك»[2] .

وهجوا العرب بأنهم خضر النواجذ ، ويفسر الجاحظ هذا القول بأنهم ممن يأكل الكراث والبصل ، قال : «فإذا قيل أخضر النواجذ ، فإنما يريدون أنه من أهل القرى ممن يأكل الكراث والبصل[3] . ويحدثنا الجاحظ عن ضروب من الأطعمة اعتادها الناس في ذلك العصر الحضاري ، ولهذه الأطعمة مناسبات منها العرس ، والسبوع والختان وطعام البناء الذي يدعوه بالوكيرة والعقيقة وغيرها من المناسبات التي لها أطعمة ذات أسماء خاصة بتلك المناسبة ، مثل طعام الخرس الذي يتخذ صبيحة الولادة والأعذار التي تتخذ عند الختان والوكيرة طعام البناء والعقيقة دعوة للحم الكبش الذي يعق للصبي وغير هذه الأنواع من طعام الأملاك **والأعراس والسبوع** والختان . وقد ذكر الجاحظ كل هذه الأنواع بقوله : الطعام ضروب والدعوة اسم جامع ، وكذلك الزلة . ثم منه العرس والخرس والإعذار والوكيرة والنقيعة . **والمأدبة** اسم لكل طعام دعيت إليه الجماعات «ثم يفصل الجاحظ نوعية هذه الأطعمة بالنسبة للمناسبات فقول : «والعرس معروف إلا أن المفضل الضبي زعم أن هذا الاسم مأخوذ من

(1) البخلاء ص ٢٣٤ .
(2) الحيوان جـ ٥ ص ٤٤٢ شرح كل هذه الأصناف في حاشية الحيوان نفس الصفحة .
(3) الحيوان جـ ٣ ص ٢٤٨ .
(4) البخلاء ص ٢١٣ .

قولهم «لا عطر بعد عروسي وكان الأصمعي يجعل العروس رجلاً بعينه ، كان بني علي أهله فلم يتعطر له ، فسمى بعد لذلك كل بانٍ على أهله بذلك الاسم»[1] وذكر **الخرس** بقوله «وأما الخرس فالطعام الذي يتخذ صبيحة الولادة للرجال والنساء وزعموا أن أصل ذلك مأخوذ من الخرسة ، والخرسة طعام النفساء»[2] ، وعن طعام **الختان** قال «والأعذار طعام الختان يقال : صبي مغدور وصبي معذر جميعاً»[3] أما طعام البناء فقد ذكره باسم **الوَكِيرَة** قال «ومن طعامهم الوكيرة وهو طعام البناء . كان الرجل يطعم من يبنى له ، وإذا فرغ من بنائه يترك بإطعام أصحابه ودُعائهم»[4] والطعام الذي يعق للصبي هو العقيقة، ذكرها الجاحظ بقوله «والعقيقة دعوة على لحم الكبش الذي يعق عن الصبي. والعقيقة اسم للشعر نفسه والأشعار ، هى العقائق . وقولهم : عقوا عنه أي احلقوا عقيقته» فسمى الكبش لقرب الجوار وسبب الملتبس عقيقة ، ثم سموا ذلك الطعام باسم الكبش»[5] **والنون** وهو طعام السبوع ، وقد ذكرها الجاحظ في رسالته التربيع والتدوير بقوله : «وكيف صارت كبد الحوت أول طعام أهل الجنة ولم تسمى نوناً ؟»[6] .

وأسلوب الدعاء عند تناول هذه الأطعمة ذكره الجاحظ بقوله « فأما الدعاء إلى هذه الأصناف فمنه المذموم ، ومنه الممدوح ، فالمذموم النقري ، والممدوح الجفلي»[7] وقد ذكر **النَقَرَي** بقوله «وإذا انتقر فقال : قم أنت فلان ، وقم أنت

(١) البخلاء ص ٢١٣ .
(٢) البخلاء ص ٢١٣ .
(٣) البخلاء ص ٢١٣ .
(٤) البخلاء ص ٢١٥ .
(٥) البخلاء ص ٢١٥ .
(٦) التربيع والتدوير ص ٢٨ .
(٧) البخلاء ص ٢١٥ .

يا فلان فدعا بعضاً وترك بعضاً فقد انتقر»[1] وذكر **الجَفَلى** بقوله : «وذلك أن صاحب المأدبة وولي الدعوة إذا جاء رسوله ، والقوم في أحويتهم وأنديتهم فقال : أجيبوا إلى طعام فلان ، فجعلهم **جفلة** واحدة ، وهى الجفالة فذلك هو الممدوح»[2] .

صفات الآكلين غير الممدوحة :

لقد أطلقوا على سيئ المؤاكلة صفات عديدة ذكرها الجاحظ في تفسيره لكلام أبي الفاتك ، وقد وقف عند كلمات أبي الفاتك ليفسرها لفظاً لفظاً وهو يصف الطوائف السفلى الذين يتحلون بهذه الصفات السيئة ، فأول صفة سيئة تصادفنا في كلام أبي الفاتك **الجُرْدَبِيل** ، وقد فسرها الجاحظ بقوله «أنا والله أحتمل الضيف والضيفين ولا أحتمل اللغموط ولا الجردبيل»[3] والجردبيل من الألفاظ الفارسية المعربة بمعنى الذي يضع يده على الطعام لئلا يتناوله غيره ، أو الذي يأكل بيمينه ويمنع شماله . وكلمة **مِرْسَال** فسرها الجاحظ بقوله : «والمرسال رجلان : أحدهما إذا وضع في فمه لقمة هريسة أو ثريدة أو حيسة أو أرزة أرسلها في جوف حلقه إرسالاً . والوجه الآخر : هو الذي إذا مشى في أشب من سيل أو شجر ، قبض على رأس السعفة أو على رأس الغصن لينحيها عن وجهه ، فإذا قضى وطره أرسلها من يده»[4] ،وصفة أخرى **الدفاع** يشرحها الجاحظ بقوله : «والدفاع الذي إذا وقع في القصعة عظم ، فصار مما يليه ، نحاه بلقمة من الخبز حتى يصير مكانه قطعة من لحم . وهو في ذلك

(١) البخلاء ص ٢١٥ .

(٢) البخلاء ص ٢١٥ .

(٣) البخلاء ص ٦٨ .

(٤) البخلاء ص ٧٦ .

كأنه يطلب لقمته تشريب المرق دون إراغة اللحم»[1]. ولفظ آخر **النَّفَّاض** يقول الجاحظ عنه : «وأما النفاض : فالذي فرغ من غسل يده في الطست نفض يديه من الماء فنضح على أصحابه»[2] . **والنَّهَّاش** يذكره الجاحظ بقـوله : «والنهاش هو مـعروف ، وهو الذي يـنهش اللـحم كما يـنهش الســبع»[3] وصفة أخرى للآكلين السيئى المؤاكـلة يذكرها الجاحظ قائلاً : «**والنَّشَّاف** : الذي أخذ حرف الجرذقة فيفتحه ، ثم يغمسه في رأس الـقدر ، ويشربه الدسم ، ويستأثر بذلك دون أصحابه»[4] ، وأيضاً **المداد** يقول عنه الجاحظ : «والمداد : الذي ربما عض على العصبة التي لم تنضج وهو يمدها بفيه ، ويده توترها له . فربما قطعها بنترة فيكون لها انتضاح على ثوب المـؤاكل . وهو الذي إذا أكل مع أصحابه الرطب أو التمر أو الهريسة أو الأرزة فأتى على ما بين يديه ، مد ما بين أيديهم إليه»[5]

وصفة أخـرى ذميمة لسـيئى المؤاكـلة وهى **المصَّاص** ، قال عـنه الجـاحظ : «والمصاص الذي يمتص جوف قصبة العظـم بعد أن استخرج مخه ، واستأثر به دون أصحابه»[6] . وصفة أخرى غير ممدوحة وهى **اللكَّام** وقد وصفه الجاحظ بقوله :«وأما الـلَّكام : فالذي في فيه اللقـمة ، ثم يلمكها بـأخرى قبل إجادة مضغها أو ابتلاعها»[7] .

ويستـحسن الجاحظ مـن النديم ألا يمشش العـظام ، ولا يبادر إلى الـبيض الموضوع على البقل ولا يأخذ لنفـسه أكباد الدجاج وصدورها أو المخ أو الكلي

(١) البخلاء ص ٧٧ .

(٢) البخلاء ص ٧٦ .

(٣) البخلاء ص ٧٧ .

(٤) البخلاء ص ٧٦ .

(٥) البخلاء ص ٧٧ .

(٦) البخلاء ص ٧٦ .

(٧) البخلاء ص ٧٦ .

أو العيون وهى لا تزال حتى اليوم أحب ما في الشاه إلى أهل البلقان أو صغار الفراريخ»[1] **واللطاع** وصفه الجاحظ قائلاً «فإن اللطاع معروف وهو الذي يلطع أصبعه ، ثم يعيدها في مرق القوم أو لبنهم أو سويقهم وما أشبه ذلك»[2] **والملغّم** وهذا يصفه بقوله : «الملغم : الذي يأخذ حروف الرغيف أو يغمز ظهر الثمرة بإبهامه ليحملا له من الزبد والسمن ، ومن اللبأ واللبن ومن البيض النيمبرشت ، أكثر»[3] **والمقوّر** يقول عنه الجاحظ «المقور الذي يقور الجراذق ويستأثر بالأوساط ويدع لأصحابه الحروف»[4] **والقطاع** ذكره الجاحظ بقوله : «والقطاع : الذي يعض على اللقمة ، فيقطع نصفها ، ثم يغمس النصف الآخر في الصباغ[5] . **والمسوّغ** يقول عنه «المسوغ : الذي يعظم اللقم فلا يزال قد غص ، ولا يزال يسيغه بالماء»[6] وشخص آخر سيئ المؤاكلة وهو **المحوّل** ، وقال عنه الجاحظ : «والمحول : هو الذي إذا رأى كثرة النوى بين يديه احتال له حتى يخلطه بنوى صاحبه»[7] . **والمحلقم** قال عنه الجاحظ : «والمحلقم : الذي يتلكم واللقمة قد بلغت حلقومه . نقول لهذا : قبيح دع الكلام إلى وقت إمكانه[8] فهو يصف المحلقم وينهاه فى نفس الوقت عن هذه الصفة الرديئة عند الأكل وصفة أخرى يذمها الجاحظ عند الإنسان ، وهو **المغربل** ويقول عنه: والمغربل يأخذ وعاء الملح ، فيديره إدارة الغربال ليجمع أبا زيره

(١) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٢٤٠ .
(٢) البخلاء ص ٧٧ .
(٣) البخلاء ص ٧٧ .
(٤) البخلاء ص ٧٧ .
(٥) البخلاء ص ٧٧ .
(٦) البخلاء ص ٧٧ .
(٧) البخلاء ص ٧٧ .
(٨) البخلاء ص ٧٧ .

يستأثره بـه دون أصحابه لا يبالي أن يدع ملـحهم بلا أبزار»[1] ثم **النشّال** وهو الذي يصفه الجاحظ بـقوله «فالنشال عنده : الذي يتناول مـن القدر ويأكل قبل النضج وقـبل أن تنزل القدر ويتـتام القوم»[2] وكذلـك يذم **الدلاّك** وهو الـذي يصفه : «بأنه لا يجيد تنقية يديه بالأشنان ويجيد دلكها بالمنديل»[3] وأكيل السوء عند الجـاحظ إنسان لا يمـكن أن يتحـمله مهمـا كانت الظـروف ومهما أجـبرته الحاجة فهو يفضل الوحدة على أكيل السوء وبهذا يقول «ومن يشك أن الوحدة خير من جليس السوء ، وأن جليس السوء خير من أكيل السوء ؟ لأن كل أكيل جليس وليس كل جليس أكيل»[4] .

لقد وقف الجاحظ طويلاً عندما وصف الشخصيات التي تناولها أبو الفاتك في حديثه عن الأشخاص الذين أطلق عليهم صفة سيئ المواكلة ، وهناك بعض الكلمات جاءت عابرة في وصفه للشـخصيات وهي تتناول الأطعمة ، ومن هذه الكلمـات التي تتكرر تـقريباً مع كل أكلـة وهي الصباغ والغـموس والأصبار - والعراق والأدام - والكامخ وغـيرها من الكلمات التي تـكون جزءاً - لا يتجزأ من الأطعمـة ونحتاج لاستعـمالها مع اللحـم والسمك والطيـور ، أي اللحوم بأصنـافها وغير الـلحوم ما عدا الحـلوى ، وقد فصـل الجاحظ هذه الكـلمات بوصفه للآكل أو للأكل ، فقد قال في **الصبّاغ** : فأهويت بلقمتي إلى الصباغ، فأهوى إليه بعضهم فنحيت يدي فنحي يده ، ثم عدت فعلاً ثم نحيت فنحى»[5] وقال أيضاً عن الصباغ والقطاع الذي يعض على اللقمة فيقطع نصفها ثم يغمس

(١) البخلاء ص ٧٦ .

(٢) البخلاء ص ٧٦ .

(٣) البخلاء ص ٧٦ .

(٤) البخلاء ص ٦٨ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٤٧٠ .

النصف الآخر في الصباغ»[1] وقال عن **الغَمُوس** الذي يحوى كل شئ ممكن أن يغمسه الإنسان بالخبز أو يأكله معه : «حلف بالغموس أنه ليس من دراهمه ولا من ماله ولا رآه قط ولا كان في ملكه»[2] وعن **العراق** قال «فأتوه يوماً بقصعة ضخمة فيها ثريدة كهيئة الصومعة فكلله بإكليل من عراق بأكثر ما يكون العراق»[3] وقال عن **الأدام** أو الإدام : «وكان يقول : الأدام أعداء للخبز ، وأعداها له المالح[4] وقال أيضاً عن الإدام» فيقول : «أبا فلان ما إدامك» ؟ قال اللحم السمين والجداء الرضيع»[5] وعن **الأَصْبَار** قال «وقال لي مرة : يا أخي إن أناساً من الناس يغمسون اللقمة إلى أصبارها في المرى ، فأقول هؤلاء قوم يحبون الملوحة ولا يعجبون بالحامض»[6] وقال عن **الكامخ** وهو التوابل وما شابه من مرق مخلوط بها» وسكرجة كامخ شبث . قال فجعل يأكل[7] . وهذا الكامخ هو ضرب من مشهيات الطعام فهو يحوي جميع أنواع التوابل وبعض الأبازير ، وهذه الكلمة الأخيرة وهى **الأَبَازِير** ومفردها أبزار تستعمل كثيراً جداً في إعداد الطبخات وفي الطبخ العباسي عامل أساسي في الأكل ولا يمكن الاستغناء عنها»[8] .

أما الأواني التي تستعمل لحفظ الطعام أو نقله أو لإعداده فقد ذكرها الجاحظ في كتاباته مثل :

---

(1) البخلاء ص ٧٧ .
(2) البخلاء ص ٨٥ .
(3) البخلاء ص ١٩٩ .
(4) البخلاء ص ٩٧ .
(5) البخلاء ص ٢٠٣ .
(6) البخلاء ص ٥٥ .
(7) الحيوان جـ٣ ص ١٩ .
(8) الحيوان جـ٣ ص ١٩ .

الآنية التي يحفظ فيها الطعام مثل البرادات التي قال فيها الجاحظ : «وتعليق الطعام على الأوتاد والبرادات»[1] والبُرَم ومفردها البُرْمَة ، وهذه تستعمل لأنواع الطعام والشراب ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «كنا في الشتاء نلقي له في البرمة شيئاً من دقيق نعمله له فكان ربما يزقه بشئ من سمن»[2] وقال في مجال كلامه عن الطعام المذموم : عن منقع البرم «والطعام المذموم عندهم ضربان من ذلك الغث والدعاع والهبيد والقرامة والقرة والعسوم ومنقع البرم والقصيد والقد والحيات»[3] **والبرنية** وهي من الفخار أو الزجاج تستعمل لحفظ الشراب واللبن وأشياء أخرى منها يقول الجاحظ: «فإذا عنده برنية زجاج، فيها عشرون عقرباً وعشرون فارة»[4] **والدَّبَّة** وهي أيضاً تستعمل لحفظ اللبن أو السمن ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «فأخذ دبة وجعل فيها حصى واتكأ عليها فإذا رأى الأعرابي قد أقبل ، أراه كأنه يحول متكأه فإذا أقعصت الدبة بالحصى نفر الفرس»[5] ومن الأدوات المساعدة للإنضاج أو لتحضير المواد الأولية للطبخ (**الأرحاء** والهاون والطابق والملة) ، وقد جاء ذكر هذه الأدوات عند الجاحظ في بخلائه قال «والله إن الأرحاء السورية ، لتكل ، وإن المنحاز الغليظ ليتعبه الدق . ولقد استبطأت لك هذه العلة»[6] ويقول عن **الهاون** : «ويدع دق الثوب والدق في الهاون والمنحاز في أرض الدار»[7] **والطابق** يذكره بقوله : «فإن أصبنا من السمك شيئاً جعله كباباً على نار الخبز تحت الطابق حتى

(1) مناقب الترك ص ٨٥ .
(2) البخلاء ص ٥١ .
(3) البخلاء ص ٢١٦ .
(4) الحيوان جـ ٥ ص ٢٤٨ .
(5) البخلاء ص ١٥٣ .
(6) البخلاء ص ١١٦ .
(7) البخلاء ص ٨٤ .

لا يحتاج من الحطب إلى كثير»[1] ، ثم **المَلَّة** وهذه الكلمة لها تفاسير كثيرة فهى إما الإناء الذي يوضع فيه الخبز كما ذكرها الأصمعي «لا يقولن أحدكم : أكلت ملة بل يقول أكلت خبزة وإنما الملة موضع الخبزة»[2] ، ويفسر هذه الكلمة العلماء عدة تفاسير فيقول الأزهري في تهذيب اللغة إنها الرماد الذي يوضع عليه الخبز لإنضاجه (أي رماد الجمر) ، وذكرها الجاحظ في الحيوان بمعنى آخر يقول «والكوا الجراد وكان يطيب عندهم حاراً وبارداً ومشوياً ومطبوخاً ومنظوماً في خيط ومحمولاً في الملة»[3] .

ومن الأوعية والأواني التي تستعمل لنقل أو حفظ الأطعمة مثل الجلة وجمعها جلال والزقاق والزق والمخرف والقفة والمعصرة وجمعها معاصر ، وكل هذه الأصناف تستعمل لغرض واحد على الأكثر وهو حفظ ونقل أو وزن التمر أي أنها تختص بالتمر بصفة مستمرة ، وقد كانت ولا تزال هذه الأوعية تستعمل لنقل التمر وخاصة **الجلال** ومفردها **جُلَّة** وهى أوعية تتخذ من الخوص، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «دخلت عليه يوماً : وإذا عنده جلة تمر» وقال : «أما التمر فكانوا يضعونه في الجلال وهى أوعية تتخذ من الخوص»[4] وذكر **الزِّقَاق** قائلاً «فأتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس[5] والزقاق من الممكن أن يستعمل للتمر ومشتقاته والمخرف ذكره» وقد كنا نعجب من حرب البسوس في جزع ناب ومن حرب بعاث في مخرف تمر»[6] أما **القُفَّة** فقد ذكرها في هذا المجال قائلاً «ثم فتل منه حبلاً ثم عمل منه كهيئة قفة ثم جعله مدلي بذلك الحبل»[7] .

(١) البخلاء ص ١٢٩ .

(٢) البخلاء ص ٢١٥ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٤٥٦ .

(٤) البخلاء ص ١١٣ ص ١٢٠ .

(٥) البخلاء ص ٦٢ .

(٦) في الجد والهزل ص ٢٤١ .

(٧) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٦ .

والمعاصر ومفردها **معصرة** ذكرها قائلاً «وإنما تلك المعاصر بين ثمرة ورطبة ودبس وتجير ثم لا نكاد نرى في تلك الظلال والمعاصر في انتصاف النهار وفي وقت الذبان الكن ، إلا دون ما تراه في المنزل الموصوف بقلة الذبان»(١) ويقول أيضاً عن المعصرة «وهو ذلك التمر وتلك المعصرة»(٢) .

ومن الأوعية التي تستخدم لشراء حوائج الطبخ ، وقد وردت في كتابات الجاحظ . قال الجاحظ يصف أحد الحيوانات وهو يقوم بشراء ما يحتاجه صاحبه من مواد غذائية : وتعلق في رقبته **الزَّنْبَلَة والدَّوْخَلَة** وتوضع فيها رقعة، ثم يمضي إلى البقال ويجئ بالحوائج»(٣) فالدوخلة والزنبلة هى من الأوعية التي تستعمل آنذاك لنقل الحوائج من أماكنها إلى البيوت ، وهناك مواد خاصة تستعمل في غسل وتنظيف اليدين مما علق بها من أوساخ من مخلفات الأطعمة وهى **الصابون والأشْنَان** وإن كان مجال هذه المواد الحياة العلمية لكنه لا يمنع أن أذكرها في مجال الأطعمة إد كيف التخلص من الأوساخ والدهون والعرق العالق بالأيدي ، وقد ذكر الجاحظ هذه المواد بقوله «فإن وليت ذلك الخادم أسود ثوبها وغرمنا ثمن الأشنان والصابون»(٤) ومن هذا نرى أنهم كانوا قد عرفوا في دورهم كيف يستخدمون الأشنان والصابون .

الأشربة :

كان للأشربة مكانة خاصة في مجالس اللهو والمجون في عصر الحاضرة العباسية وأصبح الولوع بشرب الخمر والإدمان عليه ظاهرة عامة على الرغم من نهى القرآن عنها وحثه على اجتنابها ، وقد أدى انتشار الخمور وإقبال الناس

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٤ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٥

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ١٧٩ .

(٤) البخلاء ص ٦٣ .

عليها إلى اجتهاد بعض الفقهاء لتحليل أنواع معينة من الأنبذة كنبيذ التمر ، والزبيب المطبوخ طبخا جيداً ونبيذ العسل ، ويتساءل الجاحظ فيقول : في رسالته الشهيرة عن الشارب - والمشروب وسألت عمن شرب الأنبذة أو كرهها من الأوائل ، وما جرى بينهم فيها من الأجوبة والمسائل ، وما كانوا عليه فيها من الآراء وتثبتوا فيها من الأهواء ، ولدى سبب تضادت فيها الآثار واختلفت فيها الأخبار[1] ، ويحدثنا الجاحظ في رسالته هذه عن تحليل النبيذ دون الخمر ، ويقول في الرد على من ينكر تحليل الأنبذة : وما ينكر ما خالفنا في تحليل الأنبذة من إقراره بأن الأشربة المسكرة لم تزل معروفة بأسمائها وأجناسها وبلدانها وأن الله تعالى قصد للخمر من بين جميعها فحرمها وترك سائر الأشربة طلقاً»[2] .

١ - أنواع الانبذة والخمور :

ذكر الجاحظ طائفة من أسماء **الأنْبِذَة** كان يتعاطاها الناس في عصره ، وقد ضمنتها رسالته الشارب والمشروب فقال : وما يكره من نبيذ الأوعية ، وسألت عن نبيذ العسل والمقرطبات ، وعن رزين سوق الأهواز ، وعن نبيذ أبي يوسف»[3] والجمهور والمعلق والمسحوم ، والحلو وترشي شيرين ، ونبيذ المشمش والتين ، ونبيذ عسل مصر ، **والدوشاب** البستاني ، ويتخذ من الرطب الجني بالحب الرتيلي وأنبذة التمر ونبيذ الجوز ونبيذ الجزر ونبيذ الزبيب الحمضي والعسل الماذي»[4] .

(١) رسالة الشارب والمشروب هامش المبرد حـ ١ ص ٩٨

(٢) رسالة الشارب والمشروب ص ٢٨٢ طبعة السندوبي .

(٣) رسالة الشارب والمشروب ص ٢٨٢ قد يكون المقصود النبيذ الذي أباحه أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة والمعروف أن أبا حنيفة أحل شرب النبيذ .

(٤) الشارب والمشروب ص ٢٨١ طبعة السندوبي .

ومن أنواع الخمور التي عددها الجاحظ في رسالته الشارب والمشروب مثل الغربي والمروق والفضيخ ، ألذ المشروبات في زمانها ، وأنفع المأخذوات في أبانها»[1] . يصفه الجاحظ وهو نوع من أنواع الخمور المنتشرة في عصره يقول: هذا الدوشاب دسيس من الحرفة وكيد من الشيطان وخدعة من الحسود ، وهو الحلاوة التي تعقب المرارة»[2] وأجود الخمور في ذلك العصر ما كان لونها ذهبياً وأن تكون في حمرتها أحسن من حمرة اللون ومن لون دم الغزال ، وفي مثل هذا المعنى يقول : قال : لو وجدت خمراً زيتية ذهبية أصفى من عين الديك ، وعين الغراب ، ولعاب الجندب وماء المفاصل ، وأحسن حمرة من النار ، ومن نجيع غزال ، ومن قوة الصباغ»[3] ووصف الجاحظ أنواع الخمور وصفاً دقيقاً ، فقد ذكر شراب **الغربي** بقوله : «وأنا أول من شرب الغربي حاراً والبزيل بارداً»[4] فالغربي والبزيل الخمور المفضلة عندهم ثم **الدّاذي** وهو نوع من الخل يخلطونه بالسكر ، وقد ذكر هذا النبيذ في البخلاء قائلاً «يشربون الداذي والسكر ، ويحبسون الحمالين بالكراء؟[5] . وقال أيضاً عن **الداذي** : «لأن خل الداذي يخضب اللحم ويغير الطعم»[6] وشراب الداذي ذكر في الحيوان بقوله: ولهم صب الزردج ، واستخراج النشاستج ، وتعليق الخيش، واتخاذ الجمازات ، وعمل الحراقات ، واستخراج الداذي وعمل الدبابات»[7] ، وقد فسر الفيروز ابا دي هذه الكلمة بقوله إنه شراب للفساق . وهناك أنواع أخرى من الأشربة ورد ذكرها عند الجاحظ مثل **الجُلّاب والسَّكَنْجِبين** والبنفسج

(١) الشارب والمشروب ص ٢٨٥

(٢) البخلاء ص ٦٤ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ٣٣٨ .

(٤) البخلاء ص ٥٠ .

(٥) البخلاء ص ١٢٦ .

(٦) البخلاء ص ٦٣

(٧) الحيوان جـ ١ ص ٨٢ .

قائلاً : «قال : وفي الماء أن أطيب شراب عمل وركب مثل السكنجبين والجلاب والبنفسج وغير ذلك مما يشرب من الأشربة»[1] وعن نوع آخر هو ماء الحب، وقد قال عنه الجاحظ : أولاً والله إن هى إلا كسيرات يابسة وملح وماء الحب»[2] .

٢ - المواد التي تقدم مع الأشربة :

هناك مواد كثيرة كانت توضع على موائد الشراب من أجل التبريد أو الأكل كالنقل والريحان فجميع الأشربة يصلحها **الثلج** وقد جاء ذكره عند الجاحظ حين قال «والثلج يؤكل ويشرب ويقضم قضما ، ويمزج بالأشربة ويدفن فيه الماء وكثير من الفواكه»[3] وقال : يذكر الثلج «وأقاموا وظائف الثلج والريحان ، واتخذوا القيان»[4] وكلمة أخرى استعملها للخلط بالأشربة وهو **اليخ** ، وهذه الكلمة هى بنفس معنى الثلج إلا أنه من الأصل الفارسي بلا تغيير ، فاليخ هو الثلج وقد ذكره الجاحظ في الحيوان بقوله «لأن اليخ بخراسان يكبس في الأزاج ويحال بينه وبين الريح والهواء والشمس بأحكم ما يقدرون عليه وأوثق»[5] وقال أيضاً «الذي يكبس فيه اليخ بخراسان ، كيف يستحيل كله ضفادع»[6] ومن مظاهر الترف في عصر الحضارة العباسية أنهم كانوا ينشرون الرياحين في قاعة الشراب ، وهذه توضع مع الأشربة . ولابد لتعاطي الخمور أو النبيذ من إحضارها مع الشراب وهى **النقل والريحان** .

(١) الحيوان جـ ٥ ص ١٤٦ .

(٢) البخلاء ص ١٢١

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٦٨ .

(٤) البخلاء ص ٢٠٥ .

(٥) الحيوان جـ ٥ ص ٥٢٦ .

(٦) الحيوان جـ ٣ ص ٣٧٣ .

٤ - الأشربة ومناسباتها ومن يقدمها :

لقد كان لمشاربهم مـجالس تغنى بها الشعراء وتفننوا فـي وصفها ، ويحدثنا الجاحظ عـن أحوال أصحاب هـذه المجالس العـابثة ، وكان يـنظر إلى شـاربي الخمر بعين العبث والتساهل ، حتـى إذا دعى لمجلس شراب لم يسكر بل يقف من الشـرب موقف المراقب ، يـقول : «فإن من الـناس من تراه يتـحدث وهو يشرب ، فلا تذكر منه شيئاً حتى يغلـب عليه نوم السكر ضربة واحدة ، ومنهم من تراه والنبيذ يأخذ منه الأول فالأول ، وتراه كـيف تثقل حركته ويغلظ حسه ويتمحق ، حتـى يطيش عليه السكر بالـعبث ، ومنهم من يعتريه الـبكاء ومنهم من يعتريه الضحـك ومنهم من يعتريه الملق والنفدية ، والتـسليم على المجالس والتقبيل لرؤوس الناس»[١] أما البخلاء فالـسكر عندهم قد يقضي بـبعضهم إلى الإقدام على أعمال غريـبة ، قد لا يقدم عليها في حالة الصحـو كشق القميص من الطرب أو إكساء صديق قميصاً»[٢] .

ويحـدثنا الجاحـظ عمن يقـوم بالخدمة ويـبيع هذه الأشـربة ، فقد كـانوا يستـحلون أن يكـون بائعها عـلى غير الإسلام مـن مجوس ويهـود ونصارى ، وهناك مـواصفات أخرى في بـائع الخمر يعددهـا الجاحظ في الحيـوان قائلا : «وأعجب مـن هذا أني لا أنتفـع بشربها حـتى يكون بائـعها على غـير الإسلام ويكون شيخاً لا يفصـح العربية ، ويكون قميصه متقطـعاً بالقار ، وأعجب من هذا أن الذي لابد منه أن يكون اسمه إن كان مجوسياً شهريار ، ومازيار ، وما أشبه ذلـك مثل أدير وأردان ويـازان فإن كان يهوديـاً فاسمه مـانشا ، **وأشلوما** وأشباه ذلك . وإن كان نصرانياً فاسمه يوشع وشمعون وأشباه ذلك»[٣] .

(١) الحيوان جـ ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) البخلاء ص ٣٠ - ١٠٧ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ٣٣٩

ومن عاداتهم في الشرب أنهم لا يشربون على الأكل إلا بعد أن يشبعوا خدمهم ومن يقوم على خدمتهم في تقديم الأشربة خشية الحسد والنفس للذي في عيون الخدم من الشره ، وعلى هذا فقد وصفهم الجاحظ بقوله : «ولذلك كانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والأشربة على رؤوسهم وهم يأكلون مخافة النفس والعين . وكانوا يأمرون بإشباعهم قبل أن يأكلوا»[1] **والنقل** يكون حسب الحالة المالية للشارب فإما يكون النقل الهش - **والسفرجل** وإما يكون الأقط والمقل وتنوم ، وهذه تستعمل عند الفئات العامة أو الفئات الدنيا أما الأغنياء فيصف لنا الجاحظ نقلهم فيقول : وأخبرني رجل من ثقيف من أصحاب النبيذ أنهم ربما فلقوا السفرجلة أيام السفرجل للنقل والأكل»[2] ويقول أيضاً «والنقل الهش والريحان القض عند من لا يفيض ماله ولا تنقطع مادته»[3] ويقول في النقل للطبقات الميسورة» قال فإذا صرت إلى تحويل النبيذ فحول أيضاً ما يصلح للنبيذ ، قال ليس يمنعني من ذلك ومن إحضار النقل والريحان إلا لأني أحسب لك هذه الزورة بدعوة»[4] . أما الفئات الفقيرة فهى تستعمل الأنواع الرخيصة في النقل مثل الأقط والمقل والتنوم ، قال الجاحظ يصف هذا : «ثم دعا بنقل فإذا بأقط ومقل وتنوم»[5] . وكانت الأنبذة تحفظ في أوعية خاصة بها مثل **العُسّ**، وهو وعاء من خشب يستعمل لحفظ النبيذ والماء وغيرها من السوائل ولكن استعماله للنبيذ على الأكثر . وقد ذكر الجاحظ هذا العس قائلاً : ثم دعى بالنبيذ ، فإذا هو في عس خشب ، وإذا عس نبيذ تمر[6] ، وذكر العس لحفظ الماء قائلاً «وما تقوله في عس الماء : كيف اشتد صوته بلا باب» .

(١) الحيوان جـ ٢ ص ١٣٢ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣٤٨ .

(٣) البخلاء ص ٦٣ .

(٤) البخلاء ص ٢١١ .

(٥) كتاب البغال ص ٣٦٥ .

(٦) كتاب البغال ص ٣٦٥ .

٥ - الأوعية والأواني المستعملة للأشربة :

مع الخمور والأنبذة كانوا يستعملون الجرار والسقاء والمزفت والحنتم والدباء أما الماء وكيف كانوا يعدونه في بيوتـهم آنذاك فكانت لهم طرق خاصة ، لقد عرفوا في بـيوتهم كيف يـرشحون ماءهم في الجـرار الراشحة وكيف يـبردونها صيفـاً في المزملات ويـضعونه في الحـبب ، وكان لديهـم الخدم الذين يـعنون بتصفية الماء وتبريده وتزميله وعـرفوا وظائف الثلج والريحان في دورهم ، وقد وردت في كـتب الجاحـظ مجمـوعة كـبيرة مـن هذه الآنيـة والأدوات والجرار الراشحة والحب والحبـبة والمزملات والمزملة والشرابة ، والـكوز ، والقنفل ، والكبرة ، والقربـة والعفاص ثم الأزج . وذكر **الجرار** بقوله «وإذا كثـر العيال والزوار والضيفان احتيج من صب الماء واتـخاذ الحبة القاطرة والجرار الراشحة إلى أضعاف ما كانوا عليه»[١] . ذكر **الحُبّ** وجمعها حبب والحبـبة بقوله «فلما دخل فرأى حباً مقطوع الـرأس ، وجرة مكسورة العروة»[٢] ، وقال في الحب أيضاً «وإن أنا جعلته نبيذاً احتجت إلى كراء القدور وإلى شراء الحب وإلى شراء الماء»[٣] ، **والحُبَب** والحببة ذكرها الجاحظ في البخلاء أيضاً بقوله «وعرفوا كيف يرشـحون ماءهـم في الجـرار الراشحـة وكيف يـبردونهـا صيـفاً في المـزملات ويضعونه في الحبب»[٤] وعن الحبـبة ذكرتهـا في نص سابـق في اتخاذ الحـببة القاطرة»[٥] أما **المُزَمَّلات** ومفردها **مُزَمَّلَة** ، والعمليـة نفسها التي يطلـق عليها الجاحظ تزميل فقـد قال عن المزملة «بلغني أن عندك مزمـلة ، ويومنا يوم حار

(١) البخلاء ص ٨٣ .

(٢) البخلاء ص ٢٠٥ .

(٣) البخلاء ص ٦٣ .

(٤) البخلاء ص ١١٣ .

(٥) البخلاء ص ٨٣ .

فابعث إلى بشربة منها»[1] ويذكر المزملات في عبارات كثيرة عندما يتكلم عن **الجِرَار** أو الحب فيقول : يرشحون ماءهم في الجرار الراشحة وكيف يبردونها صيفاً في المزملات»[2] ، والعملية نفسها يصف من يقوم بها وهم الخدم فيقول «وكان لديهم الخدم في الدور يعنون بتصفية الماء وتبريده وتزميله»[3] ثم أواني وأدوات أخرى للماء وغيره من مواد الشرب مثل الشرابة ، وقد فسرها في مفاتيح العلوم بسارقة الماء ، وذكر الجاحظ بقوله : «ويدل على ذلك اجتذاب الهواء للماء وملا بسته له ، عند مص الإنسان بفيه فم الشرابة ولذلك سرى الماء وجرى في جوف قصب الخيزران إذا وضعت طرفه في الماء»[4] ثم **الكُوز** وهذه كلمة متداولة ، وقد ذكرها الجاحظ في بخلائه قائلاً : «جاءت جارية أمة ومعها كوز فارغ ، فقالت : قالت أمك : بلغني أن عندك مزملة ، ويومنا يوم حار فابعث إلى بشربة منها في هذا الكوز»[5] وآنية أخرى للشرب وهى **الكَبَرة**، وقد ذكرها الجاحظ بقوله «وأنا أول من شرب الغربى حاراً والبزيل بارداً وأول من شرب بالعراق بالكبرة»[6] ومن الأدوات التي تتبع عملية الشرب والأشربة كلمة **الأَزَج** وهو بيت يبنى طولاً ويستعمل لحفظ الثلج ، ويقال له بالفارسية أوستان ، وقد شرح الجاحظ عملية صنع الثلج وحفظه بقوله : «لأن اليخ بخراسان يكبس في الآزاج ويحال بينه وبين الريح والهواء والشمس بأحكم ما يقدرون عليه وأوثقه»[7] وذكر الأزج أيضاً في الحيوان بقوله «وقد نجد الأزج

(١) البخلاء ص ١١٣ .

(٢) البخلاء ص ٨٣ .

(٣) البخلاء ص ٣٦ .

(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٩٠ .

(٥) البخلاء ص ١١٣ .

(٦) البخلاء ص ٥٠ .

(٧) الحيوان جـ ٥ ص ٥٢٦ .

الذي يكبس فيه اليخ بخراسان»[1] ثم كلمة **العِفَاص** التي يغطي بها رأس القارورة وتكون من جلد أو خرقة ، وتستعمل أيضاً لحفظ زاد الراعي ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «ثم الاحتيال للناس في الاحتيال لها بالعمامة والعفاص والمزدجر وتعليق الطعام على الأوتاد والبرادات»[2] .

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٣٧١ .

(٢) مناقب الترك ص ٨٥ .

خامساً: الألفاظ الخاصة بالعادات

إن العادات الاجتماعية دعامة من دعائم المجتمع ، وهناك عادات وتقاليد متبعة بين طوائف المجتمع ويؤمن أفراد كل طائفة بتقاليد وعادات تتحكم في سلوكهم الاجتماعي . ومن هذه النافذة نطل على المجتمع العباسي في عصر ازدهار الحضارة العباسية . وقد نثر الجاحظ في كتاباته وقائع وحوادث تصور لنا بعض هذه التقاليد العباسية الوافدة منها والأصيلة المتوارثة بين أفراد المجتمع العباسي ، ومن هذه التقاليد والعادات التي كانت مرعية آنذاك .

١ - عادات ومناسبات احتفالية :

من المناسبات السعيدة التي كانت تحتل جانباً كبيراً من الحياة في العصر العباسي عصر الحضارة والرقي تقاليد الزواج والختان ، وقد حدثنا الجاحظ عن السنن المتبعة عندهم في زواجهم وختانهم لأولادهم وحفلات الولادة . ويذكر الجاحظ أن سنة الختان في العرب في النساء والرجال وأنهم كانوا يرون في ختان النساء صوناً لعفافهن»[١] . ومن مناسباتهم السعيدة التي يقام فيها الاحتفالات عيد النوروز ، وكان يقدم في هذا العيد ألوان معينة من الطعام والشراب، وذكر لنا الجاحظ بعض ما يقدم في **النَّيْرُوز** ، قال «وأهدت إليه في النيروز تكة وسكراً»[٢] وقد سميت على اسم هذا العيد بعض أنواع الفاكهة ، مثل قول الجاحظ «رأيت رجلين بالبصرة على باب مويس بن عمران تنازعا في العنب **النيروزي** والرازقي»[٣] وهناك احتفال آخر هو **المهرجان** ، وأيضاً هذا له عادات متبعة للاحتفال والتهادي في هذا اليوم مثل قول الجاحظ «وأهدت

(١) الحيوان جـ ٧ ص ٢٧ .

(٢) كتاب القيان ص ١٧٣

(٣) الحيوان جـ ٧ ص ٨ .

إليه في النيروز تكة وسكراً ، وفي المهرجان خاتماً وتفاحة»[1] .

ومن تقاليدهم في المآتم أن النساء يمسكن بالمآلى أثناء **المَنَاحَات** ، وفيها قال الجاحظ : «وعلى ذلك المعنى أشار النساء بالمآلى وهن قيام في المناحات» ، وهذه من التقاليد الجديدة على المجتمع الإسلامي . إذ أن المآلي خرقة تمسكها المرأة عند النوح ، وهذه لم تكن معروفة قديماً واستحدثت مع ما استحدث من عادات دخيلة .

وهناك مناسبات أخرى تلتزم بها الجماعة اتجاه الفرد من مثل دفع الدية ، وهى التي يدعونها بالجمالة ، وهذه المناسبة تدعي سل السخيمة ، وذكروا أيضاً الإتاوة والأربان والخرج ، وهى كلها بمعنى واحد كما سيوضحها الجاحظ بنصوصه ، ومن يتحمل هذه الدية هم العاقلة ، وهناك مقابل العمل بالجعائل ومفردها جعالة ، وما يؤدي في الديات من الإبل وأعدادها هو الهجنة أو **اللطِيمَة** ، كل هذه الألفاظ جاءت في نصوص للجاحظ ومبين فيها كيف كانت تؤدي هذه الأمور وعن عادات القبائل والتزامها بأفراد قبيلتها حتى بعد أن جرفتها تيارات الحضارة العباسية ، فالعاقلة لا تزال تلتزم بواجباتها تجاه من ينتمون إليها ، وقد ذكر الجاحظ **العاقلة** بقوله «لأنهم عرب في المدعى والعاقلة[2] ، ووضح انتماء الأفراد لها بقوله «والمولى عربي من جهة المدعي والعاقلة»[3] . وقد ذكر لنا الجاحظ الدية ومصطلحاتها الثلاثة **الإتاوة والأَرْبَان والخَرْج** قائلاً : «والإتاوة والأربان والخرج كله شئ واحد»[4] وكانت تدعي هذه المناسبة التي يؤدي بها هذا العمل بالحمالة ، وكانت لها خطبة خاصة بها ،

---

١٤) كتاب القيان ص ١٧٣ .

(٢) مناقب الترك ص ١٢ .

(٣) مناقب الترك ص ٣١ .

(٤) الحيوان جـ ٦ ص ١٤٨ - انظر فخر السودان على البيضان ص ١٨٧ .

وقد فصل الجاحظ ذلك بقوله «واستعمال المنثور في خطب الحمالة وفي مقامات الصلح وسل السخمة»[1] أما ما يدفع في هذه المناسبة أحياناً يكون من العير وأحياناً من الماشية ، وقد خصصت كلمات معينة تدل على مقدار معين من الإبل **الهجمة** ، ذكرها الجاحظ بقوله : «سرور صاحب الهجمة ممن يقولون كلأ ينجع به كبد المصرم»[2] وهذه الهجمة تقدر ما بين السبعين والمائة من الإبل - أو أنها أربعون إلى ما زادت فهي هجمة من الإبل . وكلمة أخرى تدعي باللطيمة وهى العير المحملة بالمسك والعطر ، وقد ذكرها الجاحظ قائلاً : «وتسمى العير لطيمة ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العطر إلا واحد»[3] أما ما يجازى به المرء في عمله فهم يدعونه بالجعائل ومفردها **جعالة** ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله «وكيف تسخو أنفسهم بالجعالة الرفيعة»[4] وقال عن **الجعائل** «وأن تجعل في دمي الجعائل»[5] . وذكر كلمة **المثلات** وهى العقوبة والتنكيل قال : «والعلم بالمراتب والعبر والمثلات»[6] ، وكان بعض أكابر القوم والعظماء منهم وأهل الجاه والوجاهة إذا أرادوا أن يدعوا بعض من يجري مجراهم في سلطان أو أدب إلى مأدبة أو ندام أو خروج إلى منتزه أو بعض ما يشبه ذلك من الدعوات أن يجعلوا دعواتهم هذه مكتوبة لأن كتاباً في ذلك أحسن وقعا وألطف في النفوس ، وهذا من أصول اللياقة والضيافة الحديثة التي وردت بعض أصولها مع ما ورد من مظاهر حضارية في ذلك العصر ، إذ أن مسألة الضيافة وعادات وآداب المائدة من المسائل البارزة التي تظهر فيها طبيعة الحضارة الإسلامية ، وفي تصوير الجاحظ للبخيل نستطيع أن نتبين خليطاً من العادات

(١) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٦ .

(٢) البرصان ص ١٨٣ .

(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٧٦ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢١٤ .

(٥) في الجد والهزل ص ٢٦٧ .

(٦) البيان جـ ٣ ص ١٤ .

والتقاليد العربية القديمة مع المبادئ الإسلامية والعادات الفارسية التي تأثر بها المجتمع أيضاً . ومن الكلمات الوافدة إلى المجتمع العباسي الزمزمة وهى الدعاء على المائدة والنفج والنفاج والرعة واللظة والعيوق والنكس ، كل هذه الكلمات وردت عند الجاحظ في مجال آداب المؤاكلة ، فهو يتهم الإنسان بالنفج والبخل لأن الخبز الذي على مائدته بعدد الآكلين ، وقد كان محمد بن المؤمل وهو أحد الشخصيات الواردة في البخلاء والجاحظ يلومه على قلة خبزه، فهو يقول له : «فالناس يبخلون من قل عدد خبزه ورأوا أرض خوانه»[1] ومن الأسباب التي أصبحت دالة على الترف والسخاء أن يقدم المضيف ألواناً متعددة من الأطعمة إلى الضيوف ، لذلك فإن الذين حاولوا أن يحافظوا على الطريقة التقليدية في الضيافة لم يفلحوا ونعتوا بأنهم بخلاء .

وكان الجاحظ يصف البخيل الشديد البخل بالنفاج ، وقد تكررت هذه الكلمة عند الجاحظ في أماكن كثيرة ، فمرة يصف من يقصر على نفسه بلبسه نفاجاً ، وأيضاً من يقصر على أهله وقد عد **النفج** من الصفات الرذيلة المذمومة، فنراه يصف أحد شخصياته في البخلاء قائلاً : كان أحمد بن الخاركي بخيلاً وكان نفاجاً وهذا أغيظ ما يكون وكان يتخذ لكل جبة أربعة أزرار ليرى الناس أن عليه جبتين ، ويشتري الأعذاق والعراجين والسعف والكلاء ، فإذا جاء به الحمال إلى بابه تركه ساعة يوهم الناس أن له من الأرضين ما يحتمل أن يكون ذلك كله منه»[2] . فهنا نرى أن **النَّفَّاج** هو البخيل بذكاء . وقال يذم صفة النفج ويتساءل «بل أنتم الذين سميتم السرف جوداً والنفج أريحية ، وسوء نظر المرء لنفسه ولعقبه كرماً»[3] وقال يصف أحد بخلائه

(١) البخلاء ص ٨٢ .

(٢) البخلاء ص ١٢٥ - انظر في نفس التشبيه ص ٣٨٦ .

(٣) البخلاء ص ٩١ .

بأنه «كان مفرط البخل شديد النفج»[1] . ومع ذمه للبخل إلا أنه كان يحذر من الإسراف في الأكل فنراه يقول : «احذر سرعة الكظة وسرف البطنة»[2] ، فكلمة **كَظَّة** التي هى الإسراف في الأكل نراها ترد كثيراً عند بخلائه ، ومرة أخرى يذم أحد شخصيات بخلائه ، وهو على الأسواري يلومه ويصفه بالصفات الذميمة لرعته يقول : والله إني لو لم أشرك مؤاكلة الناس وإطعامهم إلا - لسوء رعة على الأسواري لتركته» وكانت إحدى العادات المذمومة في المؤاكلة **الزَمْزَمَة** ، ويصفها لنا الجاحظ بقوله : «ولزموا عند الطعام السكتة وتركوا الحوض واختاروا الزمزمة»[3] ويتساءل في التربيع والتدوير عن تأويل الزمزمة قائلاً : «وخبرني ما تأويل الزمزمة وما فعل المال الذي من أخذ منه ندم»[5] ولكنه في البيان والتبيين يوضح لنا هذه الكلمة بصورة أدق فيقول : «أن يصور كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوس إذا ترك الإفصاح عن معانيه»[6] ومما تقدم يتبين أن معنى الكلمة هو الصوت الذي لا يستعمل فيه اللسان ولا الشفة ، وقد جاء شرحها في اللسان مادة زمم صوت لا يستعملون فيه اللسان ولا الشفة ، وإنما يديرونه في حلوقهم فيفهم بعضهم عن بعض ، وإنما يستعمله المجوس عند تناول الطعام أو حين الاغتسال»[7] .

ويصف الجاحظ عادات قومه ومفاهيمهم آنذاك سواء في التصرف الاجتماعي أو في سلوك المؤاكلة بصورة خاصة بلسان أبي الفاتك قاضي

---

(١) البحلاء ص ١٩٥ .
(٢) البخلاء ص ١٠٩ انظر ص ١٠٠ .
(٣) البخلاء ص ٧٩ .
(٤) البخلاء ص ٦٨ .
(٥) التربيع والتدوير ص ٧٨ .
(٦) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٤ وانظر البيان جـ ٣ ص ١٣ .
(٧) اللسان جـ ٢ ص ٤٨ .

الفتيان، كما يسـميه الجاحظ ، وأبو الفاتك هذا يوجه الفتيـان توجيهات طريفة في أصول المؤاكلة والمـائدة ، وقد أوردها الجاحظ على لسانـه في البخلاء ومن ثم اخذ الجاحظ يفسر لنا ما أورده أبو الفاتك وفي باب الأطعمة وردت الصفات التى ذمها أبو الفاتك في سلوك المؤاكـلة . أما الشرب فكان يفضل على الأكل إلا أنه لا يليق بالمضيف أن يطلبه لـضيفه ، ومن شروط الشراب أن يكون على الريق وألا يعد من لم يشربه علـى الريق من الأدعياء على الشراب ، وقد أورد الجاحظ هذا النص فـي بخلائه قائلاً : «ومن لم يشرب على الـريق فهو نكس في الفتوة ودعى في أصحاب النبيذ»[1] ، فكلمة **نِكْس** جاءت هنا لتوضح حالة تختلف باختلاف طبيعة الناس في تلك الفترة أما كلمة **العيوق** وهى أيضاً تتعلق بالشراب ذكرها الجاحظ قائلاً «وحـسن شرابك وإن كان فوق العيوق[2] ، هذه بعض العـادات في آداب وتقاليد المؤاكـلة والشراب ، وكانت مظـاهر الحضارة العبـاسية واضحـة في حياة الـترف إذ أن الطعـام لا يؤكل لأجل إرضـاء حاجة طبيعية فقط بل قد يقدم أو يؤكل كمظهر من مظاهر الترف والتسلية وكمظهر من مظاهر المباهاة الاجتماعية .

٢ - عادات الضيافة :

الضيافة عند العرب لها ظروفها وقواعدها ، كما أن لها مؤهلاتها التي يجب أن تراعى من قبل المضيف ، كما تراعى من قبل الضيف نفسه ، فالإنسان الذي يدركه الليل وهو منقطع عن أهله ، يـتوقع أن يلقى صدراً رحباً في ضيافة من يعرفه أو حـتى من لا يعرفه وأن يقدم المـضيف له أحسن ما عـنده ، والجاحظ يظهر نقيض ذلك تماماً في إحدى شخصيات بخلائه ، فهو يصف لنا قصة رجل اسمـه جبل طـرق باب أحد أصـدقائه ، وكـان الوقت لـيلاً وخاف أن يـدركه

(١) البخلاء ص ١٠٠ .

(٢) التربيع والتدوير ص ٧١ .

الطائف فطلب منه أن يدعـه يغفى في دهليز داره ريثماً يطـل الصباح ، ولكن ذاك بدل أن يدعه يدخل ويكرمه - يقـول الجاحظ : فتساكر أبو مازن وأراه أن وجومه إنما كـان بسبب السكر ، فخـلع جوارحه وخبل لسانـه وقال : سكران والله أنا والله سكران[١] . ومن هذا النص يتبين لنا أنهم كانوا يخافون الطائف الذي يتـخيلون وجـوده وكذلك **الغول** والعفـريت **والمارد** والغيلان والـهاتف والسعاية ، وقد جاءتنا نصوص في كتب الجاحظ تثبت ذلك مثل قوله : فالغول اسم لكل شئ من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والثياب ذكراً كان أو أنثى»[٢] ثم يذكر **الغيلان** بقوله «وتحرك الأوجاع وظـهور الغيلان هذه كلها بالليل»[٣] ثم ذكر بقـية الأنواع بقوله «ولـم وقع عليه إذا اسم شـيطان ، ومارد ، وعفريـت وأشباه ذلك»[٤] ؟ وقال عن **الهاتف** : «وتزوجت السعلاة وجاوبت الهاتف»[٥] ، **والسعلاة** هذه كانت تتكرر في كـلام العرب دائماً كقول الجاحظ : «والسعلاة اسم الواحدة من نسـاء الجن تتغول لتفتن السفار»[٦] . ثم هنـاك نوع من الشـخصيـات التي يعـتقدون أنهـم يرونهـا في أسفارهـم وهى **الجن**»[٧] والـشق ، وقـد ورد ذكرهـا في الحـيـوان كثـيراً» قـال الجاحـظ : «واصطدت الـشق وجاوبت الـنسناس وقال : «وبـعض الناس يـزعم أن الجن والجن صنفان مختلفان»[٨] .

(١) (ينظر البخلاء ص ٨٩) البرصان ص ٢٦ .
(٢) الحيوان جـ ٦ ص ١٥٨ .
(٣) فخر السودان على البيضان ص ٢٠٦ .
(٤) الحيوان جـ ٦ ص ٢٧٢ .
(٥) البخلاء ص ٤٧ .
(٦) الحيوان جـ ٦ ص ١٥٩ .
(٧) الحيوان جـ ١ ص ٢٩١ .
(٨) البخلاء ص ٤٧

٣ - عادات ومعتقدات شعبية :

كانت المعتقدات الشعبية في عصر ازدهار الحضارة العباسية تشكل جانباً كبيراً من عاداتهم ، مثل تحريم بعض الأعمال لارتباطها في أذهان العامة بقوى مؤثرة في طبيعة الحوادث ، ولهذا نراهم يعتقدون بالسحر والتنجيم والرئى والعرافة ومخاريق العراف والزجر والتجمير والطرق والنيرجات ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأصناف من المعتقدات في مجالات كثيرة نذكر منها ما أورده في البخلاء عن **الرَّئي** وهو نوع من الجن الذي يصيب الإنسان كما كان يعتقد قال : «واصطدمت الشق وجاوبت النسناس وصحبني الرئى وعرفت خدع الكاهن وتدسيس العراف»[1] وقال أيضاً : وتهاويل الحاوي ، ولا ما ينتحلها صاحب الرئى»[2] وعلى ذكر العرافة والعراف فهو يذكر المخاريق قائلاً «هذا والله التدبير لا مخاريق العراف» ، ويذكر **الزَّجر** والعراف بقوله : «وعرفت التنجيم والزجر والطرق والفكر»[3] ويذكر الجاحظ **التجمير** بقوله :«ونحن نجمع بين النزاهة والقناعة والصبر على الخدمة والتجمير عند بعد الشقة»[4] أما **النَّيْرَنْجَات** وهى نوع من السحر ، فيذكرها الجاحظ قائلاً «وكان يلتمس تعلم الحيل والنيرنجات»[5] ثم نراه يتساءل عن النيرنجات في رسالته التربيع والتدوير قائلاً : «وخبرني ما النيرنجات؟ وما البارباى وما الكرويات وما الخواتيم وما المنادل والسعي والأمر الذي كان في خاتم سليمان وما القتل ؟ وما التوجيه»[6] ؟ .

---

(١) البخلاء ص ٤٧ .

(٢) في الجد والهزل ص ٢٥٧ .

(٣) البخلاء ص ٤٧ وانظر كتاب البغال ص ٣٧٠ .

(٤) مناقب الترك ص ١٩ .

(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٣٧٠ .

(٦) التربيع والتدوير ص ٧٨

وكان يتقـي هذه الأنواع التي ذكرناها مـن أنواع السحر والمعتـقدات بقوى مؤثرة في الطبيعـة بانقياد العامة إلى أمور تقيهم مـن السحر والأذى وتحقق لهم رغباتهم ، وهذه الأمور التي التجأوا إليها هي (الحرز والطلسم واللطف وأنواع التعـاويذ والهامـة والرقي والنشـرة والبخور والدخـنة والتدخـين) هذه الأنواع ذكرها الجاحـظ في أماكن متفـرقة من كتاباتـه ، ونذكر منها مـا ذكر عن الحرز والطلسم وهما بنـفس المعنى قال عن **الحِرْز** : «تقوى الـله : فإنها جـماع كل خير، وسـبب كل نجاة ولـقاح كل رشد . هـي أحرز حرز»[1] وأوضح المعنى عندما ذكر كلمة **الطلّسْم** قال «لو كانت بالشامـات أو بمصر لأدخلوها في باب الطلسم»[2] .

وكرر هذه الكلمة بنفس المعنى والقول في مكان آخر من الحيوان قال «فلو كان هذا ببـلاد الشام أو بلاد مصر لا دعوا الـطلسم»[3] واتخذوا أموراً أخرى للوقاية من الضرر كالرقي والنشرة وأنواع التعاويذ الأخرى ، قال الجاحظ ذاكراً هذه الأشياء : «وهـو قوله في التعـويذ : ومن كل شيطـان وهامة»[4] . وقال يذكر **الرُّقَي**: «ولهم الرقى النافذة في السموم وفي الأوجاع»[5] وقال متسائلاً : وخبرنـي ما السحر ومـا الطلســم وما الدنهش ومـا الخلقطيـر وما الهيـكل وما الطوالق ؟ وما قولهم في اللـبان الذكر وفي مراعاة المشترى ؟[6] وذكر الجاحظ ألفاظاً عديدة عن الجان والمعتقدات الخرافية ، قال في رسالته التربيع والتدوير : وما تقول في صرع الـشيطان وفي تلون الغيلان وفي عـريف الجان وفي ظهور

(١) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٤ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٣٩٩ .

(٤) الحيوان جـ ٤ ص ٢٣٦ .

(٥) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٣ . وانظر كتاب القيان ص ١٥٣ .

(٦) التربيع والتدوير ص ٤٢ .

العمـار وفي طاعتهم لـلعزائم ، وفي رئى المـأمور الحارثي ؟ وما فصـل ما بين العراف والكـاهن والحازى والمتبوع ؟ وخبرنـي عن شنقناق وشيـصبان ، وعن سملقة وزوبـعة ، وعن المذهب والسعلاة ، وعن بركـوير ودركاداب وأين كان مسحل ؟»[1] وذكر **الحازى** بقوله : وهو خط الحازى والعراف والزاجر»[2] وقال يصـف أحدهم : كان زجـالاً قبل أن يكـون تماراً»[3] وذكر **الحاوي** والحوائين بقوله : وتزاويق الكـاهن ، وتهاويل الحاوي[4] . وقال عن الحـوائين : وزعم لي داهية من دهـاة العرب الحوائين»[5] ومن المعتقدات الشعـبية الرقي والنشرة والخرط والدجال واللطف والتدخين والدمازكية ، وقد وردت هذه الألفاظ عند الجاحظ فـي مجال حديـثه عن الرقـى وقد ذكر **النشرة** بقوله «ثم رجـعنا من فورنا، كان لنـا في ذلك نشرة»[6] . وقد فسر صـاحب اللسان النشـرة سميت نشرة لأنه يـنشر بها عنـه ما خامره من الداء : أي يـكشف ويزال»[7] . وذكر الجاحظ الـتدخين **والدُّخْنَة** والبـخور **والدمازكية** وكلها أمـور تتعلق بالـبخور للرقية قال : ولهم معرفة المناصفـة ولهم السحر والتدخين والدمازكية»[8] وحدد أنواعـاً من **التدخين والبخور** فقال : وإذا دخـنت الداربالدخـنة التي سـموها بدخنة مريم أو اللـبان لم يكن عليها العـمّار الدار سبيل»[9] وقال : أتوه بـكل

---

(١) التربيع والتدوير ص ٤٠ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ٦١ .

(٣) الحيوان حـ ٣ ص ٢٩٧ .

(٤) في الجد والهزل ص ٢٥٧ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٤٥٩ .

(٦) الحيوان جـ ٥ ص ٣٨١ .

(٧) اللسان جـ ٧ ص ٥٦ .

(٨) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٣ .

(٩) الحيوان جـ ٢ ص ٢٠٧ .

بخور في الأرض لم يتبخر»[1] وقال : واللطف يرفع للشيخ والصبي»[2] .

وهناك أنـواع أخرى من المعتـقدات والعادات مثـل طب القوابل ومـفردها **القابلة** ، قال : الجاحظ في مـجال حديثه عن إحدى القـوابل : وهم يروون عن قابلـة البادية أنها قـالت لجارية تسمـى سحابة ، وقد ضربـها المخاض وهى تطلق على يدها»[3] وذكر **القوابل** فقال : لا تتهاونوا بكـثير ما ترون من علاج القوابل والعجائز»[4] وفي مجال حديث الجاحظ عن الـقوابل ذكر أموراً تتعلق بالوليد مـثل البقير قال : وقد زعموا أن الـبقير من الناس والخيل يخـرج متغير الجلد»[5] وقال يصف امرأة حاملاً : «إن في الدار امرأة بها حمل والوحمى ربما أسقطـت من ريح الغد الطـيبة»[6] وبعـد الحمل والولادة نـأتي على الـعروس وجلوتها ، كما ذكرها الجاحظ فقال : وأنها دخلت مع نساء متنقبات إلى بعض الأعراس لتـرى العرس **وَجَلْوَةَ** العروس»[7] ولم ينـس الجاحظ أمراً مـن أمور النساء إلا وذكره حتى المرأة العانس ، وهو الذي يـدعوها بالمعنسة ، قال عنها : «إن المرأة المعنسة تبرز للرجال فلا تحتشم من ذلك»[8] .

٤ - عادات الخطابة وصفات الخطيب :

وكان من عاداتهم التي يلتزم بها الخطيب عند إلقائه الخطبة أن يلبس **العمة** والمخصرة فـي يده أو العكازة والعـصا ذات الزج ، وقد ذكر الجاحـظ المخصرة

(١) البخلاء ص ٦٠ .

(٢) فخر السودان على البيضان ص ٢١٢ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٥٨١ .

(٤) الحيوان جـ ٤ ص ١٤٣ .

(٥) البرصان والعرجان ص ٤٥ .

(٦) البخلاء ص ٨١ .

(٧) الحيوان جـ ١ ص ١١٥

(٨) كتاب البغال ص ١٥٧ .

قائلاً : «وقد لا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء . والذي لابد منه العمة والمخصرة»[1] . وذكر **المِخْصَرَة** أيضاً : وبمطاعنهم على خطباء العرب : بأخذ المخصرة عند مناقلة الكلام»[2] ، وهذه المخصرة هى التي يمسكها الإنسان بيده من عصا أو مقرعة أو ما أشبه ذلك ، عند مناقلة الكلام وعند مساجلة الخصوم ، وأيضاً عند مجاثاة الخصم ، فهذه المخصرة واجبة في تلك المواقف ، وهذا ما ذكره الجاحظ بقوله : «يأخذ المخصرة عند مناقلة الكلام ومساجلة الخصم بالموزون والمقفي والمنثور الذي لم يقف وبالأرجاز عند المنح ، وعند مجاثاة الخصم ، وساعة المثاولة[3] : وقال أيضاً يذكر **العصا** ، والمخصرة وأنها من الصفات المميزة للعرب قال : وأيضاً إن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والتهيوء للإطناب والإطالة ، وذلك شئ خاص في خطباء العرب»[4] وعلى ذكر العصا فقد عدد الجاحظ أصنافها بقوله «وكان أبو العتاهية أهدي إلى أمير المؤمنين المأمون **عصا نبع** ، وعصا شريان **وعصا أبنوس** ، وعصا أخرى كريمة العيدان»[5] ووصف الجاحظ العصا بقوله «والعكازة إذا لم يكن في أسفلها زج فهى عصا»[6] وهذا **الزج** الذي يرافق العصا ذكره أيضاً بقوله «قال : رأيت أعرابياً مقطوع يد اليمنى ورجل اليسرى وهو يمشي على عصا ذات زج» ، ومن عاداتهم في الخطابة التقعير أو التقعيب، وهذه الصفات الخطابية جاء ذكرها عند الجاحظ بقوله : «إن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء البلغاء مع سماحة التكلف»[7] .

(١) البيان جـ ٣ ص ٩٢ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٦ .

(٣) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٦ .

(٤) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١١٦ .

(٥) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٢١ .

(٦) البيان جـ ٣ ص ٩٢ .

(٧) البيان جـ ١ ص ١٣ .

سادساً : الألفاظ الخاصة باللهو والصيد :

إن استقرار مقاليد الحكم في عهد الخلافة العباسية صاحبه استقرار ورخاء اقتصادي ، وتحولت الحياة بعد عهد التأسيس وإقامة الخلافة العباسية من طور الكفاح والجد إلى طور آخر يناسب حياة فيها سعة من المال وطرف من النعيم ، وظهرت ألوان من اللهو واللعب صبغت الحياة الاجتماعية في عصر الحضارة العباسية الزاهرة بصيغة النعيم والسرات وأصبحنا أمام فئات من المجتمع ، قال فيهم الجاحظ في رسالته التي وضعها عن القيان : «أنهم من المستمتعين بالنعمة، والمؤثرين للذة ، المتمتعين بالقيان وبالإخوان - المعدين لوظائف الأطعمة وصنوف الأشربة والراغبين بأنفسهم عن قبول شئ من الناس أصحاب الستر والسترات ، والسرور»[1] .

١ - اللهو :

الزَّفَّانُون : كان لطائفة المغنين منزلة خاصة في المجتمع العباسي ، تحققت لهم بفضل قيامهم على مظاهرالطرب واللهو وما كان يعقد في دور السادة من مجالس اللهو ، ويظهر أنه كان عندهم من الراقصين والراقصات أصناف منوعة أضفت على مجالسهم ألواناً من الترف والسرور ، ومن هذه الطوائف ، طائفة تعرف باسم الزفانون ، ذكرها الجاحظ في بيانه قال «وتكلم عمر بن ذر ، فصاح بعض الزفانين صيحة ، فلطمه رجل ، فقال عمر بن ذر : ما رأيت ظلماً قط أوفق لي من هذا»[2] فهؤلاء الزفانون أو الراقصون جاء ذكرهم في البرصان والعميان أيضاً قال الجاحظ : «وكان خفيفاً نحيفاً وضئيلاً ذميماً وكان يزفن بسرجه»[3] ، وفي أوصاف المغنين وآلاتهم وأدواتهم والمذاهب التي نسبوا

(١) كتاب القيان ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٩٤ .

(٣) العميان والبرصان ص ١٧٣ .

إليهـا أنفسهم يحـدثنا الجاحظ عـنهم برسالتـه التي خصهـا للمغنين وأحـوالهم وسماهـا بطبقـات المغنين وهـى غنية عـن التوضيـح إذ عنوانهـا يفي بالـغرض ويوضح أمور تلك الفئة من فئات المجتمع ، ويعود الجاحظ إلى المغنين وآلاتهم وما كانوا يعرفونه من لحون في كتـاب آخر له وفي مواضع متعددة من الحيوان نجده يفيض في الوصف ويبدع في التصوير لمجالس الغناء وما يتبعها من مجالس المنادمة والشراب .

آلات الغناء : من آلات الغناء ذكر لـنا الجاحظ الكثير وهذه بعـض منها مثل الصنج والسراني ، والبرابط ، فقد ذكر **الصَّنْج** بقوله «وهى وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقـام أوتار العود والصنج»[1] وذكر السراني بقـوله : «وأعلنت في زيارته الطبول والسراني»[2] وذكر البـرابط ومفردها بـربط قال : وهلا قـدمتم أقليدس مع صنعة البرابط والمعازف»[3] وذكر **البَرْبَط** بقوله «وخبرني عن صنيعة البربط أ للملك أم لـرفائيل ؟ أم لأقليدس»[4] أما أنواع الألحان وأصنـافها فقد جاء ذكر بعضها في التربيع والتدوير مثل **الرُّكْبانِيّة** والنصب والأهزان والسناد، وفي أماكن أخـرى من كتبه ذكر الجـاحظ الإيقاع والكتـكلة وهى أمور تتـعلق بالغـناء وأنواعه ، فقـال «وخبرني عن غنـاء الركبانيـة : أخذته منه الـركبان أم للركـبان ؟ وهل رجعـه (بخسر) المـصطلق ؟ وزعـمت أن الأهزان للـيمن وأن النصب للفتيان فلمن السناد ؟[5] وذكر **الإيقَاع** الذي هو سيد الموقـف في الغناء والرقص ، وهناك مـن يجيدونه من الأقوام كالزنج كـقول الجاحظ : «وهى - أمة الزنج - أطبع الخلـق على الرقص الموقع الموزون ، والضرب بـالطبل على

(١) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٣ .

(٢) كتاب القيان ص ١٧٩ .

(٣) التربيع والتدوير ص ٨٢ .

(٤) التربيع والتدوير ص ٨٣ .

(٥) التربيع والتدوير ص ٨٣ .

الإيقاع الموزون من غير تأديب ولا تعليم»[1] وقال أيضاً بذكره للإيقاع : «قالت الشعوبية ومن يتعصب للعجمية : القضيب للإيقاع والقناة للبقار»[2] والعرب فكان أعظم شئ عندهم الموسيقى والإيقاع مع العناء إلى جانب ما امتازوا به من الأمثال والنوادر اللطيفة والعبارات البليغة[3] وذكر **الكنكلة** قائلاً: «ولهم - أي الزنج - غناء معجب ، ولهم الكنكلة وهي وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام أوتار العود **والصّنْج**»[4] . وهناك أنواع أخرى من الغناء صورها الجاحظ في كتبه ، وكان يعذر الخلفاء ومن يتقلدون مقاليد الحكم أن يداووا أنفسهم التعبة من شئون الملك والرعية بالسماع للغناء والإحاطة بالمغنين والملهين ، وقال في هذا الأمر بما يحتاج إليه الملوك : «فاحتاج حذاق الملوك وأصحاب العنايات التامة ، أن يداووا أنفسهم بالسماع الحسن - ويشدوا من متنهم بالشراب ، الذي إذا وقع في الجوف حرك الدم ، وإذا حرك الدم حرك طباع السرور»[5] وكانت مجالس اللهو في دور الخلفاء تضم الشعراء والسمار والملهين ، وكانوا يلهون بألعاب متنوعة وكان أهل النادرة من بطانة بعض الخلفاء ، ولعلنا لا ندهش إذا رأينا من بين المصنفات والكتب في هذا العصر ألواناً من كتب الظرفاء والملحاء وكتب الملاهي والفكاهات وكتب أصحاب الخصومات[6] .

أنواع اللعب وأهمها:

من أكثر الأنواع مداولة بين الخلفاء والعظماء في ذلك العصر هو لعبة **الشِّطْرَنج** ، وهذه الكلمة تكررت عند الجاحظ بكل اشتقاقاتها كالشطرنجي

(١) فخر السودان على البيضان ص ١٩٥ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٢ .

(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٢٥٨ .

(٤) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٣ .

(٥) الحيوان جـ ١ ص ٢٨٧ .

(٦) الحيوان جـ ١ ص ٢٥ .

والشطرنجيين والأشترنج وعلى ذكر **الشطرنج** يقول الجاحظ في بيانه «ولعب قدام بعض الملوك بالشطرنج ، فلما رآه قد استجاد لعبه وفاوضه الكلام قال له: لم لا توليني نهر بوق ؟ قال أوليك نصفه اكتبوا له عهده على بوق»[1] وذكر الشطرنج ووصف اللاعب الحاذق بهذه اللعبة بالزبرب قال «وأنت تعد في الشطرنج زبرب وأنا في الشطرنج لا أحد»[2] وقال يصف أحدهم بأنه «أحمق القاصين ، وأحذقهم بلعب الشطرنج»[3] وذكر في مجال التغيير الدلالي لهذه الكلمة قال عن بعض من أحدث هذا التغيير : ويسمون الشطرنج الاشترنج[4] **الشطرنجي** والجمع شطرنجيون ، قال الجاحظ «وحدثني بعض أصحابنا عن سكر الشطرنجي»[5] ثم ذكر **الشطرنجيين** بقوله: «قد قتلتني فمع من تعيش أمع الشطرنجيين»[6] والجاحظ يقصد بالشطرنجي لاعب الشطرنج وليس صانعه . وعن لعبة الشطرنج يقول المسعودي : وكان الشطرنج نوعاً يلعب في قصر الخليفة المعتضد حوالي آخر القرن الثالث الهجري وذلك بآلة مستحدثة تسمى الجوارحية ، وتسمى أجزاؤها بأسماء حواس الإنسان . وقال ولم يكن جلوس اللاعبين بعضهم إلى بعض من عادات العرب ، وكان العربي القح يشعر بما في ذلك من غرابة عن طابعه وإنما وضع الشطرنج للعجم لا علم لهم[7] . وهناك لعب ولعبات أخرى كالقمار والنرد والخطرة واليرمع والأردور ولعبة الضب والشحمة والبقيري واللعبتين ثم لعبة الطبطابة واللعب **طَبْطَاب** والجمع **طبطابات**، وقد جاء ذكر هذه اللعبات وغيرها مثل لعبة الدارة والحلق وعظيم وضاح في الحيوان وفي غيرها من كتب الجاحظ ، فقد ذكر **القمار** بقوله : «فسأل عنهم فإذا هم أصحاب قمار ونرد»[8] فالقمار والنرد متلازمان لمن

(١) البيان والتبيين جـ ٤ ص ٦ . (٢) في الجد والهزل ص ٢٦٦ .
(٣) الحيوان جـ ٤ ص ١٤٧ وانظر التربيع والتدوير ص ٨٤ .
(٤) البيان جـ ١ ص ١٩ . (٥) الحيوان جـ ٤ ص ١٤٧ .
(٦) في الجد والهزل ص ٢٥٨ . (٧) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٢٥٨ .
(٨) الحيوان جـ ٥ ص ٣٨١ .

يلعبهما، ويشـرح لنا الجاحظ تخت **النَّرْد** أحياناً يتكيف مع الـلاعبين ويتغير من وضعه حسب المستويات فيقول : «فإذا تخت النرد قطعة لبد وإذا فصوص النرد من طين ، بعضه مـسود وبعضه متروك ، وإذا الكعبان من عـروة كوز محككة وإذا بعضهم يتكئ على دن خال وتحتهم بوار قد تنسرت»[1] وهنا يصور لنا حالة اللاعبين المزرية ، فهـم قد جعلوا قطعة اللبد بدلاً مـن اللوح الذي يكون عادة في هذه اللعـبة ، فتحت اللوح الذي يـوضع فوقه النرد أصبح لـبداً ، وهكذا يستمرفي تصوير حالة هؤلاء اللاعبين الـبائسين ، يقول ميتز : وكان النرد يلعب ابتغاء الكسب صراحة ، وكان لعبة تـدور على الصدفة والاتفاق ، وشبه بعض الحكمـاء رقعة النرد بـالأرض الممهدة لسـاكنها ، ومـنازل الرقعة ، وهـى أربعة وعشرون بـساعات النهـار والليل ، وبيـادتها وهى ثـلاثون بعدد أيام الـشهر ، واختلاف ألوانهـا باختلاف بياض النهار وسـواد الليل ومنازلها الأربع بـالطبائع الأربع ، وهكذا[2] ونرى الجاحظ في وصفه لأنواع اللعبات قائلاً : أسماء لعب الأعراب **البُقَيْرَي** ، وعـظيـم وضاح ، والخـطرة ، والـدارة ، والشـحمـة ، والحلق، ولعبة الـضب فالبقيرى : أن يجمع يديه عـلى التراب في الأرض إلى أسفلـه ، ثم يقول لـصاحبه : اشـته في نفسـك فيصيـب ويخطئ . وعـظيم وضاح : أن يأخذ بالليل عظماً أبيـض ، ثم يرمي به واحداً من الفريقين ، فإن وجده واحد من الفريقين ركب أصحابه للفريق الآخر من الموضع الذي يجدونه فيه إلى الموضع الذي رموا به. **والخَطْرَة**: أن يعملوا مخراقاً ثم يرمي به واحد منهم من خلفه إلى الفريق الآخـر ، فإن عجزوا عن أخذه رموا به إليهم ، فإن أخذوه ركبوهم ، **والدارة** هى التي يقال لها الخراج. **والشحمة** أن يمضي واحد من أحد الفريقين بغلام فينتحون ناحية ثم يقبلون ، ويستقبلهم الآخرون ، فإن منعوا الغلام حتى يصيروا إلى الموضع الآخر فقد غلبوهم عليه ، ويدفع الغلام إليهم وإن هم لم يمنعوه ركبوهم[3] ، ويقول الجاحظ إن كل هذا يـتم في ليالي

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٣٨٢ .

(٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٣٥٨ .

(٣) الحيوان جـ ٦ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

الصيف «وهـذا كله يكون في ليالـي الصيف عن غب ربيـع مخصب»[1] . ثم يستمر فيصـف لنا لعبة الضب قائلاً : «ولعبة الـضب : أن يصوروا الضب في الأرض ، ثم يحول واحد من الفريقين وجهه ، ثم يضع بعضهم يده على شئ من الضـب فيقول الـذي يحول وجهه : أنـف الضب أو عين الـضب أو ذنب الضب أو كـذا وكذا من الضب عـلى الولاء حتـى يفرغ ، فإن أخطـأ ما وضع عليـه يده ركب وركب أصـحابه وإن أصاب حـول وجهه الذي كـان وضع يده على الضب، ثم يصير هو السائل»[2] . أما لعبة **اليَرْمَع** فقد ذكرها الجاحظ مع **لعبة الكعبتين** في بخلائه وفي أماكن أخرى من كتبه ، قال في البخلاء «وأول من لعب باليرمع في البدو» وقال عن لعبـة الكعبتين : «وكانوا يلقون النوى في طست» ، فسمع صوت نواتين فقال : من هـذا الذي يلعب بالكعبتين[3] وهناك لعب تـلعب كتمريـن واستعداد للحـرب وهى غير لعب الـلهو والتسلـية ، قال الجاحظ في منـاقب الترك : «ولنا مما جعلـنا رياضة وإهاصاً للحرب ، وتـثقيفاً ودربة للمجـاولة والمشاولة وللكر بعـد الكر : مثل الدبوق والنـزو على الخيل صغـاراً - ومثل الطـبطاب والصـوالجة الكـبار ، ثم رمى المجـثمة والبـرجاس والطائر الخطاف»[4] . ففي هـذا النص جاءت كلمـات مثل الدبوق وهى لـعبة يلعب بها الصبيان والطبطاب وهو مضرب للكرة وجمعها طبطابات واسم اللعبة **الطبطابة** أو الخشبة العريضة التي يلعب بها على الأرجح والجمع **طبطابات** ، كمـا هو وارد في الـنص الآتي : قـال الجاحـظ : «ولذلك اخـتاروا البـراذين للصوالجة والطبطابات والمشاولة»[5] ثم ذكر الطـبطابة مفردة بقولـه «ويرتع في عقله ويلهو بلبه ويضعه على طبطابة اللعب وفى أرجوحة العبث»[6] .

(١) الحيوان جـ ٦ ص ١٤٦ .
(٢) الحيوان جـ ٦ ص ١٤٦ .
(٣) البخلاء ص ١٣ .
(٤) مناقب الترك ص ٢١ .
(٥) كتاب البغال ص ٣٧٦ .
(٦) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٤١ .

٢ - الصيد وأدواته وأنواعه :

كان الصيد يشكل مظهراً هاماً من مظاهر نزعة اللهو والمجون فى هذا العصر الذى ازدهرت فيه الحضارة فكان من أهم مظاهر الحضارة العباسية آنذاك وقد ذكر الجاحظ فى كتبه مادة وفيرة عن أدوات الصيد ورحلاته وكلابه وطرق صيد الحيوانات والطيور التى كانوا يسعون وراءها ، ويظهر أن بعض الخلفاء قد شغل باللهو الجارح من الحيوان والطير مثل الباز والفهد والشاهين والصقور واليوءيوء ولم يكن من آداب لهوهم بالباز أن تراهم يحملوان البازى أو الصقور أو الشواهين وغيرها من الجوارح ، وأوجدوا وظائف لفئة تهتم بأمر هذه الحيوانات مثل وظيفة **الفَهَّادين والبَيَازِرَة والصقارين والسُّوَّاس** . وقد ذكر **البازيار** والجمع بيازرة بقوله : «**والفهادين والبيازرة والصقارين والكلابين** لا قوى أحداً منهم صار إلى غنى ويسر»[(١)] أما البازيار وهو القائم بأمر البازى فقد ذكر الجاحظ وحدد فئته بقوله : «وليس ترى شريفاً يستحسن حمل البازى لأن ذلك من عمل **البازيار**»[(٢)] ثم نراه يصف لنا عمل البازيار وطريقة حمله للبازى قائلاً : «ثم بلغ من رقة طبع البازى وعنقه أن ينقطع برد **البازيار** له إلى قطه من يده»[(٣)] . أما **السواس** فقد ذكرهم الجاحظ فى الحيوان بقوله : «**والسواس** وأصحاب القنص بالكلاب والفهود»[(٤)] . واتخذوا للفيلة والاعتناء بها الفيالين **والساسة** أوقفوهم على تربيتها إذا كانت للفيلة مكانة خاصة عند الخلفاء العباسيين ، وكانوا يأمرون بتزيينها فى الأعياد بأخفر أنواع القطعات والثياب الموشاة ومن حولها الحرس والشرط[(٥)] . ومن الأمراء من كان يحب حياة الصيد والرحلات سليمان داود الهاشمى حتى اتخذ لنفسه كلباً من كلاب الصيد وأحسن تربيته وتدريبه منذ الصغر إلى أن أتم سبعة شهور من سنة عرفه حرفه حينئذ معنى رموز الصيد من إيحاء وصغير وإشارة بالكف حتى اتقن أسلوب

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٤٣٠ .
(٢) الحيوان جـ ٦ ص ٤٧٨ .
(٣) فى الجد والهزل ص ٢٧٧ .
(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٢ .
(٥) الحيوان جـ ٧ ص ٢٠١ .

تلبيتها فصار يصحبه في رحلات صيده الأرانب والثعالب والظباء وقد خصه أبو نواس بطـردية من طردياته الـتي رواه الجاحظ في حـيوانه»[1] . **والزُّبْيَة** من الكلمـات التي تستعمـل في الصيد قال الجاحـظ «ولو ذهب إنسان ليحـفر زبية منعوه أشد المنع[2] وقال : ولا هي بأول زبية غطيـتها وسترتها»[3] وكان لبعض القواد والوزراء ألوان خاصة من اللهو ، من ذلك ما يذكره الجاحظ عن يعقوب بن داود وزير المهدي وولعه بـتربية الحمام»[4] ، وكانت لهم في صيـد العصافير حيلة يصيد بها الرجل نحو المئتين من العصافير في اليوم الواحد يقول الجاحظ: وتصاد بأهون حيلة ، وذلك أنهم يعملون لـها مصيدة ، ويجعلون لها سلة في صورة المحبرة الـتي يقال لها اليـهودية المنكوسـة الأنبوبة ، ثم ينزل فـي جوفها عصفور واحد ، فتنقض عليه العصافير ويدخلن عليه ، وما دخل فيها فإنه لا يجد سبيلاً إلى الخروج منها ، فيصيد الـرجل منها في اليوم الواحد المئتين وهو وادع»[5] وكانـت عندهـم أدوات خاصـة لصيـد الحمام وأنـواع الطـير منـها: البابكير، والقفاعة ، والملقف والتدبيق والدشاخ والجلاهق»[6] ويصاد السـمك بالشـــص والجمع الشصـوص» والمبال[7] . وكان الـناس في عـصر الجـاحظ يتلهون بأجنـاس من الحيوان والطير أحكموا تدريبهـا على أداء بعض الألعاب» ويحدثنا الجاحظ عن بعض أجناس الحيوان والطير مما كان يقبل على هذا اللون من التدريب مثل الفهود والبـوازي، والشواهين ، والصقور ، والزرف واليؤيؤ والعقاب وجميع الجوارح والوحشيات ، ويـذكر أن الفهد أكثر تقبلاً للآداب ، قال «ثم يفضلها الـفهد بخصلة غريبة وذلك أن كبارها ومـسانها أقبل للآداب ، وإن تقادمت في الوحش من أولادها الـصغار ، وإن كانت تقبل الآداب ، لأن الصغير إذا أدب فبلغ ، خرج خبا مواكـلاً ، والمسن الوحشي يخلص لك كله، حتى يصـير أصيد وأنفع ، وصغار سـباع الطير وكبارها عـلى خلاف ذلك وإن كان الجميع يقبل الأدب»[8] . ويبلغ من ترويـض بعضهم للحيـوان وتدريبه أن

(١) الحيوان جـ ٢ ص ٣٠-٣٢ .
(٢) الحيوان جـ ٤ ص ٤٩ .
(٣) في الجد والهزل ص ٢٤١ .
(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٢٦ .
(٥) الحيوان جـ ٥ ص ٢٤٤ .
(٦) الحيوان جـ ٣ ص ٢١٨ وما بعدها .
(٧) الحيوان جـ ٧ ص ١٤٦
(٨) الحيوان جـ ٤ ص ٤٨ .

يعلقـوا الزنبلة والدوخلـة له ، وتوضع فيها رقـعة ثم يمضي إلى البـقال ويجئ بالحوائج»[1] وكان الأمـراء والسـراة الخاصة يـربون الأسمـاك ، وقد ذكـر هذا الجاحظ في حيوانه قال: «وزعموا أن أم جعفـر بنت جعفر بن المنصور حضرت في حوض لها ضخم أو بركة كبيرة عدداً كثيراً من الزجر والبني وأنها لم تخلط بها غيرهما»[2] وكانت هذه الأسـماك تصاد بالشصوص والـدرياجة ، وقد ورد ذكرها عند الجاحظ بقوله : «وقبل ذلك ما قـد كلفهم أن ينصبوا له الشصوص للـسمك ، ويـسكروا والـدرباجة عـلى صـغار السـمك حتـى لا يدخلـوا في السواقي»[3] . وهناك أنـواع أخرى من الصيـد كان يتخـذها الناس كحـرفة من الحرف التي يمارسونها في حياتهم اليومية وكمصدر عيش لهم ، وليس من أجل الإمتاع والـتسليـة ، ومجالها عـندما نتـحدث عن الحياة الاقـتصادية فـي عصر الجاحظ ، وكان في مقـابل هذه الضروب من التسليـة واللهو ، ضروب أخرى تمثل في بعض جوانبها حالات غير صحيـة تنتاب المجتمع والملاحظ أنها انتشرت على نطاق واسـع بين فئات المجتمع من عـامة الشعب مثل ما نـراه في كتابات الجاحظ عن ضروب اللهو الغريبة فالجاحظ يحدثنا عن التقامر بالبيض والجوز ، واتخاذ الكباش للنطاح وللمهارشة وقد يلهون بالهراش بين الأجناس المتفقة من الحيوان والطير: كالبرذون والبرذون والحمار والحمار وكذلك جميع الأجناس»[4] وقد يقع في بعض أنواع المهارشة القمار مثل هراش الكلب والكلب ، والكبش والكبش ، والديك والديك والسماني والسماني»[5] ويدخل في هذه الضروب من التسلية لعبهم بالودع واللعب بالنرد والشطرنج . ومن وصية عثمان الخياط للشطار نراه يؤكد على بعض الـلعب لأعوانه قائلاً: ولا تلعبوا في النـرد إلا بالطويلتين. والودع رأس مال كبـير ، وأول منافعه الحذق بـاللقف»[6] ثم نراهم قـد عنوا فى دورهم بتربية أنواع من الحيوان، وخاصة نساؤهم قمن على تربية وتدليل السنانير، وقد يخضبنها بالحناء ويضعن لها الشنوف والأشرطة إمعاناً في تدليلها»[7] .

(1) الحيوان جـ ٣ ص ٣٣٩ .
(2) الحيوان جـ ١ ص ١٤٩ .
(3) البخلاء ص ١٢٩ وانظر البرصان جـ ١٦٧ .
(4) الحيوان جـ ٢ ص ١٦٣ .
(5) الحيوان جـ ٢ ص ١٦٤ . .
(6) الحيوان جـ ٢ ص ٣٦٦ .
(7) الحيوان جـ ٥ ص ٣٣٧ .

سابعاً: اللغة والفئات الاجتماعية :

كان لتقسيم المجتمع إلى طبقات تتفرع إلى طوائف وفئات وما تتسم به هذه الوحدات الاجتماعية من تباين أثر في حياة الأفراد اللغوية باعتبار أنها تمثل انعكاساً لفكر هؤلاء الأفراد ، ومن ثم فإن هذا التباين يظهر بوضوح في الفروق ما بين لغة الفكر والحضارة وبين ما يمكن أن نسميه «اللغات الخاصة» الشائعة بين طوائف وفئات المجتمع ونعني بهذه اللغات كل لغة لا تستعملها إلا جماعات من الأفراد وجدوا في ظروف خاصة[1] ، إن أصحاب هذه اللغات الخاصة لهم مصطلحات بعينها للدلالة على معان محددة ، وهذا ما نراه واضحاً في المجتمع العباسي ، ويعد من أوضح مظاهر الحضارة العباسية ويعتبر من مظاهر التأثر بالامتزاج الحضاري في ذلك العصر عصر الجاحظ ، وقد وضح الجاحظ أن لكل طائفة سماتها اللغوية الخاصة بها ، وحرى بمن ينتمي إلى طائفة ما أن يدقق في فهم سمات لغتها من حيث ألفاظها ومعانيها .

ويصف لنا الجاحظ لغات الأقوام التي امتزجت وتعايشت مع طوائف وفئات المجتمع العباسي وكيف أثرت على لغة السكان الأصليين والعرب الفاتحين ، فقال في ذلك : وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم ، وليس ذلك في شئ أكثر منه في لغة الخوز»[2] ويقول أيضاً : «ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين . واستعمال الجرامقة للعين»[3] قال الجاحظ في وجود الظواهر اللغوية العديدة مثل «اللُّكْنَة عند الأعاجم وكيف تسربت إلى العامة والحُكْلة والحبسة والعجمة والشدة واللين والفأفاء» وظاهرة اللثغة وما بها من أمور والعقدة والرتة والعقلة

(١) اللغة فندريس ص ٣١٤ .

(٢) البيان والتبين جـ ١ ص ٣٤ .

(٣) البيان والتبيين جـ ١ ص ٦٤ .

والأرت ، ثم ظاهرة خطيرة ومتفشية عند العامة والخاصة أيضاً وهى اللحن . وسوف نتناول كل ظاهرة من هذه الظواهر اللغوية بشئ من التفصيل والتوضيح. ويرجع الجاحظ اللكنات أساساً إلى ما كان يجده بعض الأعاجم من صعوبة في التكيف العضوي لمخارج الحزوف العربية التي لا توجد في لغاتهم ، خاصة أن لكل لغة حروفاً تدور في أكثر كلامها مثل استعمال الروم للسين واستعمال الجرامقة وهم من السريانيين للعين»[1] ، وبعض اللغات تنفرد بحروف لا توجد في لغات أخرى ، وفي ذلك يقول الجاحظ : «قال الأصمعي: ليس للروم ضاد ولا للفرس تاء ولا للسرياني ذال»[2] وذكر **اللُّكْنَة** بقوله «ويقال في لسانه لكنة ، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب»[3] ، ويرى الجاحظ أن اللغة ليست على منزلة واحدة في صحة النطق بالنسبة لأولئك الذي تلجأ لهم الحاجة إلى تعلمها والنطق بها ، ويؤكد أن من أقرب الأسباب التي تساعد على امتلاك ناصية اللغة فرط الحاجة إليها في المعاملات على وجه الخصوص ، يقول «واللغات إنما تشتد وتعسر على المتكلم بها ، على قدر جهله بأماكنها التي وضعت فيها ، وعلى قدر كثرة العدد وقلته، وعلى قدر مخارجها ، وخفتها وسلبها وثقلها وتعقدها في أنفسها ، كفرق ما بين الزنجي والخوزي ، فإن الرجل يتنخس في بيع الزنج وابتياعهم شهراً واحداً فيتكلم بعامة كلامهم ، ويبايع الخوز ، ويجاورهم زماناً فلا يتعلق منهم بطائل»[4] ونبه الجاحظ إلى أنه من الممكن أن يستدل على جنس المتكلم الأعجمي من مخارج حروف كلماته حتى وإن كانت ألفاظه متخيرة منمقة ، ومن ثم ميزت الحروف بين لكنات الأعاجم فكشفت عن أخباسهم لأن لكل

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٦٤ .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٦٥ .

(٣) البيان والتبيين جـ ١ ص ٤٠ وانظر الحيوان جـ ٧ ص ٢٣٣ .

(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٢٨٩

جنس منهم لكنتـه النابعة من قدرته اللغوية . ويعلل عدم تـعلم اللغة في السن الكبيرة المتقدمـة لما تصحبه من صعوبة في النطق تسبـب لكنات بعض الأعاجم وهى الفئات الدخيلـة على المجتمع العباسي في عصر ازدهار الحـضارة العباسية فهو يقول : «ألا ترى أن الـسندي إذا جلب كبيراً بأنه لا يستـطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً ولـو أقام في عليا تمـيم وفي سفلى قـيس وبين عجز هوزان خـمسين عاماً، وكـذلك النبـطي القح خـلاف المغلاق الذي نـشأ في بلاد الـنبط ، لأن النبطي القح يجعل الزاي سيناً ، فإذا أراد أن يقول زورق قال (سورق) ويجعل العين هـمزة فإذا أراد أن يقول مـشعل قال مـشئل»[1] . ويفرق الجـاحظ بين لكنات القيان ولكنات لغة الصبيان قبل تنشئتهم ، أو في لغة العجائز أو في لغة من ينشأ من العرب مع العجم ، وقد عـدد لنا هذه الأمراض اللغوية في أماكن عديدة من كتبه قال عن **الفأفاء** وليس في الأرض فوم إلا وأنت تـصيب فهم الأرت - والفأفاء والعي ومن فـي لسانه حبسة»[2] وشرح معنى **الحُبْسة** بقوله في حيوانه : «قال : ويقال في لسانه حبـسة : إذا كان في لسانه ثقل يمنعه من البيان»[3] وقال الجاحظ عن الحبسة : «العقدة التي كانت في لسانه والحبسة التي كانت في بيانه»[4] وذكر الجاحظ آفة لـغوية أخرى وهى **الحكلة** وهذه تأتي من قبل العجمة وهى أيضاً من الآفات اللـغوية ، وهناك الحروف المعجمة وهى غير العجـمة ، وقد ذكر لنا الجـاحظ هذه الآفات بقـوله «فإذا كان الثقـل الذي في لسانه من قبل العجمة قيل : في لسانه حكلة»[5] أما الحكلة فقد ورد ذكرها في أماكن متفرقة ، فنرى الجاحظ يشرح لنا المعنى المعجمي للحكلة قال : «قيل في

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٧٠ .

(٢) فخر السودان على البيضان ص ١٩٥ وانظر البيان والتبيين جـ ١ ص ١٢ .

(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٢١ .

(٤) البيان والتبيين جـ ١ ص ٧ .

(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٢١ .

لسانه حكلة . والحكل من الحيوان كله ما لم يكن له صوت يستبان مخارجه»[1] وأوضح معنى الحكلة العلمي قائلاً «فإذا قالوا في لسانه حكلة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق ، وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال»[2] . وذكر الجاحظ **الرتة** وهي العجلة في الكلام وقلة أناءة وذو اللفف والعجلة عندما ذكر الحكلة وكلها أمراض تصيب النطق قال «وذو الحبسة والحكلة والرتة وذو اللفف والعجلة»[3] أما الأرت فقد ذكره الجاحظ قائلاً «ليس في الأرض قوم إلا وأنت تصيب منهم **الأرت** - والفأفاء والعي»[4] فالأرت هو الذي في لسانه عقدة وحبسة وهو يعجل في كلامه فلا يطاوعه لسانه . والحبسة تسبب كثيراً من الأمراض الكلامية ، وقال عنها الجاحظ «ويقال في لسانه حبسة إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام»[5] ومن أمراض اللسان **العقلة** ويشرح الجاحظ هذه الكلمة بقوله «ويقال في لسانه عقلة ، إذا تعقل عليه الكلام»[6] وقد تحدث اللكنات بسبب **اللثغة** الداخلة في بعض الحروف وليست هذه اللثغات مقصورة على اللغة العربية ذلك بأنها تدخل في حروف كثيرة من حروف لغات العجم ، ويضرب الجاحظ مثلاً بلغة الخوز فيقول : «وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم ، وليس ذلك في شئ أكثر منه في لغة الخوز . وفي سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم يشبه الصفير . فمن يستطيع أن يصور كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوسى إذا ترك

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢١ .
(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٤٠ .
(٣) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٢ .
(٤) فخر السودان على البيضان ص ١٩٥ .
(٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٩ .
(٦) البيان جـ ١ ص ٣٩ .

الإفصاح عن معانيه ، وأخذ في باب الكتابة وهو على الطعام»؟[1] .

ويعدد الجاحظ في بيانه الحروف التي تدخلها اللثغة وهي القاف والسين واللام والراء ويورد أمثلة على ذلك كقوله : «فاللثغة التي تعرض للسين تكون تاء كقولهم لأبي يكسوم . أبي يكثوم ، وكما يقولون بثرة ، إذا أراد بسرة»[2] ومثال آخر يورده على اللثغة بالقاف يقول «واللثغة التي تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاء ، فإذا أراد أن يقول : قلت له ، قال طلت له ، وإذا أراد أن يقول : قال لي ، قال : طال لي»[3] ويستمر الجاحظ في حديثه عن اللثغات قائلاً «وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء ، فيقول بدل قوله : اعتللت اعتييت ، وبدل جمل جمي . وآخرون يجعلون اللام كافا كالذي عرض لعمر أخي هلال ، فإنه كان إذا أراد أن يقول: ما العلة في هذا قال : مكعكه في هذا . وأما اللثغة التي تقع في الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام ، لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف ، فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال : عمى فيجعل الراء ياء . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال عمغ فيجعل الراء غيناً . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال عمذ ، فيجعل الراء ذالاً»[4] . واستمر الجاحظ في حديثه عن اللثغات في صفحات كثيرة من بيانه ، ثم ذكر اللكنات الداخلة في الحروف بسبب اللثغة ، وقد تحدث هذه اللثغات للفصحاء والبلغاء ، وأبرز مثال على ذلك ما يقوله واصل بن عطاء إذ كانت به لثغة في الراء ، وكان يبتعد عن الكلمات التي تدخلها الراء ويأتي بمرادف لها من دون راء كقوله :وكان إذا أراد أن يذكر البر قال : القمح أو الحنطة . والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية.

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٤ .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٤ .

(٣) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٤ .

(٤) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٤ .

هذا وهوْ يعلم أن لغة من قال بر أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة»[1] والكلام عن اللكنات وأسبابها يطول ويمتد عبر الأجناس البشرية التي كانت تمتزج بعضها البعض لتعطي نتاجاً من البشر فيه جميع الآفات اللغوية التي ذكرتها ، ويزيد عليها ما سأذكر عن ظاهرة لغوية أخرى وهى ***اللحن***. وقد أفرد الجاحظ صفحات من بيانه للحديث عن اللحن قال «ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب ***التقعير والتعقيب والتشديق والتمطيط*** والجهورة والتفخيم وأقبح من ذلك لحن الأعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الأسواق»[2]. ومع استقباحه للحن إلا أنه يوصي قائلاً «إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الحشوة والطغام ، فإياك أن تستعمل فيها الإعراب أو تتخير لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سريا ، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها»[3]. وذكر اللحن في الحيوان منتقداً من يلحن قال: «كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب»[4] وقال أيضاً: «وكان ممن يجعل اللحن ولا يعرف مواضع الأسماء في لغته»[5]. ومع هجومه الشديد الذي يشنه على اللحن ومن يتعاطاه إلا أنه يستملح اللحن من لسان فئات معينة قائلاً «اللحن من الجواري الظراف ، ومن الكواعب النواهد ، ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر، أيسر . وربما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف، ولكن إذا كان اللحن على سجية سكان البلد»[6] وقد

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٧ .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٤٦ .

(٣) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٤٦ .

(٤) الحيوان جـ ١ ص ٢٨٢ .

(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٢٧٥

(٦) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٤٦ .

يفشو اللحن في ألسنة عامة الشعب في ذلك المجتمع العباسي ، وبين فئات الأعاجم وهذا الأمر ليس بغريب ، ولكن الغريب حقاً هو أن نجد بعض الخاصة من لا يسلم لسانه من اللحن ، ويذكر الجاحظ وقوع أبي حنيفة في خطأ اللحن ، وهناك بلغاء كثيرون وقعوا في اللحن لا يسع المجال لذكرهم ولكن البيان والتبيين ذكر فيه الجاحظ جميع اللحانين من البلغاء مع ذكر أول لحن في البادية وفي العراق قالوا : وأول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتي وأول لحن سمع بالعراق حي على الفلاح»[1] .

٢ - المعجم اللغوي لأصحاب الحرف :

اتسمت لغة الحرفيين باستعمالات ومصطلحات معينة خاصة بحرفهم باعتبار أن لكل طائفة من هؤلاء الحرفيين لها معجمها اللغوي الخاص بها ، ونرى الجاحظ يتسقط في أحاديثهم الألفاظ الخاصة بهم والمصطلحات التي تشكل جانباً من المعجم اللغوي لهذه الفئة الاجتماعية ، ومما ذكره في بيانه ألفاظ الملاحين وغيرهم من الحرفيين ، ففي أحاديث الملاحين نرى كلمة مردي كوثلة - وأواري وهذه كلها من ألفاظ الملاحين ، وقد ذكرها الجاحظ قائلاً : «وقلت لملاح لي ، وذلك بعد العصر في رمضان : انظركم بين عين الشمس وبين موضع غربها من الأرض ؟ قال أكثر من مرديين ونصف»[2] وقال أيضاً يذكر **المُرْدِي** : وقال آخر : وقع علينا اللصوص ، فأول رجل داخل دخل علينا السفينة كان في طول هذا المردي ، وكانت فخذه أغلظ من هذا السكان ، وأسود صاحب السفينة حتى صار أشد سواداً من هذا الغير»[3] . وقال أيضاً في ذكره للفظة **الكَوْثَل** : «وأردت الصعود مرة في بعض القناطر وشيخ ملاح

(١) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢١٩ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٧٦ .

(٣) البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٧٦ .

جالس وكان يوم مطر وزلق ، فزلق حماري فكاد يلقيني لجنبي ، لكنه تماسك فأقعى على عجزه ، فقال الشيخ الملاح : لا إله إلا الله ، ما أحسن ما جلس على كوثله»[1] وقال يذكر **الأواري** وهي مواضع العلف للحيوان : ومررت بتل طين أحمر ومعي أبو الحسين النخاس ، فلما نظر إلى الطين قال : أي أواري تجيء من هذا الطين»[2] .

ونرى الجاحظ في رسالته في صناعة القواد استلهمها من ألفاظ اللغات الخاصة ببعض الحرفيين من فئات الشعب وطوائفه المختلفة كل حسب مهنته ، ويتخذ من ألفاظ هذه المجاميع البشرية التي يموج بهم المجتمع مادة لرسالته ، فنراه يروي لنا جملة من أحاديث وأشعار أناس ينتمون إلى طوائف اجتماعية مختلفة من مثل الأطباء ، والحاكة والزراع والخبازين وأصحاب الحمامات والكناسين وصانعي الأشربة والخمور والفراشين القوامين على فرش البيوت وتأثيثها . ويؤكد الجاحظ أنه صنف هذه الرسالة إلى أمير المؤمنين المعتصم بالله ويعرض فيها على المعتصم ما قاله أصحاب المهن والصناعات المختلفة في مجال الغزل ، ويظهر لنا الجاحظ أن هؤلاء القوم من الحرفيين قد تأثروا في ما يدور على ألسنتهم من أحاديث بالألفاظ الخاصة بمهنهم ، وقد علق الجاحظ على ما دار بينهم من ألفاظ تمليها عليهم صناعتهم وهذه الألفاظ متنوعة فمنها ما كانت مولدة ومنها ما كانت دخيلة . وهؤلاء الحرفيون وأرباب الصناعات يصورون لنا موقفاً واحداً وكل منهم يعبر عن معان محدودة إلا أنهم اختلفوا في تصوير هذه المعاني وتشبيهها بما يدور حولهم وما يعيشون في غماره من مؤثرات بيئاتهم الخاصة ، وقد صاغوا هذه المعاني في قوالب لفظية متباينة تباين صناعاتهم وتخصصاتهم ، وهذا ما يؤكد كلام الجاحظ أن لكل طائفة من الناس معجمها

(١) البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٧٩ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٧٦ .

اللغوي الخاص بها وألفاظهم الأثيرة إلى نفوسهم . لقد رسم لنا الجاحظ صورة هذه الفئات التي تكون المجتمع العباسي بأسلوب ساخر ، إلا أنه حافظ فيه على أن يترك في نفس القارئ الإحساس الصادق بتباين طوائف المجتمع العباسي في تلك الفترة من الزمن عصر الحضارة العباسية ، فهم يتباينون فيما بينهم تبايناً لغوياً شأن تباينهم اجتماعياً أو ثقافياً أو فكرياً . فصاحب الخيل حين يتغزل في شعره فإنه يصوغ معاني الوجد واللوعة والشوق بألفاظ أثيرة لديه يستعملها هو وأقرانه من أبناء طائفته ، فإذا هذه المعاني ترتبط بصورة علف الدواب والسير الذي يكون عليه لجام الدابة وما تشد به قوائمها فنراه يتغزل بهذه الأبيات :

إن يهدم الصد من جسمي معالفه فإن قلبي بقت الوجد معمور

فيكيف ينسجم الغزل مع القت وهو علف الدواب ثم يسترسل في غزله فيقول :

ليست برقع هجر بعد ذلك في **اصطبل** ود فروث الحب منشور[1]

ثم ننتقل إلى فئة أخرى من الحرفيين وهم الأطباء فنرى بختيشوع الطبيب يصور لنا أبياتاً غزلية بقوله :

شرب الوصل **دَسْتَج** الهجر فاستط لق بطن الوصال بالإسهال
ورماني حبي بقولنج بين مذهل عن ملامة العذال[2]

فهذه الأبيات الغزلية ترتبط بألفاظ صناعته فمعاني الوجد واللوعة مرتبطة بصورة الأمراض مثل **القُولَنْج والإسهال** ثم الآنية الدستج وغيرها من

(١) صناعات القواد ص ٣٨٢ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

الأمراض والأدوات الطبية . أمـا ألفاظ الحب والوجد عند جعفـر الخياط فهى ترتبط بصورة الملابس وحياكتها وأشكالها ويصوغ قوالبه اللفظية بما يستخدمه من ألفاظ فـي صناعتـه : كالدروز ، الطـيلسان والـكستبـان والحجزة وغيـرها من الألفاظ الـتي تدل علـى مهنتـه ، وهذه هى بعض أبـياته الغـزلية التـي ذكرها الجاحظ في رسالته قال :

فـتـقـت بـالـهـجـر **دروز** الـهـوى	إد وخـــزتـــــي **إبرة** الـصـــد
حـشـمـتـنـي **ياطيلسان** الـنـــوى	فـيــك عـلـى شـــوزكـتـي وجـدي
يـــا **كسْتبان** الـقـــلـب يـاريــقـه	عـــذبـنـــي الـتـذكـار بـالـوعـد
يـا حـجـزة الـنـفـس ويـاذيـلـهـا	مـــالـي مـــن وصـلـك مـن بـد[١]

كيف يصف هذا العـاشق الولهان حبيبه ووجده لها بـهذه الأوصاف المغرقة فى السوقية والواقـعية إذ نراه يصف حبيبه بالحجزة وهى مـعقد السراويل . ثم يورد لنا الجاحـظ صوره من غزل الزراع وأصحاب الأراضي ، فـالفلاح يصور لنا هذه المعاني بألفاظه الخاصة بصناعته أو على الأصح بحرفته ، فالغزل مرتبط عنده بصورة الأرض والزرع والسماد والآفات الـزراعية والآلات وأبياته الشعرية في الغـزل تدل على مهـنته خير دلالة ، فـهو يقول في غـزله ذاكراً **السرجين** واليرقان وغيرها من المواد الزراعية ، وذكر الجاحظ بقوله : وسألت إسحاق بن إبراهيم عن مثل ذلك وكان زراعاً . فقال :

وسـرجنـتـه بالـوصـل لـم آل جاهـداً	لـيحـرزه الـسـرجين مـن آفـــة الصـد
فلـما تـعالـى البـنت واخـضر يـانعـاً	جرى يـرقان الـبين فـي سنـبل الـود[٢]

ثم سأل الخباز فأجابه بأبيات شعرية تصور **التنور** والخبز **والجردق** والمحراك وغيـرها من الألـفاظ العـالقة بمـهنـة هذا الخبـاز الذي يدعـوه الجاحظ بـاسم

(١) صناعات القواد ص ٣٨٥ .

(٢) صاعات القواد ص ٣٨٥

الرخجي.. وهو من أهل بابل فقال يصف لواعج الهوى في قلبه عندما سأله الجاحظ فقال :

قد عجن دقيق الهوى في جفنة من خشب الصد
وأقبل الهجر بمحراكه يفحص عن أرغفة الوجد
جرادق الموعد مسمومة مثرودة في **قصعة** الوجد[1]

فالجرادق لفظ فارسي معرب ، ولكن الخباز استعمله كلفظ من الألفاظ المتداولة عنده والمرتبطة بمهنته . أما صاحب الحمام فإنه يصبغ معاني العشق والوجد بصورة الحمام وما فيه من **أتون** ، ومآزر ، وليف ، **وزنابيل** كقوله :

يا نورة الهجر حلقت الصفا لما بدت لي **ليفة** الصد
يا **مئزر** الأسقام حتى متى تنقع في حوض من الجهد
أوقد أتون الوصل لي مرة منك بزنبيل من الود[2]

أما الكناس فيصور حبه وهيامه بأقذر وأقذع الكلمات السوقية المبتذلة قال يتغزل الحسن بن أبي قماشة وكان كناساً :

أصبح قلبي بربخاً للهوى تسلح فيه فقحة الهجر
خنافس الهجران أثكلتني يوم تولي معرضاً صبري[3]

ثم ننتقل إلى الساقي وهو يصور هذه المعاني الغزلية بصورة تجسد لنا بيت الشراب وما به من كؤوس وغيرها من أدوات الشرب ، فنراه يصور فراقه للمحبوب بهذه الأبيات التي يذكر فيها **الدن** - والقَرَّابَات **والقنينة** وغيرها .

(1) صناعات القواد ص ٣٨٦ .
(2) سناعات القواد ص ٣٨٨ .
(3) صناعات القواد ص ٣٩٠ .

فمـالت **دنان** الـبين يـدفعـها الـصبا فكـسرن **قرابات** حـزني عـلى صـدري
وكـان مـزاج الـكـأس غـلـة لـوعـة ودورق هـجـران وقـنـيـنـتـي غـدر[1]

أما الطباخ فهـو يصوّر هذه المعاني بما يراه في المـطبخ من مغارف وأوانٍ ، **وقدور** وما يطبخ فيها من أطعمة وأكثـر هذه الأطعمة من الأسماء المولدة كقوله الفـالوذ ، واللوزيـنج والجوزيـنج **والسكباج والجوذابة** وغيـرها من أسـماء الأطعمة، أما أبياته الغزلية ففيها يقول :

يـا شبيـه الـفالـوذ فـي حـمرة الخـد **ولوزينج** الـنـفـوس الـظـمـاء
أنت **جوزينج** القلوب وفي الليـــــــــ ـــــن كـلين الخـبيصـة الـبـيضـاء
عـدت مـسـتـهـتـراً بـسـكـبـاج ود بـعـد جـوذابـة بـجـنـب شـواء[2]

كل تلـك الكلمـات جاءت على ألسـنة أصحاب الحـرف وكانت بعـضاً من معجمهم اللغوي الذي تكون كلماتـه علامة مميزة تدل على حرفة قائلها ، ومن ثم نعود إلى نفس الشخصيات السابقة التي كانت تتغزل بأبيات شعر صورت فيها حالات الوجد والهجران ، وقد كانت لكل فئة كلمات مميزة تجسد مهنة قائلها ، ولو تتبـعنا تلك الشخـصيات وهي في موقف آخـر غير الموقف الغزلـي وليكن تصويرهـا لمعركة وهذا ما أراده الجـاحظ في تسجيلـه لأحاديث الفئات المـتنوعة أصحاب الحرف المختلفة حتى يعطينـا صورة حية عن واقعه الحضاري وعن تأثير امتزاج الـعنصر العربـي بتلك العنـاصر والأجناس الأجنبـية التي كانت تـشكل دعامة المجتمع العباسي أيام عصر ازدهار الحضارة العباسية ، وعلى الأصح أيام الجاحظ الذي جعلنا نقترب شيئاً فشيئاً من مجتمعه ، ونتعايش مع ذلك المجتمع عبر القرون والأجـيال الغابرة ، ولنرجع للـوراء قليلاً لنرى الجاحظ وهـو يتتبع الحرفيين في تصويرهم للمعركة وأولـهم كان صاحب الخيل عندما سأله الجاحظ

(١) صناعات القواد ص ٣٩٠

(٢) صناعات القواد ص ٣٩١ .

عن الحرب وكيف كانت هناك ؟ فقال : لقيناهم في مقدار صحن الاصطبل ، فما كان بقدر ما يحس الرجل دابته حتى تركناهم في أضيق من ممرغة . وقتلناهم كأنهم أنابير سرجين»[1] فنلاحظ الكلمات التي وردت في كلام هذا السائس من مثل اصطبل وحس وممرغة وأنابير وسرجين هي دلالة واضحة على سيطرت مهنته عليه وتشكيل تفكيره بما يتلاءم والكلمات التي يستعملها بعمله ويتداولها مع أفراد حرفته . أما الطبيب فهو يتكلم عن المعركة وكأنه يجرى عملية جراحية أو وكأنه يعالج مريضاً من مرض عضال وبسؤال الجاحظ لبختيشوع الطبيب عن المعركة رد عليه قائلاً : «لقيناهم في مقدار صحن **البِيمَارِسْتان**، فما كان بقدر ما يختلف الرجل مقعدين حتى تركناهم في أضيق من محقنة ، فقتلناهم فلو طرحت مبضعاً ما سقط إلا على أكحل رجل»[2] . فنرى صورة تلاحم الأعداء في قتالهم ترتبط عنده بصورة البيمارستان ، **والمِحْقَنة** ، **والمباضع**، وما في الجسم من أوعية دموية مثل الأكحل وهو من عروق اليد . ولكن هذه الصورة تتغير تماماً عندما يصورها لنا جعفر الخياط بصورة الملابس وسوقها ، وأشكالها ويصوغ قوالبه اللفظية بما يستخدمه من ألفاظ في صناعته مثل **الدَّرْز** والجربان والإبرة **والأزرار** وعروتها ، فنراه يقول في وصفه : لقيناهم في مقدار سوق الخلقان ، فما كان بقدر ما يخيط الرجل درزاً حتى قتلناهم وتركناهم في أضيق من جربان ، فلو طرحت إبرة ما سقطت إلا على رأس رجل»[3] والمزارع يصف لنا هذه المعركة وكأنه يعاني من سقى أرضه على الرغم من وجود بعض المعاناة إلا أنه ينتصر في النهاية على من يتعرض لهذه الأرض ويعيقه عن عمله ، فالأرض هي التي تدور حولها كلماته في وصفه للمعركة بما في تلك الأرض من زرع ومساحة هذه الأرض هي ساحة

(١) صناعة القواد ص ٣٨١ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٣) صناعات القواد ص ٣٨٤ .

المعركـة وها هو الجاحـظ يقول : وسألـت إسحاق بن إبـراهيم عن مـثل ذلك ويقصد المعركة - وكان زراعاً فقال : «لقيناهم في مقدار جريبين من الأرض ، فما كان بقـدر ما يسقي الرجل مشارة حتـى قتلناهم ، فتركناهـم في أضيق من باب ، وكأنهم أنابيـر سنبل فلو طرح فدان ما سقط إلا علـى ظهر رجل»[1] .

وصنف آخر مـن الحرفيين وهو الخبـاز يصور لنا المعـركة وكأنها تدور فـي بيت التنور وآلاتها المحراك والجـمر وغيرها من كلمات هذه الفئـة من فئات المجتمع العباسي حـتى أنه يستعمل ألـفاظاً ملتصقة أشـد الالتصاق بعمليـة إعداد الخبز وشوائه ، فعـندما سأل الجاحظ الخباز فـرج الرجحى وهو من أهل بـابل أجابه قائلاً : «لقـيناهم في مقدار بـيت التنور فما كان بـقدر ما يخبز الرجـل خمسة أرغفة حتى تركناهم في أضيق من حجر تنور ، فلو سقطت جمرة ما وقعت إلا على جفنة خباز»[2] ولكن هـذا التصويـر لو وصفه حـرفي آخر مثـل صاحب الحمام فيا ترى ماذا سيقول في وصفه لـلمعركة وهذا هو جوابه رداً على سؤال الجاحظ عن تـصويره للمعـركة فقال :«لقينـاهم في بيت الأنبـار ، فما كان إلا بقدر ما يغسل الـرجل رأسه حتى تركناهم في أضيق مـن الأتون ، فلو طرحت ليفة ما وقـعت إلا على رأس رجل»[3] فالكلمات بيـت الأنبار وهو المحل الذي تحفظ فيـه الملابس وباب الأتون وهو المـوقد والليفة ، كـلها كلمات تـدل على مهنة هذا الشخـص الذي استطاع تصوير المعركة من خلال حمـامه وما يحتويه من أوعية ومواقد . وبعـد أن صورت المعركة في جو مليئ بالماء والنـظافة ننتقل إلى جو مـلئ بالأوساخ على اخـتلاف أنواعها ، وهـذا ما يصوره لنا الـكناس الحسن بن أبي قماشة عـندما سأله الجاحظ عن المعركة فأجابه قـائلاً : «لقيانهم في مـقدار سطح الإيـوان ، فما كان إلا بـقدر ما يـكنس الرجـل زنبيلاً حـتى

(١) صناعات القواد ص ٣٨٥ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٦ .

(٣) صناعات القواد ص ٣٨٨ .

تركناهم في أضيق من حجر المخرج ، ثم قتلناهم بقدر ما يشارط الرجل على كنس كنيف فلو رميت بانبه وردانة ما سقطت إلا على بالوعة»[١] ثم حرفي آخر يصور لنا هذه المعركة بصورة ما يقع عليه بصره في بيت الشراب ، وما به من كؤوس تصفى فيها الخمر ، وهذا أحمد الشرابي يقول : «القيناهم في مقدار صحن بيت الشراب ، فما كان بقدر ما يُصفي الرجل دنا حتى تركناهم في أضيق من **رِطْلِيَّة** فقتلناهم ، فلو رميت تفاحة ما وقعت إلا على أنف سكران»[٢] فالكلمات صحن البيت والدن والرطلية هى كلمات تدل أوضح الدلالة على متعاطيها ومتداولها فهذا يصور المعركة بما تمليه عليه مهنة الساقي وما يدور حوله من أجواء الشراب . أما الطباخ فتصويره للمعركة وكأنه في مطبخه يعد إحدى الوجبات الغذائية الدسمة ، وحوله أدواته وبين يديه اللحوم، التي يعدها والموقد مستعر أمامه ، ونراه يقول ذلك الطباخ : «لقيناهم في مقدار صحن المطبخ ، فما كان بقدر ما يشوي الرجل حملاً حتى تركناهم في أضيق من موقد نار ، فقتلناهم فلو سقطت مغرفة ما وقعت إلا في قدر»[٣] والذي يلفت الانتباه أن كلمة صحن تتردد كثيراً في كلام الحرفيين من تلك الفئة الاجتماعية من فئات الشعب العامة .

إن الذي يتصفح رسالة الجاحظ في صناعات القواد يكاد يخرج بنتيجة حتمية ، وهى أن هذه الرسالة صاغها الجاحظ وألفها ونظم أشعارها بنفسه قاصداً فيما نحسب إلى أن يضمنها ما جاء على لسان طوائف الشعب من جميع المستويات المختلفة ، ومن الطريف أن نلاحظ أن الحرف والمهن كانت تؤثر في كلام أصحابها ، فتصبح الكلمات التي يستعملونها مأخوذة من الحرفة أو المهنة

(١) صناعات القواد ص ٣٩٩ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٩٠ .

(٣) صناعات القواد ص ٣٩١ .

التي يزاولونها . حتى قيل إن لكل صناعة ألفاظاً قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكل بينها وبين تلك الصناعة»[1] ، قال الأصفهاني : ويبدو أن لكل أصحاب صناعة لغة خاصة»[2] ويمكننا أن نتبين تأثير الحرفة في كلام أصحابها من الأمثلة التي أوردها الثعالبي قال : قال أبو أيوب الطبيب في دعائه : اللهم أسقنا شربة من حبك تسهل ذنوبنا . وقدم إلي قطان جدياً سمينا فلما كشف عن جنبه قال : كأنما أخرج من دكان نداف . ونظر **نَدَّاف** إلى غيم منقطع في السماء فقال : كأنه قطن يندف في ديباج أزرق . وقال خياط لابنه : يا بني لا تكن كالإبرة تكسو الناس وأنت عريان . وقال محمد **البَزَّاز** للصاحب : لا زال سيدنا في سلامة مبطنة بالنعمة مطرزة بالسعادة مظاهرة بالغبطة ، فقال : يا أبا أحمد أحسنت قد أخذتها من صناعتك[3] ورسالة الجاحظ التي سأل فيها عدداً من ذوي المهن والحرف عن حرب الروم وكيفية القتال الذي دار بينهم وبين العرب وعن الغزل تشكل جانباً من القاموس اللغوي لفئات وطوائف المجتمع العباسي في عصر الجاحظ ، وقد أسعف الجاحظ دقة ملاحظته وسرعة بديهته وقابليته الفذة في صياغته لرسالة صناعات القواد .

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٣٦٨ .

(٢) الأغاني - الأصهاني جـ ٥ ص ٢٦٠ .

(٣) كتاب خاص الخاص للثعالبي ص ٨٠ - ٨٢ .

الفصل الثاني

الألفاظ الخاصة بالحياة السياسية

الفصل الثاني

الألفاظ الخاصة بالحياة السياسية

خصص الجاحـظ عدداً كبيراً من كتـبه ورسائله لمنـاقشة التيارات السـياسية والدينية الـتي كانت سائدة في عصره وقـد بين لنا تلك التيـارات بألفاظ حددت رقعة الدولة الإسـلامية وما تحتويه من أقـاليم وألفاظ تبين الأجنـاس البشرية ، تلك الدولة المترامية الأطراف وما فيها من عناصر متنوعة ، أورد الجاحظ ألفاظاً تبين العناصر العـربية والأجنبية بأنواعها . وكذلك أورد الجاحـظ ألفاظاً تختص بوظائف الدولة وجيشها ورجال الأمن ومن يدير شئونها ، وذكر الجاحظ الفرق الملحدة الـعديدة التي انتـشرت أبان الدولة العـباسية وحدد نزعـات هذه الفرق بألفاظ كثيرة ولم ينس ذكر رؤسائهم الروحـانيين وكتبهم ومعابدهم . أما الفرق الإسلاميـة واتجاهاتها السـياسية فقـد أورد الجاحظ ألفاظاً أجـادت وصف هذه الفرق وما يتعـلق بها من أمور كأنواعها وتـعاليمها ومباحثهـا . وأهل الذمة لم يغفلهم الجاحظ فجاء بألفاظ تبين أماكن عبادتهم وتعاليمهم وطقوسهم .

أولاً: الألفاظ الخاصة بإقليم الدولة الإسلامية

عندما ذكر الجاحظ التقسيمات الإدارية للدولة الإسلامية وردت عنده الألفاظ التي تدل على هذه التقسيمات بصورة مباشرة فقد ذكر : المملكة ، والدولة ، والحكومة ، والولاية والإمارة ، والإقليم ، قال في رسالته المعاش والمعاد بعض الكلمات مثل المملكة والدولة **والسياسة** : «وكل أمر لم يصح في معاملات الدنيا لم يصح في الدين ، وإنما الفرق بين الدين والدنيا اختلاف الدارين من الدنيا والآخرة فقط ، والحكم ها هنا الحكم هناك ، ولولا ذلك ما قامت مملكة ، ولا ثبتت دولة ولا استقامت سياسة»[1] وذكر **الحكومة** بقوله «هكذا ظاهر هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة»[2] ، أما كلمة الولاية وهي بمعنى الإمارة على البلاد وحكمها وهذه جاءت بعد اتساع رقعة الدولة ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «ولو قال أسلم فلان كان حكمه المحبة والولاية»[3] وجاء جمع هذه الكلمة **ولايات** ، قال الجاحظ في بخلائه «ضخم البدن كثير العلم فاشي الغلة عظيم الولايات»[4] . وهناك تفسير آخر للولايات سأذكره فيما بعد ، والذي يعنينا هنا هو ورودها جمعاً لولاية وهي الجزء المعروف من الدولة الإسلامية المترامية الأطراف وخير من يشرح لنا معنى الولاية من الكتاب المحدثين هو جرجي زيدان إذ يحدد هذه الكلمة بقوله «يراد بالولاية الإمارة على البلاد» فيولي السلطان أو الملك من يقوم مقامه في حكومة الولايات وهي الأعمال في اصطلاحهم . وهذا النوع من الحكومة قديم . وكانت الشام لما فتحها المسلمون واحدة من ولايات الروم ولاية المشرف وتقسم إلى ١١ إقليماً

(١) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٢ .

(٣) العثمانية ص ٢٠ .

(٤) البخلاء ص ٥٦ .

تحت كل إقليم عدة بلاد ولكل إقليم قصبه[1] ، ثم يستمر جرجي زيدان موضحاً معنى الإدارة بقوله «ثم تنوعت الولايات وصارت درجات متفاوتة على ما اقتضاه الزمان والمكان ولكنها ترجع إلى إمارتين : إمارة عامة وإمارة خاصة»[2] وقد وردت لفظة **إمارة** بمعنى آخر عند الجاحظ قال «حيث لا إمارة وهادي»[3] وهى هنا بمعنى علامة وذكر كلمة إقليم محدداً لها ببلد بابل قال : وإنما صارت ألوان سكان إقليم بابل السمرة أعدل الألوان»[4] .

الأقاليم العربية والإسلامية :

كان من نتائج الفتوحات العربية والإسلامية ، أن انتقل العرب من جزيرتهم إلى أقاليم جديدة في الشرق والعرب ، وجدوا فيها حضارات وثقافات قديمة ، كان عليهم أن يكيفوا أنفسهم لها ويكيفوها لتتفق وقيمهم الإسلامية الجديدة ، وقد ورثت الدولة العربية الإسلامية الكثير من المدن والولايات البيزنطية والساسانية ، وهذا ما حدده لنا ياقوت في معجمه»[5] وقبل أن نتجول في أرجاء الدولة العباسية في زمن ازدهار الحضارة واتساع رقعة المملكة ، نلقي نظرة بسيطة على العراق مقر الخلافة ومركز الدولة الشاسعة الأبعاد الكثيرة الأقاليم ، فقد وردت كلمة **العراق** عند الجاحظ كثيراً جداً ، ولنذكر بعضها على سبيل المثال ، قال في حيوانه يذكر بغداد والعراق ، وواسط ، وسر من رأى ، وعيسا باذ والموصل وكثيراً جداً غيرها من الأسماء لتلك الأقاليم ، وقد حدد الجاحظ معنى كلمة العراق قائلاً : إن العراق إنما سمي سواداً بلون

(١) تاريخ التمدن الإسلامي حرحي زيدان ١/ ١٥٠ .

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي ، حرجي زيدان ١/ ١٥٠ .

(٣) الحيوان جـ ٦ ص ٣٠ .

(٤) البرصان والعرجان ص ٤٨ .

(٥) معجم البلدان - ياقوت جـ ٣ ص ٤١ .

السعف في النخل ومائه»[1] وذكر العراق بقوله : «كنت يوماً عند ذي اليمينين طاهر بن الحسين ، فدخل عليه أبو عبد الله المروزي فقال طاهر : يا أبا عبد الله منذ كم دخلت العراق ؟ قال منذ عشرين سنة»[2] وقال «ومن خصاله أنه إذا أصاب المطر الباب الذي من شق العراق كان الخصب والمطر في تلك السنة في شق العراق»[3] ، أما بغداد فذكرها في أماكن لا تعد ولا تحصى وعلى سبيل المثال حدد لنا مكانة **بغداد** بقوله : «لما كادت الأجناد تحيط ببغداد من جوانبها»[4] ، ذكر **واسط** بقوله : وكانت واسط يومئذ الغابة»[5] وذكر سر من رأى قائلاً : «وزعم لي أن أحد هذه الفيلة التي رأيناها بسر من رأى»[6] وذكر عيسا باذ وهى محلة كانت بشرقي بغداد قائلاً : «قال أبو عثمان : خرجت يوم عيد فلما حرت بعيسا باد إذا تبل مجلل»[7] . وذكر الجاحظ أماكن أخرى بالعراق أو بالقرب منه مثل **كَاظِمة** والمدير وبابل والموصل قال : «الأخدرية هى الحمر التي تكون بكاظمة ونواحيها»[8] وذكر **المَدَيِّر** وهو موضع قرب الرقة قائلاً: «وقد عاب أناس أهل المازح والمديبر بأمور : منها أن خشكنانهم من دقيق شعير»[9] وذكر إقليم **بابل** قائلاً : «إنما صارت ألوان سكان إقليم بابل السمرة»[10] وقال يذكر **الموصل** «وسمعت حديثاً من شيوخ فلاحي الموصل -

(1) الحيوان جـ ٣ ص ٢٤٦ .

(2) الحيوان جـ ٣ ص ٨ .

(3) الحيوان جـ ٣ ص ١٤٠ وانظر ص ١٤٤ - ص ٢٩٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٦ .

(4) الحيوان جـ ٥ ص ٣٨١

(5) الحيوان جـ ٣ ص ٢٩٤ .

(6) الحيوان جـ ٧ ص ٢٣١ .

(7) الحيوان جـ ٧ ص ١ ٢ .

(8) كتاب البغال ص ٣١٢ .

(9) البرصان والعميان ص ٢٣ .

(10) البرصان والعرجان ص ٤٨ .

وأنا هائب له - ورأيت الحديث يدور بينهـم ، ويتقبله جميعهم»[1] . وبعد أن نترك العراق نذهب إلى الشام وبلاد المغرب العربي مروراً بمصر وشاطئ النيل والنوبة والحبشة والسودان وقبل أن نبتعد عن الشام نتجول في هذا الإقليم القريب من العراق ، والذي ذكره الجاحظ بقوله : «وإذا أصاب الذي من شق الشام كان الخصب والمطر في تلك السنة في شق الشام»[2] ولنرى ما الذي ذكر الجاحظ من أقسام هذا الإقليم ، فقد ذكر المزة **ودمشق** والجولان والشامات وحمص وبيت المقدس والأردن . قال ذاكراً المزة : قال : لما صرفت اليمانية من أهل مزة الماء عن أهل دمشق ووجهوه إلى الصحارى كتب إليهم أبو الهيذام : «ليمسسني الماء أو لتصحبنكم الخيل»[3] وذكر **الجولان** بقوله : «وربما كانت الحيات عظاماً جداً ولاسموم لها ولا تعفر بالعصى كحيات الجولان»[4] وذكر **الشامات** قائلاً : وعندنا بالبصرة في الذبان أعجوبة ، لو كانت بالشامات أو بمصر لأدخلوها في باب الطلسم»[5] وذكر **حمص** وأهلها قائلاً «وتلك حيلة لأهل حمص»[6] **وبيت المقدس** ذكرها أيضاً قائلاً : «أن يأخذ من مائة فيطفئ نار بيت المقدس حيث حرق»[7] وذكر بيت المقدس مبيناً مكانته الدينية منذ القدم قال «وروى لنا أن أهل مصر منعوا أولياء يوسف من حمله ، فلما بعث الله موسى عليه السلام وأهلك على يديه فرعون وغيره من الأمم ، أمره أن يحمل رمته إلى تربة يعقوب بالشام ، وقبره علم بأرض بيت المقدس بقرية تسمى

(١) الحيوان جـ ٢ ص ١٢٦ .
(٢) الحيوان جـ ٣ ص ١٤٠ وانظر البيان جـ ١ ص ٣٠١ .
(٣) البيان جـ ١ ص ٣٠١ .
(٤) الحيوان جـ ٤ ص ١٤٨ .
(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٤ .
(٦) الحيوان جـ ٥ ص ٣٤١ .
(٧) الحيوان جـ ٣ ص ٥٣٨ .

حسامى»[١] وجاء ذكر **الأردن** بقوله : «وزعم لي نـاس من أهل الأردن ، أنهم وجدوا الحلفاء قد خرق جوف القار»[٢] أما الجزيرة وأخبارهـا فقد جاءت بعض الكلمات تحدد أماكن معينة في إقليم جزيرة العرب وغيرها من الأقاليم التي تتبع الولايات الإسلامية ، طبعاً الصلة وثيقة بالجزيرة مهد الآباء والأجداد والأواصر وثيقـة بين سكان العراق وسـكان جزيرة العـرب ، فنرى الجاحظ يذكـر بعض الأماكن التي يمر عـليها في طريق البصرة ومـكة طريق التجارة والشعائـر الدينية فنراه يذكر بلاد **نجد** اسم **الجلس** قائلاً : «البطم لا يعرفه أهل الجلس وبلاد نجد هى الجلس»[٣] . وذكر **الدهناء** محدداً مـكان نجد من هذه المـنطقة فـيقول : «ونجد وسط الدهـناء وهى أوسع من الدو ومـن الصمان»[٤] ويذكر لنا أسماء أخرى من بـلاد الجزيرة كالحـزورة والدو والصمان والأخـشبين وغيـرها قال : «فإن فعلت فعليك مائة مـن الإبل تنحرينها في الحزورة»[٥] وهذه **الحَزْوَرَة** «من أسواق مكة ، وذكر الدو والصمان قـال : «وهى أوسع من الدو ومن الصمان وعلى ظهر مسجد الجامع»[٦] . وذكر الأخشبين : «وتنسجـين لي ثوباً يقطع ما بين الأخشبين»[٧] وهذان الأخشبان جبلان في مكة أيضاً .

أما **عمان** فقد ذكرها بقوله : «ولذلك البحر ريح تهب من عمان إلى جهة الزنج شهرين»[٨] ولعل المقـصود هنا بجهة الـزنج الساحل الشرقي لأفـريقية ، فالملاحـة البحريـة بين عمان وتلـك المنطقـة ازدهرت على مـدى عدة قرون .

(١) الحنين إلى الأوطان ص ٤١٠ .
(٢) الحيوان جـ ٤ ص ٣١٥ .
(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٤٥٤ .
(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٣٧٢ .
(٥) كتاب القيان ص ١٥٠ .
(٦) الحيوان جـ ٣ ص ٣٧٢ .
(٧) كتاب القيان ص ١٥١ .
(٨) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٢ .

ويكمل لنا الجاحظ الجولة إلى بلاد أفريقيا فيذكر مصر والسودان والمغرب العربي في شمال أفريقيا ثم الحبشة ، فالجاحظ يتحدث عن مصر وشاطئ النيل والنوبة والسودان والحبشة والمغرب ، هذه البلدان يأتي ذكرها في كتبه في إشارات متفرقة ، فقد ذكر **مصر** بقوله : «والحرذون دويبة تشبه الحرباء تكون بناحية مصر وما والاها»(١) وذكر مصر أيضاً في حيوانه قال : «وعندنا بالبصرة في الذبان أعجوبة لو كانت بالشامات أو بمصر لجعلوها في باب الطلسم»(٢) . وذكر مصر قائلاً «فحيث وجد أهل مصر أثر تلك الأرجل عرفوا أن ما ء النيل سينتهي في طلوعه إلى ذلك المكان»(٣) ، وبعد أن ذكر لنا مصر والنيل يأتي إلى ذكر **شاطئ النيل** وبما يمر به من بلدان فقال : «ويزعم من أقام ببلاد السودان أن الذين يسكنون شاطئ النيل من الحبشة والنوبة أنهم يشربون الماء الكدر ، ويأكلون السمك النيئ فيعتريهم طحال شديد»(٤) . وذكر **النوبة** في مكان آخر ومعها الحبشة أيضاً ، والظاهر أن هاتين الكلمتين تأتيان متلازمتان قال : «إنه لا يقال للزنج والحبشة والنوبة بيض ولا حمر وليس لهم اسم إلا السود»(٥) ويذكر **الحبشة** فيقول : وزعم صاحب المنطق أن بالحبشة حيات لها أجنحة»(٦) . أما **المغرب** فيأتي ذكرها في الحيوان بقوله : «وربما رأينا الرجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ إلا القليل»(٧) هذه بعض المقتطفات من كتبه التى ذكر فيها أسماء بلدان متنوعة لا يمكن أن يكون قد أخذها من الرواة فقط وسمع أخبارها وصنف أخباسها عن طريق الرواية ، لقد كان كلام الرواة عن هذه الأقطار

(١) الحيوان جـ ٦ ص ٥٨ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٤ وانظر البخلاء ص ٦٢ .

(٣) الحيوان جـ ٧ ص ٢٥٠ .

(٤) الحيوان جـ ٧ ص ١٣٨ .

(٥) فخر السودان على البيضان ص ٢١٠ .

(٦) الحيوان جـ ٧ ص ٢٥ .

(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٧٢ .

القريبة والبعيدة على حد السواء مما يزيد منه حب التشوق لرؤيتها ويغريه أن يضرب في الآفاق ليرى بنفسه ويستطلع ما يريد استطلاعه ، وهناك نصوص تؤيد تجوال الجاحظ ورحلاته ، وهذا ما نراه منشوراً في تضاعيف كتبه من نصوص يصرح في ثناياها برحلاته هذه يقول «ورأيت عجباً آخر ، وهو أني في طول ما دخلت البراري ، ودخلت البلدان ، في صحاري جزيرة العرب والروم والشام والجزيرة وغير ذلك »[1] وهذا النص صريح في أنه كان للجاحظ جولات واسعة دخل فيها الصحاري والبلدان العامرة : ونص آخر يذكر الجاحظ عن بلاد الترك قائلاً : وقد رأينا بلاد الترك فرأينا كل شئ فيها تركيا ومن رأى دوابهم وإبلهم علم أنها تركية»[2] وهناك نصوص أخرى تبين مدى معرفته لتلك البلدان - وانطباعاته عنها وتجواله فيها ومعرفته لأهلها . ونعود مرة أخرى لنرى البلدان التي يصفها لنا الجاحظ في رحلاته ومن خلال احتكاكه بالأقوام التي تفد إلى بلدته وهذا الجو الذي يموج بالأقاصيص المختلفة والأعاجيب المثيرة عن بلاد المشرق ، فارس وما جاورها وبلاد ما وراء النهرين حتى يصل بنا المطاف إلى بلاد السند والهند والصين والتبت . فمن الأقاليم الفارسية يذكر لنا الجاحظ «عبادان والأهواز وبلخ وكسكر وشيراز، ومرو وشهر زور وسجستان وكرمان وخراسان» . وهذه الأقاليم الفارسية جاء ذكرها عند الجاحظ في أماكن عديدة من كتبه فقد ذكر **عَبَادان** بقوله: «سمعه بعبادان يقول في قصصه : اللهم من علينا بالشهادة»[3] وفي مكان آخر ذكر عبادان بقوله على لسان أحد الأشخاص : «يكلمه في مرمة داره التي تطوع ببنائها في رباط عبادان»[4] وذكر لفظة **الأهْوَاز** قائلاً : «لو كان منزلي سوق الأهواز أو نطاة

(١) الحيوان جـ ٧ ص ٤١ .

(٢) مناقب الترك ص ٦٣ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٣٢٤ .

(٤) البخلاء ص ٢٠٩ .

خيبر أو وادي الجحفة لرجوت أن أستفضل كل سنة مائة دينار»[1] ثم يذكرها بقوله : «أنه رأى أصحاب الجبن الرطب بالأهواز وقراها»[2] . ويذكر **كَسْكَر** قال «وكنا عند داود بن أبي داود بواسطة أيام ولايته كسكر[3] . وبلد آخر هو بلخ ذكرها الجاحظ قائلاً : إن زرادشت «وهو صاحب المجوس جاء من بلخ وادعى أن الوحي ينزل عليه على جبال سيلان ، وأنه حين دعا سكان تلك الناحية الباردة، الذين لا يعرفون إلا الأذى بالبرد»[4] ، ثم يذكر **شِيرَاز** فيقول: «ويزعمون أن شيراز من بين قرى فارس لها فغمة طيبة»[5] . ثم **شَهْرَزُور** يذكرها قائلاً «والعقارب القاتلة تكون في موضعين : بشهرزور وقرى والأهواز»[6] . ويذكر سجستان التي تشتهر بأفاعيها قائلاً : «إذ دخل عليه بعض من يجلب الأفاعي من سجستان»[7] وموضع آخر أيضاً يقول عن **سِجِسْتَان** : «وإنه لو أعطى أفاعي سجستان وثعابين مصر وحيات الأهواز لأخذها»[8] ومنطقة أخرى من بلاد فارس وهي كرمان ، قال الجاحظ عنها : «وقد رأيت عوداً يؤتى به من ناحية كرمان لا يحترق»[9] هذه النصوص قليلة وبسيطة جداً عما ذكره عن بلاد فارس وماله فيها من عجائب وأقاصيص ، وخاصة في كتابه البخلاء وكيف خص بالذكر البخيل المروزي وأهل خراسان بالذات فيقول في تعليقه على أهل **خُرَاسَان** : نبدأ بأهل خراسان لإكثار الناس

---

(١) البخلاء ص ١٠٤ .

(٢) الحيوان جـ ٤ ص ٤٦ .

(٣) البخلاء ص ٦٢ أنظر الحيوان جـ ٣ ص ٢٩٥ .

(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٦٧ .

(٥) الحيوان جـ ٧ ص ٢٣٠ .

(٦) الحيوان جـ ٥ ص ٣٥٨ .

(٧) الحيوان جـ ٤ ص ١١٦ .

(٨) البخلاء ص ٦٢ .

(٩) الحيوان جـ ٦ ص ٤٣٥ .

في أهل خراسان ، ونخص بذلك أهل مرو بقدر ما خصوابه»[1] بهذه الجملة يبدأ كتابه البخلاء ، وبأهل خراسان كانت أولى حلقاته مع البخلاء . وكان لقاؤه مع أهل مرو سطره بأحاديث وقصص فيها البخل عند هؤلاء الناس في ذلك البلد الفارسي ، قال عن أهل **مَرْو** : ويقال إن هذا المثل الذي جرى على ألسنة العوام من قولهم : ينظر إليّ شذرا كأني أكلت اثنين وأطعمته واحداً . إنما هو لأهل مرو»[2] ثم يتوغل بنا الجاحظ إلى الشرق لنرى بلاداً وصفها أو وصف بعض أهلها وأرضها وهذه البلدان (طبرستان وسندان والزابج وسرنديب وغانة وفرغانة ونهاوند ثم الهند) وبعض مناطقها أي أنه ذكر الهند وأجزاءها كمولتان ومقلاس والقمار والديبل ، واستمر في ذكره للبلدان حتى وصل السند وسيلان والصين والتبت ، وسأذكر هذه الأقاليم حسب ورودها عند الجاحظ ، وقد ذكر **طَبَرِسْتَان** عندما تكلم عن أحد أجواد العرب ، قال : «وكان سهم الحنفي يلي طبرستان ، لمعن بن زائدة، مع حداثة سنه يومئذ ، وكان له مروءة وقد في نفسه»[3] ثم يذكر **سندان** قائلاً «لم تشهدني وكردويه الأقطع أيام سندان»[4] . وذكر الزابج التي حددها ووصف أهلها بشكل دقيق، وقد مر في طريقه من السند إلى **الزابج** ببلدان عديدة قال : «وجزائر البحر ما بين الصين والزنج مملوءة سوداناً كسرنديب وكله وأمل وزابج وجزائرها إلى الهند إلى الصين إلى كامل وتلك السواحل»[5] ثم يصف لنا **الهند** وبعض أجزائها قال : «وليس بعد أرض الهند أكثر ذباباً من واسط»[6] وقال : «ولو

(١) البخلاء ص ١٧ .

(٢) البخلاء ص ٢٧ .

(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٣٧٩ .

(٤) البخلاء ص ٥٠ وانظر الحيوان جـ ٧ ص ٢٣١ .

(٥) فخر السودان على البيضان ص ٢١٦ . وانظر مناقب الترك ص ١٩ الحيوان جـ ٧ ص ٢٣٠ .

(٦) الحيوان جـ ٣ ص ٣٢٥ .

سمعت أو رأيت بعض ما قد أعد الهند من هذه المخاريق في بيوت عباداتهم ، لعلمت أن الله تعالى قد من على جملة الناس بالمتكلمين ، الذين قد نشأوا فيهم»[1] نرى في هذا النص أن الجاحظ يصف دور العبادة الهندية ، وهذا مما يرجح زيارته لهذه البلدان ثم يصف لنا بعض أجزاء من الهند فيقول : «والهند والقمار والدبيلا والصين وماصين»[2] ثم يذكر أجزاء أخرى من الشرق البعيد **السند** ، وقد جاء ذكرها كثيراً **وسِيلان** ، وقد بين أهميتها قائلاً : «وادعى أن الوحي نزل عليه على جبال سيلان»[3] ثم ذكر **غانة** بقوله : «وأهل غانة إنما صار لباسهم جلود نمور»[4] **وفَرْغانة** : «ولكن اشتد عجبي منك اليوم وأنا بفرغانة وأنت بالأندلس ، وأنا صاحب كلام وأنت صاحب نتاج»[5] . ووصل إلى **مُولتان** فيقول : ولا رأيتني أيام حرب مولتان»[6]، ثم يتكلم عن الصين ، ومن كلامه نستنتج أنه لم يصل إلى تلك البلاد البعيدة، ولكنه سمع عنها الكثير وكتب عنها أكثر ، فهو يقول عن **الصين** والتبت : «ألا ترى أن أهل الصين والتبت حذاق صناعات»[7] ثم يروي شيئاً غريباً عن **التبت** قائلاً : «ألا ترى أنهم يزعمون أن من دخل أرض التبت لم يزل ضاحكاً مسروراً من غير عجب حتى يخرج منها»[8] ولو أردت أن أذكر البلاد التي كتب عنها الجاحظ لما أوفيت الكلام حقه ، فالجاحظ ذكر بلدان عديدة جداً في أثناء وصفه للأقوام أو في أثناء وصفه لطبيعة الأرض ، وجاءت **الأندلس** في نصوص كثيرة ولكنه

(١) الحيوان جـ ٦ ص ٢٠١ .
(٢) فخر السودان على البيضان ص ٢١٦ .
(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٦٧ .
(٤) الحيوان جـ ٧ ص ١٣٤ .
(٥) في الجد والهزل ص ٢٦٥ .
(٦) البخلاء ص ٥٠ .
(٧) الحيوان جـ ٥ ص ٣٦ .
(٨) الحيوان جـ ٥ ص ١٣٥ .

ليس هنـاك ما يؤكد ذهاب الجاحـظ لها ، وذكر **صقلية** أيضاً في معـرض كتابه عن النمل قال : «وفي الجزيرة التي تسمى صقلية لا يكون بها صنف من النمل الذي يسمى أقرشان»[1] وذكر **نهاوند** أيضـاً قال : «ولا يكـون بأرض نهـاوند حمار لشدة برد الموضع»[2] . وقد كان من مـناهل ثقافة الجاحـظ رحلاته إلى البلدان الإسلاميـة ، وهذا ما يؤكده الخطيب البغدادي فـي حديثه عن رحلات الجاحظ قـال على لسان الجـاحظ : «قد رأيت المدن الـعظام المذكورة بـالاتقان والإحكام ، بالشامات ، وبلاد الروم ، وفـي غيرها من البلدان»[3] ومن المؤكد أن الجاحظ طاف بمعظم البلاد الإسلامية ، ونـستطيع أن نقف على هذا مما نراه منشوراً في تضاعيـف كتبه من نصوص يصرح في ثناياها بـرحلاته ، مثل قوله عن زيارته لدمشق قال : «وقد رأيت مسجد **دمشق** ، حين استجاز هذا السبيل ملك من ملوكها ، ومن رآه فقـد علم أن أحداً لا يرومه ، وأن الروم لا تسخو أنفـسهـم به ، فلـما قـام عمـر بن عبـد العـزيز ، جلـله بـالجلال ، وغـطاه بالكرابيس»[4] ومن الكتـاب المحدثين الذين عايشـوا كتابات الجاحظ المـستشرق شارل بيلات يقول عنـه مؤكداً لرحلات صاحبه في كتابه المـعنون باسم الجاحظ وهناك عامل هام في تكوين هذا العالـم الإسلامي هو سفره في طلب العلم . وتلك عادة مألوفة عـند أهل الحديث لم تكن تثير اهتـمام الجاحظ ، ولـم يكن هذا الرجل الطلعة – الـذي تستهويه طرائف الأشياء ومناظر الطـبيعة المنحولة – والذي وجد فضوله في تأمل ما يحيط به غذاء متجدداً ، ثم يستمر شارل بيلات في حديـثه عن رحلات الجاحـظ بأن جميع أسـفار الجاحظ حدثـت في الدور البغدادي[5] . ومما يؤكـد لنا رحلات الجاحـظ وصفه المتقن لـلسفر ومكـابدته

(١) الحيوان جـ ٤ ص ١٠٦ .

(٢) الحيوان جـ ٤ ص ١٠٦ .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ ٣ ص ٧٧ طبعة دار السعادة .

(٤) الحيوان جـ ١ ص ٥٧

(٥) الجاحظ شارل بيلات ص ١١٧ .

للمتاعب واستمتاعه بالرحيل ، وكيف لا يستمتع وهو ابن البيئة البصرية ، ومن المعروف عن البصريين الرحلات والضرب في الأرض ، وهذه عادة جبلوا عليها ، ففي كلام الجاحظ نص يبين لنا شعور المسافرين ويصف في رسالته «مناقب الترك» تعب المسافر وتسامره مع رفاقه وهو بهذا الوصف صادق الحس ومجرب لأهوال السفر والترحال قال : «وإذا طالت الدلجة واشتد السير وبعد النزل ، وانتصف النهار ، واشتد التعب ، وشغل الناس الكلال وصمت المتسايرون فلم ينطقوا وقطعهم ما هم فيه عن التشاغل بالحديث ، وتفسخ كل شئ من شدة الحر وحمد كل شئ من شدة البرد ، وتمنى كل جليد على طول السرى أن تطوي له الأرض ، وكلما رأى خيالاً أو أبصر علماً سربه واستبشر ، وظن أنه قد بلغ المنزل»[1] . ومن هذا النص يتبين لنا وصف رجل مجرب صادق الحس . وهناك بلدان ذكرها الجاحظ مرات ومرات كبلاد فارس ومدنها وأسواقها والسند والهند وعمان واليمن وأيضاً البحرين وبقية مدن الجزيرة العربية ، ولا ننس الشام وما يحيط بها ومدن أفريقيا .

(١) مناقب الترك ص ٤٩ - ٥٠ .

ثانياً: الألفاظ الخاصة بشعوب الدولة الإسلامية :

إن المملكة الإسلامية في عصر الحضارة العباسية أصبحت تتكون من أمم مختلفة ، وكان لكل أمة من هذه الأمم مزايا وصفات ، وقد عدد الجاحظ مزايا كل أمة في عصره فقال :

واليونانيون يعرفون العلل ولا يباشرون العمل ، وميزتهم الحكم والآداب وميزة سكان الصين الصناعة فهم أصحاب السبك والصياغة والأصباغ العجيبة وأصحاب الخرط والنحت والتصاوير . وميزة آل **ساسان** في الملك والسياسة ؛ **والاتراك** في الحروب، واشتهر أهل الهند بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب والصناعات الكثيرة العجيبة[1] . أما العرب فقد وصفهم الجاحظ بقوله : لم يكونوا تجاراً ولا صناعاً ولا أطباء ولا حساباً ولا أصحاب فلاحة فيكونوا مهنة ولا أصحاب زرع لخوفهم من صغار الجزية ولا طلبوا المعاش من ألسنة المكاييل ورؤوس الموازين ولا عرفوا الدوانيق والقراريط ، فحين حملوا حدهم ووجهوا قواهم إلى قول الشعر وبلاغة المنطق وتشقيق اللغة وتصاريف الكلام وقيافة البشر بعد قيافة الأثر وحفظ النسب والاهتداء بالنجوم[2] . وقد بحث الجاحظ قضية الأجناس المختلفة ومكانتها الاجتماعية والسياسية في رسالته فخر السودان على البيضان ، أما في رسالته مناقب الترك فقد عالج مسألة مهمة أثارت اهتمامه ، وهي محاولة التوفيق بين العناصر المتباينة التي جمعتها الخلافة العباسية في عصر ازدهار الحاضرة إلى أعلى مراتبها .

ومن العناصر التي ذكرها الجاحظ في كتبه على سبيل المثال وليس الحصر مثل **الفراعنة** والفرعوني والحبشي والزنج والزط والخوز والصقالبة والأشبانيين والفرنجة والأبر والحمر حتى إنه وصل في وصفه للأقوام إلى يأجوج

(١) مناقب الترك ص ٦٩ .

(٢) مناقب الترك ص ٧٠ .

ومأجوج، هؤلاء القوم الذين ذكرهم في كتبه ممن كانت لهم صلات بالدولة العباسية ، أو ممن جلبوا للعمل أو الخدمة أو غيرها من مطالب الحياة السياسية والاجتماعية ، ومن هؤلاء الأقوام الفراعنة ، قال الجاحظ : «وخبرني عن الفراعنة : أهم من نسل العمالقة»[1] وذكر **الحبش والزنج** قال : «ومن مفاخر السودان والزنج والحبش ما ذكرنا من قصيدة الحيفان»[2] وقال : «لم أنتفع بأكل التمر إلا مع الزنج وأهل أصبهان»[3] ، وذكر **الخُوز** ومفردهم خوزي قائلاً : ويبايع الخوز ويجاورهم زماناً فلا يتعلق منهم بطائل»[4] ، وذكر الخوزي وهو نسبة إلى خوزستان من البلاد الفارسية قائلاً : «فصاد رخمة وشواها ببعر ، وقربها إلى خوزي فقال له الخوزي : أخطأت في كل شئ أمرك به الملك : ليس الرخمة شر الطير ، وليس البعرة شر الحطب ، وليس الخوزي شر الناس»[5] . **والزط** ذكرهم كثيراً وهم سكان جبل في الهند جلبوا إلى الدولة العباسية ، جاء ذكرهم بقوله : «قيل له : فإن الزط في الآجام يداومون بين السمك واللبن وهم مغتمسون في جميع أصناف الرطوبات[6] وقال : «سل عني صعاليك الجبل وزواقيل الشام وزط الآجام»[7] ومن هذا النص نتبين مكانة الزط الاجتماعية وكيف أنهم من الفئات الدنيا في المجتمع العباسي .

ويذكر الجاحظ **الصقالبة** والروم ومن يشابههم قال : وقد رأينا الصقالبة أنجل من الروم والروم أبعد روية وأشد عقولاً»[8] ثم يبين لنا أثر البيئة في

(١) التربيع والتدوير ص ٢٩ .

(٢) فخر السودان على البيضان ص ١٩٠ .

(٣) البخلاء ص ١٩٦ .

(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٢٨٩ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٥٢٠ .

(٦) البرصان والعرجان ص ٤٩ .

(٧) البخلاء ص ٤٩ .

(٨) فخر السودان على البيضان ص ١٩٦ وانظر الحيوان جـ ٤ ص ٧١ .

الأشبانيين قال : إن في العرب قبائل سوداً كبني سليم بن منصور ، وكل من نزل الحرة من غير بني سليم كلهم سود ، وإنهم ليتخذون المماليك للرعي والسقاء والمهنة والخدمة من الأشبانيين ومن الروم نسائهم ، فما يتوالدون ثلاثة أبطن حتى تنقلهم الحرة إلى ألوان بني سليم ، ولقد بلغ من أمر تلك الحرة أن ظباءها ونعامها وهوامها وذبابها وثعالبها وشاءها وحميرها وخيلها وطيرها كلها سود ، والسواد والبياض إنما هما من مثل خلقة البلدة[1] نرى الجاحظ في هذا النص ينادي بالمساواة بين البيض والسودان ، إذ أنه يجعل الوجه الطبيعي سبباً في النتائج الاجتماعية التي ترتبت على التفرقة العنصرية بين **السودان والبيضان**. ولنترك هذه القضية ونعود إلى بقية الأقوام الذين ذكرهم الجاحظ مثل الأبر **والفرنجة** قال : «لأن أكثر ما يعد البيضان فارسي والجبال وخرسان والروم والصقالبة والفرنجة والأبر وشيئاً بعد ذلك غير كثير»[2] وهو هنا يعدد الأقوام البيض ويذكر منهم **الحمر** أيضاً وهم الروس على الأرجح قال : «ولا أشبه فما ووجها بالإنسان من القرد وربما رأينا وجه بعض الحمر إذا كان ذا خطم ، فلا تجد بينه وبين القرد إلا اليسير»[3] ، ويستمر في عرضه للأقوام حتى يصل إلى يأجوج ومأجوج ، وهؤلاء يقال : إنهم من الجنس الآسيوي بني من أجلهم سور الصين الذي بناه الاسكندر ، وقد بين المسعودي في مروجه بأن طباعهم في عداد البهائم ، وقد ذكرهم الجاحظ قائلاً : «ولا ننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ماؤهم وتفسد تربتهم ، فيعمل ذلك في طباعهم على الأيام كما عمل ذلك في طباع الزنج وطباع الصقالبة وطباع بلاد يأجوج ومأجوج»[4] .

(١) فخر السودان على البيضان ص ٢١٩ .
(٢) فخر السودان على البيضان ص ٢١٥ .
(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٩٨ .
(٤) الحيوان جـ ٤ ص ٧١ .

من النصوص السابقة نرى أن الجاحظ عدد لنا الأقوام حسب ألوانهم البيضان والسودان والحمر وما شابه ذلك ، وسوف نتكلم عن فعالية هؤلاء الناس واتصالهم بفئات المجتمع العباسي ومدى تأثرهم وتأثيرهم في المجتمع وأجناسه بعد أن استعرضنا البلدان التي تكون رقعة الدولة العباسية ، والبلدان التي عرفها العباسيون وتعاملوا معها واتصلوا بها واستفادوا منها .

ثالثاً: الألفاظ الخاصة بالوظائف والجيش في الدولة الإسلامية :

الوظائف في الدولة العباسية تشعبت على مقتضيات الأحوال في ذلك العصر ، فاستحدث العباسيون مناصب وظيفية لكي تتلاءم مع عصر الحضارة العباسية ، فنرى أن عوامل الاختلاط في ذلك العصر أثرت على الحياة السياسية ، إذ أصبح الخلفاء أكثر ترفاً من العصور السابقة لعصرهم ، فالرخاء جعلهم يستنيبوا من يقوم مقامهم ، ويقضي أعمالهم ، ويباشرها ، وبهذا خرج إلى النور نظام الوزارة والحبسة ، ثم تفرعت المناصب وتشعبت على مقتضيات الأحوال للبلدان الشاسعة التي تضمها .

١ - مناصب الحكم في الدولة العباسية :

وهذه المناصب هى الوزارة والولاية أو الولاة والقضاة والقادة ثم القهرمان والقيم وصاحب المسلحة والمعدلون والشرطة والجمع أشراط وشرط ، وقبل أن ندخل في السلم الوظيفي ومتاهات هذه الوظائف ، ومنها الكبيرة المرموقة ومنها الصغيرة بصلاحيتها الكبيرة بمهمتها . وقبل الخوض في تعريف هذه الوظائف تنظر إلى الجاحظ وهو يصف لنا كلمة **رياسة** التي تتعلق بها الآمال السياسية للدولة وكيف تكون هذه الرياسة ولمن تكون فيقول : «فلسنا نشك أن الإمام الأكبر والرئيس الأعظم مع الأعراق الكريمة والأخلاق الرفعية والتمام في الحلم والعلم ، والكمال في الحزم والعزم مع التمكين والقدرة ، والفضيلة والرياسة والسيادة والخصائص التي معه مع التوفيق والعصمة»[1] ويذكر لنا كلمة سياسة **وساسة** وسيادة وحاشية **وجمهور** ودهماء ، وقد ذكر الجاحظ فصلاً طويلاً في كتابه العثمانية يناقش فيه قضية اختيار الناس إمامهم وخليفتهم، ونلاحظ أنه يمزج بين صفة الإمامة والخلافة ، ومن رأيه أن معنى

(١) مناقب الترك ص ٣٩ .

«الإمامة وتأويل الخلافة أمر تدركه الخاصة ولا تعرفه العامة ، ذلك بأن العامة مع كل ريح يهب ، وناشئة تنجم»[1] وقال عن الرياسة : «وينسب إلى العلية ، ويطلب الرياسة ويخطب السيادة»[2] وذكر **السياسة** بقوله : «اختلاف الدارين من الدنيا والآخرة فقط» ، والحكم ها هنا الحكم هناك ولولا ذلك ما قامت مملكة ولا تثبت دولة ولا استقامت سياسة»[3] أما كلمة **ساس** فقد ذكرها في كتابه الحجاب قال : والواجب على من ساسهم التوقي على نفسه من سوء ظنونهم»[4] وبعد **الساسة** ننزل من القمة إلى طبقة **الجمهور** من الدهماء ، وقد وردت هاتان الكلمتان في كتابات الجاحظ ، قال في البيان والتبيين : هكذا ظاهر هذه القضية، وجمهور هذه الحكومة»[5] ثم يصف **الدهماء** بقوله : «فما ظنك بالسوقة والحشوة وبالدهماء والعامة»[6] ويورد الجاحظ كلمة دهماء قائلاً: «ولسنا نخبر إلا عن دهماء الناس وجمهورهم كيف كانوا من ملوك وسوقة»[7]، وكلمة **حاشية** التي جاءت بنفس المعنى ذكرها بقوله : «وفرض لسوى هؤلاء النفر من العجم من الحاشية والعوام»[8] ، وبعد الخليفة يأتي دور الولاة والقضاة والقادة ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأقسام وعلى رأسها **الوزير** الذي يكون في أعلى الرتب بعد الخليفة وله النيابة عنه في الحل والربط ، وفي زمن العباسيين اقتبسها المسلمون عن الفرس وقد عظم شأن الوزير وصارت إليه المكاتبات لصون أسرار الخليفة والنظر في ديوان الحساب ، وقد ذكر الوزير

(١) العثمانية ص ٢٥٠ .
(٢) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٠ .
(٣) المعاش والمعاد ص ٩٩ .
(٤) كتاب الحجاب ص ٣٥ .
(٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٢ .
(٦) كتاب البغال ص ٢٢٥ .
(٧) الحيوان جـ ٦ ص ٧١ .
(٨) العثمانية ص ٢١٣ .

بقوله «ونحن بعد تربية الخلفاء وجيران الوزراء ولدنا في أفنية ملوكنا»[1] ، وقد ذكر الوزير من قبل الكلام عن الولاة والقضاة والقادة لأنه منصب استحدث في عصر الخلافة العباسية ، ولم تحدد سلطات الوزارة بصورة ثابتة في أول عهدها، وقد صنف الجاحظ كتاباً في «أخلاق الوزراء» ولم يصل إلينا شئ عنه سوى إشارة عابرة في صدر رسالته (فصل ما بين العداوة والحسد) تنص على أن هذه الرسالة مسبوقة بكتاب (فضل الوعد) وهو من الكتب التي أشار إليها الجاحظ في مقدمة حيوانه «كتاب أخلاق الوزراء الذي تقدم كتاب فضل الوعد»[2] وقال في **الوزراء** : «والمكارم الباقية المأثورة مع ما تضمنته من سير الملوك والخلفاء ووزرائهم وأتباعهم وما جرت عليه أحوالهم»[3] وذكر الجاحظ **الولاة** وهم الذين يقومون مقام الخليفة في حكومة الولايات وهي الأعمال التابعة للدولة العباسية وكذلك القضاة قال الجاحظ : «وجعله متصفحاً على القضاة وعتاداً على الولاة»[4] . وجاء ذكر **القادة** في كتاب العثمانية أكثر من غيره من الكتب الأخرى ، فذكره الجاحظ بقوله «فأما الحشوة والطغام فإنما هم أداة للقادة وجوارح للسادة»[5] . وينتقل الجاحظ إلى من يتولى تنفيذ أحكام الولاة وهم **الحجاب** والكتاب ، وقد ذكرهم في كتابه فقال : «اعرف حاجبك وجليسك وكاتبك فإن الغائب يخبره عنك كاتبك والمتوسم يعرفك بحاجبك» . وقال الفضل بن يحيى أحد وزراء العباسيين : «إن حاجب الرجل عامله على عرضه وإنه لا عوض لحر من نفسه»[6] .

(١) مناقب الترك ص ٢٨ .

(٢) فصل ما بين العداوة والحسد ص ١٢٠ ، ص ٣٣٨ .

(٣) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٣٨ .

(٤) الفتيا ص ١١٥ ط .

(٥) العثمانية ص ١٨ .

(٦) كتاب الحجاب ص ٤٠ .

وهناك نوع آخر ممن يقيمون الأحكام وهم **المعدلون** ، قال عنهم الجاحظ : «ولا يرتع فيه المعدلون في زمان السوء»[1] . وذكر **القهرمان** في رسالته الحنين إلى الأوطان، قال : «فقال الوليد لقهرمانه أسيلم بن الأحنف»[2] وهناك **القيم** وهو من الذين يعتمد عليهم في تصريف أمور الدولة وأحياناً يطلق على مديري البيوت الكبيرة ، وفي مجال كلامنا على وظائف الدولة ، فالقيم ذكره الجاحظ بهذا المعنى فقال : «ولم يزل بمكانه في ديوانه قيماً لابن أبي خالد الأحول»[3] .

٢ - الشرطة وحفظة الأمن :

ويحدثنا الجاحظ عن صاحب المسلحة الذي كان يقوم في الفصل ما بين الباعة والمشترين ، ويروي لنا هذه الحكاية عن سلطة **صاحب المسلحة** ، فيقول: «وإذا امرأة قد تعلقت برجل وهي تقول : بيني وبينك صاحب المسلحة»[4] أما **الشرطة** وأخبارهم فقد استرسل الجاحظ في الحديث عنهم قال: «وكان على شرطته عبد الرحمن بن طارق فقال لرجل من الشرط : "إن أقدمت على جدي الأمير ، أسقطت عنك نوبة سنة»[5] فقد ذكر في هذا النص الشرط والشرطة ، وهي بنفس المعنى وذكر الشرطة في مجال حديثه عن **صاحب الشرطة** فقال : «فكان صاحب الشرطة يخرج وهو يجمع»[6] وقال عن **الأشراط** : «قال وشهدته مرة وأشراطه قيام على رأسه في السماطين»[7] ويساعد الشرطة أو الأشراط في المحافظة على الأمن داخل البلدان والأمصار

(١) في الجد والهزل ص ٢٥٤ .
(٢) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٧ .
(٣) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٣ .
(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٣٤٠ .
(٥) البخلاء ص ١٤٩ .
(٦) البرصان والعوران ص ٢١٠ .
(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٤٢٥ وانظر كتاب البغال ص ٢٢٩ .

صاحب الحرس - وحراسه الـذي يدعون بحراس الأسواق ، وهـؤلاء كان من ضمن تعـيينهم في هذه الوظـيفة معرفتهم بـاللغة الفارسية وهـى شرط أساسي للالتـحاق بالحراسـة ، وقد وصفهم الجـاحظ في بيـانه قائلاً : «ومـن تمام آلة صاحب الحرس يـكون زميتاً قطـوباً أبيض اللحيـة ، أقني ، أجنبي ، ويـتكلم بالفارسية»(1) . ثم يشرح لنا الجاحظ وظيفة هؤلاء **الحرس** فيقول : «وعلى أنا لوحلنا بين حرس الأسواق ، وما تشتمل من حرائب الناس وبين اتخاذ الكلاب لامتنعوا من ضمان الحراسة ، ولامتنع كل محروس من إعطائهم تلك الأجرة، ولوجد اللصوص ذلك من أعـظم الغنم وأجود الفرص»(2) وفي معرض كلامنا عن الشـرطة والحرس وتنفيـذ الأحكام أو فرض العقـوبات التي كان يقـوم بها صاحب الشرطة مع مساعديه الأشراط حـسب ما يدعوهم الجاحظ - ولم ينس الجاحظ أن يذكر لنا السجون وأنواعها والمساجين ممن ينفذ فيهم صاحب الشرطة أحكامه بعـد تلقيها من القضـاة والحكام ، ويذكر لنا كذلك أهـل السجن وهم القوامـون بأمر السجـن . قال عن أنواع الـسجون **الدِّيمَاس والمُطْبَق** والسجن وهى تعطي نفس المعنى فيقول : «فكم من ديماس قد نقبته ، وكم من مطبق قد أفضيتـه ، وكم من سجن قد كـابدته»(3) . ويذكر الجـاحظ عمل أهل الـسجن فيقول : «وأهـل السجن يعمـلون منها سموماً أنفذ من سم البـيش ومن ريق الأفاعي ، وذلـك أنهم يدخـلون الوزغ قارورة ثـم يصبون فـيها من الـزيت ما يغمرها ، ويضعونهـا في الشمس أربعين يوماً حتى تختلط بالـزيت وتصير شيئاً واحداً . فإن مـسح السجين مـنه على الرغيـف مسحة يسـيرة فأكل منـه عشرة أنفس ماتوا»(4) من هذا النص يتـبين لنا حرفة أهل السجن ومـا يقومون به من وسائل الإبادة والتعذيب للسجناء .

(1) البيان والتبيين جـ 1 ص 95 .

(2) الحيوان جـ 1 ص 303 .

(3) البخلاء ص 50

(4) الحيوان حـ 4 ص 291 .

ولكن مع كل هذه القسوة عن أهل السجن وبشاعة ما يقترفونه بحق السجناء كانت هناك الشفاعات والمقامات التي لا يمسها أحد ، قال الجاحظ عن أهل الشفاعات في بخلائه : «فكثروا عليه وأتوه بالرقاع والشفاعات»(1) ومن الأمور التي تتبع هذه الحلقة عن الشرطة والقائمين على السجن ، هناك من يقوم بالتجسس ، ويشير لنا عن هذا الأمر بقوله : «وقد شكا بعض الملوك تنقيب العوام عن أسرار الملوك»(2) ويورد لنا الجاحظ كلمة **تجسس** صريحة فيقول «ولم نر حب الطعن على الملوك والتجسس على أخبارهم»(3) .

٣ - الجيش وفرقه العسكرية :

كانت كل قاعدة عسكرية تسمى جنداً ، وسلطانها يشمل زماماً واسعاً يعادل زمام الولاية الرومانية أو البيزنطية التي تقع فيها القاعدة العسكرية ، ومن هنا نرى أنه قد أطلق على هذه الولايات التي يحكمها قائد القاعدة العسكرية : الجند فيقال **جندي سابور** وغيرها من القواعد الإسلامية ، فالجند على هذا الاعتبار هى الولاية العسكرية ، وكانت أكثر ما تكون على الحدود . وفي دولة بني العباس نرى جند الخلافة من جماعات مختلفة عربية وأعجمية ، وهذا حدث عظيم في تاريخ الدولة العباسية ، وقبل أن نتطرق إلى فرق الجند العباسي نستعرض الأماكن التي ترابط فيها الجيوش في ذلك العصر ، منها جند يسابور وثغور ومضايق ورباط ، وقد جاءت هذه الكلمات عند الجاحظ في أماكن متفرقة من كتبه قال ذاكراً **جند يسابور** : «وكان الرجل تلسعه الجرارة بعكسر مكرم أو بجند يسابور فتقتله»(4) . وقال الجاحظ مبيناً ساكني هذه

(1) البخلاء ص ١٩٩ .
(2) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥٨ .
(3) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥٩ .
(4) الحيوان جـ ٤ ص ٢١٩ .

القاعـدة العسكرية «ولـفظي لفظ عربـي وكان ينبغـي أن تكون لغتي لـغة أهل جندي سابور»[1] ومن هذا النـص نتبين أن الخلفاء الـعباسيين أدخلوا الـعنصر الأعجمي فـي صفوف الجيش لتـأييدهم ومؤازرتهـم . ويذكر **الثغور** بقـوله : «وأجاع الفقير وظلم الضعيف وعطل الحدود والثغور»[2] . فالثغور هى الحدود البحـرية على الإطلاق ، ويذكـر لنا **المضايق** وهى من الأمـاكن التي تحـرسها الجيوش ، قال في منـاقب الترك : «ونحن حماة المستحلـم وأبناء المضايق»[3]، ويذكر **الرباط** وهو أيضاً يكون عند الثغور لمرابطة الجيش هناك ، قال يذكر نوعاً من هذه الأربطة التي تنتشر على جميع الحدود الإسلامية البحرية : «داره التي تطـوع ببنائـها في رباط عـبادان»[4] وكانت تـسميات الفـرق العسكريـة حسب الأجناس فكانوا يـعبرون بالجند عن الأتراك وغيرهـم من الأعـاجم ، وبالحربية عن جند العرب وكلهم مشاة ثم المتطوعة ، وهم الذين يقدمون على الحرب من تلقاء أنفسهم. ويذكر لنا الجاحظ أقسام الجيش فيقول : «إن جند الخلافة اليوم علـى خمسة أقـسام : خراسانـي ، وتركي ، ومـولى ، وعربى ، وبـنوي»[5] والجند المستأجرون كـانوا يدعونهم بالشاكرية وهذه التـسمية وردت عند الجاحظ في مناقب التـرك فقال : «ألا ترى أن اسم **الشاكرية** وإن خالف فـي الصورة والهجـاء اسم الجند فإن المعـنى فيهما لـيس ببعيد ، لأنـهم يرجعون إلى مـعنى واحد وعمل واحد . والذي إليه يرجعون طاعة الخلفاء وتأييد السلطان»[6] ومن فرق الجند عنـد الخلفاء **النشابون والنفاطون والنفاضة والدراجة**»[7] وكذلك

(١) البخلاء ص ١٠٢ .

(٢) في النابتة ص ١٥ .

(٣) مناقب الترك ص ٢٦ .

(٤) البخلاء ص ٢٠٩ .

(٥) مناقب الترك ص ٩ .

(٦) مناقب الترك ص ٣٠ وانظر الحيوان جـ ٢ ص ١٣٠ .

(٧) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٧ .

فرقة **المرابطة** ، وقد ذكرهم الجاحظ بقوله : «وكان مسلم بن قتيبة يركب بغلة واحدة ومعه أربعة آلاف مرابطة»[1] .

٤ - رتب الجيش :

كانت رتب الجند أيام الدولة العباسية **طلائع** - والمفرد طليعة **وقائد** ، **ونقيب** وأمير وصاحب لواء ، وقد جاء ذكر بعض الرتب عند الجاحظ فقال عن النقباء والنقابة نحن النقباء ، وأبناء النقباء ، ونحن النجباء وأبناء النجباء ، ومنا الدعاة ، قبل أن تظهر نقابة أو تعرف نجابة »[2] وذكر الجاحظ **أمير الجيش** فقال : «وإن كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش . نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار ، ونقاتل في الماء كما نقاتل على الأرض ونقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة»[3] وذكر **الطليعة** بقوله : ولا القلب ولا الجناح ولا الساق ولا الطليعة»[4] . وقال يذكر **صاحب اللواء** : «أو ما علمت أن صاحب اللواء وإن كان لا يبارز ولا يمشي بالسيف أنه يحتاج من المعرفة بالحرب وعورتها»[5] ومن الأشياء التي تستعمل في الحرب كشعار للجيش أو لفرقة معينة وهى الرايات والبنود والوتر والتجافيف ، قال الجاحظ في معرض كلامه عن الجيش : «ومنهم من يحمل البنود والرايات»[6] وقال : «وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس»[7] وقال يصف حالة الفرس المقاتلين وهم يعيبون العرب فيقولون : «ولا تعرفون الأقبية ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود

(١) البخلاء ص ٢٠٤ .
(٢) مناقب الترك ص ١٤ .
(٣) مناقب الترك ص ٢٨ .
(٤) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٧ .
(٥) العثمانية ص ٥٧ .
(٦) مناقب الترك ص ٥٣ .
(٧) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٢ .

والتجافيف»[1] وذكر الطبول والسراني وهو البوق»[2] .

٥ - آلات الحرب ومعداته وفنونه :

وقد ذكر الجاحظ كلمة آلات والمفرد آلة ، وعرادة والجمع عرادات ، ورتيلة والجمع رتيلات ودبابة والجمع دبابات ، وطبرزين والجمع طبرزينات .

أما لفظة آلة وجمعها آلات فقد وردت عند الجاحظ بقوله : «ولا تعرفون من آلة الحرب»[3] وقال **آلات** ، وهو يقصد بها المعنى المادي والمعنى اللغوي ، فقال موضحاً ما يريد : «واعلم أن الآداب إنما هى آلات تصلح أن تستعمل في الدين وتستعمل في الدنيا»[4] ثم أخذ يسرد علينا آلات الحرب قائلاً : «من آلة الحرب الرتيلة»[5] وجاء بالجمع **رَتيلات** فقال : وآلات الحرب كالمجانيق والعرادات والرتيلات»[6] ثم استمر بذكره لآلات الحرب ، فقال **الدبابات** وآلة النفاط وغير ذلك مما يطول ذكره»[7] ، وذكر المفرد **عَرَّادة** فقال : «ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العرادة»[8] . وآلة أخرى من آلات الحرب وهى الطبرزين والجمع **طبرزينات** ، قال الجاحظ يصف أحد الفوارس في المعركة : «شد عليه بطبرزين كان في يده فضرب به جبهته»[9] ويصف الجاحظ لنا كيفية استعمال الطَّبَرْزِينات قائلاً : «الطبرزينات في الأكف والخناجر في الأوساط»[10]

(١) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٧ .

(٢) كتاب القيان ص ١٧٩ .

(٣) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٧ .

(٤) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

(٥) البيان والتبين جـ ٣ ص ١٧ .

(٦-٧) مناقب الترك ص ٦٩ وانظر البيان والتبيين جـ ٣ ص ٩٣ .

(٨) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٧ .

(٩) الحيوان جـ ٧ ص ١٧٩ وانظر الرسائل جـ ٢ ص ١٢٦ . والحيوان جـ ٣ ص ١٨٧ .

(١٠) مناقب الترك ص ٢٠ وانظر البيان والتبيين جـ ٣ ص ٩٣ .

ومن معدات الحرب وأدواته الكافركوبات والرماح بأنواعها مثل **النيزك** والمربوع والمخموس والخطل والرديني ، ثم يعدد لنا السيوف وأنواعها المختلفة بين طيات كتبه المتنوعة كالسيوف القلعية واليمانية ، والسيف الذي يدعي جفيري والفرعوني ، ومن آلات الحرب أيضاً **المشاقِص والمشامِل** ، وأنواع المطارق مثل **الغِطِّيسات**، وسوف نورد هذه الأنواع كلاً في موضعه، فقد ذكر الجاحظ **الكافَركُوبات** وهى المقرعة فقال : «والخيول الشهرية والكافركوبات»[1] ويعدد لنا أنواع الرماح قائلاً : «وللرماح طبقات فمنها النيزك ومنها المربوع ومنها المخموس ومنها التام ومنها الخطل»[2] ونوع آخر من الرماح وهو **الرديني** فقال: «وكأنه غصن بان وكأنه رمح رديني»[3] ومن السيوف يذكر لنا الجاحظ :«وأسرار السيوف القلعية وعقاقير السيوف اليمانية وعمل الفرعوني «وذكر الجفيري بقوله: «فتنكبت قوسي وتقلدت جفيري»[4] وذكر **الغطيسات** وهى المطارق العظيمة قائلاً : «أصبر على دق عظام المطارق والغطيسات»[5] والمشامل وهى نوع من النصال ، ذكرها الجاحظ في حديثه عن السيوف والرماح قال : «من ذلك نصب السكاكين والسيوف والمشامل»[6] ويحدثنا الجاحظ عن السفن ومعداتها الحربية ، ومن هذه السفن **الحراقات** التي كانوا يحملون فيها المنجنيقات والنفط ليرمي بها على الأعداء ، وقد ذكرها الجاحظ قائلاً : «واتخاذ الجمازات وعمل الحراقات»[7] ومن معدات السفن الحربية الزرد والخوذات والدرق والتروس والكلاليب والمشاقص والبنجكان . وقد ذكر

(١) مناقب الترك ص ٢٠ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٢٣ .

(٣) التربيع والتدوير ص ٢١ .

(٤) البخلاء ص ٢٢١ .

(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٣١١ .

(٦) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٩٣ .

(٧) الحيوان جـ ١ ص ٨٢ .

الجاحظ هذه الأنواع عندما تحدث عن الجيوش في مناقب الترك وغيرها وعندما تحدث عن آلات الحرب في كتاب البيان ، فقد ذكر هذه الأنواع بقوله : «.. ولا الخوذ ولا السواعد ولا الأجراس ولا الوهق ولا الرمي بالبنجكان والزرق بالنفط والنيران»(١) . وذكر **المشاقص** بقوله : «ويعج بطنه بالحراب ، وفرى أوداجه بالمشاقص»(٢) ، وجاء بلفظة **الحَسَك** قائلاً : «ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العرادة ولا المجانيق ولا الدبابات ولا الخنادق ولا الحسك»(٣) وهذه اللفظة الحسك من أدوات الحرب التى تلقى حول المعسكر لعرقلة سير العدو .

فنون الحرب :

نرى أن الجاحظ خص هذه الفنون بأماكن كثيرة من كتبه ، فهو يتحدث عن فنون الحرب في مناقب الترك وفي البيان والتبيين وغيرها من الكتب فكان إما مدافعاً عن العرب وإما واصفاً لفنون المعارك عند منافسيهم ، وقد وصف الجاحظ الحرب بكلمة عوان ، فقال : «عارت فجنت حرباً عواناً»(٤) ثم يصف لنا المعارك وكيف تدور وطريقة المقاتلين في الحرب ، ومن الكلمات التي ذكرها بهذا الخصوص : «السلة ، والمواجأة والمجاولة ، والمشاولة والمخارجات والمشكول» ، وقد جاءت هذه الألفاظ عند الجاحظ وأكثرها ورودا في البيان والتبيين ومناقب الترك ، قال عن لفظة **السَّلَّة** ووصفها بقوله : «وقتالكم إما سلة وإما مزاحفة ، والمزاحفة على مواعد متقدمة والسلة مسارقة وفي طريق الاستلاب والخلسة(٥) وذكر **المواجأة** بقوله : «ولنا معانقة الأبطال عند تحطيم

(١) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٨ .

(٢) فى النابتة ص ١٣٩ ظ .

(٣) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٨ .

(٤) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٧٠ .

(٥) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٨ وانظر مناقب الترك ص ٢١ .

القنا وانـقطاع الصفاح ولـنا المواجأة بالسـكاكين»[1] وذكر المجـاولة **والمُشَاولة** فقال: «وتثقيفًا ودربة للمجاولة والمشاولة»[2] أما **المُخَارجات** وهى المبارزات فقد ذكرهـا بقولـه : «لم يـصعد نـهر سلـيمان ولا قـاتل فـي المخرجات أحـد قط يشبهه»[3] وقال يصف المقاتل : «فيلجم ذنب فرسه ويركبه مشكولاً»[4] .

(١) مناقب الترك ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) مناقب الترك ص ٢٠ وانظر البيان جـ ٣ ص ٦ وكتاب البغال ص ٣٧٦ .

(٣) فخر السودان على البيضان ص ١٩٤ .

(٤) البرصان والعرجان ص ٧ .

رابعاً: الفئات الاجتماعية والتيارات السياسية والدينية :

١ - العناصر المولدة والعربية في الدولة العباسية :

أصبح التعصب بين العناصر العربية وغير العربية أوضح وأقوى مما كان عليه في العصر الأموي ، وأصبح المولدون في عصر الحضارة العباسية من أظهر العناصر[١] ، وظهرت في هذا الإطار عدة ألفاظ : سموا ابن العربي من الأمة هجينًا ، وقد ذكر الجاحظ **الهَجِين** والجمع **هُجَنَاء** ثم التهجين والمعلهج والعسيف ، وكلها صفات للعناصر المولدة والنابتة قال : «إنك قرأت كتابي في محاجة الصرحاء للهجناء»[١] وقال : «وكانوا مثل ذلك لا يزوجون الهجناء»[٢] وذكر هجان وجاء هنا صفة : «فعلام ذلك وهي تقول : فلان هجان وأزهر وأبيض»[٣] ، وقال في الهجين «وذلك المنع تهجينا لطاعتك»[٤] ، **والهُجْنَة** بمعنى العيب ذكرها في بيانه : «البلادة في الرجل هجنة»[٥] أما **المُعَلْهَج** وهو أيضاً بنفس معنى الهجين ، ذكره الجاحظ قائلاً «وكلهم مع ذلك عربي خالص غير مشوب ولا معلهج»[٦] . ومن المولدين أيضاً العسيف **والنابتة** قال الجاحظ: «شعراء الأمصار والقرى من المولدة والنابتة»[٧] وقد نجمت من الموالي ناجمة ، ونبتت منهم نابتة ، تزعم أن المولى بولاية ، قد صار عربياً»[٨] . وهذه النابتة أفرد لها رسالة خاصة في رسائله لأهميتها وذكر **العَسِيف** بقوله :

(١) فخر السودان على البيضان ص ٧٨ .
(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٣ .
(٣) فخر السودان على البيضان ص ٢٠٧ .
(٤) البخلاء ص ٤٧ وانظر القيان ص ١٤٥ .
(٥) البيان والتبيين جـ ٤ ص ٩٥ .
(٦) مناقب الترك ص ١٠ .
(٧) الحيوان جـ ٣ ص ١٣٠ .
(٨) في النابتة ص ٢١ .

«ليس كالحليف ولا المولي والنـزيل والتابع والعسيف»[1] ، وعلى ذكر المولدين نذكر العلات وأولادهـن ، قال في ذكر **العِلّات** ، وهى الأمهات لـرجل واحد ولهن أولاد كثـار فأولاد العلة : هم أبنـاء الرجل لأمهات شتـى ، قال الجاحظ يبين التنافر بينهم : «وكانت ألفاظ البيـت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض كأن بيـنها من التـنافر ما بـين أولاد العلات»[2] وقد كانت الأوساط الـسياسية وأوساط أشراف القبائـل وأوساط البدو تحتقر الموالي حتـى أن الجاحظ أورد لنا في كتبه ألفاظاً تـدل على أعالي القوم وحلبتهم وجاءت ألفاظه هـذه لفئة معينة من العرب المتعصبين قال : «وأن كل واحد منهما يقطع نظام المعاني ويخلط بين الأسافل والأعالي»[3] ، وقد ذكـر الجاحظ الأعـالي ومفـردها عـلية والجـلة والغـلصمة وجـمعها غـلاصم واللـباب والمصاص ، وهـى من صفات الـعرب الخلـص الذين يـعتزون بـأصلهـم ويدعون الـسيادة والعـلو علـى غيرهـم من الأجناس، قال يذكر **العِلْيَة** : «رجلاً واحداً ممن يـنتحل الخاصة ويـنسب إلى العلية ويـطلب الرياسة ويخطـب السيادة»[4] وقال أيـضاً عن هذه الـطبقـة من العرب : «وليـست للخاصة قوة بالـعامة ، ولا للعليـة قوة على الأراذل»[5] . وذكر **الجِلَّة** وهى بنـفس المعنـى قال : «وهذا سبـيل كل سر يـستودعه الجـلة والعظماء»[6] أما **المُصَاص** وهم من أخلـص العرب نسباً قال عنـهم : «على أن ولاء الأتراك للباب قريش ولمصاص عبد مناف»[7] ففي هذا النص ذكر المصاص واللباب وهمـا صفات عليا القوم مـن أشراف العرب ، وهناك أيضاً لـفظة تدل

(١) العثمانية ص ٢٣ .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٦٦ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ٢٢٧ .

(٤) كتمان السر و حفظ اللسان ص ١٤٠ .

(٥) في نفي التشبيه ص ١٠٦ ط .

(٦) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥١ وانظر مناقب الترك ص ٨ .

(٧) مناقب الترك ص ١٣ .

علـى السادة والأشـراف وهى **الغَلْصَمة والغلاصِم** جمـعها ، قـال «فكـذلك يصفون الغلصمة والغلاصم»[1] وهذه اللفـظة لها معنى آخر نـورده في الحياة العلمية .

٢ - النزعات السياسية والدينية للفرق الملحدة :

نزعة تـبناها الفرس وهـى الشعوبية ومـما ساعد على انـتشارها أنها تـساند الوطنية والعصـبية الدينية مع العلم بأنـها نزعة سياسية أكثر منهـا عقيدة دينية . وقد شاركت العناصر الأجنبية في الدولة الـعباسية في نزعة الشعوبية ، وأذكت جذوة هذه النزعـة بكل ما أتيح لها من مؤثـرات سياسية واقتصادية واجـتماعية وعقلية .

أما موقف الجـاحظ من نزعة الشعـوبية فلم يصطبـغ بصبغة طبقـية ، فهو يستـعمل الشعوبـية ويقصد بهـم العجم الذيـن يدعون إلى المساواة بـين العرب والعجم عامة . فقال عن **الشعوبية** : «ونبدأ على اسم الله تعالى بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية وبمطاعنهم على خطباء العرب بأخذ المخصرة عند مناقلة الكلام»[2] .

يعرض الجاحـظ حجج الطرفين لا سـيما حجج الشـعوبية على الـعرب ثم يقوم بالرد عليها حجة فحجة ، ونفهم مما يعرضه الجاحظ في رده على الشعوبية أن النقد كـان موجهاً بصورة خـاصة ضد مظاهر الحـضارة العربية الـقديمة ، لا سيما البدويـة بشكلها التقليـدي المعروف سواء الفكرية منهـا أو المادية والتي لا نكاد نجـد أثرها في الحضارة الإسـلامية في عصـر ازدهار الحضارة العبـاسية . والجاحظ حين يرد الحجة بـالحجة على الشعوبيين والعرب لا يـتعرض إلى طبقة

(١) البرصان والعميان ص ٣٠١ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٢ - ١٤ .

دون أخرى وإنما همه منصب على مظاهر الحضارة عند كلا الجانبين دون التعرض إلى أفراد بعينهم .

وقد جاءت لفظة الشعوبية في أماكن لا تحصى من كتب الجاحظ المتنوعة ففي الحيوان جاءت بقول الجاحظ : «والشعوبية تهجو العرب بأكل العلهز ، والغث ، والدعاع ، والهبيد ، والمفافير ، وأشباه ذلك»[1] وفي البيان والتبيين قال : «ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية وبمطاعهم على خطباء العرب»[2] . وذكر الشعوبية في النابتة قال : والحمية التي لا تبقى دينا إلا أفسدته ولا دنيا إلا أهلكتها «وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية»[3] وذكرها في البرصان قال : «وكنية أبو المنذر وكان رئيس الشعوبية»[4] وذكر **الشعوبي** في بخلائه قال : «فجمع الثقفي كل شعوبي بالبصرة حتى طلبوا إليه أخذ المال»[5] . هذه النصوص ليست إلا أمثلة قليلة على ما كتبه الجاحظ في الشعوبية ، إذ أنها وردت في كل كتبه بلا استثناء ، أحياناً تكون الشعوبية كنزعة سياسية وقليلاً ما توصف بأنها مذهب ديني ، ونرى الأعاجم يدخلون في الإسلام عقائد إلحادية ، وهذا ما نراه في نصوص كثيرة تأتي الشعوبية بجانب **الثنوية** فالذي ينحرف مع تيار الشعوبية نراه يتهم دائماً بالثنوية ، قال الجاحظ «وكان إبراهيم شعوبياً وكان يتهم بالثنوية»[6] . وقال أيضاً يبين اتجاه الشعوبية : «والشعوبية والآرادمردية المبغضون لآل النبي

---

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٤٤٢ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٦ .

(٣) في النابتة ص ٢٠ .

(٤) البرصان والعميان ص ١٩٨ .

(٥) البخلاء ص ١٤٢ .

(٦) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٤ .

ﷺ وأصحابه»[1] . والزندقة هي في الدين لا في السياسة ، وقد انتشرت كلمة **الزندقة** على الألسنة في عصر ازدهار الحضارة العباسية ولم يكن معنى الكلمة واحداً عند الناس على السواء ، فمعناها في أذهان الخاصة والعلماء غير معناها في أذهان العامة ، وقد بلغ في عرف العوام أنهم كانوا يطلقون صفة الزندقة على كل من كان في داره ديك أبيض أفرق لم يدخله شيطان ، ويحدثنا الجاحظ بقوله : «لأن العوام تقضي على من كان في داره ديك أبيض أفرق بالزندقة»[2] وكانوا يطلقون على المستهتر الماجن زنديقاً ، أما الخاصة وأشباههم فمعنى الزندقة عندهم اعتناق الإسلام ظاهراً والتدين بدين الفرس القديم باطناً وخاصة مذهب ماني أو مزدك ويؤمنون بالنور والظلمة ، وبعبارة أوضح يدينون بدين المجوس عموماً ثم يتظاهرون بالإسلام تقية أو توسلاً إلى إضلال الناس ، وأحياناً تطلق كلمة الزندقة على أتباع ديانة الفرس من غير أن ينتحلوا الإسلام . وكان لفظ زنديق يعني قبيح المذهب والمعتقد عند الفرس قديماً ، والقائل ببقاء الدهر[3] . وقد أفرد الجاحظ صفحات عديدة من كتاباته يصف فيها الزندقة والتزندق والزنادقة وما يتعلق بها من أمور كالثنوية والمانوية والمانية أو المنانية . يقول آدم ميتز نقلاً عن المقدسي : أما من حيث العقيدة والمذهب فإن الشيعة هم ورثة المعتزلة ، ولابد أن تكون قلة اعتداد المعتزلة بالأخبار المأثورة لاءم أغراض الشيعة[4] ، وذكر الجاحظ **المجوس** وفرقهم الدينية المتنوعة كالديصانية والمزدكية والديناورية وغيرها من الفرق الملحدة . قال الجاحظ في الزندقة ومشتقاتها : «إن محض العمى التقليد في الزندقة ، لأنها إذا رسخت

(1) البخلاء ص ٢٢٨ .

(2) الحيوان جـ ٢ ص ٢٠٧ .

(3) اللسان جـ ٢ ص ٥١ .

(4) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ١ ص ١٢٤ .

في قلب امرئ تقليداً أطالت جزاتـه ، واستغلق على أهل الجدل أفهامه»[١] أما لفظة تـزندق فقد جاءت عند الجاحـظ في قوله : «ونحن لم نـر أحداً قط ألحد ولا تزنـدق من قبل الـغلط فـي كلام الإمامـة والاختلاف فيـها»[٢] أما طائفة **الزنادقة** فقد جـاءت كثيراً عـند الجاحظ لكـثرتهم في عـصره قال يتـساءل عن الزنـادقة : «ولم كـان لجميـع أهل الأديان ممـلكة ومـلوك إلا الزنـادقة؟»[٣] . ويصف لنا الزنادقـة وكتبهم فيقول : «إن إنفاق الزنادقة علـى تحصيل الكتب ، كإنفاق النصارى على البيع ، ولو كانت كـتب الزنادقة كتب حكم وكتب فلسفة - لكانوا ممن قد يجوز أن يظن بهم تعظيم الـبيان ، والرغبة في التبيين ولكنهم ذهبوا فيهـا مذهب الديانة وعلى طريق تـعظيم الملة ، فإنما إنفـاقهم في ذلك ، كإنفاق المجوس علـى بيت النار ، وكإنفاق النصارى علـى صلبان الذهب ، أو كإنفاق الهند على سدنة البددة»[٤] . وذكر الجاحظ الفرق الملحدة الأخرى بقوله عـن **الثنوي** : «واستـكتب الـرشيد ازدانـقادار عـلى ديوان الخـراج ، وكان ثنوياً»[٥] ، وذكر المانية ورئيسهم **ماني** قال : فكان ماني صاحـب الزنادقة أكتع اليد»[٦] ، وجاءت لفظة مانية ومانوية ومنانـية بنفس المعنى مع اختلاف الحروف قال الجاحظ : «وهـذا باب لا يخطئ فيـه إلا المانية وأصحاب الجـهات فقط»[٧] **ومانوية** ذكره الجاحـظ قائلاً : «وطبعـت على بيان مـانوية وأعنت عـلى موت المعتصم»[٨] وذكر **المانية** بقوله : «إن المانـية تزعم أن العالم بما فـيه من عشرة

(١) في ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٤ .

(٢) العثمانية ص ٢٧٠ .

(٣) التربيع والتدوير ص ٧٧ .

(٤) الحيوان جـ ١ ص ٥٦ .

(٥) في ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٣ .

(٦) البرصان والعميان ص ٢٥٥ .

(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٨١ .

(٨) في الجد والهزل ص ٢٣٥ .

أجناس : خمسة فيها خير ونور ، وخمسة فيها شر وظلمة ، وكلها حاسة وحارة وأن الإنسان مركب من جميعها على قدر ما يكون في كل إنسان من رجحان أجناس الخير على أجناس الشر ، ورجحان أجناس الشر على أجناس الخير»[1] .

- **رؤساء الفرق الملحدة :**

المجوس : من الفرق الدينية غير الإسلامية وفرقهم المتنوعة ورئيسهم الديني زراد شت وغيره من رؤساء الإلحاد ، جاء ذكرهم في كتب الجاحظ ، فقال عن المجوس : «فهؤلاء المجوس يرتعون في البصرة وبغداد وفارس»[2] وذكر أكبر رؤسائهم **زرادشت** قائلاً : «وزعم زرادشت أن العظايا ليست من ذوات السموم وأن سام أبرص من ذوات السموم ، وأن أهرمن لما قعد ليقسم السموم كان الحظ الأوفر لكل شئ سبق إلى طلبه كالأفاعي والثعابين» ، ويقول في نفس المعنى : «ويزعم زرادشت وهو مذهب المجوس أن الفارة من خلق الله ، وأن السنور من خلق الشيطان»[3] . وقال الجاحظ يصف أحد الملوك اعتنق المجوسية : وتهود ذو نواس وتمجست ملوك سبأ»[4] .

وشئ آخر يتعلق بالمجوس وطقوسهم وهم **الهَرَابِذة والمَوَابِذة** وهم قومة بيوت النار وقضاة المجوس ومشرعوهم قال الجاحظ عنهم : «وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس وأخطب الفرس أهل فارس . وأعذبهم كلاماً وأسهلهم مخرجاً وأحسهم دلاً وأشدهم فيه تحكماً ، أهل مرو وأفصحهم بالفارسية الدرية ، وباللغة الفهلوية ، أهل قصبة الأهواز . فأما نغمة الهرابذة ، ولغة

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٤٤١ .

(٢) البخلاء ص ١٠٤ وانظر الحيوان جـ ٣ ص ٣٥١ .

(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٢٩٦ - ٢٩٨ .

(٤) التربيع والتدوير ص ٧٦ .

الموابذة فلصاحب تفسير الزمزمة»[1] هذه بعض الأمور التي تتعلق بالمجوس ومنهم أيضاً المزدكية وصاحبهم **مَزْدَك** والديصانية والدنياورية ، قال الجاحظ : «ولابن المقفع أدبه وصير كتاب مزدك معدن علمه»[2] وقال الجاحظ يتساءل عن **المزدكية** ومن شابهها : «ولم كان لجميع أهل الأديان مملكة وملوك إلا الزنادقة ؟ ولم قتلهم جميع الأمم السالفة ؟ ولم قضيت بهذا وقد رأينا المزدكية والدنياورية والتفزغزية ؟»[3] . وقال عن **الدَّيْصَانية** وهم أيضاً فرقة مجوسية : «زعمت الديصانية أن أصل العالم إنما هو من ضياء وظلام ، وأن الحر والبرد ، واللون والطعم والصوت والرائحة ، إنما هي نتائج على قدر امتزاجها»[4] **والمُقَنَّع** وبابك من سار في مسارهما من رؤساء الإلحاد الذين ظهروا في العصر العباسي وأصبح لهم مريدون قال الجاحظ عنهم : وكان المقنع الذي خرج بخراسان وادعى الربوبية ، لا يدع القناع في حال من الحالات وجهل بادعاء الربوبية من طريق المناسخة ، فادعاها من الوجه الذي لا يختلف فيه الأحمر والأسود والمؤمن والكافر ، أن باطله مكشوف كالنهار ولا يعرف في شئ من الملل والنحل القول بالتناسخ إلا في هذه الفرقة من الغالية . وهذا المقنع كان قصَّاراً من أهل مرو وكان أعور ألكن . فما أدري أيهما أعجب أدعواه بأنه رب ، أو إيمان من آمن به وقاتل دونه ؟ »[5] . وذكر الجاحظ ألفاظ الربوبية والتناسخ في كتبه ، وفي نص له في كتاب البرصان والعميان يدين كل من ادعى الربوبية بقوله : «واعلم أن في كل من ادعى الربوبية من جميع هذا الخلق في جميع الأزمنة ، فإنما ذهبوا منه إلى التناسخ الذي يتهاونون به وفساده

---

(١) البيان والتبين جـ ٣ ص ١٣

(٢) في ذم أخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

(٣) التربيع والتدوير ص ٧٧ .

(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٤٦ .

(٥) البيان جـ ٣ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

كثير»[1] ، ولكن كلمة **المناسخة** جاءت عند الجاحظ بمعنى آخر يبين فيها بعض أحكام المواريث فقال : «فقد رأيت صنيعهم في مال المفقود - والمناسخة والوارث الضعيف»[2] وهنا يقصد المناسخة في الميراث وهو موت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم ، وهذا الأمر بعيد عن موضوعنا الرئيسي وهو الادعاء بالربوبية والمناسخة . وذكر الجاحظ **الملحدين** ومفردها ملحد بقوله : ولولا الكلام لم يقم لله دين ، ولم نبن من الملحدين» ، وقال عن **الملحد** : «والملحد بدلاً من الكافر»[3] .

٣ - الفرق الإسلامية الدينية ونزعاتها السياسية :

نبدأ بلفظة **نِحْلَة** والجمع نحل والشيع ويتشيعون ، قال الجاحظ : «وإنه إذ كان داعية مقالة ورئيس نحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل»[4] ثم كلمة **شِيَع** وهي بنفس المعنى قال : «إن قالت الشيع : إن الأمور ليس كما حكيتم»[5] وذكر يتشيعون بقوله : «إلا رواة من لا يخضل ولا يتثبت ولا يتوقف وهؤلاء كلهم يتشيعون»[6] وقد كان الخلاف بين الشيعة والفرق الأخري آنذاك خلافاً دينياً سياسياً . وكان حزب الشيعة ككل حزب ينضم إليه المخلص لمبادئه ، ومن يرى المنفعة فيه ، فتشيع قوم إيماناً بأحقية عليّ في الخلافة وولده ، وتشيع قوم كرهوا الحكم الأموي ثم العباسي لأنهم ظلموا منه ، وتشيع كثير من الموالي لأنهم رأوا الحكم الأموي حكماً مصبوغاً بالأرستقراطية العربية ، وتشيع قوم من الفرس خاصة لأنهم مرنوا أيام الحكم

(١) البرصان والعرجان ص ٢٥٦ .

(٢) في الجد والهزل ص ٢٥٤ .

(٣) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٧ .

(٤) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٤ وانظر في الجد والهزل ص ٢٤٠ والحيوان جـ ٤ ص ٢٠٦ .

(٥) العثمانية ص ١٣ .

(٦) كتاب البغال ص ٢٢٦ .

الفارسي على تعظيم البيت المالك وتقديسه ، وهناك قوم تشيعوا لهدف الانتقام من الإسلام ، فتظاهروا بالغلو فيه خديعة ومكراً ومن ضروب الغلو ، الغلو في التشيع   وقد أسبغ هؤلاء المغالون على الأئمة نوعاً من التقديس ، والشيعة وفرقها وردت عند الجاحظ في أماكن كثيرة من كتبه وخاصة كتاب العثمانية ورسائله في الإمامة ، وقد ذكر **الشيعة** والشيعي والروافض فقال : وهذا خبر نقله أصحاب الأخبار مرجئهم وشيعيهم إلا الروافض»[1] وقال : «المبانية لعلي وشيعته عندهم»[2] وقال أيضاً يبين موقف الشيعة من الفرق الأخرى : «أنت تطالبني ببغض المعتزلة للشيعة . وبما بين أهل الكوفة والبصرة»[3] ، وأكثر الفرق الشيعية تطرفاً هى الغالية ، وهؤلاء في طقوسهم الدينية أقرب للفرس في ديانتهم منهم للمسلمين ، وخير من يوضح لنا طبيعة هذه الفرقة هو الشهرستاني في كتابه الملل والنحل قال : هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق . وهم على طرفي الغلو والتقصير وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية»[4] ، ويذكر لنا الجاحظ فرق الشيعة ويبدأهم بالغالية والمنصورية والمغيرية والشيعة الإمامية والشميطية. قال عن **الغالية** وأنواعها: «فإن خشنام بن هند كان شيخاً من الغالية وكان ممن إذا أراد أن يسمى أبا بكر وعمر قال : الجبت والطاغوت ، ومنكر ونكير وأف وتف . وكسير وعوير ، وكان لا يزال يدخل داره حمار كساح ويضربه مائة عصا على أن أبا بكر وعمر في جوفه»[5] من هذا النص نتبين عقيدة غلوهم وتطرفهم ، ومنهم أيضاً **المُغَيْرِية** والمنصورية، قال الجاحظ

(١) العثمانية ص ٨٢ وانظر ص ١٢٤ ص ١٣٨ .

(٢) العثمانية ص ٢٢٣ .

(٣) البخلاء ص ٩٠ .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٧٣ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٠ وانظر البرصان ص ٧٥ .

عنهم : «وقال : لولا أن الفيـلية سجية من سجايا الغالية ولـم يذكر المنصورية ولا المغيرية»[1] ومن الشيعة الإمامية **الشميطية** ، قال الجاحظ «وقال زرارة بن أعين، مولي بني أسعد بن همام وهو رئيس الشميطية»[2] ، ويتساءل عن شيعة الإمام وهو يقصـد الشيعة **الإمامية** ، فيقـول : «ومتى تظل بـجناحها شـيعة الإمام»[3] ويعقد الجاحظ فصلاً طويلاً في كتابه العثمانية يناقش فيه قضية اختيار الناس إمـامهم وخليـفتهم ، ونلاحـظ أنه في هذا الـفصل يمزج صفـة الإمامة بصفة الخلافة ، ومن رأيه أن معنى الإمامة وتأويل الخلافة أمر تدركه الخاصة، ولا تعرفه العامة ، ذلك أن العامة مع كل ريح تهب ، وناشئة تنجم»[4] . وقال عن الإمام : «وقد أعجبني ما رأيت من شغفك بطاعة إمامك»[5] وجاءت لفظة **الإمام** بمعنى آخر عند الجاحظ قال : فاجـعل هذه الأخلاق إماماً لك ومثلاً بين عينيـك» ، وفي رسالته التـربيع والتدوير يـورد لنا الجاحظ أفكـاراً عن الإمامة بشـكل أسئلـة يوجـهها لأحمـد بن عـبد الـوهاب صـاحب تـلك الـصورة الكاريكاتـورية التي رسمها له الجاحـظ رسماً بارعاً في صدر رسالـته ، ثم يبدأ بتوجيه الأسئلة له وهو يغرق في العبـث به والسخرية بمذهبه فقال : «وحتى لو كنت إمام الرافضة لـقتلت في طرفه ، ولو قتلت في طرفـه لهلكت الأمة لأنك رجل لا عقب لك ، والإمـامة اليوم لا تصلح في الأخوة ، ولـو صلحت فى الأخوة كانت تصلح في ابن العم ثم إنها دنت من الأرحام بعد ذلك فصارت لا تصلح إلا في الولد ، وفي هذا القياس أنها بعد أعوام لا تصلح إلا ببقاء الإمام نفسه إلى آخر الأبد ، وهذا هو علة أصـحاب المناسخة ، وأنت رافضى ، ولم

(١) البيان جـ ١ ص ١٧ .

(٢) الحيوان جـ ٧ ص ١٢٢ وانظر البرصان والعرجان ص ٢٣٠ .

(٣) التربيع والتدوير .

(٤) العثمانية ص ٢٥٠ .

(٥) مناقب الترك ص ٦ .

(٦) المعاش والمعاد ص ١٢٥ .

يكـن هذا عنـدك فاهد إلـى الآن من خالص الـتوتيـا كما أهـديت إليـك باب التناسخ»[١] . وقد وردت كلمة **الرافضة** ومشتقاتها عند الجاحظ في رسالته في حجج النـبوة وفي الكتب الـتي أثارت مسألة الإمامـة من وجهة نظر الـشيعة . ويقررهـا الحاجري بقـوله : «وهى كتاب الإمـامة على مذهـب الشيعـة وكتاب حكاية قـول أصناف الزيدية ، وكتـاب الرافضة»[٢] ، جاءت الروافـض والمفرد **رافضى** والفرقـة الرافضة في أماكـن متعددة من كتـابات الجاحظ وعلى سـبيل المثال وليس الحصـر جاءت كلمة **روافض** بقولـه «وذلك إن كان كفراً كلـه فلم يبلغ كفر نابتـة عصرنا وروافض دهرنا»[٣] . وجاءت في العثمـانية في مواضع كثيرة جداً منها «ولو لم تعرف الروافض ومن ذهب مذهبها في هذا الباطل هذه الدعوى»[٤] ، وذكرهـم في رسـائله قائلاً : «هذا حـفظك الله حديـث مصنوع ومن توليد الروافض»[٥] ، والمفرد ذكره بقـوله : «وكان السيد رافضيـاً غالياً ، وليس في ذكره شرف ولكـنه أجمع للفن»[٦] . وقال عن الرافضة تـلك الفرقة الشيعيـة المتطرفة : «وكانت طائفـة منهم تقول إن الله لا يـرى ، لا تزيد على ذلك فإن خـافت أن يظن بها الـتشبيه قالـت يرى بلا كيف تـعرياً من التجـسيم والتصـوير ، حتى نبـتـت هذه النابـتة ، وتكلمت هـذه الرافضة ، فثبـتت له جسداً : وجعلت له صورة وحداً»[٧] ففي كلامه عن الرافضة ذكر التشبيه وهى فرقة تشبه الخالق بالمخلوق .

(١) التربيع والتدوير ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) الجاحظ طه الحاجري ص ٢٠٥ .

(٣) في النابتة ص ١٨ .

(٤) العثمانية ص ٩ .

(٥) كتاب البغال ص ٢٢٣ .

(٦) الحيوان جـ ٢ ص ٢٠٨ .

(٧) رسالة في النابتة ص ١٩ وانظر الحيوان جـ ٦ ص ٦٢ .

ومن تعاليم الشيعة **التقيَّة** ، تواصوا بها وعدوها مبدأ أساسياً في حياتهم وركنا من دينهم ، وهي عند الشيعة النظام السري في شئونهم ، وفسروا أعمال كثير من الأئمة على أنها تقية ، وقدجاء ذكر التقية مع الشيعة الروافض ومع الغلاة وغيرهم من الفرق الشيعية المتطرفة ، وقد ذكر الجاحظ التقية ووصفها بأنها كفر وحرام ، وفي رسالته التربيع والتدوير وفي مواضع متفرقة أخرى من كتبه فقال : «وحتى ترى أن التقية حرام وأن التقصير كفر»[1] وقال أيضاً يصف متعاطي هذه الصفة الدينية : «أظهر القوم عندك حجة وأرفعهم صوتاً وأخلقهم للتوبة أصلبهم وجهاً وأحسنهم تقية أقلهم تحرجاً»[2] . وقال في العثمانية «وهذا حديث ما سمعت له براد إلا أهل الغلو من الروافض ، وقد قال قوم منهم : إنما كان هذا من علي على التقية للعوام»[3] . وقال أيضاً في الحيوان يذكر هذه التقية «قد نجد التقية تسيغ الكفر ، والكفر باللسان أعظم من القتل والقذف بالجارحة ، فإذا أجازت التقية في الأعظم كانت في الأصغر أجوز»[4] ، وحياة الشيعة والخوارج السياسية مظهر من مظاهر قولهم في التقية . وذكر الجاحظ **الخوارج** والمفرد خارجي ومن فرق الخوارج ، ذكر لنا الصغرى والأزرقي والجمع الأزارقة والأباضي وفرقتهم الأباضية ، وهذه ليست أسماء كل الفرق لأن عدد الخوارج يقدر على أقل تقدير بنحو ثلاث عشرة فرقة ، كما صرح بهم الشهرستاني وغيره من المؤرخين ، جاءت الدولة العباسية والخوارج في أخريات أيامهم والجاحظ يشير إلى الخوارج في مقدمة كتابه الحيوان ويتكلم عن مذهبهم فيقول : «فهلا عبتني بحكاية مقالة من أبي وجوب الإمامة ، ومن يرى الامتناع عن طاعة الأئمة الذين زعموا أن ترك الناس سدى بلا قيم أرد

(١) التربيع والتدوير ص ٧٣ .

(٢) التربيع والتدوير ص ٧٤ وانظر ص ٦٧ .

(٣) العثمانية ص ٨٤ وانظر فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٥٢ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٤١٣ وانظر مناقب الترك ص ١٤ .

عليهم ، وهملا بلا راع أربح لهم ، وأجدر أن يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل وأن تركهم نشراً لا نظام لهم ، أبعد من المفاسد وأجمع لهم على المراشد»[1] ، وقال الجاحظ يبين مذهب الخوارج ومن انضم إليهم من الأجناس المختلفة مثل النجدي والأباضي - والصفرى وغيرهم : «على أنا قد علمنا أن العلة التي عمت الخوارج بالنجدة استواء حالتهم في الديانة ، واعتقادهم أن القتال دين ، لأننا حين وجدنا السجستاني والخراساني والجزري واليمامي والمغربي والعماني والأزرقي منهم والنجدي والأباضي والصفرى والمولي والعربي والعجمي والأعرابي والعبيد والنساء والحائك والفلاح كلهم يقاتل مع اختلاف الأنساب وتباين البلدان - علمنا أن الديانة هى التي سوت بينهم ، ووفقت بينهم في ذلك»[2] . وجاء ذكر **الخارجي** عند الجاحظ مبيناً عقيدته فقال : «إن الخارجي موصوف عند الناس بأنه إن طلب أدرك وإن طلب فان»[3] وقال أيضاً عن الخارجي وصفاته الدينية : «والخصال التي يصول بها الخارجي على سائر الناس صدق الشدة عن أول وهلة ، وهى الدفعة التي يبلغون بها ما أرادوا وينالون الذي أملوا»[4] وقال عن الخوارج موضحاً بعض تعاليمهم الدينية : «والآي التي ذكرنا في صدق هذا الجواب كلها حجج على الخوارج في إنكارهم المنزلة بين المنزلتين»[5] . أما باقي فرق الخوارج فقد ذكرهم في مقدمة الحيوان عندما عدد فرق الخوارج بقوله : «وقد حكينا في كتابنا قول الأباضية والصفرية ، كما حكينا قول الأزارقة والزيدية وعلى هذه الأركان الأربعة بنيت الخارجية وكل اسم سواها فإنما هو فرع ونتيجة

(١) الحيوان جـ ١ ص ١٢ .

(٢) مناقب الترك ص ٥١ .

(٣) مناقب الترك ص ٤٢ .

(٤) مناقب الترك ص ٤١ وانظر البرصان والعرجان ص ٢٠٩ والحيوان جـ ٣ ص ٤٠٢ .

(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٢٧٨ .

واشتقاق منها ومحمول عليها»[1] . **المعتزلة** ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية ، وهذه الأوصاف أطلقها عليهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ، ومن قبله كان الجاحظ قد وصفهم وبين منزلتهم بين المذاهب الدينية المختلفة قائلاً : «إنه لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل»[2] بهذه الصفات وصفهم وبين مكانتهم ، وكيف لا يصفهم بهذه الصفات وقد أصبح الاعتزال مذهب الدولة العباسية الرسمي ، وكان هذا في زمن المأمون بعد أن شجع الخليفة المأمون الإقبال على العلم والفلسفة وعلى الاتجاه العقلي في العقيدة وأصبح الاعتزال مذهباً رسمياً لأول مرة في تاريخ الخلافة يحميه الخليفة ويمثل اتجاهه . وكانت البصرة مهد الاعتزال وبلد المعتزلة «فالمعتزلة هم رأس المتكلمين وكانت لهم مناظرات حامية مع الرافضة والزيدية حتى أن الجاحظ صنف في ذلك كتابًا في مقالة الزيدية والرافضة ، وكان بين المعتزلة والدهريين جدال عقلي ينثر لنا الجاحظ طرفا منه في كتبه ، فكتاب النابتة مظهر من مظاهر النشاط العقلي والديني ، وقد وردت في هذا الكتاب عبارة يحمد الله الجاحظ فيها على أن أتاح للمعتزلة هذه المكانة الجديدة في الدولة : «وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحقين وقوى ضعفهم وكثر قلتهم حتى صار ولاة أمورنا في هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد أشد استبصاراً في التشبيه من عليتنا وأعلم بما يلزم فيه منا وأكشف للقناع من رؤسائنا»[3] وقد جاءت لفظة المعتزلة عند الجاحظ في أماكن كثيرة جداً ، مثل كتابه خلق القرآن وفي الرد على المشبهة ، ومن كتب الجاحظ التي قدمها ، إلى الفتح بن خاقان وظفر بعفو الدولة والخروج من المحن التي نزلت بالمعتزلة كتابه مناقب الترك» ، وهذا

(١) الحيوان جـ ١ ص ١٢ جـ ٦ ص ٦٢ وانظر البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٣ .

(٢) الحيوان جـ ٤ ص ٢٠٦ .

(٣) في النابتة ص ٢٩٩ وما بعدها .

ما يؤكده أحمد أمين في ظهر الإسلام حيث يقول : «وما أظن الجاحظ المعتزلي نجا من النكبة إلا لأنه مرن ، وقد دفع عنه الشر بمرونته وبما قدم من رسالته في إعلاء شأن الأتراك واتصاله بالفتح بن خاقان»(١) ففي الحيوان قال : «وزعمت أني قد خرجت بذلك من حد المعتزلة إلى حد الزيدية ومن حد الاعتدال في التشيع والاقتصاد فيه إلى حد السرف والإفراط فيه»(٢) وجاءت لفظة المفرد **معتزلي** في الحيوان قال: «وزعم إبراهيم الأنصاري المعتزلي»(٣) وذكر **الدهرية** قائلاً : «فأما الدهرية منهم في ذلك صنفان : فمنهم من جحد المسخ وأقر بالخسف والرياح والطوفان ونجعل الخسف كالزلازل»(٤) . وقال يصف الدهرية : «وكيف لم نر أمة قط دهرية وقد علمنا أنه لا يجوز أن يتنبأ **دهري** ؟ وكيف لم يتدهر ملك ؟ ، وكيف لم نجد قول الدهرية إلا في الخاص والشاذ والرجل النادر ؟ »(٥) . وذكر **القدرية** التي كانت البؤرة الأولى لمنشأ الاعتزال، فقال في البخلاء يستهزئ بهم : لعن الله القدرية من كان يستطيع أن يصرفني عن أكل هذا الطعام ، وقد كان في اللوح المحفوظ أني سآكله»(٦) ، والمعتزلة جعلوا من خصومتهم مع الدهريين خصومة عقلية في جملتها ، وقد صور لنا الجاحظ هذه المسألة في كتابه الحيوان فقال «ثم طعن في ملك سليمان وملكة سبأ ناس من الدهرية وقالوا : زعمتم أن سليمان سأل ربه فقال : ربي هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي»(٧). وهناك فرق أخرى ناهضت تلك المذاهب وشككت في معتقداتها وعارضت أدلتها . ومن الفرق الدينية التي برزت في عصر

(١) ظهر الإسلام جـ ١ ص ٢٩ وانظر شارل بيلات (الجاحظ) ص ١٢٢ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ٧ وانظر جـ ٤ ص ٢٠٦ وانظر البخلاء ص ٩٠ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٢٩٣ .

(٤) الحيوان جـ ٤ ص ٧٠ .

(٥) التربيع والتدوير ص ٧٦ وانظر الحيوان جـ ٦ ص ٨٠ .

(٦) البخلاء ص ١٤٧ .

(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٨٥

الحاضـرة العـباسيـة وكانـت لهـا صولات مع الـفرق الأخـرى وهى **المُشَبِّهَة** والجبرية ومن فروعها الجهمية والمرجئة وهـذه تدعي بالفرقة المهادنة المسالمة ومن فرقهـا الشمرية . المشـبهة وقد كان الخصـام عنيفاً بـين هذه الفرقة والمعـتزلة . وللجاحظ تعليل دقـيق للعاطفة الدينية الظاهرة عند المشبـهة في رسالته في نفي التشبيه وفي الـنابتة وفي التربيع والتدوير . قال الجـاحظ : «ثم يصول أحدهم على من شتمه، ويـسالم من شتم ربه ، ويغضب على مـن شبه أباه بعبده ولا يغضـب على من شـبه الله بـخلقه ، ويـزعم أن في أحاديـث المشبهـة تأويلاً ومجازاً»[1] وقال فـي التشبـيه «حتى صـار ولاة أمرنا في هـذا الدهر الصـعب والزمن الفاسد ، أشد استبصاراً في التشبيـه من عليتنا وأعلم بما يلزم فيه منا ، وأكشف لـلقناع مـن رؤسائنا ، وصـادفوا الناس وقـد انتظمـوا معاني الـفساد أجمع»[2] وقال يمجـد الاعتزال ويحط من قـدر غيره من المذاهب قـال : فالزم نفسك قـراءة كتبي ولزوم بابي وابـتدئ بنفي التشـبيه والقول بالبـداء واستبدل بالرفض الاعتزال»[3] . ثم ننتقل إلى فرقة أخرى وهى **المُرْجِئَة** وهى أميل إلى المسالمة مع الخلفاء على اختلاف أنـواعهم ومع المذاهب الأخرى ، وهى الطائفة التي ترجـئ العمل عن الإيمان أي تؤخـره وترى أن الإيمان لا يضر مع مـعصية وخير ما يصف كلامهم عون بن عتبة بـن مسعود ، ذكره الجاحظ في بيانه فقال : «ولما رجع عن قول المرجئة إلى قول التشيعة قال :

وأول ما نفارق غير شك　　　نفارق ما يقول المرجئونـا

وقال في العثمانـية يبين لنا عدم اختلاف المرجئة مـع غيرهـم : «وهذا خبر نقله أصـحاب الأخبار مرجئـهم وشيعتهـم أولاً الروافض فإنهم لا يـطاقون»[5]

(١) في نفى التشبيه ص ٢٨٦ وانظر البحلاء ص ٥٠

(٢) في النابتة ص ٢٠ .

(٣) التربيع والتدوير ص ٩٧ .

(٤) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٢٨ وانظر البرصان والعرجان ص ٧٥ .

(٥) العثمانية ص ٨٢ .

وذكر الشمرية وهي إحدى فرق المرجئة الثوبانية فقال : «وحين بلغني أنه يخلط في الكلام ويعين الشمرية على المعتزلة . فلو أراده أبو همام وجد من ثمامة مريداً جميع مساحة الأرض»[1] . ومن الفرق الإسلامية الأخرى الجبرية وقد ذكر الجاحظ **الجبرية** والجبر والجهمية إحدى فرق الجبرية والحشوية وغيرها من الفرق التي لا مجال لذكرها لكثرتها . قال الجاحظ يذكر الجبرية : «ذكرتني الطعن وكنت ناسياً قد كنت عزمت على هدمها حين بلغني أن الجبرية قد نزلتها» قال : سبحان الله تهدم مكرمة وداراً قد وقفتها للسبيط ؟ قال : «فتعجب من ذا ؟ قد أردت أن أهدم المسجد الذي كنت قد بنيته ليزيد بن هشام حين ترك أن يبنيه في الشارع وبناه في الرائع وحين بلغني أنه يخلط في الكلام ويعين الشمرية على المعتزلة»[2] ويحدد لنا الجاحظ في نص آخر من رسالته ذم أخلاق الكتاب عن تاريخ ظهور هذه الفرقة قال : «ثم كتب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه زياد بن أبيه فانعكس شر ناشئ في الإسلام ، نقصت بدعوته السنة ، وظهرت في أيام ولايته بالعراق الجبرية»[3] أما **الجَبْر** فقد ذكره الجاحظ موضحاً أثره قال : «فصار الغالب على هذا القرن الكفر وهو «التشبيه والجبر»[4] ثم ذكر **الحَشوية** قائلاً : «يعجبني - جعلت فداك - منك بغض الشهرة ودبيبك في غمار الحشوية ، واستغناء بنفسك وصوناً لقدرك ومعرفة بما أعطيت وثقة بالذي أوتيت»[5] . وقال يحدد بعض تعاليم الحشوية : «وهذا الحديث وما قبله يبطلان ما روت الحشوية من أن النظر الأول حرام والثاني حرام»[6] ويذكر

(١) البخلاء ص ٢١٠ .

(٢) البخلاء ص ٢١٠ .

(٣) في ذم أخلاق الكتاب ص ١٨٩ وأنظر مناقب الترك ٦٧ .

(٤) في النابتة ص ٢٠ وانظر الحيوان جـ ١ ص ١٧٤ .

(٥) التربيع والتدوير ص ٣٥ .

(٦) كتبا القيان ص ١٥٤ وانظر الحيوان حـ ٦ ص ٦٢ .

الجَهْمِيّة وهى من الفرق الجبرية قائلاً : «فذهبت الجهمية ومن أنكر إيجاد الطبائع مذهباً وذهب ابن حائط ومن لف لفه من أصحاب الجهالات مذهبا»[1] وهناك فرق أخرى لا أستطيع التفصيل في ذكرها منها العثمانية والعباسية والعلوية والفضلية وغيرها ، وكيف يتسنى لي أن أذكر كل الفرق الدينية وهى تقارب على المائة أو أقل قليلاً إذ أن المعتزلة انقسموا إلى ثلاث عشرة فرقة والخوارج إلى نحو عشرين فرقة والشيعة إلى ثلاثين والمرجئة نحو السبع .

٤ - المباحث الكلامية :

ومن الأمور التي تتعلق بالمذاهب والفرق الدينية المباحث الكلامية والمقالات والمسائل التي تبحث في الدين ومن ينتحل بعض النحل ، وينضم إلى هذا الباب أيضاً الأمور الدينية التي تتعلق بالفتوى والتفتيت كما يذكرها الجاحظ ، قال عن التفتيت - ومشتقاته من أحكام دينية كالقياس والإدحاض والإجماع والاستنباط . فقد ذكر التفتيت بقوله : «إن التفتيت فالرشاقة والملح وإن تنسكت بالرهبانية والإخلاص»[2] وقد ذكر **القياس** : «وما لم يكن في أخلاقهم فلا نظر فيه ولا قياس عليه»[3] . وقال : «وقد وقفنا لكم على إدحاض حجتكم في ذلك بالقياس الصحيح»[4] وقال يذكر حكماً آخر من الأحكام الدينية وهو **الإجماع** : «وكان حكمه في صعوبة فسخه وتعذر دفعه حكم الإجماع إذا لاقى محكم التنزيل»[5] وحكم اخر وهو **الاستنباط** ، قال الجاحظ يصفه : «ومع كل خفي من الحق حجة ظاهرة ، تستنبط لها غوامض

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٢٨٨ وانظر الحيوان ص ٩٣

(٢) التربيع والتدوير ص ٦٤

(٣) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥٨

(٤) فخر السودان على البيضان ص ١٩٧ .

(٥) ذم أخلاق الكتاب ص ١٨٨ وانظر العثمانية ص ٢٧٦

البرهان وتستبين بها دقائق الصواب»[1] وقال : «ووصلوا بين المتجاور والمتوازي واستنبطوا الغامض الباطن بالظاهر البين»[2] هذه بعض الأحكام التي كانت سائدة في عصر الحضارة العباسية وإن كانت معروفة للناس من قبل ، ولكنها ازدهرت وأخذت مكانتها في الحياة الدينية ثم هناك أمور أخرى ليست أحكاماً ولكنها لها مفعول قوي وتأثير بيِّن بالنسبة للطوائف والملل ، فهى إما تعاليم أو صفات دينية محببة أو مكروهة ومنها : التعديل والتجوير والتعطيل ، والتورية والتأويل والمسكة ، وقد ذكر الجاحظ تلك الكلمات في كتبه إما لتوضيح مذهب ديني وإما لذم صفة غير مستحبة دينياً . . وهكذا وقد ذكر **التعديل** بقوله: «والكلام في التسوية كلام يدخل في باب التعديل والتجوير»[3] أما **التجوير** فقد ذكره الجاحظ : «وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن استحقه بالتجوير»[4] ثم يوضح الأمر أكثر قائلاً : «كان تجوير النابتي لربه وتشبيهه بخلقه أعظم من ذلك وأفظع»[5] وذكر **التعطيل** بقوله : «ونسك المتكلم : التسرع إلى إكفار أهل المعاصي وأن يرمي الناس بالجبر أو بالتعطيل أو بالزندقة يريد أن يوهم أموراً»[6] . وذكر **التورية** قائلاً : «فطنة عند الرشق والتورية فإن فضل الفطنة ربما دل على فرط الاكتراث»[7] . وقال عن **التأويل**: «أبواب الفقه والفتيا والتأويل ، مع كثرة الرواية المسندة»[8] . وأمر آخر هو المسكة وهذه ملازمة دائمة إلى التقية وهى من تعاليم الشيعة ، قال الجاحظ في حديثه عن

(١) المعاش والمعاد ص ٩٨ .

(٢) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٣٨ .

(٣) العثمانية ص ٢٠٦ .

(٤) في النابتة ص ١٤ – ١٥ .

(٥) في النابتة ص ١٤ – ١٥ .

(٦) الحيوان جـ ١ ص ١٧٤ .

(٧) في الجد والهزل ص ٢٣٧ .

(٨) العثمانية ص ٧٤ .

المسكة : «والحاسد العارف الذي فيه تقية ومعه مسكة وبه طعم أو حياة»[1] . وذكر المسكة أيضاً فقال : «وليس في الأرض أمة بها طرق أولها مسكة ، ولا جبل لهم قبض وبسط إلا ولهم خط»[2] وذكر الجاحظ المباحث والمقالات الكلامية في أثناء كلامه عن المذاهب الكلامية التي كانت تسيطر على الحياة الدينية في مناظرات المتكلمين ، فقال في حديثه الذي يتعرض له في وصفه للمتكلمين في شتى المجالات ، قال ذاكراً **الطفرة** والمداخلة والتولد والمكامنات وكلها تتعلق ببيئة المتكلمين . أما قوله عن الطفرة ففي كتاب الفتيا قال ذاكراً هذه المسألة الكلامية التي تنسب إلى العلاف : «وليست بحمد الله من باب الطفرة والمداخلة ، ولا من باب الجوهر والعرض بل كلها في الكتاب والسنة وجميع الأمة إليها أعظم حاجة»[3] وقال عن الطفرة أيضاً : «وأبو الهذيل العلاف في الجزء والطفرة ، وإبراهيم بن سيار النظام في المكامنات والمجانسات»[4] وهذه **المكامنات** هي مذهب كلامي يزعم أصحابه أن النار كامنة في الحجر وفي دهن السراج كما يكمن الدم في الإنسان . ثم يذكر **التولد** وهو مبحث كلامي وكذلك **المداخلة** وهي أيضاً مقالة كلامية ، قال : «كتب العرض والجوهر والطفرة والتولد والمداخلة»[5] ومن النصوص التي تقدمت نرى أن **العرض والجوهر** تتكرر كثيراً في كلام الجاحظ وهذا من خصائص كلام المتكلمين .

(١) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٥٢ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ٧١ .

(٣) في كتاب الفتيا ص ٣١٩ .

(٤) في ذم اخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٢٠٨

٥ - الفرق الدينية الأخرى (أهل الذمة)

أهل الذمة هم النصارى واليهود والسامرون والصابئة أو المجوس ، فثمة اختلاف بين المؤرخين في اعتبارهم من أهل الذمة»[1] وقد تحدث الجاحظ طويلاً عن أحوال أهل الذمة في المجتمع العباسي ، وبين أيدينا مختارات من كتاب له في الرد على النصارى»[2] ومن كتابات الجاحظ عن النصارى نتبين ما كانوا يتمتعون به من حرية لا تشوبها شائبة ، وكيف توثقت صلتهم بكل طبقات المجتمع ، فكان منهم كتاب السلاطين وفراشو الملوك وأطباء الأشراف والعطارون والصيارفة ، ولا تجد اليهودي إلا صباغاً أو دباغاً أو حجاماً أو قصابا أو شعاباً»[3] ، ويبين لنا الجاحظ مدى اختلاطهم بالمسلمين إذ أنهم تسموا بأسماء المسلمين فكان منهم من تسمى بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي»[4] . ثم يحدثنا الجاحظ عن أمورهم الدينية فرئيسهم يدعي الجاثليق ، وله مواصفات معينة وفي هذا المجال ذكر الجثلقة ، والجاثليق **والمطران والأسقف** وهو الذي يليه في المنزلة الدينية ورئيس رؤساء الأساقفة وهو البطريق والجمع بطارقة . وقد ذكر الجاحظ **الجثلقة** بقوله : «وكان ابن فهريز في نفسه أكثر الناس علماً وأدباً وكان حريصاً على الجثلقة»[5] . أما **الجاثليق** فقد ذكره بقوله : «والعجب أن كل جاثليق لا ينكح ولا يطلب الولد وكذلك كل مطران ، وكل أسقف»[6] ويذكر الجاحظ اسم أحد رؤساء الجاثليق واسمه طيمانو فقال : «وكان طيمانو رئيس الجاثليق قدهم بتحريم كلام عون العبادي

(١) الملل والنحل جـ ١ ص ٨٤ للشهرستاني وانظر فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٧٦ .
(٢) ثلاث رسائل لنفكل ص ١٧ .
(٣) ثلاث رسائل لنفكل ص ١٧ .
(٤) هامش الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٧٠ .
(٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٢٤ .
(٦) الرد على النصارى ص ٢٠ وانظر البيان والتين جـ ١ ص ١٢٤ .

عندما بلغه من اتخاذ السراري» وقد ذكر أن الجاثليق يتسامح في الأمور الدينية مع العظماء والأكابر من بني قومه فقال «على أن الجاثليق كثيراً ما يتغافل عن الرجل العظيم القدر ، الذي له من السلطان ناحية»[1] أما **البطارقة** وهم جمع بطريق وهو رئيس رؤساء الأساقفة ، قال الجاحظ عنه . «ومن العسر كردويه الأقطع رئيس بطارقة سندان»[2] .

والنصارى أصناف متنوعة فمنهم اليعقوبية والملكانية والمفرد ملكاني والنسطورية والمفرد نسطوري ، قال الجاحظ في ذكر **اليعقوبية** والملكانية : «وهؤلاء النصارى وأشباههم الملكانية واليعقوبية»[3] ثم ذكر **الملكاني** مفرد **الملكانية** وهم منسوبون إلى ملكا ومعناها الملك بالسريانية قال : «مقام الملكاني في الصوامع»[4] وحدد مكان **النسطوري** وهو من النصارى التابعين لنسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتصرف بالإنجيل بحكم رأيه قال عنه «ومقام النسطوري في المطامير»[5] والكنائس ، وحدد الجاحظ بعض الأماكن الدينية التي يمارسون فيها طقوسهم مثل البيع والمفرد بيعة والكنيسة والكنائس والدير والجمع ديورات والمطامير وهذه كلها أماكن عبادة النصارى وكذلك الصومعة والصوامع . وأهم أماكن العبادة للنصارى هى **البيَع** والمفرد بيعة ، ذكرها الجاحظ بقوله : «لا تجد الكنائس والبيع أبداً إلا وفيها المصابيح تزدهر ليلاً ونهاراً»[6] أما بيعة فقد جاءت بقوله : «فعدلت معه فأدخلني في منزل يتصل

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٢٧ .

(٢) البرصان والعرجان ص ٣٣٣ .

(٣) الرد على النصارى ص ١٤ .

(٤) الحيوان جـ ٤ ص ٤٥٨ .

(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٤٥٨ .

(٦) الحيوان جـ٥ ص ١٢٠ وانظر الحيوان جـ ١ ص ٥٦ .

ببيعة»[1] ثم ذكر **كنيسة** والجمع **كنائس** قال : «وقد تعرف ما في عجايز النصارى وأعمارهم من الافتتان بمصابيح كنيسة قمامة»[2] وهذه الكنيسة هي المعروفة بالقيامة وقد رجح ياقوت في معجم البلدان تسميتها كنيسة القمامة بالضم في الأصل القمة .

ومكان آخر للتعبد وهو الدير والجمع **ديورات** ، هكذا جمعه الجاحظ فقال: «وكذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية والمقيمين في الديورات والبيوت من النسطورية»[3] . وذكر **الدير** بقوله : «فخطبها زياد وكان في دير لها»[4] . وذكر الجاحظ **المطامير** وهي أماكن تهيأ تحت الأرض وخص بها النصارى النسطورية ، فقال : «ومقام النسطوري في المطامير»[5] ثم **الصوامع** ومفردها صومعة قال : «ومقام الملكاني في الصوامع[6] وذكر **الصومعة** بقوله: «وليكن مخرجهن من كوفي أعلى الصومعة»[7] .

ومن الأمور التي استعملها النصارى في عاداتهم اتخاذهم الجوقات والبراذين الشهرية والخيل العتاق وضربوا بالصوالجة وتحدقوا المديني ولبسوا الملحم والمطابقة واتخذوا الشاكرية[8] وضربوا بالنواقيس في كنائسهم»[9] وكانت مقابرهم تدعي بالنواويس ، كقول الجاحظ في ترديده لهذه الكلمة في معظم

(١) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٤٨ .
(٢) الحيوان جـ ٦ ص ٢٠٢ .
(٣) الرد على النصارى ص ٢٠ .
(٤) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٧٢ .
(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٤٥٩ .
(٦) الحيوان جـ ٤ ص ٤٥٩ .
(٧) الحيوان جـ ٣ ص ٣٦٩ .
(٨) الرد على النصارى ص ١٨
(٩) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٨

كتبه : «ولذلك صرنا نرى **النواويس** بالشامات إلى القسطنطينية»[١] وهى مقابر النصارى الذيـن يعتدون بتشييدها ، كـما ذكر الجاحظ في تخليد الـعرب لمآثرها قال : «وبـنى أرد شـير بـيضاء اصـطخـر وبيضـاء المدائـن ، والحضـر والمدن والحصون والقناطر والجسور والنـواويس . قال ثم إن العرب أحبت أن تشارك العجم في البنيان وتنفرد بالشعر»[٢] .

ومن أعياد النصارى عيد الفصح ، وقد ذكر الجاحظ معيباً لهم كثرة الذبائح في هذا العيد قال : «إنكم تكثرون من الذبائح في أيام الفصح»[٣] .

اليهود:

وصنـف آخر من أهل الـكتاب وهم الـيهود وقد عـدهم الجاحظ مـن بين صغار الناس والأنذال مع النصارى والمجوس»[٤] . وتدلنا كتابات الجاحظ على أن اليهـود كانوا يقـومون على المـهن الوضيعـة في المجتمـع حتى أنه لـم يجد اليهودي إلا صباغاً أو دباغاً أو قصاباً أو شعاباً»[٥] ، ووصف لنا الجاحظ أحوال اليهود فقال «اليهود ترى أن النظر في الفلسفة كفر ، والكلام في الدين بدعة ، وأنه مجلـبة لكل شبهة ، وأنه لا عـلم إلا ما كان في التوراة وكتـب الأنبياء ، وأن الإيمان بالـطب وتصديـق المنجمـين من أسباب الـزندقة ، والخروج عـلى الدهرية والخلاف على الإسلام وأهل القدوة»[٦] .

(١) كتاب البغال ص ٢٩٢ وانظر الحيوان جـ ٣ ص ٣٧٠ .
(٢) الحيوان جـ ١ ص ٧٢ .
(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٤٣٢ .
(٤) الحيوان جـ ٥ ص ١٥٧ .
(٥) هامش الكامل للمبرد جـ ٢ ص ١٦٩ .
(٦) الرد على النصارى ص ١٦ .

ويحدثنا الجاحظ عن اليهود وأحوالهم بأن العامة كانت تستخف بأمرهم وتحقر من شأنهم ، ويعلل هذا بأن دين اليهود كانت تعتبره العامة كصناعاتهم الحقيرة وأن كفرهم أقذر الكفر إذ كانوا هم أقذر الأمم»[1] وهذا الرأي يعلله الجاحظ بأن الإسرائيلي لا يزوج إلا الإسرائيلي وكل مساحتهم مردودة فيهم ومقصورة عليهم»[2] ومن شدة سخف العامة باليهود أنهم كانوا يزعمون أن الفارة يهودية سحارة والأرضة يهودية أيضاً ، ولذلك يلطخون الأجذاع بشحم الجذور»[3] وهذه الجذور من الحيوانات المحرمة على اليهود .

وهناك أمور تخص اليهود مثل رئيسهم الديني والبوق الذي ينفخون فيه لمراسيمهم الدينية ، ويقال لرئيسهم الدينى **رأس الجالوت** ، وكان له شئ من السلطان عليهم وقد ذكره الجاحظ بقوله : «والمثل السائر : كأنه جاء برأس خاقان ، وبرأس جالوت ورأس فاعوس»[4] وإذا أراد أن يحرم كلام رجل منهم أمر بأن ينفخوا عليه بالشبور ، وهو شئ مثل البوق يستعمله اليهود في مراسيمهم الدينية فقال «**وشَبُّور** اليهود من قرن»[5] . وقال الجاحظ يوضح مدى سلطة رأس الجالوت **والجاثليق** : «وليس تحريم الكلام من الحدود القائمة في كتبهم ولكن الجاثليق ورأس الجالوت ، لا يمكنهما في دار الإسلام حبس ولا ضرب ، فليس عندهما إلا أن يغرما المال . ويحرما الكلام»[6] وذكر الجاحظ كتاب اليهود الديني وهو **التوراة** فقال : «ولا أنتم راضون بحكم الله أيام التوراة»[7] هذا بعض ما يخص اليهود ، ولكن هناك أموراً دينية تتعلق

(١) الرد على النصارى ص ١٧ .

(٢) الرد على النصارى ص ١٧ .

(٣) الحيوان جـ ٦ ص ٤٧٧ .

(٤) كتاب البغال ص ٢٨٢ .

(٥) الحيوان جـ ٧ ص ٢٤٦ .

(٦) الحيوان جـ ٤ ص ٢٧ .

(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٤٣٢ .

بأهل الـذمة على اختلاف أنـواعهم وقد وردت ألفـاظ ذكرها الجاحظ في كـتبه تخص هؤلاء القوم مثل رسائلياً ، وذمياً وأسماء ملائكة كابرسارس وأبر مارس وأبردس وكارس **وحريرة امنة** وتوفيل وقنويل والأشيقـل وغيرهم من الملائكة ثم ذكر كلمة سدنـة وكلمة حلوان ، وهذه أمور تتعلق بـالكهان ، وذكر أنواعاً من الكتب الدينية مثل المهارق ، ودرسب وشلنه . وسأذكر الأماكن التي جاءت بها هذه الألفاظ .

قال الجاحظ في الرسـائل يذكر كلمة رسائلياً «وكان رسـائلياً فقط» ولا أدري هل يقصد بأنه صاحبّ رسالة أم أنه كان كـاتباً للرسائل . وذكر ذمياً فقال : «ومن تمـام آلة الخمار أن يـكون ذميـاً» وجاءت في كـتب الجاحظ أسـماء لملائكة عند الذميين مثل : «ويزعـم أن الأرض أحد الأركان التي بنيت العوالم الخمسة عليها بزعمهم : «أبرسارس وأبرمارس وأبردس وكارس وحريرة أمنة» وذكر أسماء ملائكة بقوله : «لئن فعل ليسلمن كما ترك الأشقيل وميخاييل وتوفيل سمل عين منويل» .

ثم يذكـر الجاحظ **الحُلا** والحلوان ، ويـقول : إنها رشـوة الكاهن ويـذكر الشعـبذة بقولـه : «وما فصل مـا بين الكهـانة والشعـبذة»[5] وقال عـن الحلا والحلـوان : «والحلا والحـلوان جمـيعاً رشـوة الكـاهن . وقد نـهى عـن زبد المشركين وحلـوان الكاهن»[6] وقد فسـر الجاحظ كلـمة **الحُلْوان** وهو الجـدي الصغير الذي لا يصلح للنسك .

(١) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٤ .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٩٤ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٣٧٠ .

(٤) الحيوان جـ ٤ ص ٢٧ .

(٥) التربيع والتدوير ص ٧٧ .

(٦) الحيوان جـ ٦ ص ١٤٢ .

وهناك كتب دينية وردت عند الجاحظ منها المعروف ومنها الذي لم أستطع معرفته ، قال يذكر كتاب **الزبور** والتوراة : «نسألكم عن دين موسى وحكم التوراة وحكم صاحب الزبور»[1] . وجاءت كلمة **مهارق** وهى تعني الكتب الدينية كما فسرها الجاحظ ، فقال «والمهارق ليس يراد بها الصحب والكتب ، ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان»[2] وذكر كتباً مجهولة مثل **دَرْسَب وشَلْنَة**» وأي شئ عندك في آصف وفي سفر آدم وفي جراب موسى وفي درسب وفي شلنة ؟»[3] .

(١) الحيوان جـ ١ ص ٧٠ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ٧٠ .

(٣) التربيع والتدوير ص ٨٠ .

الفصل الثالث

الألفاظ الخاصة بالحياة الاقتصادية

الفصل الثالث

الألفاظ الخاصة بالحياة الاقتصادية

الحياة الاقتصادية في العصر العباسي كانت متعددة الفعاليات ، وقد صور لنا الجاحظ في كتاباته مجالات متنوعة للحياة الاقتصادية ، فأورد في كتبه ألفاظاً خاصة بالزراعة والتطور الزراعي في عصره وألفاظاً عن الأرض وأنواعها ومن يقوم على زراعتها ويحصل محاصيلها وطرق ريها .

وعن ألفاظ الصناعة حدثنا الجاحظ طويلاً عن الألفاظ التي تتعلق بأنواع الصناع وصناعاتهم وأخلاقهم والألفاظ الخاصة بتعاملهم ، ذكرها ضمن معجمهم اللغوي ، وذكر أيضاً ألفاظ المتاجر وما يعرض بها من صناعات .

والتجارة والتجار ذكر الجاحظ ألفاظاً تتعلق بأنواع التجارات وطبقات التجار ، وذكر الألفاظ الخاصة بالأمور المالية والعقارات ، والألفاظ التي تتعلق بملاك الدور والمستأجرين ، وأيضاً ذكر ألفاظ الصيارفة والصيرفة . وعن الوحدات والمكاييل ذكر ألفاظاً تتعلق بأمورها ، وأيضاً ألفاظ العملات النقدية المتداولة في عصره ذكرها في مجال التجارة .

أما الملاحة فقد تحدث الجاحظ عن ألفاظ الملاحين ولغتهم ، وذكر ألفاظاً تتعلق بالسفن وأنواعها والمرافئ التي ترسو بها . وفي مجال الملاحة ذكر الجاحظ ألفاظاً عن طرق المواصلات البرية وألفاظاً عن الخدمات التي تؤدي عبر هذه الطرق وألفاظاً عن البريد ومن يقوم على خدمته .

إن الحياة الاقتصادية في العصر العباسي كانت تشتمل على نواحٍ متعددة ، منها القطاع الزراعي والصناعي والتجاري ، وما يواكب التطور الاقتصادي عن نظام مالي ومعاملات مصرفية . ففي العصر العباسي أيام ازدهار الحضارة

ورقيهـا ، نرى أن الملكـيات الزراعية قـد ازدادت ، إذ أن التطور الـزراعي وما رافقه من نشوء الملكيات الزراعية الواسعـة وظهور طبقة ثرية مترفة من أصحاب الأراضي ، ساعـدت على تزويد الـصناعة برؤوس الأمـوال ، وبالتالي تـوفير الحاصلات الزراعية المتنوعة التي اعتمدت عليها تلك الصناعات .

أما نهضة التجـارة وما صاحبها من ارتقاء النظام المـصرفي الإسلامي وكثرة العملـة الذهبية والفـضية ، كانت عامـلاً مباشراً على تـكدس رؤوس الأموال وظهور فئات ثرية احتاجت إلى المنتجات الصناعية والوسائل الترفيهية التي تعتبر من مظاهر الغنى والترف ، وهذا كله أدى إلى نـهضة صناعية ، وتوسع الطبقة العاملـة وتكتلها . ثـم نشوء الأسواق وتنوعـها ، وجعل لها نـظام وشروط ، وكان الاهتمام كبيراً وواضحاً بالأسواق فـي عصر الحضارة العباسية ، وهو أمر طبيعي بالنسبة للحياة الاقتصادية وانتعاشها في ذلك الحين .

وبعد أن ألقينا نظرة شاملة على الحيـاة الاقتصادية في العصر العباسي نرى من الواجب أن نتتـبع العوامل التي أدت إلى رقي الحياة الاقـتصادية وازدهارها بين الأمم والبلدان .

أولاً : الألفاظ الخاصة بالزراعة

تعد الزراعة وما يتبعها من أمور الري والغلال والمحاصيل الزراعية من أهم الأمور التي ساعدت على رقي الحياة الاقتصادية في العصر العباسي .

١ - الألفاظ الخاصة بالأراضي الزراعية :

ألفاظ المجال الزراعي وما رافقه من الملكيات للأراضي الزراعية الشاسعة وظهور نظام الإقطاع وأنواع الأراضي التي تصلح للزراعة أو الأراضي البور التي لا يستفاد منها ، كل هذه الأمور ذكرها الجاحظ في كتبه ، وذكر الجاحظ الأنواع المختلفة للأراضي فقال يصف أحد الملاك : «ولا يشتري إلا كل غرة وكل أرض مشهورة بكريم التربة ، وشرف الموضع ، والغلة الكثيرة»[1] .

ويورد الجاحظ ألفاظاً تتعلق بالأراضي الزراعية مثل الريف والضيعة والمروج والرباع ويحدد الأراضي بالمشارة والردغة والأراضي السهلة مثل الصحاصح والدحل والدالية (الدهاس) . ويذكر الأراضي التي تصلح للزراعة وهى السباخ والسباريت والجدس وغيرها من أنواع الأراضي ، كأرض الخراج وأرض العشر .

وقد قامت سياسة الدولة العربية الإسلامية ومن بعدها الدولة العباسية على مبدأ اعتبار الأراضي المفتوحة ملكاً عاماً للدولة ، على أن تبقى الأراضي بأيدي أصحابها يزرعونها ويدفعون الخراج عنها ، وسميت بأرض الخراج ، وهناك نوع آخر من الأراضي وهى أرض العشر التي أسلم عليها أهلها ، أو الأرض التي يقسمها الإمام بين الذين غنموها ، وهذه يدفع عنها أصحابها العشر ، وقد أورد الجاحظ نصاً يبين أصحاب مثل هذه الأراضي فيقول : «وأنت كاتب وأنا أمي ،

(١) البخلاء ص ١٠٣ .

وأنت خراجيّ وأنـا عشريّ»[1] . ويذكر الجـاحظ نصاً يبـين ملاك الأراضي ، أصحاب **الرِّباع** والحدائق فيقول : «وفي بيع ما ظهر من رباعه وحدائقه وسائر أمواله»[2] ثم ينتـقل الجاحظ إلى أنواع أخـرى من الأراضي الزراعية فـيقول : «فإن ابن آوى لا يـنزل القفـار ، وإنما يكون حـيث يكون الـريف»[3] . فكلمة **الريف** وأريف ترد عـند الجاحظ كـثيراً وها نـحن نراه يصـف بلداً من البلدان بكلمـة أريف قائلاً : «فإذا وقع بـبلاد أريف من بلاده ، وجنـاب أخصب من جنابه ، واستفاد غنى حنّ إلى وطنه ومستقره»[4] وأورد كلمة **ضيعة** وهي نوع آخر من الأرض التي تطـرح المحاصيل الزراعية الوفيرة فقال : «فـبيعت الأنثى بعشرة دنانيـر أو أكثر ، وبيعت البيضة بـخمسة دنانير ، فيقوم الـزوج منها في الغلة مـقام ضيعة ، وحتى يـنهض بمؤنة العـيال ، ويقضي الدين ، وتـبني من غلاته وأثمان رقابه الدور الجياد»[5] وكلمة أخرى وهي **المروج** قال : «ورواض الدواب في المروج»[6] وقال في الـضيعة : «وأتى ضـيعة له يـتنزه إليهـا ومعه خمسة رجال من خاصته»[7] . ويحدثنا الجاحـظ عن أنواع أخرى من الأراضي المزروعة مثل **المَشَارة** والدالية . فيقول ذاكراً «المشـارة» : «فجلس على مشارة بقل ، فأقـبل ينتزع الفجلـة فيطوي جزرتها بـعرقها»[8] . ويذكر المشـارة أيضاً فيقول : «فما كـان بقدر ما يسقي الرجل مشارة حتـى قتلناهم»[9] ، ففي هذا

(١) في الجد والهزل ص ٢٦٥ .

(٢) في النابتة ص ٩ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٢٥٩ .

(٤) الحنين إلى الأوطان ص ٣٨٨ .

(٥) الحيوران ج ٣ ص ٢١٢ .

(٦) الحيوان ج ٤ ص ٢٢ .

(٧) البخلاء ص ١٥٢ .

(٨) البخلاء ص ١٥٢ .

(٩) صناعات القواد ص ٣٨٥ .

النص يحدد لنا المقدار المعين لمساحة تلك الأرض المزروعة . ويذكر **الدالية** بقوله: «كان رجل ممرور يقوم كل يوم فيأتي دالية لقوم ، ولا يزال يمشي مع رجال الدالية على ذلك الجذع ذاهباً وجائياً في شدة الحر والبرد»[1] .

وهناك أنواع من الأراضي تصلح للزراعة لصفات معينة متوفرة فيها ، مثل الصحاصح والأماليس والدحل والدهاس وكلها أرض سهلة منبسطة ، وقد ذكر الجاحظ **الصحاصح** والأماليس بقوله : «لأن كل من كان بالصحاصح الأماليس حيث لا أمارة ولا هادي»[2] وهذا النوع من الأراضي منبسطة لا شجر ولا نبات فيها . وذكر الجاحظ أرضاً سهلة أخرى وهى **الدهاس** قائلاً : «يتقلع من طين علك أو دهاس»[3] . وذكر **الدحل** وهى الأرض التي تكون في أسافل الأودية قائلاً : «ولم ينجني ملك معقل وعل ، ولا مفازة سبع ، ولا قعر بحر ، ولا رأس طود ، ولا دغل ولا دحل»[4] .

ومن أنواع الأراضي التي لاتصلح للزراعة ذكر لنا الجاحظ **السِّبَاخ** قائلاً : «إنها من ورائها سباخ ومناقع مياه غليظة»[5] ، وذكر أيضاً **السَّبَارِيت** وهى الأرض القفر فقال : «والأرض السباريت : المفازة ، والنهيش : السليم»[6] ومن الأرض البور التي لم تعمر بزرع أو غرس هى **الجَدَس** . ذكرها الجاحظ بقوله : «والله لو ألقى إليه من الطعام بقدر ما إذا جدس نزف السحاب لوثر ما تجافي عن رغيف»[7] .

(١) الحيوان ج ٣ ص ٣٠ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٣٠ .

(٣) البرصان والعرجان ١٤١ .

(٤) في الجد والهزل ص ٢٥٠ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ١٤٢ .

(٦) البرصان والعرجان ص ٧٧ وانظر البخلاء ص ٢١٦ .

(٧) البخلاء ص ٧٢ .

لقد شهد العصر العباسي - أيام ازدهار الحضارة العباسية - الانتقال من الزراعة الضيقة إلى الزراعة الواسعة ، وظهور طبقة من كبار الملاك لهذه الأراضي الزراعية الشاسعة ، وقد استعانوا بأعداد كبيرة من الأيدي العاملة لكي تزرع هذه الأراضي ويعتني بها ، وقد كانوا من النبط والزنج وغيرهم من العمال والأجراء . وكانت الأراضي الزراعية تدر ثروات هائلة ، وقد عاش كبار الملاك في المدن الرئيسية وتركوا أراضيهم بيد الوكلاء يديرون لهم أمور أراضيهم ويبعثون إليهم بالواردات . وذكر الجاحظ **الوكلاء** بقوله : «وقد رأيتك حفظك الله تعالي خونت جميع الوكلاء وفجرتهم»[1] .

أسماء مختلفة يذكرها الجاحظ في كتبه مثل الفلاحون والفاشكار والدهاقين والمفرد دهقان . ونلمس بين المزارعين نوعاً من التخصص وشيئاً من التنظيم فقد وجد بينهم من يسمون بالحراثين وهم الأجراء ، وقد ذكرهم الجاحظ بالأكرة والمفرد أكار ، وهم الذين يحرثون الأرض لمالكها مقابل أجر نقدي ، وقد اعتبرهم الجاحظ من فئة العمال الفقراء ، ثم الناطور الذي يحرس الزرع ، كما نجد بين الفلاحين ريثا منها الرئيس أو الشيخ . وأناب ملاك الأراضي من يتدبر محاصيل أراضيهم ويرسل لهم بوارداتها وهم الوكلاء . كل هذه الأصناف ممن ينتمي للقطاع الزراعي في العصر العباسي ، ذكرهم الجاحظ في كتبه وأورد عنهم حكايات نبدأها بأحد ملاك الأراضي في البصرة وهو زبيدة بن حميد الصيرفي ، وهو رجل ثري كان يمتلك مائة ألف دينار كما ذكرها الجاحظ في بخلائه[2] .

(١) في الوكلاء ص ٧١ .

(٢) البخلاء ص ٣٥ .

أما **الفلاحون** فيذكرهم بتسمياتهم المتنوعة فيقول : «والفلاحون يجدون فيه أكثر المنافع»[1] ولكن هذه اللفظة تتغير إلى لفظة **الفَاشْكَار** وهي بمعنى المزارع قال : وسألت مباركاً الزنجي الفاشكار»[2] . حدد لنا في النص نوعية هؤلاء الفلاحين من الزنج . ثم يذكر رئيسهم أو شيخ الفلاحين بقوله : «وهذا علم غامض إذا عرفه الشيخ الفلاح المجرب والفاشكار الرئيس»[3] . ونوع آخر من الألفاظ يستعملها الجاحظ للفلاحين ، وخاصة نوع معين منهم وهم فلاحو العجم ، فيقول : وما عندي لك إلا قال الدهقان لأسد بن عبد الله وهو على خراسان»[4] . فكلمة **الدهقان** والجمع دهاقين ترد كثيراً في نصوص الجاحظ . فالدهقان وهو زعيم فلاحي العجم ، فقال الجاحظ يحدد نوعية هؤلاء الدهاقين» وفرض لأشراف الأعاجم : لدهقان مهز الملك وهو فيروز بن يزد جرد ، ولابن البحترخان ، ولخالد وجميل ابني بصيهري دهقان الفلوجة»[5] .

وذكر **الدهاقين** بقوله: «والله إني لأفضل الدهاقين حين عابوا الحسو»[6]. ويساعد المزارعين في عملهم الزراعي فئة من الأجراء الذين يحرثون الأرض ، وقد ذكرهم الجاحظ بلفظة **أكَّار** والجمع أكرة فقال : «وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى أثارة ولا إلى سقي ولا إلى أسحال بإيفار ، ولا إلى شرط ، ولا تحتاج إلى أكار[7] وذكر نصاً يحدد فيه بعض عمل الأكار قال : «فإذا صرنا إلى

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٥٣ .
(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٠ .
(٣) الحيوان ج ٧ ص ٣٦ .
(٤) في الجد والهزل ص ٢٤٤ .
(٥) العثمانية ص ٢١٣ .
(٦) البخلاء ص ٦٨ وانظر الحيوان جـ ١ ص ١١٥ ، جـ ٢ ص ١٢٥ .
(٧) الحيوان جـ ص ١٠٠ وانظر فخر السودان على البيضان ص ٢١٢ .

أرض كلف أكاره أن يجشه في محشة له»[1] . وذكر الجاحظ **الأكَرَة** قائلاً : «قيل لما سرجويه : ما بال الأكرة وسكان البساتين»[2] .

ويحدثنا الجاحظ عن الذي يحافظ على الزرع وهو **الناطور** فقال : «قد يزعمون أن بمصر دويبة يقال لها النمس يتخذها الناطور إذا اشتد خوفه من الثعابين»[3] ويذكر الناطور في نص آخر بقوله : «فمررنا بناطور على نهر الأبلة، ونحن تعبون فجلسنا إليه . فلم يلبث أن جاءنا بطبق عليه رطب سكر وجيسران أسود»[4] . هذا الناطور لفظة لها قصة حضارية ستذكر عندما نتكلم عن الاستخدام اللغوي عند الجاحظ . وعمل الناطور هو حراسة الزرع والمحاصيل ، وهناك من يقوم على حراسة إيراد الأرض ككل ويتكفل بجميع أمورها المالية وهو **الوكيل** ، وقد ذكره الجاحظ بقوله : «وقال صديق لنا : بعث رجل وكيله إلى رجل من الوجوه يقتضيه مالاً له عليه»[5] . وعمل الوكيل متنوع وليس يتعلق بالأراضي فقط بل هو يقوم بجميع المعاملات المالية وأحياناً ينزل إلى مستوى العامل الذي يدبر الشئون البيتية لسيده ، فيقول الجاحظ بهذا الخصوص : «وقد يقول الرجل لوكيله : اشتر لي بهذا الدينار لحماً»[6] .

---

(١) البخلاء ص ١٢٩ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣١٣ وانظر البخلاء ص ١٣٣ .

(٣) الحيوان جـ ٤ ص ١٢٠ .

(٤) البخلاء ص ١٩٧ .

(٥) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢٥٧ .

(٦) الحيوان جـ ٣ ص ٧٥ وانظر جـ ٥ ص ٢٩ .

٢ - الغلال والمحاصيل الزراعية :

لقد ازدهرت الزراعة وتنوعت المحاصيل الزراعية في العصر العباسي ، فكانت كل مدينة كبيرة محاطة برساتيق وقرى وبساتين مثل مدينة بغداد وما يحيط بها من أراضٍ زراعية شاسعة يتحدث عنها المؤلفون . وعن البصرة يقول أدم ميتز يصف البصرة ونخيلها : وكان في البصرة نخيل متصل نيفاً وخمسين فرسخاً ، لا يكون الإنسان بمكان إلا وهو في نهر ونخيل أو بحيث يراهما حتى البحر ، وكانت هناك المجالس الحسنة والمناظر الأنيقة والقصور والبساتين على جوانب الأنهار ، فإذا جاء مد البحر تراجع الماء في كل نهرْ حتى يدخل بساتينهم وجناتهم وإذا جزر الماء عنها خلت منه البساتين والنخيل وبقيت أكثر الأنهار فارغة[١] .

ويقول شارل بيلات عن البصرة بلد الجاحظ : البصرة وما أكثر كلام الجغرافيين عنها وما بها من بساتين **النخيل** ومن مزروعات ، وصفها شارل بيلات بقوله : «وأقوال الجغرافيين عن مزروعات هذه الجزيرة حيث كان يلجأ إليها الارستقراطيون العاطلون زمن الجاحظ للاستمتاع بالملذات في دور تحجبها الخضرة»[٢] وهناك وصف لمنطقة البصرة للسيدة الفرنسية ديولافوى في كتابها عن فارس تقول فيه : «ترى المساكن غاصة فجأة في القناة وتارة على العكس محاطة بضفة ضيقة ، وترى القوارب الرشيقة التي تفوق في خفتها الجندولات مشدودة أمام مساكن تعد من أجمل البيوت»[٣] . وقد كانت **التمور** تشكل ثروة منطقة البصرة الرئيسية ، وذكر الجاحظ أنهم أحصوا أصناف نخل البصرة فإذا هي ثلاثمائة وستون ضرباً .

(١) مسكويه تجارب الأمم جـ ١ ص ١٥٥ وانظر الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٢) الجاحظ شارل بيلات ص ٤٠ .

(٣) الجاحظ شارل بيلات ص ٣٩ .

أما أنواع الغـلال في العصر العباسـي فهى كثيرة جداً . وقـد ذكر الجاحظ الغلة وتقسيماتها كالقراضة وغـيرها وأنواعها كالقمح والعدس والماش ، ثم ذكر مكان حـفظ الغلال وهى الأنبـار والجمع أنابيـر ، وكيف تتكدس هـذه الغلال على شكل بيـدر والجمع بيادر كل هذه الألفاظ ذكرهـا فقال : «ولا يشتري إلا كل غرة وكل أرض مشهـورة بكريم التربة ، وشرف الموضع والغـلة الكثيرة»(1) وذكر **الغلة** وتقسيماتها في النص التالى قائلاً: «ثم إن كانت الغلة صحاحاً دفع أكثرها مقطعة وإن كـانت أنصافاً وأرباعاً دفعها قراضة مفتـتة . ثم لا يدع مزيقاً ولا مكحلاً ولا زائفاً»(2) . ومن أشهر الغـلال القمح وهو المادة الرئيـسية في الغذاء اليومي ، وقال عنه الجاحظ : «وكان إذا أراد أن يذكر **البر** قال : القمح أو **الحنطة** . والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية. هذا وهو يعلم أن لغة من قال بر أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة»(3) . ومن الغلال التي يتكلم عنها الجاحظ في كتبـه الحبوب الباردة وهى **العدس والماش** وغيرها قـال : «الحبوب الباردة كالعدس والماش والشعير المنخول **والقرطم**»(4) وهذه الغلال تكدس في الأنابير والمفرد أنبار على شكل بيدر والجمع بيادر ، قال الجاحظ يصف **البيادر** والبيدر : «وذلك أن التمر يكون مصبوباً في بيادر التمر في شق البنـاتين»(5) . وذكر **البيدر** بقولـه : «ولو أن رجلاً جلـس على بيـدر تمر فائق وعـلى كدس كمـثرى منـعوت ، وعلـى مائة قـنو مـوز موصوف لـم يكن أكـله علـى قدر استطرافه»(6) .

(1) البخلاء ص ١٠٣ .

(2) البخلاء ص ٨٥ .

(3) البيان والتبين جـ ١ ص ١٧ .

(4) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٣ .

(4) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٤ .

(6) البخلاء ص ٩٥

وذكر **الانبار** فقال : والباقلاء إذا عتق شيئاً في الأنبار استحال كله ذباباً»[1] وقال ذاكراً لجمع **الانابير** «وقتلناهم فجعلناهم كأنهم أنابير سرجين»[2] . وهناك محاصيل زراعية أخرى كالأقطان واللبان والحناء وغيرها من المنتجات الزراعية.

٣ - الادوات الزراعية :

من الأدوات الزراعيـة التي كانت شائعة فـي العصر العباسي والـتي ذكرها الجاحظ فـي كتبه المسحـاة والجمع مساحي والمـرور والمنحاز والمناجـل والمعاول والأوكية والمعاصر والبرنبد والتبليـا . فقال عن المسحاة «وكذلك أهل الكوفة ، فإنهم يسمون المسحاة بال روبال بالفارسية[3] وقال عن **المِسْحاة** وعملها: «فنظر إلى حديدة مسحاة مـطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نـصاباً لها ، ثم قام بجرف جمـيع ذلك التراب والروث وجرد الأرض بـها جرداً حتى ظهر بـياضها وطابت ريحها»[4] وذكر الجاحظ جمعها وهو **المَسَاحِي** بقوله : «ثم من العصا نصب المساحي والمرور والقدم والفؤوس والمعاول والمناجل»[5] كل هذه الأدوات الزراعية التي ذكرها في النص كانت مستعملة في عصره ، وكذلك **المِنْحاز** ذكره بقوله : «وإن المنحاز الغليظ ليتعبه الدق»[6] . وذكر **الأَوْكِية** وهى التي تستعمل للسقي فقال «وتعـرض الجرب وأوكية الأسقية»[7] . ويذكر **المَعَاصِر** وهى التي تستعمل لعـصر التمر واستخراج الدبس منه قال : «وإنما تـلك المعاصر بين تمرة

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٣٥٥ .

(٢) صناعة القواد ص ٣٨١ .

(٣) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٩ .

(٤) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٤٧ ، وأنظر البخلاء ص ١٠٤ ، والحيوان جـ ٥ ص ٩٧ .

(٥) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٩٣ .

(٦) البخلاء ص ١١٦ .

(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٢٩٨ .

ورطبة ودبس وثجير»[١] . ومن الألفاظ الشائعة بين سكان جنوب العراق مثل **التِّبْليا والبُرْبَنْد** وهما من الأدوات الزراعية المستعملة للنخيل ، وقد ذكرهما الجاحظ وهو يصف أحد متسلقي النخلة قائلاً : «ولا يرتقي عليها إلا بالتبليا والبرنبد فكيف أرومها أنا بلا سبب»[٢] ومن أعمال الزراعة التي يقوم بها المزارع باستمرار للعناية بالأرض وردت ألفاظ عن الجاحظ مثل أثارة ، وسقي ، وأسحال ، وشرط . قال الجاحظ ذاكراً هذه الألفاظ : «وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى أثارة ، ولا إلى سقي ، ولا إلى أسحال بإيفار ، ولا إلى شرط»[٣] .

٤ - الري والمد والجزر :

لقد اهتم الحكام والولاة في العصر العباسي بإنشاء المشاريع الزراعية الخاصة بالري مثل حفر الأنهار وشق القنوات . ويورد لنا الجاحظ في البيان والتبيين قائمة طويلة بأسماء الأنهار مصحوبة بنوادر ذات مغزى[٤] . وفي البخلاء يورد الجاحظ بعض العبارات يذكر فيها **الري** قائلاً : «ماء المصافنة ، والمصافنة مقاسمة هذا الماء بعينه . وذلك أن الماء إذا نقص عن الري اقتسموه بالسواء»[٥] وهناك ألفاظ أخرى يوردها الجاحظ في هذا المجال مثل الصهريج والجمع صهاريج ، والمصنعة والمنجنون وآبار الزد والراعوفة والدالية والمد والمدود والجزر . والمسنيات والقناطر

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٤ .

(٢) البخلاء ص ٢١٢ .

(٣) الحيوان جـ ١ ص ١٠٠ .

(٤) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣١٤ ، جـ ٤ ص ٧ ، جـ ٣ ص ٨٣ .

(٥) البخلاء ص ٢١٨ .

لقد ظلت قضية الماء العذب قضية ملحة في العصر العباسي وخاصة في زمن المنصور ، ويورد لنا البلاذري قصة المنصور وكيف تصرف مع أهل البصرة عندما أراد أن يستخرج ضيعة بالبطيحة قال : «وما زال أهل البصرة يشفقون على مائهم أن يجتاح أو ينتقص ، فإذا أراد المنصور أن يتخذ ضيعة بالبطيحة فزعوا وثاروا وهددوا بخلع طاعته» ومن هذا نفهم ما جاء في البخلاء من إشارات إلى المبالغة في تقدير الماء العذب ، والشح به والتدبير له[1] ويشرح شارل بيلات مشكلة المآء في البصرة فيقول : «والغالب على ماء البصرة الملوحة، وإذا صلح هذا الماء لسقي المزروعات فإنه غير صالح للاستهلاك إلى حد أن تزويد المدينة بالماء العذب قد خلق مشكلة نجد صداها في الكتب التي ورد فيها ذكر البصرة وبخاصة كتاب البخلاء للجاحظ»[2] . وكما ذكر شارل بيلات عن الجاحظ ومشكلة الماء العذب يقول الحاجري بهذا الخصوص : إن قصة ابن أبي كريمة هذه ، وقصة شيوخ المسجديين الذي كان يحتال الحيل في تدبير الماء العذب وغيرها في كتب البخلاء ، تشير إلى أن البصرة كانت تعاني حالة خاصة من أجل ماء الشرب[3] . أما الجاحظ فيورد لنا هذه المشكلة التي يعانيها سكان البصرة قاطبة على لسان أحد بخلائه وهو يتندر به قائلاً : «فقال شيخ منهم : ماء بئرنا - كما قد علمتم - مالح أجاج ، لا يقربه الحمار ولا تسيغه الإبل وتموت عليه النخل ، والنهر منا بعيد وقد تكلف العذب علينا مؤونة . فكنا نمزج منه للحمار فاعتل منه وانتفض علينا من أجله ، فصرنا بعد ذلك نسقيه العذب صرفاً . وكنت أنا والنعجة كثيراً ما نغتسل بالعذب مخافة أن يعتري جلودنا منه مثل ما اعترى جوف الحمار . فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلاً . ثم انفتح لى فيه باب من الإصلاح ، فعمدت إلى ذلك

(١) فتوح البلدان البلاذري ص ٣٦٣ .

(٢) الجاحظ شارل بيلات ص ٤٣ .

(٣) البخلاء الحاجري ص ٢٨٣ .

المتوضأ، فجعلت في ناحية منه حفرة وصهرجتها وملستها حتى صارت كأنها صخرة منقورة ، وصوبت إليها المسيل فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافياً لم يخالطه شيء»[1] .

ومن النص السابق نرى ما يعانيه هذا البخيل من مشكلة الماء . والصهاريج هى الحفر التي يبنيها الناس ليجتمع فيها ماء المطر ، وقد ذكر الجاحظ **الصهريج** بقوله : «قال أمرت بصهريج لي في بستان عليه نخل مطل أن يملأ»[2] . وجمع الصهريج **صهاريج** أوردها الجاحظ في حديثه عن أم الحسام فقال : «فذهبت بأم الحسام العربة وابنتها - وهى زوجتي - فلما نظرت أم الحسام إلى الصهريج قعدت عليه وأرسلت رجليها في الماء ، فقلت لها : ألا تطوفين معنا على هذا النخل لنجني ما طاب من ثمره ؟ فقالت : ها هنا أعجب إلى فدرنا ساعة وتركناها، ثم انصرفنا وهى تخضخض رجليها في الماء وتحرك شفتيها، فقلت : يا أم الحسام لا أحسبك إلا وقد قلت شعراً : قالت أجل ثم أنشدتني :

أحب إلينا من صهاريج ملئت   للعب فلم تلمح لدي ملاعبه[3]

وهناك نوع آخر من خزانات المياه وهو **المَصْنَعَة**، وقد ذكرها الجاحظ بقوله: «وكان في الحصن مصنعة عليها قبة من طلق»[4] . ومن الأدوات التي تستعمل في السقي والري **المنْجَنُون** وهو آلة تشبه الناعورة ذكرها الجاحظ فقال: «فكأنه منجنون غرف من البحر وصب في جدول يفيض إلى ذلك النهر»[5] وكان لكثير من البصريين آبار يرشح إليها الماء المالح ملحه ، كما ذكر

(١) البخلاء ص ٢٩ .

(٢) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٨ .

(٣) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٨ .

(٤) فخر السودان على البيضان ص ٢٠٠ .

(٥) الحيوان جـ ٥ ص ٣٩ .

الجاحظ فـي بخلائه عن الآبار ودورهـا في توفير الميـاه مثل **آبار الزدو** والدالية فقال : «وكسرت كل حوزة حـفر فيها آبار الزدو»[1] . وذكر **الدالية** بقوله : «كان رجل ممـرور يقوم كل يوم فـيأتي داليـة لقوم ، ولا يزال يمشـي مع رجال الدالية علـى ذلك الجذع ذاهبًا وجائياً في شـدة الحر والبرد»[2] . والدالية هى الخشـبة التي تـثبت بـرأس الدلو علـى رأس البئر الـذي يستـقي بها . وهـناك **الراعوفة** التي تتعلق بالسقي ، فـقال الجاحظ : «ووضع تحت راعوفة البئر أم لا ؟ »[3] وهناك فئة من الشيعة تدعي بأصحاب الركايا وهم الذين يعملون على الآبار ثم المسـنّيات التي تعمل علـى الأنهر للتحكم بـتوزيع المياه وتنظم عـملية الري ، وهى سدة تعـرض في الوادي لمنع الماء من الجريان لحـين الحاجة إليه . وقد ذكر الجاحظ هذه المسنيات بقوله : «وقـلنا لكم : دعونا نصنع هذه الجسور صنعة لا تنـتقض أبداً فأبيتم . وقلنـا لكم : ما ترجون من هذه المسـنيات التي تهدمها المدود وتخربها المرادي ؟»[4] . وقال مورداً **المسنيات** : والكلب الخشبة التي تمنع الحائـط من السقوط وتشخص في القنـاطر والمسنيات»[5] . وبعد أن ذكرنا المسنيات نأتي إلى مشكلة **المد** والجمع مدود **والجزر** ، وهذه مشكلة تعاني منها مدينة البصرة ونجد صداها في كـتب الجاحظ وخاصة كتابه البخلاء فقال : «ويكون الزائر من أهل البصرة عند الأبلة مـقيماً مطمئناً ، فإذا جاء المد قالوا : «ما رأينا مداً قط ارتفع ارتفاعه ، وما أطيب السير في المد ، والسير في المد إلى البصرة أطيب من السـير في الجزر إلى الأبلة»[6] . ومشكلة المـد والجزر مهمة

(١) البخلاء ص ٨٣ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣٠ .

(٣) التربيع والتدوير ص ٧٨ .

(٤) الحيوان جـ٣ ص ٣٨٥ .

(٥) الحيوان جـ ٢ ص ١٨٦ .

(٦) البخلاء ص ١٢٥ .

بالنسبة للمـلاحة ، وسنذكر هذا في حينه ، وهذه المسألة شـغلت الجاحظ حتى أنه أوردها في أحـاجيه التي جاءت في التـربيع والتدوير فقال : «فـإن احتجوا عليك بالمد والجزر احتججت عليهم بالعلم والحلم»[1] .

(١) التربيع والتدوير ص ٦٤ .

ثانياً : الألفاظ الخاصة بالصناعة :

كان لنهضة التجارة في العصر العباسي أثر كبير في تجهيز الصناعة برؤوس الأموال اللازمة للإنتاج ، بالإضافة إلى وجود طبقة ثرية في المجتمع العباسي ساعدت على ازدياد الطبقة العاملة والنهضة الصناعية ، فصناعة الجوهر مثلاً لا تنهض إلا إذا توفرت فئة اجتماعية ذات قدرات مالية على شراء مثل هذه المصنوعات الثمينة . والزراعة أيضاً أدت دوراً مهماً في نمو الصناعة إذ أنها قدمت للمشاريع الصناعية رأس المال ، فأصحاب الأملاك الذين يعيشون عيشة ترف تتطلب جميع المنتجات الصناعية ، كما أن المواد الخام للصناعات اعتمدت بالدرجة الأولى على الحاصلات الزراعية .

١ - الصناعة والصناع :

جذبت المدن العباسية الكثير من الأيدي العاملة ، فانتقل حذاق أهل الصناعات من مختلف الأقاليم إلى بغداد والبصرة والأبلة وغيرها من المدن العراقية في ذلك العصر العباسي ، فقد كان الصناع في الأبلة يشتغلون بصناعة ثياب الكتان الرفيعة وصناعة القصب الميساني والحرير ، وفي ميسان يصنعون الأنماط والوسائد وفي الأهواز الديباج والخز ويصنع في تلك المدن العباسية الزنجفر والساج والبلور وعقيق اليمن[١] .

وكما يروي المؤرخون أن المنصور عندما أراد بناء مدينته المدورة جمع الصناع من أقاليم مختلفة[٢] وهذا مما كان له أبعد الأثر في ازدهار الصناعة نتيجة الاحتكاك وتبادل المعرفة . إن تعدد الصنائع وتنوعها في المجتمع العباسي يعني التخصص في الصناعة والاهتمام بجودتها . وقد أورد الجاحظ كلمة صناعة

(١) الحيوان جـ ٤ ص ١٣٨ وانظر مروج الذهب للمسعودي جـ ٤ ص ٥٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٩٢ .

والجمع **صناعات** فقال : «والخرط والنجر والتصاوير والصناعات الكثيرة العجيبة»[1] . وذكر كلمة صناعات في الحيوان أيضاً ، فقال : «أهل الصين والتبت حذاق الصناعات»[2] وذكر لفظة الصناعة بقوله : «ليست هناك علة إلا الصناعة»[3] .

إن كتب الجاحظ قدمت لنا حقائق طريفة وقيمة عن الصناع وصناعاتهم وعاداتهم ورسومهم وحالتهم الاجتماعية وأزياءهم وألفاظهم الخاصة بهم دون غيرهم ، فالكلمات التي يستعمولنها مأخوذة من الحرفة أو المهنة التي يزاولونها. والجاحظ يصدر حكمه على المهن المختلفة وعلى التخصص بأنواعه بعقلية متأثرة بعوامل المجتمع الذي يرى رأياً معنيا في مختلف الصناعات التي ترتبط بالأسواق التجارية كالصاغة وأصحاب الحملانات ، وقد ذكرهم الجاحظ بقوله: «ولو أن إنساناً مزج بين الفضة والذهب وسبكهما سبيكة واحدة ، ثم أراد أن يعزل أحدهما عن صاحبه لم يمكنه ذلك بالقرض والدق . وسبيل التفريق بينهما قريبة سهلة عند **الصاغة** وأرباب الحملانات»[4] .ومن الشخصيات البارزة في صناعة الكيمياء والتي تتصل بأذهان العامة في المجتمع العباسي شخصية قارون التي يصفونها بالثراء الفاحش ، وذلك عن طريق صناعة الكيمياء . وقد جاء ذكره على لسان خالويه المكدي مدعياً بأنه استطاع أن يحصل على نفس علمه ومعرفته في الصنعة[5] .

(١) فخر السودان على البيضان ص ٢١٢ .

(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٣٦ .

(٣) البلدان ص ٤٧٤ .

(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٥٣ وانظر الحيوان جـ ٥ ص ١١٦ .

(٥) البخلاء ص ٤٨ .

٢ - أخلاق الصناع وألفاظهم :

ويحدثنا الجاحظ عن الصناع وما لهم من طباع وأخلاق وألفاظ خاصة بكل **صنف** من الحرفيين والصناع ، والصنف في اللغة هو الطائفة من كل شئ ، ولكل حزب من الأشياء صنف[١] . وقد استخدم الجاحظ كلمة صنف للتعبير عن أهل الحرف فيذكر أصناف الأساكفة ، والصفارين ، والدباغين ، والحاكة والغزالين وغيرهم من أصحاب الصناعات المختلفة ، ويذكر أن أهل كل صنف يجتمعون أحياناً عند عريفهم للمسامرة[٢] ولكل صنف شيخ مثل شيخ الملاحين[٣] . ويرى الجاحظ أن أصحاب كل صناعة اتسموا بأخلاق معينة أولهم كآخرهم وكهولهم كشبابهم ، وكانوا في كل دهر وفي كل بلد على مثال واحد وعلى جهة واحدة[٤] . ووصف **الحاكة** ومعلمي الصبيان والغزالين بالحمق ويقول أيضاً : «وكما أن أصحاب الخلقان والسماكين والنخاسين والحاكة في كل بلد من كل جنس شرار خلق الله في المبايعة والمعاملة»[٥] . ويوضح لنا الجاحظ الكلمات التي تستعمل عند كل صنف من الحرفيين عندما سأل عدداً من ذوي المهن والحرف عن الحرب مع الروم ، وكيف كان القتال فأجابه الطبيب : «لقيناهم في مقدار **صحن البيمارستان**» ويقول الفلاح : «لقيناهم في مقدار **جريبين** من الأرض» أما سائس الخيول فيقول : «ليقانهم في مقدار صحن الأصطبل» والخياط يلقاهم في مقدار سوق الخلقان» وصاحب الحمام يقول : «لقيناهم في مثل **بيت الاتبار**» . ومعلم الصبيان يصف المعركة بقوله : «لقيناهم في مقدار **صحن الكُتَّاب**» أما الكناس فيجيب قائلاً : لقيناهم في

(١) اللسان جـ ٢ ص ٤٨٠ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ١٣ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ١٢٦ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ١٠٥ .

(٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٦٩ وانظر مناقب الترك ص ٥٢ .

مقدار **سطح الإيوان** ، فما كان إلا بقدر ما يكنس الرجل زنبيلاً» حتى تركناهم في أضيق من حجر المخرج»[1] . ويؤكد الجاحظ تعصب أهل كل صناعة ضد غيرهم وتعاطف أهلها على نظرائهم[2] . ومن المصطلحات التي تستخدم في ذلك العصر للدلالة على الصناعات كلمة الحرفة وكلمة **الكار** ، وهذه الكلمة الأخيرة هي كلمة فارسية وتعني الشغل أو العمل أو الحرفة ، واشتق من كلمة كار ألفاظ المكاري والكراء وكري ، وهذه وردت عند الجاحظ في أماكن متفرقة من كتبه ، قال في الحيوان : «بكم تكري ثورك هذا ؟ »[3] . وفي البخلاء ذكر **الكِرَاء** قائلاً : «نزوج له الكراء ونقضي له الحوائج»[4] . **والمُكَارِي** سأله في رسائله قائلاً : «فلما طال ذلك على سألت الجمال أو المكاري فقلت ويلك»[5] .

٣ - طبقات الصناع وتخصصاتهم:

يصور لنا الجاحظ أصحاب المهن التي تجلب الثراء والمال مثل **الصاغة والصيارفة** يصنفهم في قمة السلم الاجتماعي ، ويذكر الجاحظ هؤلاء الصناع فيقول : ألا ترون أن الأموال كثيراً ما تكون عند الكتاب وعند أصحاب الجوهر وعند أصحاب الوشى والأنماط وعند الصيارفة والحناطين وعند البحريين والبصريين والجلاب أبداً **والبَيَازِرَة** أيسر من يبتاع منهم»[6] . ولكن هناك صناع وأصحاب حرف في الدرك الأسفل من المجتمع وهؤلاء هم الحمالون والمفرد

(١) صناعات القواد ص ٣٨١-٣٨٥ .

(٢) ثلاث رسائل لفنكل ص ٣٦ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٤٥٢ .

(٤) البخلاء ص ٨٢ .

(٥) كتاب البغال ص ٣١٧ .

(٦) الحيوان جـ ٤ ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .

حمال ، ذكرهم الجاحظ بقوله : «ولولا أن الحمالين قد جعلوا أفواههم بدل اليد الثالثة، لقد كان ذلك ممتنعاً حتى يستعينوا بيد إنسان»[1] وذكر الحمال بقوله: «فلما قربنا من الفرضة صحت : يا حمال»[2] ومنهم **الكساحون** ومفردهم **كساح** ، وقد ذكرهم الجاحظ فقال : «ونظر يوماً إلى الكساحين وهو معنا جالس في رجال قريش وهم يخرجون ما في بالوعته»[3] وذكر كساحاً بقوله: «وكان لا يزال يدخل داره حمار كساح ويضربه مائة عصا»[4] . وذكر **الطوافين** فقال : وما رأيت أصح أبداناً من الحمالين والطوافين»[5] . **والنفاطون** ذكرهم الجاحظ وهم من الدرك الأسفل لأصناف المهن في العصر العباسي فقال عنهم يصف عملهم : «لأن الطلق لو أوقد عليه ألف عام لم يسخن . وبه يتطلى النفاطون إذا أرادوا الدخول في النار»[6] .

ونجد في الحرفة الواحدة تخصصات فرعية متنوعة ورتباً مختلفة ، فيصف لنا الجاحظ طبقات الصناع الذين يشتغلون في صناعة السيف وصقله ، وهم الذين يدعون بالصياقلة ومفردهم صيقل . وقبل أن أذكر أصنافهم أورد النصوص التي ذكرتهم ، قال الجاحظ عن **الصياقلة** : «فسألت بعض الصياقلة فقال : نعم هذا بين معروف إذا أخرجنا الحديدة من الكير في يوم شمال»[7]. فنرى الجاحظ قد ذكر الصياقلة والكير ويذكر لفظة **صيقل** قائلاً : «ويزعمون أن الصاعقة تسقط في حانوت الصيقل فتذيب السيوف»[8] . أما تخصصات من

(١) الحيوان جـ ٤ ص ١٥٣ .
(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٤٥٢ .
(٣) البخلاء ص ١١٤ .
(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٠ .
(٥) البخلاء ص ١٣٨ .
(٦) فخر السودان على البيضان ص ٢٠٠ وانظر الحيوان جـ ٦ ص ٤٣٥ .
(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٤٠٧ .
(٨) الحيوان جـ ٤ ص ٣١٦ .

يشتغلون بصناعة السيوف فقد ذكرها مفصلاً وعمل كل منهم فقال : إن السيف الذي يتقلده أو يضرب به ضارب قد مر على أيد كثيرة ، وعلى طبقات من الصناع ، كل واحد منهم لا يعمل عمل صاحبه ، ولا يحسنه ولا يدعيه ولا يتكلفه ، لأن الذي يذيب حديد السيف ويميعه ويصنعه ويهذبه غير الذي يمده ويمطله ، والذي يمده ويمطله غير الذي يطبعه ، ويسوي متنه ويقيم خشبته ، والذي يطبعه ويسوي متنه غير الذي يسقيه ويرهفه غير الذي يركب قبيعته ويستوثق من سيلانه ، والذي يعمل مسامير السيلان وشاربي القبيعة ونصل السيف غير الذي ينحت غمده ، والذي ينحت خشب غمده غير الذي يدبغ جلده ، والذي يدبغ جلده غير الذي يحليه ، ويركب نعله غير الذي يخرز حمائله»[1] .

ونكاد نجد الاختصاصات المتنوعة في كل حرفة ومهنة ، فالخياطون كانوا ذوي اختصاصات متنوعة فهم ، **الرفاؤن** ، والقصارون ، **والدقاقون** ، وصناع القلانس ، **والمُطَرِّز** أو الرقام . **والنجارون** أصناف فهناك نجار الأقفال ونجار الرزات ومن يحسن عمله ويحذقه ، يقول عنه الجاحظ : «ولا يحسنه من مائة نجار نجار واحد»[2] . وقد يذكر بالحذق في نجارة السقوف والقباب ، وهو لا يكمل لتعليق باب على تمام الأحكام» ويستمر الجاحظ في حديثه وحواره مع النجار المتخصص بتعليق الأبواب فقط فيطلب منه أن يثقب له موضعاً لحلقة تعلق بوجه الباب من أجل الطرق : قلت له : أكره أن أحبسك إلى أن يذهب الغلام إلى السوق ويرجع ولكن اثقب لي موضعها» . وبعد أن ينتهي النجار من ثقبه للباب يخاطب الجاحظ قائلاً : «قد جودت الثقب ولكن انظر أي نجار يدق فيه الرزة ، فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شق الباب فعلمت أنه يفهم

(١) مناقب الترك ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٦ .

صناعته فهماً تاماً»[1] .

أما أزياء الصناع والحرفيين فيذكرها الجاحظ في وصف لأحدهم : «ثم عاد فإذا في يده سكين وساطور وعليه قميص العمل»[2] ، ووصف لنا ابن الجوزي أحد سقائي بغداد بقوله : «رجل متزى بمنديل دبيقى ، بيده كيزان خزف»[3] . ويصف المسعودي ملابس الصناع وأصحاب الحرف بأنه كان لكل ذي حرفة ملابس خاصة بهم فقد كان للطباخين ثياب خاصة بهم»[4] .

٤ - متاجر الصناع :

ويحدثنا الجاحظ عن البياعات ومن يعرضها في الأسواق ويسمهم الباعة ، ومحلات البيع وهى الحوانيت والكرابج تعرض مختلف المنتجات المحلية والبضائع المختلفة التي يدعوها الجاحظ بالمتاجر فيقول واصفاً هذه الكلمة : «ويزعم البحريون أن طائرين يكونان ببلاد السفالة ، أحدهما يظهر قبل قدوم السفن إليهم ، وقبل أن يمكن البحر من نفسه ، لخروجهم إلى متاجرهم»[5] . وذكر البياعات فقال : «وفي تمييز الصناع وفي تخير البياعات»[6] وذكر الباعة فقال : «وهو من أحاديث الباعة والعجائز»[7] . ثم يذكر لنا أماكن البيع وهى **الحوانيت** والكرابج قائلاً : وتبتاع الحوانيت المغلة هذا»[8] والمفرد **حانوت** ذكره-

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٦ .

(٢) احيوان جـ - ص ٤٩٢ .

(٣) مناقب بغداد ابن الجوزي ص ٣١ .

(٤) مروج الذهب للمسعودي جـ ٣ ص ٣٢٠ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٥١٥ .

(٦) في الجد والهزل ص ٢٤٨ .

(٧) الحيوان جـ ٤ ص ١٥٥ .

(٨) الحيوان جـ ٣ ص ٢١٢ .

بقوله : «كـان للغزال قطعة أرض قـدام حانوتي»[1] . وذكر **الكرابج** فقال : «فحـين صار المال في أيـديهما قـصد البعـض الكرابـج فابتاعـا من الطعـام ما اشتهيا»[2] .

والأسواق والحوانيت في العـصر العباسي تعطينا صورة وإن كـانت تقريبية عن أعداد الـطبقة العـاملة في تلك الأسـواق والحوانيت التـي كان يعمل فـيها الصناع والحرفيون .

ويصف أبـو حيان التوحـيدي أهل المتاجـر وكيف يتعـاملون مع المشـترين فيقول : إن أحدهم لا يهتم بالصديق ، يغش بسهولة ويسر حتى ولو كان ذلك على حساب دينه ، يمـدح الأشياء التي يبيعها مدحاً مسـرفاً من أجل الربح ويذم نفس الـشئ إذا اشتراه مـن أحد ، قوي الأيمان علـى الكذب يحـاول أن يغش بالوزن مـا استطاع وقد نسـى أهل السوق المعروف ، وجـعلوا من المنكـر عرفاً ساروا عليه ، وقد عدوا أعمالهم هذه حذقاً في المهنة وخبرة في الكسب وعلماً بالتجارة وتقدماً في الصناعة .

هذا وقد لـعبت الأسواق في العـصر العباسـي دوراً كبيراً في حيـاة الدولة العباسية ، اقتصـادياً واجتماعياً بل وسياسياً في بعـض الأحيان ، وذلك بفضل التـقدم الحـضاري الـذي أصاب المجتـمع الـعبـاسي فأثـر علـى ازدهار الحـياة الاقتصادية ومن ثم ازدهار الحضارة العباسية[3] .

---

(١) البخلاء ص ١٢٠ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٢١٢ .

(٣) الامتاع والمؤانسة التوحيدي جـ ٣ ص ٦١ - ٦٢ .

ثالثاً : الألفاظ الخاصة بالتجارة :

التجارة والمعاملات النقدية :

كان نمو التجارة في العصر العباسي يرجع إلى عدة عوامل منها : التقدم الحضاري الذي أصاب المجتمع العباسي ، ومظاهر البذخ والترف التي كانت فيه واتساع نطاق الدولة واستقرارها وتقدم طرق المواصلات البرية والبحرية فيها، ونرى آدم ميتز يفسر ظاهرة انتعاش التجارة في العصر العباسي إلى التحول الذي أصاب المجتمع الإسلامي خلال القرن الثاني الهجري بحيث صارت التجارة من أهم أركان الحياة الاقتصادية ، واحتلت المكان الأول في التجارة بين البلدان العالمية[1] . إن تكدس الأموال في الدولة الإسلامية في العصر العباسي كان له أثر عظيم على نشاط الحركة التجارية ، وقد تم تكديس النقود بفضل سيطرة المسلمين على البلاد التي تجمع فيها الذهب وكثرة الواردات السنوية ، حتى أصبح بنو العباس خزنة ثروات لولايات كثيرة ، وتعتبر قوائم الجباية للدولة العباسية مثلاً واضحاً على مقدار ما تدفق من أموال إلى أيدي العباسيين[2] .

١ - التجارة والتجار :

ولقد توفرت لطبقة التجار وظيفة اجتماعية مرموقة وضرورية في عصر الحضارة العباسية ، بعد أن أصاب الترف حياة بعض الطوائف ، وقد هيأ هذا الترف لنشوء طائفة **التجار** الذي كانوا يقومون على مطالب هذا الترف وأدواته ، وكل المطالب الأساسية للحياة المترفة ، ويظهر أن هذه الوظيفة في وقت من الأوقات كانت مستهجنة من بعض فئات المجتمع العباسي من مثل الكتاب والعاملين في خدمة الخلفاء والولاة والوزراء ، ويدلنا على ذلك صيغ

(١) الحضارة الإسلامية - آدم ميتز جـ ٣ ص ٣٦٥ .

(٢) الوزراء والكتاب الجهشيارى ص ٢٨١-٢٨٢ تحقيق مصطفى السقا .

الجاحظ في رسالته مدح التجار وذم عمل السلطان[١] . نرى الجاحظ في هذه الرسالة يدافع عن وظيفة التجار وما تضفيه على أصحابها من مركز اجتماعي ، وقد وردت عند الجاحظ ألفاظ كثيرة تخص التجارة وما يتبعها من نظام مالي فعلي ، ذكر التجارة قال : الرفاجة : التجارة : والتشمير»[٢] وكذلك اقتصاد واحتكار ثم ضريبة ومكس وغلاء وجائحة . قال عن **الاقتصاد** على لسان الكندي أحد بخلائه : «وزعمتم أنما سمينا البخل إصلاحاً والشح اقتصاداً»[٣] وذكر **الاحتكار** بقوله : «ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا أصحاب احتكار لما في أيديهم وطلب ما عند غيرهم»[٤] . ويذكر **الضريبة والمكس** مبيناً الوجوه التي تستوجب لكل منهما فقال : «فإن ملوك العرب تأخذ من التجار في البر والبحر ، وفي أسواقهم المكس ، وهو ضريبة كانت تؤخذ منهم وكانوا يظلمونهم في ذلك»[٥] وقال موضحاً الضريبة : «وعلى أنه إن أتاه الله بالأرباح في تجارته ، والنفاق في صناعته ، لم ير أن يزيد قيراطاً في ضريبته ، ولا أن يعجل فلساً قبل وقته»[٦] .

وقال في **الجائحة** : «إن اجتاحته جائحة أو نابته نائبة بقيت حيران»[٧] وقال ذاكراً **الغلاء** : «لا يهتم بغلاء الدقيق ولا عوز السويق»[٨] .

وعن الثروة والمال وما لعبا من دور في حياة الأفراد في المجتمع العباسي

(١) رسائل الجاحظ للساسي ص ١٥٥ .
(٢) البرصان والعرجان ص ١٨ .
(٣) البخلاء ص ٩١ .
(٤) مناقب الترك ص ٧٠ .
(٥) الحيوان جـ ٦ ص ١٤٨ .
(٦) البخلاء ص ٨٥ .
(٧) المعاش والمعاد ص ١٣٢ .
(٨) كتاب القيان ص ١٧٨ .

تقول صاحبة كتاب الجاحظ والحاضرة العباسية : «إن الثروة في الحاضرة الإسلامية كانت تشكل العمود الفقري للحياة الاقتصادية فلا التجارة ولا غيرها من الفعاليات الاقتصادية كان بالإمكان أن تسير بدون رأس المال»(١) .

٢ - الصيرفة والمعاملات المالية :

كان من آثار الحركة التجارية أن نشأ أسلوب جديد في المعاملات المالية ليواجه هذه الحركة الكبيرة لتدفق الأموال من جميع أنحاء الدولة العباسية . هذا مماد فع الناس إلى إيجاد أماكن أمينة لحفظ أموالهم فأودعوها لدى أشخاص بارزين أو تجار صيارفة محترفين ، فظهر عدد من الصيارفة استطاعوا أن يوسعوا عمليات الصيرفة حتى أن الدولة نفسها تعاملت مع الصيارفة لتصريف أمورها في وقت الحاجة ، ولم يقتصر عمل الصيارفة على قبول الودائع بل تعداها إلى تحويل النقود وتحرير الصكاك وغيرها من المعاملات المالية الأخرى . وقد أورد لنا الجاحظ قصصاً في البخلاء عن **الصيارفة** وأصحاب العينة **والبَنَادِرَة** والمعينين فقال : «وتقصر بعضهم أن يكون صيرفياً»(٢) ومن الصيارفة الذين ذكرهم الجاحظ وسلط نقده اللاذع عليه زبيدة بن حميد الصيرفي وهو رجل ثري من ملاك الأراضي في البصرة يمتلك مائة ألف دينار ومع هذا تراه يستلف من بقال كان على باب داره درهمين وقيراطاً»(٣) . ويحدثنا الجاحظ عن صيارفة البصرة فيقول : «لا ترى بالبصرة صيرفياً إلا وصاحب كيسه سندي»(٤) . وهذا الشعور بالنسبة للسند يشرحه الجاحظ في رسائله فيقول : «ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيستهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند ، لأنهم وجدوهم

(١) الجاحظ والحاضرة العباسية د. وديعة النجم ص ١٥٥ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ١٤١ .

(٣) البخلاء ص ٣٥ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٤٣٤ .

أنفذ في أمور الصرف ، وأحفظ وآمن»[1] . ثم يستمر الجاحظ في وصفه للسند وما يمتازون به من نفوس أمينة فيقول : «وقد بلغ من تبرك التجار بهم أن صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات لما رأوا ما كسب فرج أبو روح السندي لمولاه من المال والأرضين اشترى كل امرئ منهم غلاماً سندياً ، طمعاً فيما كسب أبو روح لمولاه»[2] . ويقول شارل بيلات في حديثه عن تجار البصرة : «إن الطبقة البورجوازية التي تكونت في البصرة مدينة أحياناً بثروتها إلى استغلال أراضيها الزراعية أو أراضي رعاياها ، كما أنها مدينة في أغلب الأحيان إلى مهارتها التجارية وتعاطيها الربا . والشاهد الذي يثبت هذا القول أي وجود الربا في البصرة مع تحريم القرآن له هو مقاطع من كتاب البخلاء ذكر فيها العينة وهى الربا[3] . ويورد الجاحظ في كتاب البخلاء خاصة وفي غيره من كتبه حكايات عن هذه المهنة **العَيِّنَة** وعن أصحابها الذين يسميهم أصحاب العينة قال : «وكانت له حلقة يعقد بها أصحاب العينة والبخلاء الذين يتذاكرون الإصلاح»[4] . ويصف الجاحظ أبا سعيد المدائني بأنه كان من كبار المعينين ومياسيرهم[5] وتدل النوادر التي ساقها الجاحظ عن أبي سعد المدائني على انتشار هذا النوع من الربا عند الموالي في البصرة . وذكر العين فقال «نظروا في العين والدين قبل أن يروا الاختلاف في طلاق السنة»[6] وقال أيضاً «الفالح مكيال العينة»[7] . وقال : «ومن كان ذا مال ولا جاه

(١) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٤ .

(٢) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٥ .

(٣) الجاحظ شارل بيلات ص ٤٩ .

(٤) البخلاء ص ١٣٧ .

(٥) البخلاء ص ١٣٧ .

(٦) البرصان والعرجان ص ٣ .

(٧) البرصان والعرجان ص ٢٨٣ .

له استقرض منه بلا عينة»[1] .

وقد ورد عند الجاحظ ألفاظ تدل على العقارات وما يتبعها من معاملات وحوالات نقدية وصكاك والمفرد صك وإقطاع وسجلات وألفاظ لأمور مالية أخرى كالضيزي ، والحطيطة ، والكور ، والأواء ، والممعز ، والمخرفج ، وكل هذه الألفاظ صفات تبين حالة الأشخاص المالية من غنى وفقر ، وذكر الجاحظ ملاك الدور وأمورهم من المستأجرين. وذكر الجاحظ **الصكاك** بقوله : «وعلى الجلود يعقد في حساب الدواوين ؛ وفي الصكاك والعهود وفي الشروط وصور العقارات»[2] . وذكر **الصَّك** بقوله : «ثم نهض بالصك وعليه طينته»[3] . وذكر **الإقطاع** فقال : «لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكاك وكل إقطاع»[4] . ومن الشخصيات التي ذكرها الجاحظ في حديثه عن ملاك الدور وأحوال المستأجرين شخصية الكندي أحد البخلاء الذين سخروا منطقهم وبلاغتهم للدفاع عن البخل وحفظ المال ، ومن خلال شخصية الكندي استطاع الجاحظ أن يسخر من أحوال السكن في المدن العباسية منتقداً أصحاب الدور الذين يستغلون المستأجرين ، قال الكندي : إنما المال لمن حفظه . ولحفظ المال بنيت الحيطان وعلقت الأبواب ، واتخذت الصناديق ، وعملت الأقفال ، ونقشت الرسوم والخواتيم وتعلم الحساب والكتاب»[5] ويقول الجاحظ على لسان الكندي مخاطباً المستأجرين : ومع بغض الساكن للمسكن ، وحب المسكن للساكن لأن المسكن يحب صحة بدن السكان .

(1) كتاب القيان ص ١٧٩ .

(2) في الجد والهزل ص ٢٥٣ .

(3) البخلاء ص ١٤٢ .

(4) الحيوان جـ ١ ص ٦٩ ، وانظر الحيوان جـ ٢٩٨ .

(5) البخلاء ص ٩١ .

ونفاق سوقه إن كان تاجراً ومحبة الساكن أن يشغل الله عنه المسكن كيف شاء»[1] .

وفي مجال المعاملات المالية يذكر الجاحظ **الضيزي** فيقول : «أسمعتم بالقسمة الضيزي ؟ هي والله ما تريدون شيخكم عليه . اشترى مني على أن يكون الخسران على والربح له»[2] . وقال : «وسأله حسن النظر والحطيطة . والحطيطة هي ما يحط من جملة الحساب فينقص منه»[3] وقال يذكر **الكور** : «أعوذ بالله من الخذلان بعد العصمة والحور بعد الكور»[4] . والكور هو النقص بعد الزيادة . ثم يحدثنا الجاحظ عن الآواء فيقول : «وكل كاتب محكوم عليه بالوفاء ، ومطلوب منه الصبر على الأواء»[5] . ولفظة **المُمْعِز** تفيد معنى الفقر والحاجة ، قال الجاحظ يصف أحدهم «وإذا نزل الغيث وعم ودر كان حزن الممعز المصرم»[6] ويذكر لفظ **المُخَرْفِج** فيقول : «إن حذيفة رجل مخرفج محرق الخيل»[7] .

ومن النصوص السابقة نتبين المعاملات المالية التي كانت سائدة في العصر العباسي في زمن ازدهار الحضارة وتقدمها ، وبالتالي ازدهار الحياة الاقتصادية آنذاك ، وهذا ما أكدته د. وديعة النجم قائلة : هناك ظاهرة تبرز في العصر العباسي في حياة الحضارة لا يمكننا تجاهلها ، وأعني بهذه الظاهرة ما أسميه تجوزاً بالوعي المالي . وهي إحساس الفرد بقيمته بسبب ما يمتلك من مال وأنه لولا هذا المال لأهين وفقد احترام الجميع»[8] .

(١) البخلاء ص ٨٥ .
(٢) البخلاء ص ١٤٤ .
(٣) البخلاء ص ١٤٤ .
(٤) البخلاء ص ٦٤ .
(٥) ذم أخلاق الكتاب ص ١٦١ ،
(٦ ، ٧) البرصان والعرجان ص ١٨٣ .
(٨) الجاحظ والحاضرة العباسية د. وديعة النجم ص ١٥٥ .

٣ - الوحدات القياسية :

هناك وحدات قياسية للمساحة مثل الفراسخ والجريب والمشارة . أما الأوزان والمكاييل فكانوا يستعملون لقياسها في العصر العباسي الأوقية والإستار والرطل والمثقال والقفيز والجمع قفزان والمن والمكوك والجمع مكاكيك والأكرار وهى أكبر المكاييل . وكانوا يعرفون حساب الأيام والشهور والفصول ، ولهم خبرة بعلم الفلك وحساب الهسمرج وغيرها ، من العلوم التي ليس مجالها هنا بل ستذكر في الحياة العلمية في العصر العباسي وقد أفرد الجاحظ صفحات كثيرة جداً من كتبه لوصف الحياة العلمية في عصره ، ولكن في مجال حديثنا عن الوحدات القياسية التي يستوجب ذكرها مع ما سبق من النصوص عن الأرض وهى عماد الثروة في الحضارة العباسية وعن غلاتها المتنوعة الغنية ، فيجب أن نذكر وحدات المساحة لقياس الأراضي الزراعية خاصة . قال الجاحظ يذكر **المَشَارَة** وهى البقعة المزروعة من الأرض ولها حدود معينة ضيقة نوعاً قال: «فما كان بقدر ما يسقى الرجل مشارة حتى قتلناهم»[١] . ثم يذكر **الجَرِيب** والمثني جريبان قائلاً : «القيناهم في مقدار جريبين من الأرض»[٢] . وقال : «كان يملك خمسمائة جريب»[٣] ثم يذكر **الفَرَاسِخ** : بقوله : «فلا يزال يقطع الفرساخ الكثيرة بعد ذلك»[٤] .

أما وحدات المكاييل والأوزان فقد ذكرها الجاحظ في مجال الحياة الاقتصادية وما بها من أسواق تجارية لا بتياع الحاجيات اليومية ، قال في مجال الأوزان يذكر **الأستار** وهو أقل من الأوقية أي أنه وحدة وزن صغيرة : «فلا

(١) صناعات القواد ص ٣٨٥ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٥ .

(٣) البخلاء ص ١٠٢ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦ .

يصب إستاراً واحداً فعله» وذكر **الأوقية** بنفس المكان قائلاً : «فما ضيع أوقية واحدة»[1] . ثم يذكر لنا وزناً صغيراً جداً وهو **المثقال** ، فيقول : «استفت مثقالاً من الأثمد»[2] . وهناك وزن آخر يستعمل كثيراً في العصر العباسي . ويحدثنا الجاحظ عنه باشتقاقات متنوعة وهو **الرطل** فنرى الجاحظ يقول رطلية ورطلت ورطل ، وغيرها من الألفاظ التي تدل على الوزن بمكيال الرطل قال : «حتى تركناهم في أضيق من رطلية»[3] . وقال : «كلا والله إني ما رطلت بيدي قط أحداً أرزن منه»[4] . ثم يذكر لنا المن وهو يسع رطلين فقال : «ربما كان في نابيه أكثر من ثلاثمائة من»[5] . ومن الأوزان التي يكال بها **المكوك** والجمع مكاكيك ، وقد شرحه الحاجري في البخلاء فقال : المكوك معيار يكال به وهو كما يقول صاحب القاموس - مكيال يسع صاعاً ونصفاً أو نصف رطل إلى ثمان أواق ، أو نصف الويبة ، الخ ، التقديرات التي ترجع في اختلافها إلى اختلاف الزمان والمكان . والأصل في كلمة المكوك أنها طاش يشرب به[6] وقد ذكره الجاحظ فقال : «قالت : أعلم أني منذ يوم ولدتها إلى أن زوجتها كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة ، وكنا كما قد علمت - نخبز في كل يوم مرة ، فإذا اجتمع من ذلك مكوك بعته»[7] وذكر المثنى : المكوكين قائلاً : «عندي مرجل أطبخ فيه تمراً نبيذياً وهو يسع مكوكين»[8] وذكر الجمع مكاكيك

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٣٧ .

(٢) الحيوان جـ ٧ ص ٨٩ .

(٣) صناعات القواد ص ٣٩٠ .

(٤) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥٠ وانظر البخلاء ص ٥٤ .

(٥) الحيوان جـ ٧ ص ١٠٤ .

(٦) البخلاء - الحاجري ص ٢٩٦ .

(٧) البخلاء ص ٣٠ .

(٨) البيان جـ ٢ ص ٣٤٨ .

فقال : «وتحلب خمسة مكاكيك وأكثر»[1] . ثم يذكر لنا الجاحظ في كتبه مكيال آخر يسع ثمانية مكاكيك ، وهو القفيز والجمع **قُفُزان** ، وقد ذكر الجمع بقوله : «قال أنا لا أعرف الأكرار وحساب القفزان»[2] وكلمة **الأكرار** وهى جمع كر ، وهو مكيال يزن ستين قفيزاً ويستعمل في العراق أكثر من غيره في البلدان الأخرى .

٤- العملات النقدية :

وردت عند الجاحظ أنواع من العملات التي كانت تستعمل في عصر الحضارة العباسية ، وألفاظ العملات **الدرهم** والجمع دراهم والدينار والجمع دنانير والدانق والجمع دوانق والفلس والجمع فلوس والباور والجمع باورات **والقراريط** . وقد ذكر الجاحظ الدراهم الفارسية المسماة بالبغلى، كما تدل على ذلك الأمثلة التي وردت في البخلاء قال : فأدخل يده في الكيس ليخرج فلساً - وفلوس البصرة كبار - ففلس بدرهم بغلي»[3] . وقال في البخلاء أيضاً: أي بني إن إنفاق القراريط يفتح عليك أبواب الدوانيق وإنفاق الدوانيق يفتح عليك أبواب الدراهم ، وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير»[4] وذكر **الدانق** بقوله : فأعطيتك على بصرك ودلالتك دانقاً»[5] . وذكر **الدينار** فقال : من رفع يده قبل القوم غرمناه ديناراً»[6] . وذكر **البَاوُرَات** بقوله : ولعدموا الإحاطة بالباورات وباورات الباورات»[7] .

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٤٧٧ .

(٢) البخلاء ص ٢٤٨ وانظر البيان جـ ٤ ص ٣٤٨ .

(٣) البخلاء ص ٤٦ .

(٤) البخلاء ص ١٠٦ .

(٥) الحيوان جـ ٥ ص ٣٤٠ .

(٦) البخلاء ص ٥٥ .

(٧) الحيوان جـ ١ ص ٤٦ .

رابعاً: الألفاظ الخاصة بالملاحة :

كانت الملاحة النهرية الداخلية بين البصرة والأبلة ، والبصرة وعبدان ، التي تبعد عن البصرة بمقدار فرسخين ، ثم الطرق النهرية الهامة ، وهى طريق البصرة الأهواز وجميع هذه الطرق داخلية لنقل الحاجيات التموينية أو المسافرين أو لنقل الماء إلى مدينة البصرة .

١ - الأنهار وحركة الملاحة :

وقد حدثنا الجاحظ عن الملاحة وطرقها وأوقاتها ، والسفن وأنواعها وأجزائها وعن المواني والمرافئ ومن يقوم بالعمل في هذه السفن وعن أمور أخرى تتعلق بالملاحة النهرية التي كانت المنفذ الرئيسي للبصرة . فقد كانت بين البصرة والأبلة شبكة من الأنهر والأقنية وكان **نهر الأبلة** هو الذي يصل البصرة بالأبلة ، وكانت لهذا النهر مواسم معينة تكون الملاحة فيها سهلة ويسيرة ، ويورد لنا الجاحظ هذه الحادثة يبين فيها أصلح الأوقات للسير في نهر الأبلة قائلاً : «ويكون الزائر من أهل البصرة عند الأبلي مقيماً مطمئناً فإذا جاء المد قالوا : ما رأينا مداً قط ارتفع ارتفاعه ، وما أطيب السير في المد ، والسير في المد إلى البصرة أطيب من السير في الجزر إلى الأبلة»[1] وهناك أنهار أخرى حدثنا الجاحظ عنها كنهر **دجلة والفرات** والرافدين وكذلك الهور ، قال الجاحظ في دجلة والفرات : «إن ماء دجلة أمر من الفرات وإن ماء مهران أمر من ماء نهر بلخ»[2] وقال عن **الرافدين** : «قال الأصمعي : فهما الرائدان وهما الرافدان»[3] . أما الهور وهو الماء القليل العمق الذي يستعمل للنقل الداخلي

(١) البخلاء ص ١٢٥ ، ص ١٩٧ .

(٢) البخلاء ص ٩٨ وأنظر الحيوان جـ ٣ ص ٢٦١ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ١٩٦ .

المحدود بواسطة مراكب صغيرة جداً ، والهور يقع في جنوب العراق في البصرة وضواحيها فقط ، وحدد الجاحظ مكان **الهور** فقال : «في أجمة البصرة، فأردنا النفوذ فمنعنا صاحب المسلحة فأردنا التأخر إلى الهور الذي خرجنا منه»(١)

وهناك كلمات تتعلق بالملاحة النهرية مثل الوشل والمكلأ ، والكلاء والشريعة والجمع شرائع والمشرع والجمع مشارع والعبر وصاحب المعبر والملاح والجمع ملاحون أو ملاحي ثم المدادين . ويحدثنا الجاحظ عن **الوشل** ، وهو الماء القليل الذي لا تصلح فيه الملاحة ، وهذا يكون فى موسم القيظ في البصرة خاصة فقال في حيوانه : «في الصيف كله في القيظ جميعاً منقع ماء ولا غدير ولا شريعة ولا وشل»(٢) وقال عن **الكلا** وهي مرفأ السفن : «وأنت رجل لك في البستان ، ورجل فى أصحاب الفيل ورجل في السوق ورجل في الكلاء»(٣) وذكر المكلأ فقال : «ولا يعرفون الخب والمكلأ ، صارت الأيام التي تسير فيها السفن إلى الزنج أقل»(٤) . **الشريعة** كلمة تطلق على المرفأ النهري الصغير أو الجدول النهري الصغير ، وهو ما يدعوه الجاحظ بالأثعبان . أي الجدول الصغير ، وقد ذكر **الاثعبان** في التربيع والتدوير متسائلاً : «وما الفرق بين الأثعبان والأمدان»(٥) وهذا ليس مجاله هنا وإنما لمجرد العرض ، أما الشريعة فقد ذكرها الجاحظ في أماكن كثيرة من كتبه ، وهذا طبيعي وهو البصري المتردد على الشريعة فقال : «بحيث لا ماء وحل ولا عين ولا

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٣٩٩ .
(٢) الحيوان جـ ٦ ص ٢٨٢ .
(٣) البخلاء ص ١٤٥ .
(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٢ .
(٥) التربيع والتدوير ص ٦٠ .

شريعة»[1] ، وذكر **المشارع** فقال : «يخبـرنا جميع من يبيت فـي السفن وفي المشارع»[2] . وذكر العـبر وهو يطلق عـلى عبر النهـر أو عبر البحر أي شـاطئه وجانبه فقال : «والعنبر يقذفه البحر إلى عبريه»[3] .

قال آدم ميتز : في العراق كانت أحوال الأنهـار ملائمة للملاحة على نحو لا نظير له . وذلك لأن مستوى نهر الفرات أعلى قليلا من مستوى نهر دجلة ، وهذا يجعل سير السفن في الأنهار المتـفرعة من الفرات إلى الشرق سهلاً يسيراً ولا يصعب عـليها أن تعود إلى الغـرب . وقال أيضاً : وكانت أكبر شـبكة من النهيـرات توجد شرقي البـصرة حيث تفتـرش مياه الأنهار ، وقد أحـصيت في بعض الـعصور فزادت على مـائة وعشرين ألـف نهر تجرى فيهـا الزوارق وكان بتلك حركة الملاحة كبيرة جداً ، وخاصة على نهر دجلة والناس ببغداد يذهبون ويجيئون ويعبرون في السفن وترى لهم جلبة وضوضاء[4] .

٢ - الملاحون وأنواع السفن :

يحدثنا الجاحظ في كتبه عن الملاحـين أحاديث متنوعة ، ويخصهم بروايات شيقة ويحشرهـم في كل مجال ، وكأنه لا يريد أن ينسى بيئـته الأولى التي نشأ وتربى فيها ، فالبصرة بأنهارها وملاحيـها كان لها أثر كبير في الجاحظ وما يرويه من كلمات عـن تلك البيئة البصـرية فيقول : «لأن الملاحين إذا تظـلموا رفعوا المرادي»[5] فهـو يذكر لـنا **الملاح** والجمـع ملاحين ومـلاحي وصـاحب المعـبر والمدادين ، وهـم المعاونون لملاح الـسفينة . ويـحدثنا عن المـلاح وعن احدى

(١) الحيوان جـ ١ ص ١٥٦ وانظر جـ ٦ ص ٢٨٢ .

(٢) الحيوان جـ ٧ ص ١٤٧ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٣٦٢ .

(٤) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٥) البيان جـ ١ ص ٢٩ .

قصصه فيقول : «وقلت لملاح لي ، وذلك بعد العصر في رمضان انظر كم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الأرض ؟ قال : أكثر من مرديين ونصف»[1] وكان الجاحظ يختلط مع مختلف أجناس الملاحين ، وها هو يحدثنا فيقول : «وسمعت حديثاً من شيوخ ملاحي الموصل»[2] . أما **المدادون** وهم المعاونون للملاح يذكرهم الجاحظ بقوله : «يبعثون الأول من المدادين ليحله»[3] . **وصاحب المعبر** يقول عنه الجاحظ : «وكان يقول لابنه : تعطي صاحب الحمام وصاحب المعبر لكل واحد منهما طسوجاً ، وهو إذا لم يرمعك إلا ثلاثة أفلس لم يردك»[4] وكان صياح الملاحين إلى جانب صوت آلات رفع الماء مما تمتاز به بلاد العراق[5] . أما السفن فأنواعها كثيرة يوردها الجاحظ في أحاديثه ويذكر منها الجعفرية والجمع جعفريات والسنبوقة والجمارات . فقال عن **الجعفرية** : «كنت مع شيخ أهوازي في جعفرية وكنت في الذنب وكان في الصدر»[6] وذكر **الجعفريات** قائلاً : «وربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجعفريات على وجهه شبه القرد»[7] . ثم يذكر **السُّنْبُوقَة** وهي نوع صغير من السفن ، كما ذكر في القاموس ، ولكن الجاحظ ذكرها وفيها ألف رجل فكيف تم هذا الأمر ، وهل هناك مبالغة في الكلام لا أدري ، وإنما سأوضحه في تناولي للموضوع بصورة أخرى ، قال الجاحظ ، «إن ملك الزنج إن غضب على هل مملكة ولم يتقوه بالخراج بعث ألف سنبوقةُ في كل سنبوقة ألف رجل»[8] ، ونوع آخر من السفن وهي **الجَمَّازَات** وهي نوع سريع من السفن .

(١) الحيوان جـ ٢ ص ١٧٦ .

(٢) الحيوان جـ ٢ ص ١٢٦ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ١٢٦ .

(٤) البخلاء ص ١١٣ .

(٥) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٣٩٤ .

(٦) البخلاء ص ١٤٧ .

(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٧٢ .

(٨) فخر السودان على البيضان ص ٢١٧ .

وقد ذكر الجاحظ هذه الجمازات وأول من استعملها فقال : «وقد علمتم أن أول شأن الجمازات أن أم جعفر أمرت الرحالين أن يزيدوا في سير النجيبة التي كانت عليها»[1] .

والسفينة تتكون من أجزاء ولقيادتها يتخذ بعض الأدوات والإبحار بها يكون الشراع ، ومن أدواتها أطلال السفن والكلاليب . والمزاليج والقلس ثم المرادي جمع مردي ، وقد ذكر الجاحظ **الشّرَاع** بقوله : «وكان الشراع لا يحط وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس»[2] ثم يذكر الكلاليب وغيرها من الأدوات في هذا النص فيقول : «فمن ذلك الأضلاع والمفاتيح والمزاليج وأطلال السفن والعقود»[3] ثم يذكر **القَلْس** وهو من الحبال التي تربط بها السفينة عدن المرفأ وغيره من الأمور ، قال الجاحظ : «وزعموا أن الأسد ربما جاء إلى قلس السفينة فيتشبث به ليلاً»[4] وكان ببغداد كثير من القوارب الخاصة، فقد كان لكل من ذوي اليسار من أهل بغداد دابة في اصطبله وطيار في النهر ، وكان الكبراء وأصحاب الجاه يتنقلون في الغالب على الماء . وفي أواخر القرن الثاني الهجري أمر الخليفة الأمين بعمل خمس حراقات في دجلة، أحدها على خلقة الأسد ، والباقيات على خلقة الفيل والعقاب والحية والفرس، وأنفق على عملها مالاً عظيماً وابتني سفينة عظيمة على خلقة الدلفين ، وهذه كلها للنزهة والأبهة[5] . وذكر الجاحظ **المرادي** ومفردها **مردي** وهى الخشبة التي يدفع بها الملاح السفينة وتكون طويلة وهى تعوج من شدة الدفع ، فقال ذاكراً المردي : «فأول رجل دخل علينا السفينة كان في طول هذا

(١) الحيوان جـ ١ ص ٨٣ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٢ .

(٣) البرصان والعرجان ص ١٦٧ .

(٤) الحيوان جـ ٢ ص ١٢٦ .

(٥) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٣٩٨ .

المردي وكان فخذه أغلظ من هذا السكان»[1] نجد في هذا النص كلمة المردي وكلمة **السُّكَّان** وهي بمعنى الدفة التي تقود السفينة ، وهذه كلمة مستعملة في العراق . وذكر الجاحظ الجمع المرادي قائلاً «المسُنيّات التي تهدمها المدود وتخربها المرادي»[2] .

٣ - الملاحة الخارجية والمراكز التجارية وبضائعها:

ويظهر أن البصرة كانت تحتكر جزءاً كبيراً من عمليات البيع والشراء بين العراق وفارس وجزيرة العرب ، وكانت الملاحة الخارجية التي تربط البصرة بخطوط بحرية وعن طريق عبادان ومنها إلى البلدان الخارجية يتم نقل البضائع ، وهذا ما يؤكده شارل بيلات في كلامه عن البصرة وحركة البيع والشراء فيها يقول : إن حركة المسافنة أي نقل البضائع من سفينة إلى أخرى كانت تجرى بين المربد والمرفأ النهري القلاع الذي كان سوقاً أيضاً ، ومن هنا كانت البضائع تصدر بواسطة النقل المائي[3] . ويحدثنا المقدسي عن الملاحة الخارجية للدولة العباسية فيقول إن البصرة كانت بينها وبين عمان خط ملاحي ويمر بالبحرين ، وخط آخر يربط البصرة بالصين ماراً بعدة بلدان «وكانت الضائع تنقل من البصرة إلى عبادان التي تبعد فرسخين عن البصرة»[4] . ومما سبق نرى أن شارل بيلات يؤكد أن الجاحظ لم يعر البحر أدنى اهتمام ، لأن البصرة كانت بيئتها نهرية ويقول : ومع ذلك فقد أعطانا الجاحظ في كتابه التبصر بالتجارة قائمة بأصناف الترف . - والترف وحده - التي عرفها سواء في البصرة أم بغداد . إن هذه الأصناف بمجملها مستوردة سواء عن طريق البحر أم

(١) الحيوان جـ ٢ ص ١٧٦ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣٨٥ ، وانظر البرصان والعرجان ص ٢٣١ ، والبيان جـ ١ ص ٢٩ .

(٣) الجاحظ شارل بيلات ص ٤٩ .

(٤) أحسن التقاسيم للمقدسي ص ١٢ .

طريق البر»[1] . ولكننا نرى الجاحظ في مكان آخر من كتبه يذكر البحر والملاحة البحرية بين البصرة والبلدان الخارجية بشكل تفصيلي فيقول : «وهم يزعمون أن الذي بين البصرة والزنج ، أبعد مما بين الصين وبينها ، وإنما غلط ناس فزعموا أن الصين أبعد ، لأن بحر الزنج حفرة واحدة عميقة واسعة ، وأمواجها عظام ولذلك البحر ريح تهب من عمان إلى جهة الزنج شهرين ، وريح تهب من بلاد الزنج تريد جهة عمان شهرين ، على مقدار واحد فيما بين الشدة واللين ، إلا أنها إلى الشدة أقرب ، فلما كان البحر عميقاً والريح قوية ، والأمواج عظيمة ، وكان الشراع لا يحط ، وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس ، ولا يعرفون الخب والمكلأ وصارت الأيام التي تسير فيها السفن إلى الزنج أقل»[2] . إن هذا النص هو خير شاهد على أن الجاحظ كانت عنده معلومات قيمة عن الملاحة وعن المراكز التجارية . وهو يصف لنا الملاحة الخارجية للدولة العباسية في زمن ازدهار الحضارة أدق وصف ، خاصة عندما يذكر لنا البضائع التي تستوردها العراق في ذلك الحين ، ورسالته التبصر بالتجارة التي يجمع معلوماته فيها من أفواه التجار وخبراء مواد ومنتجات الترف الذين صادفهم في البصرة وبغداد وسامراء ، فهو يورد لنا البضائع التي استوردت ومن أي البلدان جاءت ويؤكد أن كثرة أنواع هذه البضائع خير دليل على نشاط حركة التجارة البحرية ، وقد أظهر دور البصرة الاقتصادي وازدهارها التجاري إذ كان بها ثلاث أسواق تجارية **سوق الكلاّء** ، وسوق الكبير **وباب الجامع** ، ونجد في جملة المنتجات المحلية التي كان يتاجر بها في هذه الأسواق التمور وهي تشكل الثروة الرئيسية بالبصرة ثم الأسماك والأقطان **واللبان والحناء** والخز **والبنفسج وماء الورد**[3] . وهناك مركز تجاري مهم هو

(١) الجاحظ - شارل بيلات ص ٥٠ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٢ .

(٣) التبصر بالتجارة ص ١٦ .

الأبلة ، وفيها ثياب الكتان الرفيعة والقصب الميساني والحرير ، ويصف الجاحظ تجار الأبلة بأنهم حكرة . فالأبلة من المراكز التجارية التي برزت فيها الفروق الاجتماعية واضحة بسبب الفعاليات الاقتصادية التي يمارسونها وكان التجار بالطبع يتمتعون بمنزلة عالية في المجتمع، فالتقدير الاجتماعي الذي يعتمد على الثروة قد أوضحه لنا الجاحظ بهذه الحكاية: «وقع بين رجلين أبلين كلام فأسمع أحدهما صاحبه كلاماً غليظاً فرد عليه مثل كلامه . فرأيتهم قد أنكروا ذلك إنكاراً شديداً ، ولم أر لذلك سبباً فقلت: لم أنكرتم أن يقول له مثل ما قال ؟ . قالوا : لأنه أكثر منه مالاً ، وإذا جوزنا لفقرائنا أن يكافئوا أغنياءنا ففي هذا الفساد كله»[1] .

وفي المجتمع العباسي في عصر الحضارة العباسية نرى أن درجات أصحاب الثروة بين التجار متفاوتة ، وذلك تبعاً لطبيعة التجارات التي يمارسونها ، وقد كانت هذه التجارات متنوعة حقاً تتفاوت بين المتاجرة بالقطط والحمام إلى المتاجرة بالمجوهرات وغيرها . وكل شئ كان له ثمنه في سوق التجارة حتى الفضلات والنفايات كانت لها قيمتها . ويعرض لنا الجاحظ في بخلائه صورة لسبل الإفادة من كساحة البيوت ، فقال يصف أبا سعيد المدائني : «وكان أبو سعيد ينهي خادمته أن تخرج الكساحة من الدار . وأمرها أن تجمعها في دور السكان ، وتلقيها على كساحتهم»[2] .

ويعرض لنا الجاحظ في صدر رسالته التبصر بالتجارة مسألة العرض والطلب وبيان أثرها على قيمة السلع التجارية ، ونرى الجاحظ في رسالته هذه قد رصد قائمة بما كان يبتاع في الأسواق ، وما كان يجلب إليها من البلدان البعيدة النائية والقريبة ، فقد كان يجلب التجار إلى الدولة العباسية من أطراف

(١) البخلاء ص ١١٣ .

(٢) البخلاء ص ١٤٢ .

الدنيا **غرائب السلع والأمتعة** منها : الجواري والأحجار والأدوية والعقاقير والجواهر والخدم والصناع والبنائين وكل ما يحتاج إليه المجتمع في حياته اليومية وفي بناء حضارته الزاهرة ، وفي ذلك يورد لنا الجاحظ قائمة البضائع محدداً بلدانها التي تجلب منها ، فيقول : «يجلب من الهند الببور والنمور والفيلة ، وجلود النمور ، والياقوت الأحمر ، والسندس الأبيض ، والأبنوس وجوز الهند ، ويجلب من الصين ، الفرند ، والحرير ، والغضائر ، والكاغد ، والمداد ، والطواويس ، والبراذين ، واللبود والدراسين ، ويجلب من الروم أواني الفضة والذهب والدنانير ، والعقاقير والبزيون والجواري ، ومهندسو الماء ، وعلماء الحراثة ، والأكارة ، وبناء الرخام . ومن أرض العرب الخيل ، والنجائب ، والقافة ، والأدم ، ومن البربر ونواحي المغرب : النمور ، واللبودر والبزاة السود ، ومن اليمن ، البرود ، والأدم ، والزرافات ، والجواميس ، والعقيق ، والكندر ، ومن مصر الحمر الهماليج والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسام ، ومن الخرز العبيد والإماء والدروع ، ومن أرض خوارزم المسك ، والسنجاب ، وقصب الطيب . ومن سمرقند : الكاغد ، ومن بلخ ونواحيها العنب الطيب ، ومن مرو : الطنافس ، والثياب المروية . ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل ، والمقارم . ومن الرى : الزئبق ، والأسلحة ، والأمشاط والقلانس الملكية ، ومن أصفهان : الكمثرى ، والتفاح ، والزعفران ، والأشنان ، والأسفيداج ، والكحل . ومن نصيبين الرصاص . ومن فارس : دهن النيلوفر ، ودهن الياسمين ، ومن الأهواز ونواحيها : السكر والديباج . ومن السوس : الأترج ، ودهن البنفسج ، والشاهسبرم ، ومن الموصل : السنور والدراج ، ومن حلوان الرمان والتين[1]. وكانت هذه البضائع تحدد قيمتها في الأسواق حسب جودتها .

(١) التبصر بالتجارة ص ٢٥ - ٣٤ .

٤ - الطرق البرية :

أما الطرق البرية التي كانت تستعمل لنقل البضائع وتوزيعها فقد جاءت في إشارات عابرة عندما تحدث الجاحظ عن رحلاته ، عندما رأى المدن العظام بالشامات وبلاد الروم وغيرها من البلدان ، وقد كان الاهتمام بالطرق البرية في ذلك العصر يقتصر على حراسة الطرق وتأمينها وإنشاء أماكن يستريح فيها المسافرون . وقد ذكر الجاحظ الخانات ومفردها **خان** والمستراح ، وهذه كلها تؤمن الراحة للمسافرين قال الجاحظ «فلما صرت في الخان وأنا جالس فيه ومتاعي بين يدي وأنا أقول : إن أنا خلفته في الخان وليس عنده من يحفظه فش الباب وسرق»(١) . وذكر **الخانات** فقال : «ثم إنا نزلنا بعض الخانات ، وإذا البيوت ملاء روثًا وتراباً»(٢)

وفي مجال حديثنا عن الطرق البرية نذكر **البريد** وسكك البريد التي كانت منتشرة أيام الدولة العباسية . ويؤكد هذا القول آدم ميتز فى كلامه عن محطات البريد في الدولة الإسلامية وكانت تسمى بالسكك(٣) . وقد وردت عند الجاحظ ألفاظ مثل البريد والبرد وسكة البريد ، والشاكرية والفرانق والفيج وكلها تتعلق بأمور توزيع البريد ونقله ، ولكن هذا البريد كان مخصصاً لأعمال الحكومة فقط ولم يكن يحمل الناس إلا في حالة الضرورة القصوى نظراً لما في ذلك من متاعب(٤) . وقد ذكر الجاحظ لفظة البريد بقوله : «قالوا : ولما بلغ المأمون اختلاط من حال البريد ، وجه ثمامة بن أشرس ليتعرف له ذلك»(٥) . وذكر

---

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٤٥٢ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٤٧ .

(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٤١١ .

(٤) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٤١٩ .

(٥) كتاب البغال ص ٢٩٦ .

سكة البريد فقال : «كان في طريق الموصل سكة بريد وبقرب السكة مسجد ومستراح للمسافر»[1] . ومن المصطلحات البريدية التي كانت تستعمل في عصر الجاحظ لفظة **الفَرَانِق** ، وهم السعاة ، وقد ذكرها وهو يصف شأن البريد وأصحابه قال : «ومما قالوا في شأن البريد ، قول ابن أبي أمية : «ترى فرانقها في الركن مندفعاً»[2] . وذكر الجمع السالم **فَرَانِقيِّين** فقال : «وأما الصبر على الجنب فإن الثغريين والفرانقيين»[3] . ووردت كلمة **فيج** عند الجاحظ ومعناها ساعي البريد الذي يمشي على قدميه قال عن الفيج : «والخبط الشجر ، وللفيج وللمكاري ، فإنهما يتخذان للمخاصر»[4] . والشاكرية والشاكريون وردتا عند الجاحظ في أماكن متعددة من كتاباته ، **والشاكريّة** من يحمل البريد من الجند فهى في الأصل فرقة من الجيش وأحياناً يسند إليهم حمل البريد ، وقال الجاحظ : ألا ترى أن اسم الشاكرية وإن خالف في الصورة والهجاء اسم الجند»[5] وذكر **الشاكريين** فقال : «وشاكريين لم أحبس عن الباب»[6] ولفظة الشاكريين تعني الأجراء المستخدمين والصيادين والجنود ولهم أعمال متنوعة .
أما لفظة برد فقد ذكرها الجاحظ موضحاً عملها قال : «وذلك مشهور في الحمام الهدىّ ، إذا جعلت برداً[7] وكان البريد يستعمل لحمل أشياء خاصة تبعث للسلطان مما يحتاج إلى سرعة الإيصال ، فمن ذلك أن البريد كان يحمل إلى المأمون ثماراً غضة من كابل أثناء ولايته على خراسان[8] .

(١) كتاب البغال ص ٢٣٧ .
(٢) كتاب البغال ص ٢٦٧ .
(٣) مناقب الترك ص ٤٨ .
(٤) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٦٨ .
(٥) مناقب الترك ص ٣٠ .
(٦) كتاب البغال ص ٢٥١ .
(٧) الحيوان جـ ١ ص ٦٩ وانظر في الجد والهزل ص ٢٥٤ .
(٨) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٤١٩ .

ومن النصوص السابقة التي وردت عند الجاحظ في مجال الحياة الاقتصادية نرى المدى العظيم الذي بلغته الفعاليات الاقتصادية في شتى نواحيها ، وقد صور لنا الجاحظ كل تلك الفعاليات بصورة واضحة المعالم . ونجده يقدر أهمية المدن الإسلامية بمقياس المال ومدى توفره فيها بالنسبة لتوفر الحاجيات والبضائع أيضاً[1] .

(١) الجاحظ والحاضرة العباسية د. وديعة النجم ص ٩٦ .

الفصل الرابع

الألفاظ الخاصة بالحياة العلمية

الفصل الرابع

الألفاظ الخاصة بالحياة العلمية

كتابات الجاحظ تمثل صوراً متنوعة للحياة العلمية في العصر العباسي ، فقد صوّر الجاحظ بألفاظ كثيرة مراكز العلم والكتب والمؤلفات السائدة في عصره . وتحدث عن الأمراض بألفاظ تبين طرق علاجها والعقاقير الطبية التي تكافحها ، وأورد ألفاظاً تخص أماكن العلاج . وعالم الحيوان ذكره الجاحظ بألفاظ لا يمكن حصرها ، وخير مثال على هذا كتابه الحيوان وغيره من كتبه الأخرى التي تضمنت ألفاظاً عن أنواع الحيوانات وطرق العناية بها وطعامها وفضلاتها . وكذلك أفرد الجاحظ للنبات حيزاً كبيراً من كتاباته ، وقد جاءت الألفاظ التي تختص بالنبات في مجالات كثيرة مثل الغذاء والعقاقير والصناعات والتطيب ، والمعادن والتعدين لم يغفل الجاحظ ذكرها فأورد ألفاظاً تعني بأنواع المعادن وطرق تعدينها وتصنيعها . أما الظواهر الطبيعية فكانت ألفاظها منتشرة في كتب الجاحظ وخاصة التربيع والتدوير ، وغيرها من الكتب التي أوردت ألفاظاً تتعلق بمسائل الكون والفلك والأجرام وتقلبات الجو وظواهره الجغرافية .

أولاً : الألفاظ الخاصة بالعلم ومراكزه ومصنفاته العلمية :

جاء العصر العباسي ومعه العلوم تفيض فيضاً في المملكة الإسلامية ، فنرى الثقافة اليونانية قد ترجمت بجميع فروعها من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء ، ونجوم ورياضة وترجمت الرياضة الهندية والتنجيم الهندي . وترجم تاريخ الأمم من فرس ويونان وروماني وغيرهم . والعلوم الدينية نرى أصحاب الديانات يتجادلون في أمور أديانهم والعلماء يجتهدون في شرح كل ما يعرض لهم من أمور الدين بعقلية منطقية وعبارات علمية ، وفي الطب والرياضة وغيرها من العلوم التي تعتمد على التجارب والبراهين نرى بروز طائفة من العلماء التي اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال المنطق ، وهذه ظاهرة جديدة في العصر العباسي وإن كانت نتيجة طبيعية لحياة الناس ونضوجهم العقلي .

١ - مراكز العلم :

وكان الناس في العصر العباسي يتلقون العلم في مراكز عملية أعدت للدرس والتحصيل وقبل أن يرتادها الصبيان والشباب يكون في البدء قد تجاوزوا مرحلة الدرس في **الكتاتيب** التي يدعوها الجاحظ بكتاتيب القرى[١] ، وقد تعرض لهذا الموضوع عند كلامه عن المعلمين وأنواعهم ، ومنهم معلمو كتاتيب القرى[٢] وتتمثل البيئات العلمية مثل المربد في البصرة والمساجد والمكتبات التي أصبحت في عصر ازدهار الحضارة العباسية ساحات للعلم والمعرفة . وقد ساعدت هذه البيئات العلمية المتنوعة على بروز طائفة من العلماء والأدباء امتازوا بتنوع معارفهم وسعة اطلاعهم وخير مثال على هذا القول الجاحظ وغيره من علماء عصره .

(١) الجاحظ شارل بيلات ص ١٠٨ .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٥١ .

وساعد استخدام الورق على اتساع الحركة العلمية ، وبهذا ظهرت المصنفات الكثيرة التي تحصل كنوز الثقافات الأجنبية والعربية ، ويقدم لنا الجاحظ قائمة بأنواع الكتب وأسماء المؤلفات الشائعة في عصره ، ويصفها بأنها تحتوي على كل أنواع المعرفة فيقول : «وحسبك ما في أيدي الناس من كتب الحساب ، والطب ، والمنطق ، والهندسة ومعرفة اللحون ، والفلاحة ، والتجارة ، وأبواب الأصباغ ، والعطور ، والأطعمة ، والآلات ، وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التي في الحمامات وفي الاصطرلابات ، والقرسطونات ، والآلات ، ومعرفة الساعات ، وصفة الزجاج ، والفسيفساء ، والأسرنج والزنجفور ، واللازورد ، والأشربة ، والأنبجات ، والأرياجات ، ولكم المنيا والنشادر والشبه ، وتعليق الحيطان والأساطين ، ورد ما مال منها إلى التقويم»[1] .

٢ - المجالس العلمية :

وكانت تعقد للعلماء في عصر الجاحظ مجالس علمية للمناظرات والمناقشات التي تتناول كل جوانب المعرفة ، وكأنما كانت **المناظرات** لغة العصر الفكرية ، وتمثل لنا كتب الجاحظ صوراً عديدة من تلك المناظرات حتى صاحب الضأن نراه يناظر صاحب المعز[2] . وفي كتاب الحيوان نرى مناظرات متنوعة كمناظرة معبد والنظام في الكلب والديك وأيهما أفضل ؟[3] . وفي زمن الجاحظ شغل العلماء أنفسهم بالعديد من المسائل العلمية ونستطيع أن نلمس جانباً منها في تضاعيف كتب الجاحظ مثل الحيوان ورسالة التربيع والتدوير وغيرها من الكتب الأخرى التي تطرق فيها الجاحظ إلى الكلام في شتى

(١) الحيوان جـ ١ ص ٨١ – ٨٢ .

(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٥٢٣ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ٣٧٤ وغيرها من الصفحات .

المواضيع التي تمثل ألوان الفكر السائد في العصر العباسي . ويعد كتاب الحيوان مظهراً من مظاهر الفكر في عصر ازدهار الحضارة العباسية ، وذلك بما يمثله من امتزاج الثقافات الفارسية واليونانية والهندية بالثقافة العربية . وقد لعبت الترجمة دوراً كبيراً في هذا المضمار . ويعد كتاب الحيوان المرجع الرئيسي في دراسة الحياة العلمية في العصر العباسي لما يحتويه من معلومات تمثل صوراً متنوعة من الحياة العلمية . ويجب أن ننظر لكتب الجاحظ الأخرى نظرة فيها الحرص والاهتمام ، لأن كتابات الجاحظ هى السجل الذي يزخر بشتى أنواع المعرفة وسطرت بين صفحاتها حياة العصر العباسي العلمية والثقافية فجاءت صورة ناطقة عن ذلك العصر الزاهر .

٣ - الكتابة والكتاب :

ذكر الجاحظ في كتبه ألفاظاً عن الكتاب والكتابة ، وهى المهنة التي كان يحترفها فئة معينة من الأفراد ، وكانت لهم مكانة اجتماعية مرموقة وإن كان الجاحظ يتهكم عليهم في كتاباته وخاصة في رسالة ذم الكتّاب . في حين أن للجاحظ إشارات في كتابه البيان والتبيين يظهر فيها إعجابه الشديد بمسلك **الكتاب** وطرائقهم في الكتابة(١) ، أما أدوات الكتابة فقد وردت ألفاظ عديدة في كتابات الجاحظ تشير إلى ما كان يستعمل في ذلك العصر مثل القراطيس والألواح والصحف والدفاتر ، وقد ذكر الجاحظ **القراطيس** فقال : «وما كان من القراطيس فللطراز»(٢) . وذكر **الألواح** بقوله : «وحدثني أبو نواس قال : بكرت إلى المربد ومعي ألواحي أطلب أعرابياً فصيحاً»(٣) وقال ذاكراً **الصحف** :

(١) الجاحظ والحاضرة العباسية د. وديعة النجم ص ٨٨ .

(٢) البخلاء ص ١٤٣ .

(٣) الحيوان جـ ٦ ص ٢٣٩ .

«وما كان من الصحف فلرؤوس الجرار»[1] وقال عن **الدفاتر** : «إني لأعجب ممن ترك دفاتر علمه متفرقة مبثوثة»[2] .

ومن الألفاظ التي تتعلق بالكتابة كلمة الوراقين وكلمة مبوباً وترجمان . وقد وردت كلمة **وراقين** عند الجاحظ في كلامه عن المدائني قال : ثم صوره في كتاب وألقاه في الوراقين»[3] . وذكر كلمة **مبوّب** في قوله : يحضرنا فيها ما نجعل لذكرها باباً مبوباً . ولكننا سنذكرها في مواضيع ذكرها»[4] . وقال يصف **الترجمان** : «ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة»[5] .

(١) البخلاء ص ١٤٣ .
(٢) الحيوان جـ ٤ ص ٢٩٨ .
(٣) كتاب البغال ص ٢٢٦ .
(٤) الحيوان جـ ٦ ص ٣٨ .
(٥) الحيوان جـ ١ ص ٧٦ .

ثانياً: ألفاظ الطب والرعاية الصحية :

١ - الأمراض :

الأمراض التي ذكرها الجاحظ في كتبه كثيرة وقد وصف أعراضها وطرق علاجها وكيفية الوقاية منها ، وقد عدد الأمراض مثل الجلدية والأمراض المعدية والأمراض التي تصيب الإنسان نتيجة للشيخوخة ، وقد سماها بالزمانة فقال : «وقد منع من ذلك ما حدث من الهم الشاغل ، وعرض من الزمانة ، ومن تخاذل الأعضاء»[1] . ووصف الشيخ الكبير بأنه **مُقَرْقَم وشخت** فقال : «ويكون الأعرابي شختًا مهزولاً ومقرقماً ضئيلاً»[2] وذكر **المُعِيل** والمعلول فقال: «ويحك أنا فقير معيل»[3] ، وقال عن المعلول : «وأصفق العلل ما التمس بعد المعلول»[4] والمعلول لها معانٍ كثيرة سأتطرق إليها في موضعها ، وهى ليست تقصد علل المرض بل هى من أساليب أصحاب علم الكلام .

ومن الأمراض الجلدية التي تحدث عنها الجاحظ البهق ، والبرش ، والبرص ، والجذام ، والجرب ، ومن أعراضها التبطط والتفليس .

فقد ذكر **البَهَق** بقوله : «ومن البهق الأبيض ما يكاد يلحق بالبرص»[5] وذكر **البَرَش** فقال : «والإنسان يعتريه البرش عن شرب اللبن وأكل التمر»[6] وقال عن **البَرَص** : «وبعض البرص يذهب حتى كأنه لم يكن»[7] وقال عن

(١) كتاب البغال ص ١٩٧ ظ .
(٢) البرصان والعرجان ص ١٥ .
(٣) البخلاء ص ١٩٥ .
(٤) في ذم أخلاق الكتاب ص ١٩ ظ .
(٥) الحيوان جـ ٥ ص ١٢٠ وأنظر البرصان ص ٥١ .
(٦) البرصان والعرجان ص ٥٠ .
(٧) الحيوان جـ ١ ص ١٢٠ .

الجُذَام وخوف الناس منه : قالوا : كان بلال بن أبي بردة قد خاف الجذام وهو والي البصرة»[1] ووصف **الجَرَب** بقوله : «وحكة الجرب مثل لسع الدبر ووخز الأشافي»[2] . أي كأنها المثقب الذي يخرز به ، ومن أعراض الأمراض الجلدية التبطط فقال : «لأن ثناياه ربما نـصلت ، وجلد وجهه ربما تبطط» . **والتفليس** مظهر آخر من مظاهر الأمراض الجلدية ، قال الجاحظ عنه : «فإنما يعني التبقيع والتفليس الذي كان على جلودهم من البياض»[3] .

وهناك أمراض كان الجاحظ يذكرها دائماً مـثل الفالج والنقرس ، والسبب معروف لذكرها لأنه قد أصيب بالفالج ، ويقال إنه أصيب بالنقرس أيضاً ، وها نحن نراه في هذا النص يصف أوجاع **النقرس** بقوله : «لم تعرف النقرس ولا وجع المفاصل ولا الأورام»[4] وذكر **الفالج** فقال «ولـم تزل تشكو من الـفالج طرفاً»[5] ويقول الجاحـظ عن نفسه مؤكداً إصابـته بالفالج والنقـرس يقول في شكاية مرضه : «أنا من جانبي الأيسر مـفلوج ، فلو قرض بالمقارض ما علمت به ، ومن جانبي الأيمن منقرس ، فلو مر به الذباب لتألمت»[6] .

ومن الأمراض التي تردد ذكرها عند الجاحظ الذبحة وقد وصف لها الدواء ومرض السرطان والسل وداء الفيل ، والربو ، والبرسام والمبرسم ، والحمة ، والأسر والحصر والبواسير ، وغيرها من الأمراض الـتي حدثنا عنها في كتبه ، قال عن **الذبحة** : «إن من أجود أدوية الذبحة والخانـوق أن ينفخ في حلق مِن

(١) البخلاء ص ١٥٠ وانظر البرصان ص ٣٦ .
(٢) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٤ .
(٣) البرصان والعرجان ص ٥٥ .
(٤) البخلاء ص ١١٠ وأنظر البرصان والعرجان ص ٢٠٠ .
(٥) البخلاء ص ١٢٣ وأنظر الحيوان جـ ٥ ص ٣٦٣ .
(٦) الحيوان جـ ١ ص ٢٥ .

كان ذلك به»[1] . **والسرطان** قال عنه إنه لا يـبرأ ومن ذلك العهد البـعيد كان الجاحظ ملماً بحقائق علمية لا يزال العلم إلى عصرنا هذا يدرسها ولم يهتد إلى علاجها بصورة قطعية مثل مرض السرطان الذي شغل العلماء منذ عصر الجاحظ إلى الآن ولا يزال الطريق أمام الطب في معـالجة هذا المرض ، ومن قبلهم قال الجاحظ نقلاً عمن سبقوه من علمـاء الطب : «البرص العتيق والسرطان ، قال جالينوس : السرطان لا يبرأ»[2] حقيقة علمية وجدت منذ القدم ولا تزال تبحث عن حل . وذكر **المسلوس** بقوله : «وكذلك إذا قالوا مـعتوه ومسلوس وأشباه ذلك»[3] . **وداء الفيل** وصفه الجاحظ قائلاً : «وقـد يعرض بقدم الإنسان ورم جاس حتى تـعظم له قدمه وساقه وصـاحبه لا يبرأ منه ويسـمى ذلك الورم داء الفيل»[4] . وقـال عن الـربو وجـمعـه **الأَرْبَاء** : «فطـار قلـبه فـرقاً وأخـذته الأرباء»[5]. وذكر الحمى - وحم بقوله : «قال الخلـيل حم الثورى وحم عياله وخادمه فلم يقدروا مع شـدة الحمى على أكل الخبز»[6] . وقال عن **المُبَرْسَم** وهو المصاب بالتهاب الصدر ، والبـرسام المرض الذي يقال له ذات الجنب فقال يصفه : «على أن العقل إذا تخلص من سكر الغضب أصابه ما يصيب المخمور إذا خرج من سـكر شرابه ، والمـنهزم إذا عاد إلى أهـله والمبرسـم إذا أفاق من براسمه»[7] .

(١) الحيوان جـ ٢ ص ٢٠٥ وانظر الحيوان جـ ٧ ص ٨٩ .

(٢) البرصان والعرجان ص ٣٦ .

(٣) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٤) الحيوان جـ ٧ ص ٨٢ .

(٥) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٤٨ .

(٦) البخلاء ص ١٠٤ .

(٧) في الجد والهزل ص ٢٦٣ وانظر البيان والتبيين جـ ٣ ص ٦٨ .

وقال عن الحصر **والأُسْر** وفسر مفهوم المرض : «وزعمت الأطباء : أن خرء الفار يسقاه صاحب الأسر فيطلق عن بوله : والأسر هو حصر البول ولكن لا يسمى بذلك ، وهو الأسر بالألف دون الياء»[1] أما مرض الأسر فقد تناوله في شرحه لمرض الحصى عندما تكون في الكلية أو في المثانة ، وقد جاءت هذه الألفاظ عنده وهو يصف تكوين الحصى فقال : «وقلت إذا سخن بدنه سخن بوله ، وإذا سخن بوله جرح مثانته وأحرق كليته ، وطبخ فضول غذائه ، وجفف ما فضل عن استمرائه فأحاله حصى قاتلاً وصخراً جامداً . فإذا حصاه يورثه الأسر وفي ذلك الزسر تلف النفس أو غاية التعذيب»[2] ووصف التبن لمرض **البَوَاسِير** فقال : وإن صاحب البواسير يأكله ينزلق عنه الثقل ويسهل عليه مخرج الزبل»[3] .

وهناك أمراض أخرى حدثنا عنها الجاحظ ، فذكر منها (الرعاف والعلز والالتهاب والنزف والخمار والثؤلول ، والدرن ، والعرض) وغيرها من الأمراض التي جاء ذكرها في الحيوان ، وفي كتب الجاحظ الأخرى ، فالرعاف قال عنه «وكان آخر من مات بالرعاف من سادة قريش هشام بن المغيرة»[4] . وقال عن العلز - وهو مرض المحتضر - «لعل النزع ، والعلز والحشرجة ، أن يكون أشد من لدغ الحية»[5] وذكر **الالتهاب** بقوله : «من ألم السهر الالتهاب والقلق وشدة الكلب»[6] والنزف عالجه بالكي ، فقال : «وذهب إلى قدر زيت تغلي فأدخل رجله فيها لتكويها ويقطع عنها النزف»[7] . والخمار قال يحذر

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٢٩ .

(٢) في الجد والهزل ص ٢٥٤ وانظر الحيوان جـ ٤ ص ٢٧٥ .

(٣) الحيوان جـ ١ ص ٢٠٨ وانظر كتاب البغال ص ٢٦٤ .

(٤) الحيوان جـ ٦ ص ١٥٠ وانظر التربيع والتدوير ص ٣٠ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٣٠٤ .

(٦) الحيوان جـ ٥ ص ٣٦٤ .

(٧) البرصان ص ٢٣٩ .

منه : «إياكم والأكل على الخمار ، فإن دواء الخمار الشراب»[1] . والذي يصيبه **الثؤلول** قال عنه : «حتى يرى صاحب القراد كأنه صاحب ثؤلول»[2] وهى بثور صغيرة صلبة عـلى صور شتى تصيب الإنسان في أي موضـع من جسمه . أما العرض فهو يصيب العقل ، قال عـنه الجاحظ : «من إفراط سروره أني ظننت أنه عرض»[3] .

وقد كـانوا يعالجـون بعض الأمراض بـالدهق ، وذكـره الجاحظ بقـوله : «تحرق النار وألم كألم الدهق»[4] . ومن الأمراض التي تسببها الـبطنة أو يسببها الجوع ، قال الجاحظ يذكرها في مواقع عديدة من كتبه ، وقلة الأكل هى **الأَزْم** وكثرتـه البشم ، فقـال : «فلله در الحـارث بن كلدة حين زعـم أن الدواء هو الأزم»[5] وعكسه هو **البَشَم** وهو الشبع والتخمة ، وأيضـاً سماها بالكظة وهى بمعنـى التخمـة ، فقال : واعلـم أن الشبع داعـية البشـم ، وأن البشم داعـية السقم»[6] ، وقال : «سألت بـعض الأكلة ممن كان يـقدم على ميسـرة التراس كيف تصـنع إذا أجهدتك الكـظة ؟ والعرب تقول إذا كنـت بطيناً فعـدل نفسك زمناً»[7] .

أما العاهات فسوف أذكر بعـض ما أورده الجاحظ عن ذوي العاهات ، وقد خص كتابه البرصان والـعرجان بحصيلة كبيرة في حديثـه عن العاهات ، وليس هنا المجال إلا لذكر بـعضها . وكتاب البرصان والعرجان جـاء في أسلوب ليس

(١) البخلاء ص ١١٨ .
(٢) الحيوان جـ ٢ ص ٥٧ .
(٣) الحيوان جـ ٢ ص ١٢٩ .
(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٣٠٢ وانظر في الجد والهزل ص ٢٤٤ .
(٥) البخلاء ص ١١٠ .
(٦) البخلاء ص ١٠٩ ص ٩٨ .
(٧) الحيوان جـ ٧ ص ٨٨ .

هو أسلوب الجاحظ الذي عايشته في كتبه ، ومع هذا فسأورد بعض العاهات التي ذكرها الجاحظ في هذا الكتاب ، وعاهات ذكرها في كتبه الأخرى التي فضلت الاعتماد عليها في هذا المجال . قال في كتاب البرصان والعرجان عن ذوي العاهات **الأثطاط** والثط ، والوقص ، والأهدل . وسوف أذكر مثالاً على كل منها ومثالاً على البرصان ثم العرجان والعميان والحولان حتى يتمشى مع عنوان الكتاب فقط مثال على كل من العاهات السابقة ، فقال الجاحظ عن **الثط** وهو من خف شعر رأسه ولحيته وحاجبيه : «وما قالوا في الثط»[1] . «ويقال أن بني الهجيم أثطاط»[2] . وذكر الجاحظ الأهدل وهو من استرخت شفته السفلى فقال : «وربما كان الحبش منهم ضخم أهدل أدلم»[3] . **والوُقْص** ذكرهم الجاحظ فقال : «ومن الوقص السلمي جد خولة بنت حكيم بن الأوقص»[4] أما البرصان والعرجان ، فقد ذكرهم الجاحظ في كتابه الذي يحمل نفس العنوان ، وعلى ذكره لهذه العاهات وكيف جاءت حسب هذا التسلسل فقال : «وسألتني أن أبدأ بذكر البرصان ، وأثنى بذكر العرجان ثم أذكر ما قالوا في الأيمن والأعسر ، وفي الأخبط وفي كل أعسر يسر ، واختلاف طبائع الحيوان في ذلك مع اختلاف حالات البشر في الصغر والكبر»[5] . وفيما تقدم ذكرت البرص وغيره من الأمراض الجلدية التي لا يبرأ منها . ويقول الجاحظ في العرجان : «ونحن نجد جميع أعضاء الجسم إذا دخله الأعوجاج فسد ، كما يقال للرجل أعرج وأفحج ، وألفح ، وأمذع ، وأفقد ، وأحنف ، وأصدف، ومثل خافع وظالع ، وفي الظهر مثل : أحدب وأزور ، وأبزخ وأقعس ،

(١) البرصان والعرجان ص ٩ .

(٢) البرصان والعرجان ص ٣٢٨ .

(٣) البرصان والعرجان ص ٤٠ .

(٤) البرصان والعرجان ص ٢٦٢ .

(٥) البرصان والعرجان ص ٩ .

ومثل : أحـنف وأعرج وأعصـل وأصدف وأعقف وأخبـي ، وفي الفم مـغلم وأضجم وأقفم وأشفن ، وفي العـين أشتر وأحول وأقبل ، وفي الأذن أخذى وأذقى ، وأقـد ، وفي الضرع والـثدي والحشون ، والـشطور ، وفي الـيد : المكتع والمقفع»[1] . هذا بعض ما جاء في كتاب البـرصان والعرجان، وسأكتفي بهذا القدر من العاهات .

وذكر الجاحظ في الحيوان بعض العاهات منها **الهُدْبِد** فقال : «أنه يقال لمن لا يبصر بالليل هدبِد»[2] ، وذكر الصنان فيقـول : «وكل ذي ذفر وصنان كريه المشمة»[3] . ومن البرصـان الألطع ذكره بقولـه «ومن البرصان عبـد العزى بن كعب أنـه سمى همـان ، لأنه كان ألطـع فكان يحـمم شفتـيه ، والتحـميم : التسويد في هذا الموضع»[4] .

٢ - مواد طبية وعقاقير :

حدثنا الجاحظ في كتبه عن الوصفات الـطبية ومن يقوم بإعدادها وبيعها ، فالصـيدلاني كان يقوم عـلى بيع العـقاقير والأدوية ويـساعده في عملـه بعض الأجراء وأغلبهم يكون من غلمان السند ، وقال الجاحظ في هذا المعنى : «فقل صيدلاني عندنـا إلا وله غلام سندي»[5] . وقد يصـنع هذا **الصيدلاني** بعض الأدوية مـن سم الأفاعي وهـو ما يدعي بـالترياق والجـمع **تِرْيَاقَات** ، ويؤكـد الجاحظ بقوله : «يجلب الأفاعي من سجستان ويعمل الترياقات» ويقول أيضاً: «أن يكون صياداً للأفاعي والحيات ، يتتبعها ويطلبها في كل واد وموضع وجبل

(١) البرصان والعرجان ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٥٣٥ .

(٣) الحيوان جـ ١ ص ١٠٦ .

(٤) البرصان ص ٥٥ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٤٣٥ .

للترياقات»[1] ، وذكر **الترياق** في معرض كلامه عن عمل الصيدلاني ، فقال : «باعني حواء ثلاثين أفعى بدينارين وأهدي إلى خمساً اصطادها من قبالة القلب، في تلك الصحارى على شاطئ دجلة . قال : وأردتها للترياق . فقال لي حين جاءني بها : قل لي : من يعالجها ؟ فقلت له : فلان الصيدلاني»[2] . وهذه الأفاعي كانت تكافح السذاب والشيح ، وهذه العقاقير تستعمل من أجل الوقاية من الأفاعي لأنها كما قال الجاحظ : «والأفاعي تكره ريح السذاب والشيح وتستريح إلى نبات الحرمل»[3] ومن العقاقير والأدوية التي ذكرها الجاحظ (الغمر ، وماء الهندبا ، والمرة السوداء والمغرة ، والتوتياء ، والأيارجات، والمعجونات والأبنجات، والبربهارات والمفرد بربهار ، والتانبول ، والدمازكية ودواء المشي والزنجفور والقرمز ، والعلك ، ودم الأخوين ، والقلي ، ومن المواد الطبية النوشادر ، والمنيا ، والشبة ، والصابون ، والأشنان مواد لابد منها من الناحية الطبية ثم الإثمد، وله استعمالات عديدة . وقد ذكر الجاحظ هذه الأصناف من المواد الطبية فقال عن الغمر «الذي يدلك يده بالأشنان من الغمر»[4] . وذكر **ماء الهندبا** علاجاً للكباد فقال : «فمما يعالج به الكباد : الزعفران والسكر والطبرزذ وماء الهندبا»[5] . وذكر **المرة** السوداء فقال : «ومعه من التهمل بقدر قسطه من أناة المرة السوداء»[6] وعدد أصناف **التوتيا** ومن أين تأتي ، فقال : «وللتوتياء أصل قائم ، فيدبرون

---

(١) الحيوان جـ ١ ص ١٤١ .

(٢) الحيوان جـ ٤ ص ١١٤ .

(٣) الحيوان جـ ٦ ص ٣٩٩ ، وانظر جـ٣ ص ٤٥٩ ، جـ ٤ ص ١١٠ ، جـ ١ ص ٤٥٩ ، وانظر كتاب البغال ص ٣٦٥ .

(٤) البخلاء ص ٧٧ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٣ .

(٦) في الجد والهزل ص ٢٣٤ .

إقليمياً النحاس فتستحيل توتياء»[1] . **والمغرة** قال الجاحظ عنها : «والطلق لا يصير جمراً أبداً . قال : وكذلك المغرة»[2]

وحدثنا عن بعض المواد الطبية مثل الأيارجات وهى معجون مسهل والأنبجات وهو نوع من المربيات **والمعجونات** ، فقال: «إن المعجونات كلها إنما تكون بالعسل وكذلك الأنبجات»[3] وقال عن **الأيارجات** : «والأشربة ، والآنبجات ، والأيارجات»[4] وذكر **البُرْبَهار** وهى التوابل وتستعمل كعقاقير ، فقال: «فبلغوا أيضاً في البربهار والمعرفة بالعقاقير»[5] والجمع **بربهارات** ، وكان لها تجار من الأغنياء الذين يسكنون البصرة لتسهيل تجارتهم ، وقال الجاحظ عنهم «صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات»[6] . وقال عن **التّانبُول** : «وإنك الذى علمتهم مضغ التانبول ودبغ تحمير الأسنان وتطييب النكهة»[7] . وقال عن الدمازكية وهو نوع من اللعوق الطبي برع فيه الهنود : «ولهم السحر والتدخين والدمازكية»[8] . ودواء المشي وصفه للرضيع فقال : «وتشرب دواء المشي فيعتري الرضيع الخلفة»[9] وهو نوع من المسهلات ، وقال عن **الزِنْجَفُور** وهو نوع من الأصباغ يتخذ من الزئبق والكبريت وأحياناً يستعمل كعقار طبي : والأسرنج والزنجفور واللازورد[10] ونوع آخر من الأصباغ وهو **القِرمِز**، وصفه

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٣٥٠ وانظر التربيع والتدوير ص ٢٢ ومناقب الترك ص ٣٤ .

(٢) الحيوان جـ ٦ ص ٤٣٥ وأنظر مناقب الترك ص ٣٤ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٤٢٩ .

(٤) الحيوان جـ ١ ص ٨١ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٤٣٥ .

(٦) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٥ .

(٧) التربيع والتدوير ص ٨٥ .

(٨) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٣ .

(٩) الحيوان جـ ٥ ص ٣٦٦ .

(١٠) الحيوان جـ ١ ص ٨١ .

الجاحظ بقوله : «وإذا وصفوا حمرة القرمز وحمرة الذهب قالوا ما هو إلا نار»[1] ثم العلك والقلى ، قال عن **العِلْك** وهو ضرب من اللبان : «حتى إذا مددته استطال واستدق وامتد كما يمتد العلك»[2] . **والقلى** قال عنه الجاحظ «وقد يدبرون الرماد والقلى فيستحيل حجارة سوداء»[3] . ومن المواد المستعملة في الطب والتنظيف : الصابون والأشنان ودم الأخوين ، قال يصف عمل **الصابون** ودم الأخوين : «فإذا تورم واختنق الدم مسحه بشئ من الصابون ودم الأخوين»[4] ويقول عن الصابون أيضاً : «فإن وليت ذلك الخادم أسود ثوبها وغرمنا ثمن **الأَشْنَان** والصابون»[5] ويصف الصابون بقوله : «والصابون نورة والنورة تأكل الثوب وتبلى الخز»[6] .

ومن المواد الطبية **النوشادر** ، ويصفه الجاحظ بقوله : «وقد علمنا أن النوشادر في العالم أصلاً موجود وقد يصعدون الشعر ويدبرونه حتى يستحيل كحجر النوشادر ولا يغادر منه شيئاً في عمل ولا بدن»[7] . وقال : «ولكم المنيا والنوشادر والشبة»[8] .

أما **الإثمد** فهو من العقاقير التي ذكرها الجاحظ لاستعمالات عديدة ، منها أنه يستعمل لمنع الحمل فقال يصف عملية تعاطيه : «والمرأة من نسائنا اليوم إذا استحيضت استفت مثقالاً من الأثمد لأن عندهن إذا فعلت ذلك لم تلد»[9] .

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٩٤ .
(٢) الحيوان جـ ٤ ص ٣٧٠ .
(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٣٥٠ .
(٤) البخلاء ص ٥٢ .
(٥) البخلاء ص ٦٣ .
(٦) البخلاء ص ١٤٠ .
(٧) الحيوان جـ ٥ ص ٣٤٩ .
(٨) الحيوان جـ ١ ص ٨١ وانظر مناقب الترك ص ٣٤ .
(٩) الحيوان جـ ٧ ص ٨٩ .

وقبل أن أترك الطب وعقاقيره سوف أذكر أسماء الأطباء مثل بختيشوع بن جبريل وسنمويه وابن ماسويه وماسرجويه وابن سيرين وشمئون وصليبا ، وجالينوس . وجاء لفظ الأطباء «وزعم لي بعض الأطباء ممن أصدق خبره»[1] .

٣ - رعاية صحية وإسعافات ووصفات طبية :

وفي مجال الرعاية الصحية نذكر بعض الألفاظ مثل : **البيمارستان** والجمع بيمارستانات والعمليات الجراحية التي تتطلب الخياطة والأضمدة والمبضع وذكر الحقنة وغيرها من الأدوات المستعملة للعمليات أو الإسعافات الأولية كالأنبوبة والدهان والمرهم .

. قال الجاحظ على لسان الطبيب : «القيناهم في مقدار صحن **البيمارستان**»[2] . قال عن **البيمارستانات** وهي جمع البيمارستان : «وزعموا أنهم لم يروا رجلاً لم يختلف إلى البيمارستانات»[3] . وقال عن **المبضع** : «فلو طرحت مبضعاً ما سقط إلا على أكحل رجل»[4] **والانبوبة** ذكرها الجاحظ فقال: «فلو كان الهواء المحصور في تلك الأنبوبة إنما هو مجاور لوجه الماء»[5] . **والحقنة** يحدثنا الجاحظ عنها في معظم كتبه ويعدد منافعها واستعمالاتها ، فيقول «وتزعم الأطباء أنهم استفادوا معرفة الحقنة من قبل الطائر الذي إذا أصابه الحصر أتى البحر فأخذ بمنقاره من الماء المالح»[6] وقال عن الحقنة أيضاً :

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٥١٦ انظر تراجمهم في الفهرست لابن النديم .
(٢) صناعات القواد ص ٣٨٣ .
(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٣٥٣ .
(٤) صناعات القواد ص ٣٨٣ .
(٥) الحيوان جـ ٥ ص ١١٦ .
(٦) الحيوان جـ ٧ ص ٣٢ .

«قالوا : واحتقن عمرو بن يزيد الأسدى بحقنة فيها أدهان»[1] . وقال في مجال التضميد ذاكراً **الأضمدة** : «ويصلح في مواضع من الدواء ، وفي الأضمدة»[2]. **والمرهم** من المواد التي تستعمل في العلاج جاء ذكره في الحيوان: «لا يحتاج إلى طبيب ولا إلى مرهم ولا إلى علاج»[3] .

وينصحنا الجاحظ بعلاج عضة الحية فيقول : «وناب الأفعى يحتال له بأن يدخل في فيها حماض أترج ويطبق لحيها الأعلى على الأسفل فلا تقتل بعضها أياماً صالحة[4] وفي نص للجاحظ يذكر فيه أن الأوبئة تسبب الأمراض وتنشرها بين الناس ، وفي هذا المعنى قال : «وكان طبيباً فأكسد مرة ، فقال له قائل «السنة **وَبِئَة** والأمراض فاشية ، وأنت عالم ولك خبر وخدمة ، ولك بيان ومعرفة ، فمن أين تؤتي في هذا الكساد ؟[5] . ومن هذا النص يتبين لنا صفات الطبيب المعالج والشروط التي يجب توفرها في الطبيب .

ويعلق آدم ميتز على بناء المستشفيات وتواجدها في ذلك العصر فيقول : بناء المستشفيات كان مسألة دنيوية بحتة ، ولم يكن الصالحون يحبون معالجات الأطباء . واسم دور المرضى بيمارستانات ، وهو فارسي معرب ، لا أصل له في لغة القرآن . وأول من بنى دارًا للمرضى في الإسلام الوليد بن عبد الملك وهو أقل الخلفاء تديناً . ثم جاء البرامكة وكانوا بعيدين عن الإيمان كل البعد فأسسوا بيمارستانا أسندوا رياسته لطبيب هندي[6] .

(١) البخلاء ص ١٥١ وانظر في الجدل والهزل ص ٢٥٩ وصناعات القواد ص ٣٨٣ .
(٢) الحيوان جـ ١ ص ٢٠٨ .
(٣) الحيوان جـ ٢ ص ١٧٥ .
(٤) الحيوان جـ ٤ ص ١١٢ .
(٥) البخلاء ص ١٠٢ .
(٦) الحضارة الإسلامية جـ ٢ ص ٢٠٤ .

ثالثاً : الألفاظ الخاصة بدراسة الحيوان :

حدثنا الجاحظ عن علم الحيوان وفروعه المتشعبة ، وذلك في كتابه الحيوان الذي يعد موسوعة علمية ناطقة بثقافة العصر العباسي ، وقد أورد الجاحظ في كتابه الحيوان معلومات واسعة وتفصيلية للحيوان جميعاً ولكل مملكة من ممالكه، ولكل جنس من أجناسه وهو فضل للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممن كتب في الحيوان[1] . وقد تعرض الجاحظ للحيوانات في كتبه الأخرى ولكن بشكل لا يتعدى الروايات والطرائف ،فهو لم يسترسل في كلامه عن عالم الحيوان وغرائبه إلا في كتابه المسمى على هذه الكائنات التي تعايش الإنسان وتقاسمه الحياة ، وقد وصفها الجاحظ في مقدمة كتابه الحيوان بقوله : «والحيوان على أربعة أقسام ، شئ يمشي ، وشئ يطير ، وشئ يسبح، وشئ ينساح إلا أن كل طائر يمشى ، وليس الذي يمشي ولا يطير يسمى طائراً»[2] وقد أخذت الطيور حيزاً كبيراً من كتاب الحيوان وخص الحمام بالكثير من هذا الكتاب أو من هذا الجزء من الكتاب .

وقال الجاحظ في باب ذكر الحمام : ما أودعها الله عز وجل من ضروب المعرفة ، ومن الخصال المحمودة ، لتعرف بذلك حكمة الصانع ، وإتقان صنع المدبر»[3] وظاهرة الاهتمام بالحمام كانت منتشرة في المجتمع العباسي ، ويحدثنا الجاحظ عن ولع الناس في عصره بتربية الحمام ، فاتخذوا للحمام في دورهم أجنحة تخرج من الحوائط وكان يقال لهذه الأجنحة التي جعلوا فيها أرفقًا ، بالكُنّة[4] ولعل هذه العناية بتربية الحمام جعلت الناس يعرفون أنواعه وأساليب انتخابه وأدواءه وعلاجه وتعليمه وتدريبه واستئناسه واستيحاءه وطريقة استكثاره.

(١) الحيوان جـ ١ ص ١٨ المقدمة .
(٢) الحيوان جـ ١ ص ٢٧ .
(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٥ .
(٤) الحيوان جـ ٢ ص ٣٣٥ .

١ - الحمام وأنواعه :

من أنـواع الحمـام التي ورت فـي كتـابات الجـاحظ الطـوراني والـدبّاسى والقماري والشفنين والراعبي والـورداني والهدى ، وفي ذكر الجاحظ لأجناس الحمام قال : «الحمام وحشي ، وأهلي ، وبيوتي و طوراني ، وكل طائر يعرف بالزواج وبحسن الصوت والهديل ، والدعاء ، والترجيع فهو حمام وإن خالف بعضه بعضـاً في بعض الصوت واللون ، وفي بعض الـقد ولحن الهديل»[١] ، وكلمة **طُوراني** منسـوبة إلى صنف مـن الحمام يأتـي من طور سينـاء ، ويذكر نوعاً آخر من الحمام وهو **الدُّبَّاسِي** والقماري، فيقول في وصفه لهذا النوع من الحمام «وليـس الصوت الحسن إلا لأصنـاف الحمام من القمـاري والدباسي»[٢] وذكر **القمارى** في مكان آخر فـقال : «ويقال في الحمام الوحـش من القماري والفواخت والدباسي وما أشبـه ذلك : قد هدل يهدل هديلاً»[٣] والشفانين أو **الشفْنين** ذكرها الجاحظ فقال: «والشفنين حمام وكذلك اليمام واليعقوب»[٤] . وحدد جـنس حـمام **الراعبي** بقـوله : «والراعـبي المتـولد فيـما بين الحـمام والورشان»[٥] . وذكر الـراعبي في رسـالته التـربيع والـتدوير فقـال : «ونجد الوراشين تـتسافد وتتلاقـح ويجئ منها الـراعبي»[٦] . ذكر فـي النـص كلـمة **الورشان** وهو من الحمام وإن كان يصفه الجاحظ بأنه دون الحمام هداية[٧] .

ويصف الجاحظ الحمام فيقول : والحمام من الطير الميامين[٨] . ويصـف لنا بيوتـه وأماكن سكـناه وهي **الكُنَّة** ، والشـريحـة ، والديماس ، والـتمـاريد ،

(١) الحيوان جـ ٣ ص ١٤٤ . (٢) الحيوان جـ ١ ص ٢٨٨ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٢٤٣ وانظر جـ ٣ ص ٢٠٢ و جـ ١ ص ٢٨٨ ، جـ ٣ ص ١٤٦ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ١٤٦ وأنظر جـ ١ ص ٢٨٨ جـ ٣ ص ٥١٦ ص ٢٠٢ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ١٦٢ .

(٦) التربيع والتدوير ص ٣١ وانظر كتاب البخال ص ٣٦٩ ص ٢٩٧ .

(٧) الحيوان جـ ١ ص ١٣٨ . (٨) الحيوان جـ ٣ ص ١٤٧ .

والكوة، والقراميص والمفرد قرموص ، ففـي وصف بيوت الحمام قال الجاحظ : «وكما أن الحمام إذا كثرت في الكنة والشريحة احتاجت إلى شمس وإلى ماء تغتسل فيه في بعض الأحايين»[١] . وذكر الكوّة بقوله : «وليكن مخرجهن من كوة في أعلى الصومعة»[٢] ، وقال عن **الديماس** وهو بمعنى الـكن : «فيقص جناحه ويلقيه في ديماس فينبت جناحه»[٣] . ويذكر **التماريد** وهو بيت صغير في بيت الحمام فيقول : «وهو إلى جنب بيته وتماريـده فكأنه لا يعرفها بعد معرفتها الدهر الطويل»[٤] . وقـال عـن **القراميص** ومفـردها قرمـوص : «ونظـافة القراميص والبروج»[٥] وقال عـن القـرموص : «ثم يـتعـاوران ذلك المـكان ويتعاقبان ذلك القرموص»[٦] .

أدواؤها وعلاجها:

. قال الجاحظ : «فاعلموا أن الحمام من الطـير الرقيق الذي تسرع إليه الآفة وتعـروه الأدواء ، وطبيعـة الحرارة واليبـس ، وأكثر أدوائـه الخنان والكـباد ، والعطاش والسل والقمل»[٧] ثم يصف لنا علاج كل مرض فـيقول : فما يعالج به **الكباد** الزعفران والسكر الطبرزد وماء الهنـدبا ، يجعل في سكرجة ثم يوجر ذلك أو يمج في حـلقه مجاً وهو عـلى الريق . ومما يعـالج به **الخُنَان** أن يلين لسانه يوماً أو يومين بـدهن البنفسج ثم بالرماد والملح ، يدلك بـها حتى تنسلخ الجلدة العليا التي غشيت لسانـه . ثم يصلي بعسل ودهن ورد حتى يبرأ . ومما يعالـج به السل أن يطـعم الماش المقشـور ، ويمج في حلـقه من اللبن الحـليب ويقطع من وظـيفيه عرقان ظاهران فـي أسفل ذلك ، ومما يعالج بـه القمل أن

(١) الحيوان جـ ٢ ص ٣٣٥ وانظر التربيع والتدوير ص ٥٦ .
(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٩ .
(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٢٢٩ .
(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٣٥٤ وانظر ص ٢٦٩ .
(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٩ .
(٦) الحيوان جـ ٣ ص ١٥٠ .
(٧) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٣ .

يطلى أصول ريشه بالزيبق المحلل بدهن البنفسج يفعل به ذلك مرات حتى يسقط قمله»[1] .

فعاليات الحمام:

من فعاليات الحمام **التحصّب** ، والهدى والذهاب للغاية والمعلاة ، ويقول الجاحظ في هذه الألفاظ «فالتحصب هو خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب ، وذكر الجاحظ هذا العمل فقال : «بتعريفه الطريق وتعريفه الورود والتحصب»[2] وقال عن **الهدى** وهو الحمام المدرب الذي يسمى حمام **الزجل** : «فكتبت كتاباً وصلته بجناح طائر من الهدى كان معها»[3] وحدد الأنواع التي يستعملها الزجال وذكر لفظة الغاية فقال : «البغداديون يختارون للزجال من الغاية الأناث والبصريون يختارون الذكور»[4] . وذكر **المُعَلّاة** فقال : «فإن الحمام إذا كان متى خرج من بيته إلى المعلاة لم يصل إلى معلاته إلا بجمع النفس والجناحين»[5] .

ويحدثنا الجاحظ عن بيع الحمام وكيف أنه وصل إلى مبالغ باهظة في ثمنه، ويحدثنا عن صيد الحمام ومناقب الحمام وغيرها من الأمور التي ذكرها عن الحمام وطريقة استكثاره وتدريبه ، وهذا الكلام سيطول لو أنني ذكرت ما أورده الجاحظ عن هذا الحيوان الذي استحوذ اهتمامه ، وهذا يرجع إلى ما كان يدور في عصره من حب الناس للحمام واقتنائهم له .

٢ - الطيور:

ويحدثنا الجاحظ عن عالم الطيور ويقول : «والطير كل سبع وبهيمة وهمج . والسباع من الطير على ضربين فمنها **العتاق والأحرار والجوارح** ،

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٣ .
(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٢٢٢ .
(٣) كتاب القيان .
(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٥٦ وانظر ص ٢٢٣ .
(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٥٣ .

ومنها البغاث وهو كل ما عظم من الطير : سبعاً كان أو بهيمة»[1] . وأنواع الطيور التي حدثنا عنها الجاحظ كثيرة جداً ، وسوف أذكر بعضها على سبيل المثال وليس الحصر ، فمن عجائب الطير (السندل أو السمندل ، والأشترمرغ أو الأشترمرك والشاهمركات ، والأوزة ، والشعران والسيمرك ، والسلاءة ، وأغيتولس ثم ذكر البازي والجمع بزاة) وعدد لنا أنواعاً أخرى من الطيور المغردة، ومن الطيور التي تلد كالوطواط والخفاش ، وأخيراً ذكر الدجاج وأنواعه ، وأورد بعض فعاليات الطيور مثل : يتطوس وملحد والجدف والتحسير وغيرها . وسأذكر بعض النصوص التي جاءت بها ألفاظ هذه الطيور ومسمياتها ، ففي الحيوان جاء ذكر معظمها ، فقد ذكر الجاحظ السندل أو **السَّمَنْدَل** حسب النصوص فقال : «فهذا الطائر يسمى السندل ، وهو هندي يدخل في أتون النار ويخرج ولا يحترق له ريشة»[2] وقال عن هذا الطائر محرفاً الاسم إلى السمندل وقد ورد هكذا عند الجاحظ «وفي السمندل آية غريبة»[3] وقال عن **الاشترمرك** : «ويقولون : أشترمرك» للنعامة على التشبيه بالبعير والطائر يريدون تشابه الخلق لا على الولادة»[4] وقال عن النعامة الاشترموغ : وسماها أهل فارس **اشترموغ** كأنهم قالوا : هو طائر وبعير[5] وكتب عن همج الطير وعدد أصنافه ومنها الشاهمركات وفمردها الشاهمرك فقال : «فمج الطير وحشرات السباع . فأما الطير والسودانيات والحصانيات **والشاهُمُرْكات** وغير ذلك من أصناف الطير»[6] . وقال عن الأوزة : والسباحة المنعوتة إنما هي **للأوزة** والبقرة والكلب»[7] وقال عن الشقراق وهو طائر صغير يسمى الاخيل فأما الحمام والفواغت والأطرغلات والحمام البرى فانها تبيض مرتين في السنة

(١) الحيوان جـ ١ ص ٢٨ . (٢) الحيوان جـ ٦ ص ٤٣٤ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ١١١ (طائر السندل أو السمندل ورد عند الجاحظ باللفظين لا أدري هل هما طائران أم هو طائر واحد .

(٤) الحيوان جـ ٧ ص ٢٤٣ . (٥) الحيوان جـ ٤ ص ٣٢١ .

(٦) الحيوان جـ ٣ ص ٣٣٦ . (٧) الحيوان جـ ٥ ص ١١٩ .

«والشقراق قتال»[1] وقال عن طائر **السيمرك** : «واسمها عندهم بالفارسية سيمرك كانه قال هو وحده ثلاثون طائر لأن قولهم بالفارسية سى هو ثلاثون بالعربية ، ومرغ بالفارسية هو الطائر بالعربية»[2] وعن السلاء وهى طائر طويل الرجلين قال : «وأنت اليوم إذا أردت أن تمتع عينك بنظرة واحدة منها ومن بيض **السلاءة** لم تقدم على ذلك»[3] والطائر الذى يسمى باليونانية **اغتيولس** وصفه الجاحظ بقوله : «ان الطير الكبير الذي يسمى باليونانية **اغتيولس** يحكم عشه ويتقنه»[4] وذكر الكركى والجمع كراكى بقوله : «ولا كويزدرد قانصة الكركى ولا ينتزع شاكلة الحمل»[5] وقال عن الكراكى : ومن بهائم الطير ما يكون سلاحه المناقير **كالكراكى** وما أشبهها»[6] وطير البازى ذكره الجاحظ وجمعة بزاة فقال : «ما يرى **البازى** فى الهواء أى **البزاة** هو»[7] وذكر البواشق فقال : «ومثل أصناف البزاة **كالبواشق**»[8] وكذلك طير السنان من **البزاة** والجوارح»[9] ومن الطيور المغردة حدثنا الجاحظ عن الحيوانات التى تتصف بالأصوات الملحنة والمخارج الشجية والأغانى المطربة»[10] ومنها **البلابل والزرزور** .

قال الجاحظ عن أصوات **البلابل** : «فأما الذي رأيته أنا في البلابل ، فقد رأيت رجلاً يدعي لها فيطارحها من شكل أصواتها»[11] **والزرزور** وهو طائر له صوت ملحن ، قال عنه «ورأينا طائراً لا يمشي وهو الزرزور»[12] والسودانيات هى مثل الزرزور ، قال عنها الجاحظ «فأما الطير والسودانيات»[13] ، والعندليب

(1) الحيوان جـ ٢ ص ٥١ .
(2) الحيوان جـ ٧ ص ١٢١ .
(3) البخلاء ص ٩٧ .
(4) الحيوان جـ ٣ ص ٥١٥ .
(5) البخلاء ص ٦٨ وانظر الحيوان جـ ١ ص ١٨٧ .
(6) الحيوان جـ ١ ص ٢٩ .
(7) الحيوان جـ ٣ ص ١٨٧ ص ١٨٠ وانظر البخلاء ص ٦٩ .
(8) الحيوان جـ ٣ ص ١٨٠ .
(9) الحيوان جـ ٣ ص ١٨١ .
(10) الحيوان جـ ١ ص ٣٥ .
(11) الحيوان جـ ٣ ص ٣٣٩ .
(12) الحيوان جـ ٣ ص ٢٣٣ .
(13) الحيوان جـ ٣ ص ٢٣٦ .

ذكره الجاحظ بلفظة **العندليب** وبلفظة **هزردستان** فقال: «وقد تهيأ للهزرذستان وهو العندليب ألوان أخر»(1) وقال : «ويقولون عندليب وعندبيل وكل صواب»(2) وعن الببغاء قال الجاحظ يصف صوته ومقاطعه : «كما سمت العرب ضرباً من الطير القطا ، لأن القطا كذلك تصيح ، وتطيع أصواتها قطا ، وكما سموا الببغاء بتقطيع الصوت الذي ظهر منه»(3) وأنواع أخرى من الطير ذكرها الجاحظ منها السمارو والبوم والهدهد وأبو الشيص وعشرات غيرها لا يسع المجال لذكرها . والخفافيش تكلم عنها في مجالات عدة ، وقال من الخفاش والجمع خفافيش ، وذكر الخفاش بقوله : «والخفاش من الطير» والخفافيش قال عنها : «ربما أتأمت الخفافيش فتحمل معها الولدين جميعاً فإن عظما عاقبت بينهما»(4) ، **والوطواط** قال عنه : «ولو كان الوطواط في وضع أخلاطه وأعضائه وامتزاجاته كسائر الطير لما طار بلا ريش»(5) .

وعدد لنا أنواع الدجاج فذكر الخلاس والفروج والجمع فراريج والصباصي والشاهمرك والجمع شاهمركات ، فقال عن الدجاج **الخلاسي** : «والدجاج الخلاسي ، من بين النبطي والهندي»(6) وذكر الفراريج والمفرد فروج ، فقال : «ولد بيض الدجاج فإنه فروج»(7) وقال عن عموم أنواع الدجاج : «وكذلك تختلف أجناس الدجاج على مثل ذلك ، ولا يخرجها من أن تكون دجاجاً : كالديك الرومى والخلاس والنبطي ، وكالدجاج السندي والزنجي وغير ذلك»(8) والدجاج قبل أن يبيض يسمى الشاهمرك ، ذكره الجاحظ بقوله : «ولذلك تأكلها الأدغال والخنازير والقنافذ والعقبان والشاهمرك والسنانير»(6) .

(1) الحيوان جـ ٥ ص ٢٨٩ .
(2) الحيوان جـ ٧ ص ٧٨ .
(3) الحيوان جـ ٣ ص ٥١٦ .
(4) الحيوان جـ ٣ ص ٥٣٠ .
(5) الحيوان جـ ٣ ص ٢٣٣ .
(6) كتاب البغال ص ٢٩٨ .
(7) الحيوان جـ ٦ ص ٣٣ وانظر الجد والهزل ص ٢٦٨ والحيوان جـ ٣ ص ٣٣٦ .
(8) الحيوان جـ ٣ ص ١٤٥ .
(9) الحيوان جـ ١ ص ٢٨ .

٣ - الأسماك :

أغفل الجاحظ أن يعقد لها باباً قائماً عليها وإن كان قد عرض لهذا استطراداً، وقد قال في ذلك : «ولم نجعل لما يسكن الملح والعذوبة والأنهار والأدوية والمناقع والمياه الجارية من السمك ومما يخالف السمك ، مما يعيش مع السمك باباً مجرداً لأني لم أجد في أكثره شعراً يجمع الشاهد ويوثق منه بحسن الوصف ، وينشط بما فيه من غير ذلك للقراءة ، ولم يكن الشاهد عليه إلا أخبار البحريين ، وهم قوم لا يعدون القول في باب الفعل»[١] . ومع هذا الذي جاء في النص عن قلة كلامه عن الأسماك لقلة الشواهد فإننا نرى الجاحظ تكلم عن السمك في مناسبات كثيرة حتى وإن كان الموضوع لا يتعلق بالأسماك فهو يضرب بها الأمثال أو يعلل بعض الأمور التي تتعلق بحيوانات أخرى مقارنة بالأسماك ، فهو يتكلم عن السمك ويقارنه بالحمام فيقول : «ونسيم الهواء الذي يعيش به الطير لو دام على السمك ساعة من نهار لقتله»[٢] ويقول في معرض كلامه عن تقسيم الطير فيتطرق للسمك : «وليس أيضاً كل عائم سمكة ، وإن كان مناسباً للسمك في كثير من معانيه ألا ترى أن في الماء كلب الماء ، وعنز الماء ، وخنزير الماء وفيه الرق والسلحفاة ، وفيه الضفدع وفيه السرطان ، والبينيب والتمساح والدخس والدلفين ، واللخم والبنبك ، وغير ذلك من الأصناف»[٣] وتحدث عن السمك وأطال فعدد أصنافه وأجودها الشبوط»[٤] وتحدث عن قواطع السمك والأوابد منه ، وتكلم عن سمك كسكر والسمك البحري والسمك النهري ذكر أصنافه وسباحته في البحر وغيرها من الأمور التي عايشها الجاحظ في بيئته النهرية المليئة بالأسماك ، ولأهمية الأسماك بالنسبة للجاحظ لأنها غذاء أساسي للناس في عصره وفي مدينته البصرة خاصة ، وقد أورد أصنافاً كثيرة من الأسماك سأكتفي بذكر بعضها مثل:

(١) الحيوان جـ ٦ ص ١٦ .
(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٤ .
(٣) الحيوان جـ ١ ص ٣٠ .
(٤) الحيوان جـ ١ ص ٢٣٣ .

الشبوط والمفرد شبوطة ، وهذا النوع عده الجاحظ من أجود الأصناف وذكر البناني والمفرد بنى ، والجرى ، والكوسج ، وهذه الأصناف يذكرها كثيراً وذكر الجواف والبرستوج والكسمير والبال ، والمراماهي ، واللحم وغيرها من أنواع السمك قال عن **الشَّبُّوط** : «وأطيب ما في الأنهار من السمك وأحسنها قدوداً وخرطاً ، وأسبطها سبوطاً ، وأرفعها ثمناً وأكثرها تصرفاً في المالح والطري وفي القريس والنشوط الشبوط»(١) . وذكر **الشبوطة** مفرد الشبوط فقال : «واشترى مرة شبوطة وهو ببغداد»(٢) . والبناني قال عنها : «قال الأعمشي لجليس له : أما تشتهي بناني»(٣) وقال عن **البني** : «يزعم أن الشبوطة إنما خلقت من بين الزجر والبني»(٤) . وذكر **الجري** والكوسج فقال «فإن سمكاً يقال له الكوسج غليظ الجلد ، أجرد يشبه الجري وليس بالجري»(٥) وقال يصف **الكَوْسَج** : الرق والكوسج فهو من أعجب طعام البحريين»(٦) .

وأصناف أخرى من الأسماك ذكرها الجاحظ ، ولكنها ليست بالأهمية التي ذكر بها الأصناف السابقة ومنها **الكَسْمِير** ، وقال عن هذا الصنف الأب أنستاس الكرملي في تحقيق هذه الكلمة : صوابها القنصير أو القنسير ولفظه اللاتيني وهو ضرب من السراطين ، وذكره الجاحظ بقوله : «رأى فيه ما يرى صاحب الكسمير في كسميره»(٧) وقال عن **الجواف والبرستُّوج** «وأعجب من جميع قواطع الطير قواطع السمك كالأسبور والجواف والبرستوج ، فإن هذه الأنواع تأتي دجلة البصرة من أقصى البحار»(٨) وذكر **البال** متعجباً من طول السمكة فقال : «والبال : سمكة طولها أكثر من خمسين ذراعاً»(٩) وقال عن **المارما هي**

(١) الحيوان جـ ١ ص ٢٣٣ .
(٢) البخلاء ص ١٠٠ وانظر كتاب البغال ص ٣٧٠ .
(٣) الحيوان جـ ٣ ص ١٨ .
(٤) كتاب البغال ص ٣٧٠ .
(٥) الحيوان جـ ٦ ص ٤٤٢ وانظر جـ ٦ ص ٧٧ ، جـ ١ ص ٢٣٤ ، جـ ٤ ص ٩٦ ، جـ ٤ ص ٤٥ ، جـ ١ ص ٣١ .
(٦) الحيوان جـ ٤ ص ٤٥ .
(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٤٥ .
(٨) الحيوان جـ ٣ ص ٢٥٩ .
(٩) الحيوان جـ ٥ ص ٣٦٢ .

وهو شبيه بالحيات ، ولفظه فارسي : «ما أشبه الحيات كالمارماهي»[1] ، **واللخم** قال عنه الجاحظ : «وكما تحكي الفلاسفة والمجربون عن الكوسج واللخم»[2] .

٤ - الكلب وفضائله :

حدثنا الجاحظ عن خصال الكلب ومثالبه المختلفة ، ووفائه لأصحابه ، وقد خصص نحو جزئين من كتابه الحيوان يتحدث فيهما عن المفاضلة بين الكلب والديك ومناظرة معبد والنظام في الكلب والديك وأيهما أفضل ، خير شاهد على كلامنا . فالجاحظ يعد الكلب من أوفى الحيوانات لأصحابها ، وتحدث عن أصناف الكلاب الخلاسية[3] والزينية[4] والصينية ، والقلطية[5] ، والخارجية[6] والهندية[7] ، وكلب الرفقة وكلب أصحاب الكهف أطيفس ، وكلاب الشعراء. وذكر أعلام الكلاب فقال : «فمن الكلاب ذوات الأسماء المعروفة والألقاب المشهورة ، ولكرامها وجوارحها وكوسبها وأحرارها وعتاقها أنساب قائمة ودواوين مخلدة وأعراق محفوظة ، ومواليد محصاة ، مثل كلب جذعان وهو السلهب بن البراق بن يحيى بن وثاب بن مظفر بن محارش»[8] .

ومن أعلام الكلاب : الأحدل ، أكدر ، براقش ، جدلاء ، خطاف ، درواس ، ركاح ، زارع ، زنبور ، سائل ، سخام ، سرحان ، سرحة ،

(١) الحيوان جـ ٤ ص ١٢٩ .
(٢) كتاب البغال ص ٢٩٧ .
(٣) الحيوان جـ ١ ص ٣١١ .
(٤) الحيوان جـ ١ ص ١٥٧ .
(٥) الحيوان جـ ١ ص ١٥٧ .
(٦) الحيوان جـ ٢ ص ٨٠ .
(٧) الحيوان جـ ١ ص ١٨٤ .
(٨) الحيوان جـ ٢ ص ١٧ .

ضبـار، عمرو ، غلاب ، قـدام ، قرحان ، الـقنيـص ، كساب ، المتـناول ، المتعاطس ، المختلس ، فعلاء ، القنيص ، وثاب»[1] .

ومما تقدم ذكـرت بعض الحيوانات التي ركـز الجاحظ في أحاديثه عـليها ، وذكرها في مواضع عديدة من كتبه بحيث لا يمكن أن نتجاهل هذا العدد الهائل من الحيوانات وأحاديثها وقصصها المنوعة .

٥ - الحيوان والأساطير :

حدثنا الجاحظ عن أساطير الحيوانات المعينة التي تعيش في بيئة الجاحظ في ذلك العصر الذي اختلط فيه العلم بالأسطورة ، فقد نسبت الأساطير لحيوانات كثيرة ، وتناولـت المسخ وغيره من الأساطير ، وسوف أذكر بـعض النماذج من هذه الأسـاطير التـي تروي عن الحـية ، والهـدهد ، والزرافة ، والـسنانـير ، والأرضة ، والأربيان ، والـضب ، والنعامة ، والـرخمة والوزغة ، والنـملة وهناك كثير جداً من الحيوانات وأساطيـرها التي لا يمكن حصرها . قال الجاحظ عن أسطورة الحية «بعض أهل التفسيـر يزعم أن الله عز وجل عاقب الحية حين أدخلت إبـليس في جوفهـا حتى كلم آدم علـى لسانها بـعشر خصال منـها شق اللسان»[2] أما **الهدهد** فحكايته غريبة ويرويها الجاحظ فيقول : «وأما القول في الهدهد ، فإن العرب الأعراب كانوا يزعمـون أن القنزعة التي على رأسه ثواب من الله تعـالى على ما كان من بره لأمـه : لأن أمه لما ماتت جعل قبـرها على رأسه، فهذه القنزعة عوض من تلك الوهدة»[3] وقال عن **الزرافة** : «زعموا أن الزرافة خلق مركب ما بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية وبين الذيخ وهو ذكر الضباع ، وذلك أنهم لما رأوا أن اسمها بالـفارسية اشتركا وبلبك ، وتأويل

(١) الحيوان جـ ٧ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٢) الحيوان جـ ٦ ص ٧٤ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٥١٢ .

بلبك ضبع والفرس تسمى الأشياء بالاشـتقاقات كما تقول للنعامة **اشترمرغ**»[١] ويقول الجاحظ عن **السنانير** وخلقها : «وزعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عطسة الأسد وأن الخنزير من سلحة الـفيل ، لأن أصحاب التفسير يزعمون أن أهل سفينة نوح لما تأذوا بكثرة الفار وشكوا إلى نوح ذلك سأل ربه الفرج ، فأمره أن يأمـر الأسد فيعطس فـلما عطس خرج مـن منخريه زوج سنـانير ذكر وأنثى»[٢] . وذكر الأرضة فقال : «والعامة تزعم أن الفارة كانت يهودية سحارة والأرضة يهودية أيضاً عندهم»[٣] وقال عن **الإِرْبِيَان** وما زعموه عـنه : «وناس يزعمون أن الحية مسخ ، والضب مسـخ والكلب مسخ ، والأربيان مسخ ولم أر أهل الكـتاب يقرون بأن اللـه مسخ إنسانـاً قط خنزيراً ولا قرداً إلا أنـهم قد أجمعوا أن الله تبارك وتعالى قد مسخ امرأة لوط حجراً»[٤] والضب قال عنه : «وما يضيفـون إلى هذه الضباب من الكـلام ما رواه الأصمعي في تفسـير المثل وهو قـولهم : هذا أجـل من الحرش ، فـإن الضب قـال لابنه : إذا سمـعت صوت الحرش فلا تخرجن ، قال : والحرش : تحريـك اليد عند حجر الضب، ليخرج ويرى أنه حـية ، قال فسمع الحمل صوت الحفر فـقال الضب : يا أبت هذا الحرش ؟ قال يا بني ، هذا أجل مـن الحرش فأرسلها مثلاً»[٥] وعن حكاية **النعامة** قال الجاحظ «وتزعم الأعراب أن النعامة ذهبت تطلب قرنين ، فرجعت مقطوعة الأذنين فلذلك يسمونه الظليم ويصفونه بذلك»[٦] وأسطورة أخرى عن **الوَزَغَة** : «وقالوا في الوزغ : أن أبـاها لما صنع في نار إبراهيـم وبيت المقدس

(١) الحيوان جـ ١ ص ١٤٤ .
(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٣٤٧ .
(٣) الحيوان جـ ٦ ص ٤٧٧ .
(٤) الحيوان جـ ٦ ص ٧٩ .
(٥) الحيوان جـ ٦ ص ١٣٢ .
(٦) الحيوان جـ ٤ ص ٣٢٣ .

ما صنع اسمه الله ، وأبرصه ، قيل «سام البرص ، فهذا الذي نرى هو من ولده حتى صار في قتله الأجر العظيم»[1] وعن **الرُّخْمَة** وهي التي يعدها الجاحظ من لئام السباع يروي هذه الأسطورة : «ويقال : إنه قيل للرخمة : ما أحمقك ! قالت وما حمقى ، أنا أقطع في أوب القواطع ، وأرجع في أول الرواجع ، ولا أطير في التحشير ولا أغتر بالشكير ولا أسقط على الجفير»[2] :

حكاية خرافية :

وهناك حيوانات خيالية تحدث عنها الجاحظ في كتبه مثل الشق ، والغول ، والسعلاة ، والهاتف ، والجن ، والحن ، ليس لها وجود في الواقع بل هى حيوانات من نسج الخيال ، رويت عنها الحكايات الخرافية في العصر العباسي عصر التقدم والرقي والحياة العلمية الواسعة ومعها سارت الخرافة وبلغت الحكايات عن الحيوانات الخرافية مبلغاً وخاصة عند عامة الناس والجهلاء منهم فقالوا عن النسناس «زعموا أن النسناس تركيب ما بين الشق والإنسان ، ويزعمون أن خلقاً وراء السد تركيب من النسناس والناس ، والشق ، ويأجوج ومأجوج ، وذكروا عن الواف والدولباي أنهم نتاج ما بين بعض النبات والحيوان»[3] . . ويقولون عن **الشِّق** وماله من فعاليات ويصورونه بصور شتى ، وهذا ما حدثنا الجاحظ عنه فقال : «إني قدبت بالقفر مع الغول ، وتزوجت **السِّعْلاة** وجاوبت الهاتف ، ورغت عن الجن إلى الحن واصطدت الشق ، وجاوبت النسناس وصحبني الرئ وعرفت جذع الكاهن»[4] ويصف الشق فيقول : «ويقولون : الجن جنس صورة الواحد منهم على نصف صورة

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٦٨ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٥٢ .

(٣) الحيوان جـ ١ ص ١٨٩ .

(٤) البخلاء ص ٤٧ .

الإنسان ، واسمه شق وإنه كثيراً ما يعرض للرجل المسافر إذا كان وحده بما أهلكه فزعاً ، وربما أهلكه ضرباً وقتلاً»[1] وقال عن **الغول** في حكاية من الحكايات الخرافية : «الغول اسم لكل شئ من الجن ويعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والثياب»[2] . **والسعالي** روى عنها الجاحظ فقال : «النار الأخرى التي يحكونها من نيران السعالى والجن وهي غير نار الغيلان»[3] والغطاءة قال عنها : «وتزعم المجوس أن أهيرمن وهو إبليس لمه جلس ، في مجلسه في أول الدهر ليقسم الشر والسموم فيكون ذلك عدة على مناهضة صاحب الخير إذا انقضى الأجل بينهما ، ولأن من طباعه أيضاً فعل الشر على كل حال كانت الغطاءة آخر من حضر»[4] وحكايات خرافية متنوعة يوردها الجاحظ في كتبه ويسترسل في وصف تلك الحيوانات الخرافية ، التي تسير إلى جانب الواقع العلمي المتطور في ذلك العصر .

٦ - حيوانات مختلفة الأجناس :

حدثنا الجاحظ عن حيوانات سمع بها أو جلبت للعراق في زمن الدولة العباسية من قبل البحريين الذين يجوبون شواطئ المدن بحثاً عن البضائع المنوعة والغريبة ، فالبحريون ممن اصطنعوا السفن للتردد على الشواطئ والجزر امتداداً من جزر البحار الشرقية وشواطئ الهند وحتى جزر أفريقية ، كل هذه المناطق التي يترددون عليها كانت مليئة بحيوانات كثيرة مختلفة الأشكال تثير الدهشة والإعجاب والخوف أحياناً ، ونرى الجاحظ يتتبع أخبار هذه الحيوانات المدهشة والغريبة على بيئته والتي دخلت إلى العراق في عصر الازدهار والترف العباسي

(١) الحيوان جـ ٦ ص ٢٠٦ .

(٢) الحيوان جـ ٦ ص ١٥٩ .

(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٤٨١ .

(٤) الحيوان جـ ٦ ص ٤٥١ .

مثل التنين والتمساح والفيل واليعاسب والسنبتي ودود القز والكركدن والحمار الهندي والشبديز والزندبيل والفالج والكاومشي وغيرها . وقد ذكر الجاحظ كلاً من هذه الحيوانات في مواضع عديدة من كتبه فقال عن **التِّنِّين** : «وأكثروا في تعظيم شأن التنين»[١] وقال عن التمساح : «ويزعمون أن جوف التمساح إن هو إلا معاليق فيه ، وأنه في صورة الجراب مفتوح الفم ، مسدود الدبر ولم أحق ذلك ، وما أكثر من لا يعرف الحال فيه»[٢] . وذكر الفيل فقال: «والفيل عجيب ظريف ، ولكنه قبيح مسيخ ، وهو في ذلك بهي نبيل والعين لا تكرهه»[٣] وقال عن **اليَعَاسِيب** : «اليعاسب والجراد فإياك أن تتهاون بشأن هذا الجند»[٤] وقال عن السبنتي : وأما قوله : مشى السبنتي (فإن السبنتي) هو النمر ، ثم صاراسما لكل سبع جرئ»[٥] وقال عن **دود القز** : «فالنحل والعنكبوت ، ودود القز تختلف من جهات ما يقال إنه يخرج منها»[٦] وقال عن الكركدن : «فأما الهند ففتنتهم بالكركدن أشد من فتنتهم بالفيل»[٧] والحمار الهندي ، قال عنه الجاحظ : «وقد زعموا أن للحمار الهندي قرناً واحداً»[٨] وذكر **الشَّبْدِيز** وهو ضرب من الخيل فقال : «والله أن لو نتجت في كل عام ألف شبديز»[٩] وذكر **الزندبيل** وهو الفيل الكبير فقال : «والنعجة ترى الفيل والزندبيل والجاموس والبعير فلا يهزها»[١٠] وقال عن **الكَاوْماشي** : «ويقولون

(١) الحيوان جـ ٧ ص ١٠٥ ، جـ ٤ ص ١٥٤ ، وانظر البخلاء ص ١٠٠ والجد والهزل ص ٢٥١ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ١٥٧ وانظر فخر السودان على البيضان ص ٢١٧ .

(٣) الحيوان جـ ٧ ص ٣٩ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٣٠٣ ، جـ ١ ص ١٩ .

(٥) الحيوان جـ ٦ ص ٤٠٤ .

(٦) الحيوان جـ ٥ ص ٤١٢ .

(٧) الحيوان جـ ٧ ص ١١١ .

(٨) الحيوان جـ ٣ ص ٢٣٢ .

(٩) في الجد والهزل ص ٢٥٩ .

(١٠) الحيوان جـ ٣ ص ١٨٧ ، جـ ٢ ص ١٣٧ .

للجاموس كاومشي «على أن الجاموس يشبه الكبش والثور لا على الولادة لأن كاو بقرة وماشي اسم للضأن»[1] وذكر الفوالج والفالج فقال : وقد تتسع أرحام القلاص العربية لفوالج كرمان»[2] **والفالج** قال عنه الجاحظ واصفاً لشكله : «والفالج : البعير الذي قد انشق سنامه نصفين»[3] .

٧ - الرعاية الصحية للحيوان وطعامه ومخلفاته :

ذكر الجاحظ في كلامه عن الحيوان وأمراضه ومن يقوم على علاجه أموراً كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ، ولكن يجب أن أشير إلى لفظة جرثومة وتجرثم ولفظة بيطار ، وهي ألفاظ مهمة بالنسبة للناحية الصحية للحيوان ، ذكر الجاحظ **الجرثومة** فقال : تجرثم أي بقي ، مأخوذ من الجرثومة وهي الطين والتراب يجمع حول النحلة ليقويها»[4] . وقال : «قرية النمل من التراب ، وهي أيضاً جرثومة النمل»[5] وحدثنا عن **البيطار** وعمله فقال : «إذا قام في غير بلاده احتاج إلى الأخذ من حافره وإلى أن يختلف به إلى البيطار»[6] .

مخلفات الحيوان وطعامه :

السرجين ، والقرامة ، والرداغ ، والجلال ، والفرث والهسيس ، والنشوار والقت ، كل هذه الأنواع من المخلفات والأطعمة التي تخص الحيوان، ذكرها الجاحظ في كتبه قال عن **السرْجِين** : «وقتلناهم فجعلناهم

(١) الحيوان جـ ٧ ص ٢٤٣ .
(٢) الحيوان جـ ٧ ص ٢٤٢ .
(٣) البرصان ص ٢٨٣ .
(٤) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٢٤ .
(٥) الحيوان جـ ٤ ص ١٢ .
(٦) الحيوان جـ ٧ ص ١٠٠ وأنظر مناقب الترك ص ٤٧ .

كأنهم أنابير سرجين»(1) . وذكر **القُرَامة** : بقولـه : «والقرامة نحاتـة القرون والأظلاف والمناسم وبرادتها»(2) . وقال عن الرداغ وهو الوحـل الكثير : «إن أكثر الرداغ لا تستـغرق ثخنها»(3) **والفرث** قال عنـه : «فأما الفظ فإنـه عصارة الفرث إذا أصابهم العطش في المفاوز»(4) وقال عن **الجِلال** «ويسقطن على المتاع وعلى جلال الدواب»(5) وقال عن **القت** وهو الطعـام غير المحبب للـحيوان : وعلى قضم الشعير واعتلاف القت»(6) وطعام آخر هو **الهسيس** ذكره الجاحظ فقال : «وقـد تعلف فـي تلك الحالات الـلحم اليـابس وهسيـس السمك فـأما الهسيس فلخـيول أهل الأسياف خاصة»(7) **ونشْوَار** العلوفة قال عـنه الجاحـظ من مـخلـفات الحيـوان : «أن يكون لـه روث الدابـة ، وبعر الـشاة ونـشوار العلوفة»(8) .

(1) صناعات القواد ص ٣٨١ .

(2) البخلاء ص ٢١٧ .

(3) التربيع والتدوير ص ٨٥ .

(4) البخلاء ص ٢١٦ .

(5) الحيوان جـ ٣ ص ٣٤٧ .

(6) البخلاء ص ١٠٣ .

(7) الحيوان جـ ٧ ص ١٤٥ .

(8) البخلاء ص ٨٢ .

رابعاً : الألفاظ الخاصة بدراسة النبات :

النبات ذكره الجاحظ في جميع المجالات في مجال الأطعمة والأشربة وفي مجال العقاقير والأدوية وفي مجال الاقتصاد والغلات الزراعية وفي مجال الترف والزينة كالزهور وأنواعها والآس والريحان وغيره من النباتات التي تضفي جواً عبقاً ، ثم النباتات التي تستعمل لعلف الحيوان أو للظل وتلطيف الجو وغيرها من الاستعمالات اليومية ، وعلى هذا نرى النبات قاسماً مشتركاً في جميع فعاليات الحياة في المجتمع العباسي وخاصة في عصر ازدهار الحضارة العباسية وتنوع أساليب الترف . فنرى الموائد قد صفت عليها أصناف من الأطعمة لا يمكن حصرها ومعها الفاكهة والريحان وما يزين الموائد من بقل . والشراب أيضاً تعددت أنواعه وكلها تستخلص من النبات ، والصيدلاني تفنن في وصف العقاقير والأدوية المختلفة الأشكال والاستعمالات .

والجاحظ يذكر أقسام النبات فيقول : «ويقال : إن جميع نبات الأرض على ثلاثة أصناف : **نجم وشجر ويقطين** ، فما كان قائماً على ساق ، فهو بخم ، وما كان منفرجاً ذا أغضان ومتشعباً بأفنان فهو يقطين»[1] .

وقد وردت ألفاظ النبات واستعمالاتها عند الجاحظ في مجال حديثه عن أمور تتعلق بالحياة العلمية اليومية والحياة المعيشية والعلاج من الأمراض .

١ - النبات والغذاء :

النبات الذي يصلح لإعداد الأطعمة مثل : الفطر ، والكمأة ، والخس والخيار - والريحان ، والباذروج - ولباب البر ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأصناف وأصنافاً كثيرة جداً غيرها في مجال الكلام عن الأطعمة، وذكر **الفطر** والكمأة بقوله : «ثلاثة أشياء ربما صرعت أهل البيت عن آخرهم أكل الجراد ،

(١) البرصان والعرجان ص ١٨٠ .

ولحوم الإبل والفطر من الكمأة»[1] وقال عن **الكمأة** في هذا المجال العلمي : «ويقال إن الذبان لا يقرب قدراً فيه كمأة»[2] وقال عن الخس : «وإنما اشتق له ذلك إذا كان يورث النعاس كما يورثه الخس»[3] **والخيار** قال عنه : «ويسمون القثاء خياراً والخيار بالفارسية»[4] وعن **الريحان** قال : «يعرفون وظائف الثلج والريحان في الدور»[5] **والباذنجان** ذكره بقوله «أني أكثرت في أحد تلك الأيام من أكل الباذنجان ، وفي اليوم الآخر من أكل الزيتون وفي اليوم الثالث من أكل الباقي»[6] وذكر لباب البر فقال : «أتروني لا أعرف الطعام الطيب لباب البر بصفار المغرى»[7] . وحدثنا عن الفاكهة فعدد أصنافها كالموز ، والكمثرى ، والأترج ، والسفرجل ، والتوت والتفاح والخربز أو البطيخ ، والباذروج ثم التمور بأنواعها من باكوراتها إلى المشان إلى البرني والمقوة والحلقان والجمارة. والجمار . وقال الجاحظ ذاكراً هذه الأصناف من النبات مثل **الموز** والكمثرى : «فجلست على مائة قنوموز موصوف وعلى كدس كمثرى منعوت»[8] **والكمثرى** أنواع ذكرها الجاحظ ، منها الخراساني والصيني والنهاوندي»[9] أما **الترنجبين** فقال عنه : ثم تنقل من الأشجار العسل الساقط عليها كما يسقط الترنجبين والمن وغير ذلك»[10] وقال عن **الاترج** : «وناب الأفعى يحتال له بأن يدخل في فيها

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٥٧٠ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣٠٨ وانظر البخلاء ص ٩٨ .

(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٣٠١ .

(٤) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٠ .

(٥) البخلاء ص ٢٠٥ .

(٦) الحيوان جـ ٥ ص ٥٧٢ .

(٧) البخلاء ص ٢٠٣ .

(٨) البخلاء ص ٩٥ .

(٩) البخلاء ص ٣٣٧ .

(١٠) الحيوان جـ ٥ ص ٤٣٣ .

حماض الأترج»[1] **والسفرجل** قال عنه : «فلقوا السفرجل أيام السفرجل للنقل والأكل»[2] **والبلادر** وصفه طبياً فقال : «وإن البلادر إنما صار يصلح العقل ويورث الحفظ لأنه صالح للعصب»[3] وقال عن **التوت** : والطير عندنا يأكل التوت ويذرقه، فينبت من ذرقه شجر التوت»[4] **والتفاح** قال عنه «والتفاح الذي يتهاداه الناس بينهم»[5] **والخربز** أو البطيخ أوضحه بقوله : «ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمون البطيخ الخربز»[6] **والباذروج** وهو نوع من الريحان قال عنه الجاحظ : «ويسمى أهل الكوفة الحوك الباذروج ، والباذروج بالفارسية»[7] وعن التمر والرطب تحدث الجاحظ طويلاً ، وقد ذكرت هذا حينه والمعوه **والحلقان** المنبسته والمنصفة بقوله «وردت عند الجاحظ فذكروا أن أتانا تعتاد نخلة فترفع يديها وتعطو بفيها ، وتأخذ الحقان والمنبسته والمنصفة والمعوة»[8] وهى أوصاف للرطبة قبل أن يتم النضج في البسرة . وقال عن **الجمارة** والجمع جمار «وكأنه جمارة رطبة»[9] وقال : «ما تخلق من جمار النخلة[10] وفيها ، وذكر أنواع الرطب ومنها المشان **والبرني** «زعم أهل البصرة أن مشان الكوفة قريب من برني البصرة»[11] .

(١) الحيوان جـ ٤ ص ١١٢ .
(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣٤٨ .
(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٣٥٩ .
(٤) الحيوان جـ ٧ ص ٢٥١ .
(٥) كتاب القيان ص ١٤٨ .
(٦) البيان جـ ١ ص ١٩ وانظر الحيوان جـ ٤ ص ١١٠ .
(٧) البيان جـ ١ ص ٢٠ .
(٨) البخلاء ص ٢٢١ .
(٩) الحيوان جـ ١ ص ١٠٧ .
(١٠) الحيوان جـ ٣ ص ٣٧١ .
(١١) الحيوان جـ ٤ ص ١٣٠ وانظر البخلاء ص ١٣٤ ، ص ١٩٧ .

٢ - نباتات ذات استعملات خاصة :

حدثنا الجاحظ في كتبه عن نباتات تستعمل في الغذاء وتصلح للعلاج ونباتات تكون ذات استعمالات متعددة ، منها للعلاج ومنها للتطيب ومنها للأكل ومنها للأصباغ كالزعفران والعصفر وغيره ، ونباتات للاستعمالات اليومية كالاستحمام مثل الودك والليف والقطن وللأثاث والحوائج الأخرى كالأبنوس وغيرها . فمن النباتات التي تستعمل عدة استعمالات مثل الزعفران والعصفر والصندل ، والقتار ، والرازقي والآس ، والسدر والصعتر ، والصنوبر ، والخشخاش والحبق وغيرها كثيرة ومتنوعة لا يمكن حصرها، وقد جاء ذكرها عند الجاحظ في مواضع عديدة قال عن **الزعفران**: «كما تكره الوزغ ريح الزعفران»[1] وقال عن **العصفر** واستعماله للصباغة وللأغذية : إن الثوب المعصفر محتضر»[2] . وذكر **الصندل** فقال : فلست أرى شيئاً هو خير من اتخاذ مشط صندل فإن ريحه طيبة والشعر سريع القبول»[3] وعن القتار العود قال : لم يرض بالتبخر واستقصاء ما في العود من القتار»[4] . وعن العنب الرازقي قال : «تنازعا في العنب النيروزي والرازقي»[5] . وقال عن **الآس** والسدر وهما يستعملان في أغراض عديدة : «أن يأخذ شيئاً من خطمي وآس وسدر وشيئاً من صمغ فيجعله في أصول شعره وعلى رأسه كي يتلبد شعره ولا يعرق»[6] . وقال عن **السدر** : «وغسل الرأس بالسدر يرمه»[7] ، وذكر الجاحظ الحبق

(١) الحيوان جـ ٤ ص ١١٠ .
(٢) الحيوان جـ ٤ ص ١١٠ .
(٣) البخلاء ص ٦٠ .
(٤) البخلاء ص ٦٠ .
(٥) الحيوان جـ ٧ ص ٨ .
(٦) الحيواان جـ ٥ ص ٣٧٧ ، جـ ٣ ص ٤٥٨ .
(٧) البرصان والعرجان ص ٤١ .

والخشخاش وهى من العقاقير المخدرة : «وهو شئ يعرض عن أكل دسم الضأن، وهو أيضاً يلقي على دسمه النحّاس ، وقد يفعل ذلك الحبق والخشخاش»[1] وحدثنا عن **الصنوبر** فقال : «ولو أن إنساناً أراد أن يخرج القطران من الصنوبر والزفت من الأرز لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدقه ويقشره ، بل يوقد له ناراً بقربه . فإذا أصابه الحر عرَق وسال في ضروب من العلاج»[2] . وقال عن **الصعتر** : «والقنفذ وابن عرس إذا ناهشا الأفاعي والحيات الكبار تعالجا بأكل الصعتر البري»[3] وفي هذا المجال العلاجي ذكر اللفاح والخردل والذاب والشيح فقال : «والحية تعجب باللفاح والبطيخ وبالحرف والخردل المرخوف وتكره ريح الذاب والشيح» وقال عن **الخردل** : «ثم لا ألبث أن أراهم يصنعون مثل ذلك بالخردل والخردل لا يرام»[4] . وذكر نبات **الخروع** بقوله : «ولم أر أشبه في الحذف من شجر الخروع»[5] . وذكر المقل **والنارجيل** في مجال تهكمه على مزاعم الناس واعتقاداتهم : «ويزعم أهل الحجاز أن نخل النارجيل هو نخل المقل ولكنه انقلب لطباع البلدة وأشباه ذلك كثير»[6] وقال عن **الكزبرة** وأنباتها : «فأما إذا كان الحب من حب الكزبرة ، فلقته أربعاً لأن أنصاف حب الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب»[7] ثم الحبة الخضراء **وحب الأراك** ذكرهما بقوله : «فيشقق عن حواصلها فيوجد فيه الحبة الخضراء غضة»[8] فقال عن حب الآراك : «فإن حب الآراك - يغرس

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٣٠١ .
(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٥٢ .
(٣) الحيوان جـ ٧ ص ٣٣ .
(٤) البخلاء ص ٥٥ .
(٥) الحيوان جـ ٢ ص ٤٦٥ .
(٦) الحيوان جـ ٤ ص ١٣٠ .
(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٦ .
(٨) الحيوان جـ ٥ ص ٤٥٣ .

في جوف طين في قواصر ويسقى الماء أياماً»[1] وقال عن **العفص** : «فإن اعتل القوم بالـزاج والعفص والماء ، وقالوا قـد نجد كل واحد من هذه الثـلاثة ليس أسود وإذا اختلطت صارت جسماً واحداً أشد سواداً من الليل»[2] وذكر الودك فقال: «الذي يدلك يده بالأشنان من الـغمر والودك حتى إذا اخضر وأسود من الدرن دلك به شفته»[3] وقال عن **الليف** واستعماله : «مما يشبـه الليف فنفشه ثم فتل منه حبلاً»[4] . والقطن قـال عنه : «حشو أذناب المحاجم بـالقطن»[5] وقال عن **الأبنوس** : «ولا أجدر أن يـنشب فيـه الخط من الأبـنوس»[6] وذكـر **الدراصيني** فقـال : «إنهم يـزعمـون أن هذا الطـائر يجـلب الـدارصينـي من موضعه، فيفرش به عشه»[7] وقال عن **الجَاوَرْس** وهو حب الدخـن : «وكما يدخر من خاف الحـصار الأكارع والجاورس»[8] . ومن أشجار المـكسرات أشار الجاحظ إلـى الجوز واللوز والبـطم وهذا مما يـدل على الترف الحـضاري الذي وصل إليه الناس في العصر العباسي حتـى أنهم أدخلوا في مجالسهم أثمار هذه النبـاتات مثل اللـوز ، قال عنه الجاحـظ «وقضبان اللـوز أعلك وألدن ولكـنها أسلم»[9] . وقال عن **الجوز** : «نأكل الثمر والجـوز والباقلي»[10] ووصف شجر **البُطْم** فقال : «وأشـجار البطم وهـي الحبة الخضراء بعـيدة المنابت مـنا» وقال

---

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٤١٤ .

(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٤٧ .

(٣) البخلاء ص ٧٧ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٦ .

(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٢٢٠ .

(٦) فخر السودان على البيضان ص ٢٠٤ وانظر البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٢١ .

(٧) الحيوان جـ ٣ ص ٥١٥ .

(٨) الحيوان جـ ٥ ص ٤٤٢

(٩) الحيوان جـ ٤ ص ١٢٥ .

(١٠) البخلاء ص ٧٩ .

«والبطم لا يعرفه أهل الجلسي وبلاد نجد هى الجلس»(١) .

٣ - اجزاء النبات :

الجذم ، والجزعة ، والـفسيل ، والرواشن ، والحـواضن ، والأعذاق ، والنسولـتين ، والطلعة والطلـع ، والعراجين ، والكرب ، واللليـط وغيرها ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأقـسام في حديثه عن الحيوان أو الإنسـان واستعمالاته اليوميـة فقال عن **الجَذْم** : «أو تعـلق بجذم شـجرة»(٢) والجزعة قال عـنها : «والخوان من جزعة»(٣) **والفَسِيل** ذكره بقوله : «وأنت رجل لك في البستان ، ورجل في أصحاب الـفسيل»(٤) وذكر **الأجذاع** والرواشن والحواضـن بقوله : «ويدق على الأجذاع والحواضن والرواشن»(٥) وهى صفات النخيل . وقال عن النسولتين : وإنما الغلـة غلة الزرع والنسولتين»(٦) وقال عن **الطلع** والطلعة : «كأمثال طلع الـفحال الأبيض»(٧) وقال : وإن الـنبي ﷺ سـحر فـي جف طلعة»(٨) وذكر **الأعذاق والعراجين** ، وهى من أجزاء النخلة فقال : «ويشتري الأعذاق والعراجين والسفن الكلأ»(٩) ثم يذكر **الكَرَبْ** فيقول : «مـا سقط من التمـر في جوف الليف وأصـول الكرب(١٠) . ومن أجزاء الـنبات **اللِّيط** وقد وصفـه الجاحظ فـقال : «لأن البراغـيث تزلـق عن ليـط القصب لـفرط لينـه

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٤٥٣ .

(٢) الحيوان جـ ٢ ص ١٢٦ .

(٣) البخلاء ص ٥٤ .

(٤) البخلاء ص ١٤٥ .

(٥) البخلاء ص ٨٤ .

(٦) البخلاء ص ٨٧ .

(٧) الحيوان جـ ٤ ص ١٢٧ .

(٨) التربيع والتدوير ص ٧٨ .

(٩) البخلاء ص ١٢٥ .

(١٠) الحيوان جـ ٣ ص ٤٥٥ .

وملاسته»[1] وذكر الأحـراش والحشائـش وما يتخـلف من الـنبات مـن واشي وغيره، وفي مجال الحشائش ذكر **العنقر** فقال : «وكذلك دابته تكـتفي بالعنقر والعشب والشجر»[2] وقال عن **العرفج** : «وإنما قيل لنا العرفج : نار الزحفتين لأن العرفج إذا التهبت فيه النار أسرعت»[3] والحراج قال عنه : «وواحد الحراج حرجة ، وهـي ها هنا مثـل جعل كل شئ التـف وكثف من الظـلام حراجاً ، وإنما الحراج مـن السدر وأشبـاه السدر»[4] **والواشي** قال عـنه : «ثـم ذراه ثم غربله، ثم حش الواشي منه»[5] .

وقبل أن أختتم الكـلام عن النبات هناك بعض التشبـيهات التي وردت عند الجاحظ مثل **خوط بان** ، **وغصن بان** ، وقضيب خيزران ، وذكـر أصنافاً من الورود والرياحين مثل الخيري ، وشقائـق النعمان ، والنيلوفر ، **والياسمين** ، والدفلـي وغيرها . قـال الجاحظ يشبـه إحدى الجواري بالـغصن النـاعم وهو الخوط بان فقال : «فرأى عـنده جارية كأنها جان ، وكأنهـا خوط بان ، وكأنها جدل عنـان ، وكأنها الـياسمين نـعمة وبيـاضاً»[6] وعن الـورود ذكر الخـيري **والنيلوفر** فقال : «وشقـائق النعمان والخيري يـصنع ذلك ، ويتفتح بـالنهار ، وينضم بالليل . والنيلوفر الذي ينبت في الماء يغيب الليل كله ويظهر بالنهار»[7] وقال عـن **الدّفلي** وهو نـبات مـر قتال : «ولا تـغلـط الخيل إلا فـي الدفـلي وحده»[8] .

---

(١) البخلاء ص ١٠٢ .

(٢) مناقب الترك ص ٤٨ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ١٠٧ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٤٢١ .

(٥) البخلاء ص ١٢٩ .

(٦) الحيوان جـ ٦ ص ٢٦٢ وانظر التربيع والتدوير ص ٢١ .

(٧) الحيوان جـ ٦ ص ٣٦٤ .

(٨) الحيوان جـ ٥ ص ٣١٢ وانظر جـ ٣ ص ٥٢١ .

خامساً : الألفاظ الخاصة بالمعادن والتعدين :

حدثنا الجاحظ عن المعادن وأنواعها وأشكالها وعن طريقة تعدينها ، وكيف أن أصحاب المعادن والحفائر كانوا إذا هجموا على فتق في باطن الأرض أو مغارة في أعماقها قدموا شمعة في طرفها أو في رأسها نار ، فإن تثبت النار وعاشت دخلوا في طلب الجواهر من الذهب وغير ذلك ، وإلا لم يتعرضوا له، وإنما دخولهم بحياة النار وامتناعهم بموت النار»[1] هذا ما جاء في كتاب الحيوان عن طريقة التعدين والبحث عن المعادن في جوف الأرض .

١ - المعادن والتعدين :

يشرح لنا الجاحظ مكونات باطن الأرض وما تحويه من معادن فيقول : «كما صنع في طينة الأرض ، فجعل بعضها حجراً ، وبعض الحجر ياقوتاً وبعضه ذهباً ، وبعضه نحاساً ، وبعضه رصاصاً ، وبعضه حديداً ، وبعضه تراباً ، وبعضه فخاراً ، وكذلك الزاج ، والمغرة ، والزرنيخ ، والمرتك ، والكبريت ، والقار ، والتوتيا ، والنوشادر ، والمرقشيتا ، والمغنطيس»[2] ويذكر الجاحظ **الفلز** وأنواعه وتأتي لفظة فلز عند الجاحظ في أكثر كتبه وفي أماكن متفرقة منها فهو يقول متسائلاً : «ومن يحصى عدد أجزاء الأرض ، وأصناف الفلز»[3] ويقول عن الفلز جوهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك»[4] ويقول عن الفلز : «ويبيع الريح الهاب بالذهب الجامد ، وفلز اللجين والعسجد»[5] وبعد أن ذكرنا الفلز نأتي إلى أنواعه وإن جاء جزءاً ليس

(١) الحيوان جـ ٥ ص ١١٠ .

(٢) مناقب الترك ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣) مناقب الترك ص ٣٤ .

(٤) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣١ وانظر الحيوان جـ ٥ ص ١٠١ .

(٥) كتاب القيان ص ١٧٨ .

باليسير منها في الحياة الاقتصادية عند ذكر الصناعات .

فقد ذكر الجاحظ أنواعاً كثيرة من المعادن والفلزات منها (القطران ، والآنك ، والنفط بأنواعه والكبريت وأنواعه والرصاص والزفت ، والزاج ، والمينا ، والمردا سنج ، والزيبق ، والزرنيخ ، والمرتك ، والشعر ، والقار ، والصفر ، والشبة ، والطلق ، والملح) وغيرها ، قال ذاكراً **الكبريت** وتحدث عن **القطران** وكيف أنه وسيلة لقتل النمل : «قالوا : وتقتل بأن يصب في أفواه بيوتها القطران والكبريت الأصفر ، ويدس في أفواهها الشعر ، وقد جربنا ذلك فوجدناه باطلاً»[1] **والنفط** ذكر أنواعه ومسمياته فقال : «وقد نجد النار تختلف على قدر اختلاف النفط الأزرق والأسود والأبيض»[2] وذكر من أنواع النفط الخضخاض وهو النفط الأسود الرقيق ، فقال مبيناً استعمالاته : «فإنه يعمد إلى الخضخاض فيصب فيه شيئاً من دبس ثم يطلى به ذلك البعير»[3] وذكر **الزفت** فقال : «يخرج القطران من الصنوبر ، والزفت من الأرز»[4] ، **والرصاص** قال يصف أصله : «والرصاص في العالم أصل قائم فيدبرون المردا سنج فيستحيل رصاصاً»[5] **والكبريت** ذكره بأنواعه الأحمر والأصفر فقال: «القطران والكبريت الأصفر»[6] ولا أعلم الكبريت الأحمر إلا أوجد منه»[7] . وقال عن **المينا** وهي نوع من الحجر : وكذلك المينا له أصل قائم وقد عمله الناس»[8] **والزيبق** قال عنه : «أن يطلى أصول ريشه بالزيبق المحلل بدهن

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٣٦ وانظر جـ ٥ ص ٥٢ .

(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٦١ وانظر البخلاء ص ١٢٧ ، وانظر البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٨ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٣٠٧ .

(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٥٢ .

(٥) الحيوان جـ ٥ ص ٣٥٠ وانظر جـ ٣ ص ٥١٥ .

(٦) الحيوان جـ ٤ ص ٣٦ .

(٧) في الجد والهزل ص ٢٧١ .

(٨) الحيوان جـ ٥ ص ٣٥١ .

البنفسج[1] وهنا يصف نوعاً من العلاج بهذا المعدن . وقال عن **الزرنيخ** ومعه أنواع أخرى من المعادن «المغرة والزرنيخ والمرتك والكبريت والقار»[2] وذكر الصفر وهو النحاس الأصفر الجيد ، فقال فعمدت إلى منارات من صفر من هذه المسارح»[3]،ومن المواد: التي تحدث عنها الجاحظ في كتبه **الشبه** وهو نوع من النحاس قال عنه «ولا يجوز أن يكون شئ له في العالم أصل أن يؤلف الناس أشياء تستحيل إلى مثل هذا الأصل . فأنكروا من هذا الوجه تحويل الشبه ذهباً والزيبق فضة»[4] وكان يسمى هذه العمليات صناعة **الكيميا** ، وقد تكلم عن **الإكسير** فقال : «وما تقول في إكسير الكيمياء»[5] ولفظة الإكسير جاءت عند الجاحظ في كلامه عن العقاقير والكيمياء وفي التعدين ، وفي نص له يقول : «وسمعت أبا حكيم الكيمائي وهو يقول لثمامة بن أشرس : قلنا لكم إننا ندلكم على الإكسير فاستثقلتم الغرم وأردتم الغنم بلا غرم»[6] . ومن العمليات الكيميائية التي تحدث عنها الجاحظ مثل الزجاج والمغناطيس والأقليميا والشعر . وذكر **الزجاج** فقال : «كنحو مجيء الزجاج من الرمل ، وامتناع الشبه والزئبق من أن يتحول في طبع الذهب والفضة» ، وقال عن الزجاج وخواصه الكيميائية : «ومن العجب أن الزجاج - وهو مولد - قد يجرى مع الذهب في كثير من مفاخر الذهب ، إذ كان لا يغير طبعه ماء ولا أرض»[7] **والمغناطيس** ذكره الجاحظ قائلاً : «والمغناطيس الجاذب للحديد إذا حك عليه

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٤ وانظر البخلاء ص ٨٥ .
(٢) مناقب الترك ص ٣٣ .
(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٤١٤ .
(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٣٤٩ ، أنظر جـ ٣ ص ٣٧٤ .
(٥) التربيع والتدوير ص ٣٩ .
(٦) الحيوان جـ ٣ ص ٣٨٥ وأنظر جـ ١ ص ٦ .
(٧) الحيوان جـ ٣ ص ٣٧٤ .

الثوم لم يجذب الحديد»[1] وقال عن **الاقليميا** : «فيدبرون أقليميا النحاس فتستحيل توتيا»[2] . وذكر عملية التصعيد فقال : «وقد يصعدون الشعر ويدبرونه حتى يستحيل كحجر النوشادر ، ولا يغادر منه شيئاً في عمل ولا بدن»[3] .

ومن الصناعات الكيميائية التي ذكرها الجاحظ بالنسبة للمعادن ، قال : «وصنعة الزجاج والفسيفساء والأسرنج والزنجفور واللازورد»[4] وقال : «والطلق لا يصير جمراً أبداً»[5] وهذا **الطلق** هو من أنواع الحجر الذي يتشظى صفائح إذا دق . ومن المعادن الملح وهو يأتي من عدة مصادر ، ولفظة الملح جاءت عند الجاحظ بعدة معان فنراه يقول : «إن تفتيت فالرشاقة والملح»[6] ويقول : «الذين كانوا مصابيح الظلام ، وقادة هذا الأنام ، وملح الأرض»[7] ويذكر الملح بلفظ **الزاج**، وهو نوع يدخل في صناعة المداد، قال عنه الجاحظ: «فإن اعتل القوم بالزاج ، والعفص ، والماء»[8] وقال الجاحظ عن منبت الملح والملاحة : «فلا يزال يسير حتى يجد ملاحة»[9] ، وفي ختام حديثنا عن المعادن أورد قول الجاحظ عن هذه المعادن وأجناسها فيقول معاتباً من عابه على كتاب المعادن : «وعتبني بكتاب المعادن ، والقول في جواهر الأرض وفي اختلاف أجناس الفلز والإخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف

(١) الحيوان جـ ٤ ص ١١٢ وانظر مناقب الترك ص ٣٤ .
(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣٥٠ .
(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٣٤٩ .
(٤) الحيوان جـ ١ ص ٨١ .
(٥) فخر السودان على البيضان ص ٢٠٠ وانظر الحيوان جـ ٦ ص ٤٣٥ .
(٦) التربيع والتدوير ص ٦٤ .
(٧) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٥ ، جـ ٣ ص ٧ .
(٨) الحيوان جـ ٥ ص ٤٧ .
(٩) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٠ .

يسرع الانقلاب إلى بعضها ، ويبطئ عن بعضها ، وكيف صار بعض الألوان يصبغ ولا ينصبغ ، وبعضها ينصبغ ولا يصبغ ، وبعضها يصبغ وينصبغ ، وما القول في الإكسير والتلطيف»[1] .

(١) الحيوان جـ ١ ص ٦ .

سادساً : الألفاظ الخاصة بالظواهر الجغرافية الطبيعية :

تعرض الجاحظ للظواهر الطبيعية فتحدث عن الأحوال الجوية وعن الظواهر الطبيعية المتعلقة بالأنهار والغدران والأجراف ، وتحدث عن الأشهر وعن الفصول ووصف آلات القياس العلمية ، وتطرق إلى مسائل الكون والأجرام السماوية ، وذكر ألفاظ المتكلمين الخاصة بالأجرام مثل الجنس والمادة والحيز والجزء والهيولي والمتناهي والأشباه والنظائر وأسماء الملائكة الذين يتألف منهم العالم ويقوم عليهم الكون .

ونرى ألوان الثقافة اليونانية في كتابات الجاحظ المتعلقة بمسائل الكون واضحة جداً ، ثم إنه لم يهمل إعمال الفكر فيما نقل ، فنراه ينقل عن اليونانية ويضيف عليها من علمه ومعرفته ، وعلى هذا لا نستطيع أن نقول بأنه كان ناقلاً لتلك العلوم فقط دون إعمال الفكر ، فمن يتصفح كتاب الحيوان يجد أن الجاحظ يشفع ما نقله عن أرسطو من آراء علمية برده ونقده لها بل وتخطئتها أحياناً والاعتذار لصاحبها كقوله في الحيوان : «وقال أرسطو في الفيل هو أجود الجلد ولذلك يشتد جزعه من البرد ، ويرد عليه الجاحظ بقوله: فإن كان أجرد الجلد ، فما قولهم فلان على الفيل الأسود»[1] وهناك أمثلة كثيرة على هذه التخطئة من الجاحظ لأرسطو ولكنه يعتذر في موضع آخر من الحيوان بأن المترجمين لكتاب أرسطو لم يحسنوا النقل ولم يتوخوا عنه»[2].

١ - الأحوال الجوية :

أهم الظواهر الطبيعية التي تعرض لها الجاحظ الأحوال الجوية ، وذكر الجاحظ ألفاظاً تختص بهذه الأحوال الجوية مثل الطبيعية والدمق ، والغمق ،

(١) الحيوان جـ ٧ ص ٢٢٨ .

(٢) الحيوان جـ ٢ ص ٥٢ ، جـ ٦ ص ١٩ .

واللخن ، واللثق ، والرطوبات ، والخموم ، والأضحيانة ، وثلجاء ، وجنائب، وصنبرة ، صاقعة ، وصاعقة . وقد ذكر الطبيعة بقوله : «وفي إهمال الطبيعة كلال ، حد الطبيعة»[1] ، وقال عن **الدَّمق** وهو الثلج مع الريح الشديد : «وزعم العقاب في الآخرة إنما هو بالبرد والزمهرير والدمق»[2] وعكسه **الغَمِق** وهو الندى والرطوبة والوخامة ، ذكره الجاحظ بقوله : «ومررت به وهو جالس في يوم غمق حار»[3] **واللثق** صفة ملازمة للغمق ، قال عنها : «ولا يعرفون الغمق ولا اللثق»[4] وعلى ذكر الرطوبات جاءت هذه اللفظة ومعها مشتقاتها التي تشابهها في المعنى مثل **الخُمُوم** واللخن ، قال الجاحظ يصف هذا المناخ الرطب ومضاره بالنسبة للإنسان والحيوان أيضاً : «واللخن والعفن والرطوبات الغليظة ، فذلك يغم السمك ويكربه»[5] ويصف الجو المعتدل المضئ بقوله : «في ليلة **إِضْحِيَانة**» أي مضيئة لا غيم فيها[6] . ونعود إلى المناخ البارد ويصفه الجاحظ بقوله : «وقد تكون الليلة باردة جداً ، وتكون صنبرة فلا يجمد فيها الماء»[7] وذكر لفظة **ثلجاء** وهو يصف الأرض : «إذا لقيه والأرض ثلجاء ، فإنه عند ذلك يخفش وجه الأرض ويجمعه ويضرب وجه الرجل فارساً كان أو راجلاً قال : ودقاق الثلج وغباره إذا صك وجه الفارس سدر واسترخى»[8] . وحدثنا الجاحظ عن **الصواعق** والصواقع فقال :

(١) في الجد والهزل ص ٢٥٠ .
(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٦٦ .
(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٢٨ .
(٤) مناقب الترك ص ٧٠ .
(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٥ .
(٦) الحيوان جـ ٦ ص ٢٠٦ .
(٧) الحيوان جـ ٥ ص ٦٩ .
(٨) الحيوان جـ ٧ ص ٢٥٢ .

«لأن الصاعقة تقتل بشدة الصوت كما تحرق التي فيها»[1] وقال عن الصاقعة **والصواقع** ، وكان الحسن يسميها صاقعة ويجعل الصواعق ما كان من العذاب النازل على الأمم ،فأما هذه التي تراها اليوم فهى عنده صواقع»[2] . وذكر الرياح فقال : الجنائب : «ويزعمون أنهم يعرفون ذلك بكثرتها في الجنائب»[3] .

٢ - التضاريس الطبيعية :

وتعرض للتضاريس الطبيعية فذكر ألفاظاً تخص البيئة النهرية والبحرية في معظمها ، وهذا شئ طبيعي لمعايشته لهذه البيئة مثل الخب ، والدردور ، والأغلال ، والأجراف ، والفرضة ، وهذه تتكرر عنده كثيراً والأسياف ، والغدير ، والجمع غدران ، والحزون ، والأغوار وغيرها من التضاريس .

قال عن الخب «وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس ، ولا يعرفون الخبّ والمكْلأ»[4] . وذكر **الدُّرْدُور** وهى من المواضع الخطرة في الملاحة ، واللفظة بنفس المعنى في الفارسية ، فقال : «وكذلك يحكون عن الدردور»[5]، وقال عن **الأغلال** : «الأغلال : جمع غلل وهو الماء الذي يجرى بين ظهري الشجر»[6] . وقال عن **الأَجْرَاف** «وكذلك شجر الآجام على الأجراف»[7] والأجراف جمع جرف وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادي والنهر . وتأتي هذه الكلمة عند الجاحظ كثيراً ، وكذلك كلمة **الفُرْضَة** والجمع فرض

(١) البرصان والعرجان ص ٢٥٦ .

(٢) البرصان والعرجان ص ٢٥٦ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٣٤٨ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٢ .

(٥) الحيوان جـ ٥ ص ٩١ .

(٦) الحيوان جـ ٣ ص ٢٤٤ .

(٧) الحيوان جـ ٣ ص ٣٣٥ .

وهي محط السفينة وتعني الجرف أيضاً ، قال الجاحظ : «فلما قربنا من الفرضة صحت : يا حمال»[1] **والفُرَض** قال عنها : «فسألته أن يقربني إلى بعض الفرض ، حتى أكترى من هناك إلى حيث أريد»[2] وذكر **الأسياف** بقوله : «فأما الهسيس فلخيول أهل الأسياف خاصة»[3] .

وقال غدير ، **وغُدْرَان** : «في الصيف كله في القيظ جميعاً منقع ماء ولا غدير»[4] والغدران قال عنها : «فأورده العيون والغدران والأنهار»[5] ثم **الأَغْوَار** ، قال عنها الجاحظ : «وبين من نزل النجود وبين من نزل الأغوار» ، وقال : وكاختلاف ما بين من نزل البطون وبين من نزل الحزون»[6] . وهذه الألفاظ كلها تضاريس طبيعية جاءت في كتب الجاحظ ومعها الكثير من الألفاظ التي تمس التضاريس وتصف البلدان ومواقعها .

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٤٥٢ .
(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣٥٧ .
(٣) الحيوان جـ ٧ ص ١٤٥ .
(٤) الحيوان جـ ٦ ص ٢٨٢ .
(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٨٠ .
(٦) مناقب الترك ص ١٠ .

سابعاً : الألفاظ الخاصة بالكون والمسائل الفلكية :

١ - المسائل الفلكية :

أخذ الجاحظ بعض المسائل الفلكية عن الثقافة الهندية واليونانية أيضاً . ونرى في كتبه إشارات إلى هذه المسائل المتعلقة بالكون ، ففي كتابه التربيع والتدوير يشير إلى كتاب السند هند وهو مؤلف يحوي مذهب الهند في الحسابات الفلكية ، وقد عرفه العرب قبل معرفتهم كتاب المجسطي . وكذلك وردت ألفاظ على لسان المتكلمين في عصر الجاحظ مثل العرض والجوهر ، **والهَيُولي** وهذه الأخيرة لفظة يونانية جاءت في كتب الجاحظ بقوله متسائلاً : «ويا قوة الهيولي كيف أصبحت ؟»[١] وقال أيضاً «وكان يتعجب من القول بالهيولي»[٢] ، ومن ألفاظ المتكلمين : يتناهى والأشباه والنظائر والعرض والجوهر . وقد ذكر الجاحظ هذه الألفاظ في أماكن متفرقة من كتبه فقال : فإنه ليس شئ أبغض إلى من يتناهى فيه إلى غايته»[٣] وقال عن **الأشباه والنظائر** «ففرقوا ما بين الأشباه والنظائر»[٤] .

أما **العرض** والجوهر فقد أكثر من ترديدها الجاحظ في كل مناسبة حتى وإن لم تكن في مجال معناها الأصلي ، فقد كان يستعمل هذه الألفاظ كثيراً وكذلك علماء عصره وحتى بخلائه استعملوا هذه الألفاظ كقوله : «المعين يأخذ الجوهر ويعطي العرض»[٥] وقال : «التعادي عرض في طبائع الغرباء ، وجوهر

---

(١) التربيع والتدوير ص ٧٧ .

(٢) الحيوان جـ ٥ ص ٥٠ .

(٣) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥٦ .

(٤) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٢٣٨ .

(٥) كتاب القيان ص ١٧٨ .

في طبائع الأقرباء»[1] . وقال : «أني لو تكلفت كتاباً في حلوله ، وعدد ألفاظه ومعانيه ، ثم كان من كتب العرض والجوهر ، والطفرة ، والتولد ، والمداخلة، والغرائز»[2] ، وقال : «قال المكي : فإذا هو يريد أن تدفع جوهراً بجوهره وعرضاً بعرض ، حتى لا تريح أمه إلا صرف ما بين العرضين الذي هو البرد والحر ، فأما عدد الجواهر والأعراض فمثلاً بمثل»[3] وقال أحد البخلاء عن **الجوهر** : «فتحول كل شئ كان في لقمته بتلك الجذبة إلى لقمتي لاتصال الجنس بالجنس والجوهر بالجوهر» ثم ذكر **الجنس** فقال : «فنجد الماء جنساً واحداً ، ثم تجد ذلك الجنس أبيض إذا قل عمقه وأخضر إذا كان وسطاً وأسود إذا بعد غوره»[5] وقال عن الجوهر «والماء هو الجوهر القبال لجميع القوى»[6] وقال عن **الحيز** : «الهواء اسم لكل منق وكذلك الحيز»[7] وقال عن **الجزء** : «وأبو الهذيل العلاف في الجزء والطفرة»[8] وقال أيضاً في الجزء على لسان أحد بخلائه : «كيف أجرش جزءاً لا يتجزأ»[9] وهذه الألفاظ تعتبر ظاهرة لغوية عند المتكلمين .

٢ - الأجرام السماوية :

وعن الأجرام السماوية وحركتها حدثنا الجاحظ عن المشتري والزهرة وعطارد وسهيل ، وذكر في هذا المجال المجانسات والمكامنات والحسبمات ،

(١) في الجد والهزل ص ٢٧٢ وانظر البيان والتبيين جـ ٣ ص ٩٢ .

(٢) الحيوان جـ ٤ ص ٢٠٨ .

(٣) البخلاء ص ١١٣ وانظر مناقب الترك ص ١٠ .

(٤) البخلاء ص ٦٩ .

(٥) الحيوان جـ ٥ ص ٩١ .

(٦) الحيوان جـ ٥ ص ٨٩ .

(٧) الحيوان جـ ٥ ص ١١١ وانظر مناقب الترك ص ٩ .

(٨) ذم أخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

(٩) البخلاء ص ١٢٨ .

وقال عن القطب وعن العواء ثم في مجال الأشهر يتحدث عن الفصول والأشهر والكريت والأهلية والعقد والصميمين. وقد وردت لفظة **الأجرام** عند الجاحظ بقوله : «فالجوهر المنقلب في جميع الأجرام السيالة ، إنما هو الماء»[1] وقال عن المكامنات والمجانسات : «وإبراهيم بن سيار النظام في المكامنات والمجانسات»[2] وذكر **المشترى** فقال «وكأنه المشتري وكأنه وجه دينار هرقلي»[3]. وقال عن الزهرة : وما قصة الزهرة ؟»[4] وتساءل عن سهيل فقال : «وما شأن سهيل ؟[5] واستمر في أسئلته عن الأجرام فقال : «وخبرني عن عطارد الهندي وجوابه لعطارد المساوى حين هبط إليه من فلكه»[6] وهناك مسائل كثيرة يعرضها الجاحظ في التربيع والتدوير على شكل أسئلة أمام أحمد بن عبد الوهاب الكاتب ليجيب عنها . وذكر **الكريت** فقال : «من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتا»[7] وقال عن الأهلة : ومن الأمور الملتوية والمعوجة لو كانت مستوية مستقيمة لعظم الضرر وظهرت الخلة . فمن ذلك الأضلاع . . والأهلة»[8] . وقال عن **العقد** : «وقلنا في العقد ولم تكلفوه»[9] وذكر الصميمين وهما الشتاء والصيف فقال : وزعم ناس من أطباء النصارى ، وهم أعداء اليهود أن اليهود يختنون أولادهم في اليوم الثامن وأن ذلك يقع

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٨٩ .

(٢) ذم الأخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

(٣) التربيع والتدوير ص ٢١ .

(٤) التربيع والتدوير ص ٢٧ .

(٥) التربيع والتدوير ص ٢٧ .

(٦) التربيع والتدوير ص ٢٩ .

(٧) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٩ .

(٨) البرصان ص ١٦٧ .

(٩) الحيوان جـ ٦ ص ٥ .

ويوافق أن يكون في الصميمين كما يوافق الفصلين»[1] وذكر القطب بقوله : «ووجدتك في خلال ذلك على سبيل تضييع وإهمال لأمرين هما القطب الذي عليه مدار الفضائل»[2] وإن كانت لفظة قطب جاءت في هذا النص بمعنى آخر ولكنها تفهم بأن القطب هو المدار للأجرام ولجميع الأشياء ، فهو المحور الذي ترتكز عليه الأمور . وقال عن الأشهر مثل : تشرين الأول ذكره بقوله «وأنه رآني مرة في **تشرين الأول** وقد بكر البرد شيئاً»[3] واستمر في حديثه فقال : ولو كان هذا البرد الحادث في **تموز** وآب لكان أباباً لهذا الكساء»[4] وقال عن شهر ناجر : «تراه أبداً في شهر ناجر بباب حجرة ، متدخلاً يخاف أن يقبض قابض بذنبه»[5] .

الفاظ علمية مختلفة وعلماء وكتب علمية :

هناك ألفاظ تتعلق بالحياة العلمية أشار إليها الجاحظ في كتبه مثل أعلام الثقافة اليونانية : كأفلاطون ، وأرسطو ، وإقليدس ، وفيثاغورس وغيرهم من أعلام اليونانيين . وأشار إلى بعض مؤلفاتهم مثل كتاب المجسطي الذي وضعه بطليموس ، وذكر أنظمة الحسابية وأدواتها من مثل ذكره عمل الأرثماطيقي وهو نوع من أنواع الحساب من وضع إقليدس ، وذكره الجاحظ في التربيع والتدوير مع عدة كتب ومسائل أخرى فقال : «وخبرني - جعلت فداك - مذكم صنع حساب الهسميرج ، ومن صاحب خطوط الهند ، وأين كتب قوم صفة السند هند والأركند وحساب **كَلاسْفَر** ، ومذكم عمل باب الجمع ،

(1) الحيوان جـ ٧ ص ٢٥ .

(2) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٣٩ .

(3) البخلاء ص ٥٩ .

(4) البخلاء ص ٥٩ .

(5) الحيوان جـ ٦ ص ٥٩ .

ومذكم عمل الأرثماطيقي ومن سمى الجبر بالجبر والجذر بالجذر»[1] ففي النص السابق نرى أصداء المؤثرات الثقافية الهندية بجانب اليونانية . وذكر من الأدوات العلمية **الاصطرلاب** وهو من أجهزة القياس اليونانية وكذلك القرسطون والجمع **قرسطونات** وقد ذكرهم الجاحظ بقوله : «ومن صاحب الأصطرلاب؟ ومن صاحب القرسطون»[2] . ومن الألفاظ العلمية أيضاً **المجهر** ، قال عنه الجاحظ «أوصرت للقوم عيناً ولهم مجهراً»[3] **والخرائط** والمفرد **خريطة** ذكرها الجاحظ فقال : «وذلك الموضع المستدق إنما هو شئ كهيئة الخريطة»[4] وقال : «ومنها تكون خرائط البرد»[5] . وذكر ألفاظاً علمية تتعلق بأركان العالم فقال : «ويزعم أن الأرض أحد الأركان التي بنيت العوالم الخمسة عليها يزعمهم أبرسارس وأبرمارس وأبردس وكارس وحريرة أمنة»[6] .

وهكذا نرى الجاحظ يأخذ من كل الثقافات التي انتشرت في عصره كاليونانية والفارسية والهندية وكتاب الحيوان الذي يعطينا أوضح صورة للحياة العلمية في العصر العباسي هو خير دليل على كلامنا ، ففي كتاب الحيوان أمثلة كثيرة على اتصال الجاحظ باليونان في كتبهم فعرف أرسطو ونقل عن أفليمون صاحب الفراسة في الكلام عن الحمام»[7] ونقل عن جالينوس فيما يصلح له لحم الضب»[8] وفي معارف البهائم

(١) التربيع والتدوير ص ٨١ .
(٢) التربيع والتدوير ص ٤٤ والحيوان جـ ١ ص ٨١ ومناقب الترك ص ٦٨ .
(٣) البخلاء ص ٤٩ .
(٤) الحيوان جـ ٤ ص ١٥٣ .
(٥) في الجد والهزل ص ٢٥٣ .
(٦) الحيوان جـ ٣ ص ٣٧٠ .
(٧) الحيوان جـ ٣ ص ٨٧ .
(٨) الحيوان جـ ٦ ص ١٧ .

والطير»[1] وفي رسالة التربيع والتدوير نستطيع أن نقف على طائفة من المسائل العلمية التي ثار حولها الجدل في العصر العباسي سواء في المنطق أو في الفلسفة أو في الكيمياء والصنعة أو في خلق الإنسان والأجناس والأمم المختلفة وكذلك الحيوان وما يتعلق به من علوم . أو في علم الفلك والطب والطبيعة أو في الأساطير والعادات وغير ذلك من المسائل التي يطرحها الجاحظ أمام أحمد بن عبد الوهاب الكاتب . وجملة المسائل التي طرحها كانت تشغل فكر العلماء والمفكرين في العصر العباسي أيام ازدهار الحضارة العباسية .

(١) الحيوان جـ ٧ ص ١٠ .

الباب الثاني

الدراسة الدلالية

الفصل الأول

الألفاظ ذات الأصول العربية

الفصل الثاني

الألفاظ ذات الأصول غير العربية

الفصل الأول

الألفاظ ذات الأصول العربية

الفصل الأول

الألفاظ ذات الأصول العربية

أولاً: الألفاظ الحضارية القديمة:

تاريخ اللغة مرآة ينعكس فيها تاريخ الحضارات الإنسانية ، فهى تواكب الحضارة في مسيرتها عبر القرون وتتلاءم وحاجات المتكلمين بها ، إذ أن صفات أى لغة من اللغات تظل مستمرة باستمرار أهلها بنفس نمط حياتهم وعاداتهم ، ويعتبر العامل الاجتماعى من أهم العوامل فى حياة اللغات ، وتظل مفردات اللغة التى خلفتها احتياجات الحياة خاضعة لتلك الحياة لتلبى رغباتها المتنوعة ، والتى لاتنتهى إلا بانتهاء الحياة نفسها . ونجد أن كل لفظة من ألفاظ اللغة لها دلالة معينة تحقق للإنسان غرضا من أغراض حياته المتشعبة الاتجاهات ، وهذا مما يؤدى إلى صعوبة حصر ألفاظ اللغة ذات المعانى الدلالية المعينة .

الحديث عن تاريخ اللغة وحياة الألفاظ حديث طويل ويمتد إلى العصور السحيقة وفي النتيجة نرى أن الكلمة تعيش وتتفاعل ، والمعني هو حصيلة الملابسات التي عاشتها الكلمة[1] . وفي مجال حديثنا عن اللغة العربية نرى أن هذه اللغة عاشت وتطورت بنيتها في تفاعل دائم مع طبيعة العلاقات الاجتماعية والحضارية والسياسية والدينية التي سادت في المجتمع العربي عبر التاريخ [2]

---

(١) علم اللغة العربية د. محمود حجازى ص ٣١٢ .

(٢) علم اللغة العربية د. محمود حجازى ص ٣١٦ .

واللغة العربية لها رصيدها الضخم مـن الألفاظ للتعبير عن معطيات الحضارة ، وهناك محاولات كـثيرة لمعرفة ماضي اللـغة العربية من خلال الـتاريخ المعروف للهجاتها ودراسـة ظواهرها بعد أن ضنت رمال الجزيرة بحكايـة تاريخ أصحابها فيمـا قبل الجاهلـية ، وصار هذا التاريـخ مجالا لافتراضـات عديدة[1] . ومـن خلال تتبعنـا لمسيرة اللغة العربية نـرى أن العربية تعرف كلمات تـرجع إلى اللغة السامية الأم ، وهناك كـلمات لاتعرفها من اللغات السـامية إلا العربية[2] . وما إن نصل إلى العـصر الجاهلى حتى نرى أن اللـغة العربية قد ارتقت رقـيا كبيراً وتطورت جميع لـهجاتها التي تتكلم بـها القبائل المختلفة ، ونشـأت لهجة أدبية راقية تأخذ من هذه اللهجات جميعا [3] . وقد كان لهجرة القبائل العربية عقب الفتح الإسلامي وفي القرون التالية أكبر الأثـر في انتشار اللغة العربية في أنحاء الدولة الإسـلامية الكبـري . وهكذا نرى أن اللغـات تتبع الأمم في صـعودها وهبوطها وفـي تطـورها وتغيرهـا وأن كل تطوير فـي حياة الأمة يترك أثراً قويا « واضحا» في لـغتها [4] . وتعتبر الـلغة ظاهرة غير عادية شأنـها في هذا شأن العرف والـعادات السائدة فـي المجتمع . وتكـتسب مفـردات اللغة دلالتـها من التجارب الكثيرة والأحداث الاجتماعية التي يمر بها الفرد [5] .

والكلمات التي تنتمي إلى نشاط المجموعات الاجتماعية يطلق عليها كلمات الحضارة . وفي مسيرتنا مع اللغة العربـية نصل إلى عصر الجاحظ وكتاباته وهي التي تحـدد لنا الألفاظ الحـضارية التي كانـت سائدة في العـصر العباسـي عصر ازدهار الحضارة العباسية وألفاظها الحضارية .

(١) في التطور الدلالي د. عبد الصبور شاهين ص ٥ .

(٢) علم اللغة العربية د. محمود حجازي ص ٣١٢ .

(٣) المعجم العربى د. حسين نصار جـ ١ ص ١٧ .

(٤) علم اللغة العربية د محمود حجازى ص ٩٨ .

(٥) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٧٣ .

وتحدث الجاحظ في حيوانه عن سلطان الحظ على الناس وعلى الآثار الأدبية فقال : وكما تحظي بعض الأشعار وبعض الأمثال ، وبعض الألفاظ دون غيرها ، ودون ما يجري مجراها أو يكون أرفع منها [1] . وهذه الألفاظ التي قصدها الجاحظ في حديثه والتي سعدت بالحظ واستمرت بسيرها عبر القرون هي ما ندعوه بالألفاظ الحضارية ذات الصفة التاريخية لأنها تحدد لنا أبعاد الحضارة في أي عصر من العصور التاريخية ، وقد وردت عند الجاحظ ألفاظ حضارية كثيرة جدًا ، وسوف أتطرق لذكر بعض هذه الألفاظ مثل : سياسة ، ومملكة ، وولاية ، ووزراء ، وحاجب وحاشية وجمهور وجلة وبوش وخول ، ومعلهج ، وألاف ، وعامة وخاصة ، وعترة ومحلة وقيم ، وطوافين ، والناشد ، وإمارة ، وثورية ، وإمام ، والربوبية ، ونظائر ، وظهريا ، وتسريح ، وجرثومة ، ورياضة ، وأزقة ، وقلة وشريعة ، وفرضة ومدود وسكان وملاح وأسياف ، وحرفة واحتكار ، وأصناف وأقطاع ووظيفة وغيرها من الألفاظ .

سياسة لفظة سياسة من الألفاظ الحضارية القديمة ، وزن سِياسة فِعالة من الفعل سوس ، وقد وردت هذه اللفظة في كتابات الجاحظ في أماكن متفرقة من كتبه السياسية والدينية وأيضًا في كتبه الأخري ونراه يصف صعوبة السياسة فيقول : « وليس في الأرض عمل أكد لأهله من سياسة العوام »[2] وقال أيضًا عن السياسة : « وإنما الفرق بين الدين والدنيا اختلاف الدارين من الدنيا والآخرة فقط . والحكم هاهنا الحكم هناك ، ولولا ذلك ما قامت مملكة ، ولاثبتت دولة ، ولا استقامت سياسة »[3] . وتناولت المعاجم العربية لفظة

(1) الحيوان جـ ٢ ص ٢ ١

(2) الحيوان جـ ٢ ص ٩٤ .

(3) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

سياسية ، ففي اللسان جاء معني السياسة هي القيام على الشيء بما يصلحه . والوالي يسوس رعيته ، وعن أبي زيد قال : سوس فلان لفلان أمرا فركبه ، كما يقول سول له وزين له . وقال غيره : سوس له أمرا أى روضه وذلله . والسوس : الرياسة ، يقال ساسوهم سوسا ، وإذا رأسوه قيل : سوسوه وأساسوه . وساس الأمر سياسة : قام به ، وسوسه القوم : جعلوه يسوسهم . وقال الجوهري : سست الرعية سياسة ، وسوس الرجل أمور الناس ، على مالم يسم فاعله ، إذا ملك أمرهم . وقال الفراء : سوست خطأ [1] . وفي التاج جاءت شروح للفظة سياسة مثلما جاءت في اللسان إلا بعض الاستدراكات مثل : ومما - يستدرك عليه السوس : بالفتح الرياسة وساسوهم سيوسا وإذا رأسوه قيل سوسوه وأساسوه ورجل ساس من قوم ساسة وسواس[2] . وواضح مما سبق أن كلمة سياسة من الألفاظ الحضارية التي عرفتها العربية قبل عصر الجاحظ . كما تشهد بذلك المعاجم العربية ، ثم استمر استخدام الكلمة أيضًا عند الجاحظ .

مملكة « مَمْلَكة » من الألفاظ التاريخية القديمة وزنها مَفْعلة . وجاء في ديوان الأدب في باب مفعل بفتح الميم والعين ، ومما ألحقت الهاء في هذا البناء مملكة : مفعلة [3] .

وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ بقوله : والحكم هاهنا الحكم هناك ، ولولا ذلك ما قامت مملكة ولاثبتت دولة [4] . وفي اللسان : المملكة : سلطان الملك في رعيته . ويقال طالت مملكته وساءت مملكته وحسنت مملكته وعظم

(١) اللسان جـ ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) التاج جـ ٤ ص ١٦٩ .

(٣) ديوان الأدب الفارابي جـ ١ ص ٢٨٢ .

(٤) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

ملكه وكثر ملكه . قال ابن سيده : الملك والملك والملك احتواء الشيء والقدرة على الاستبدادية ، والمَمْلَكة والمَمْلُكة : سلطان الملك وعبيده [1] . وفسرت كتب اللغة لفظة المملكة وجاءت لها بالأوزان المختلفة ، فابن قتيبة يصنف هذه اللفظة في باب ما جاء على مفعلة وفيه لغتان مفعلة ومفعلة بفتح الميم مع فتح العين أو ضمها مملكة ومملكة قال : عبد مَمْلَكة ومَمْلُكة « إذا ملك ولم يملك أبواه » [2] . فكلمة مملكة تعد من تلك الكلمات التى عرفتها العربية واستمر استخدامها عند الجاحظ .

ولاية من الألفاظ التاريخية الحضارية القديمة وزنها على فِعالة ، يقول ابن قتيبة وِلاية ووَلاية من المولات من باب فَعالة وفِعالة[3] . وردت عند الجاحظ بقوله : ولو قال أسلم فلان كان حكمه المحبة والولاية : فإذا كانوا كلهم قد قالوا : أسلم على وحكم أسلم يثبت الاختيار وإجابة الولاية »[4] . فسر صاحب اللسان الولاية من ولي الشيء وولي عليه وِلاية ووَلاية عن ابن سيده وقيل : الوِلاية الخطة كالإمارة ، والوَلاية المصدر وقال ابن السكيت : الوِلاية بالكسر السلطان ، والوَلاية والوُلاية النصرة . وقال سيبويه: الوَلاية بالفتح ، المصدر ، والوِلايـة ، بالكسر الاسم . وتولاه : اتخذه وليا وإنه لـبين الولاية والولية والتولي والولاء والوِلاية والـوَلاية وكذلك ولي الوالي البلد »[5] وجاء في التاج الوَلاية بالفتح في النسب والنصرة والعتق والوِلاية بالكسر في الإمارة والولاء ، وعن الصحاح ورد قول لابن السكيت هم على ولاية أى مجتمعين في النصرة يروي بالكسر والفتح جميعًا » [6] .

(١) اللسان جـ ٣ ص ٥٢٨ وانظر التاج جـ ٧ ص ١٨١ .

(٢) ادب الكاتب ابن قتيبة ص ٤٥٠ .

(٣) ادب الكاتب ابن قتيبة ص ٤٤٣ .

(٤) العثمانية ص ٢٠ .

(٥) اللسان جـ ٣ ص ٩٨٤ .

(٦) تاج العروس جـ ١ ص ٣٩٩ .

وزير الجمع وزراء جاءت على وزن فعلاء بضم ففتح ممدودا ويطرد في وصف مذكر عامل على زنة فعيل بمعنى فاعل [(1)] . وقد وردت الأخيرة عند الجاحظ بقوله : والمكارم الباقية المأثورة مع ما تضمنته من سير الملوك والخلفاء ووزرائهم وأتباعهم [(2)] قال الزبيدي نقلا عن الجوهري : الوزير الموازر كالإكيل المواكل لأنه يحمل عنه وزره أي ثقله ، وقد استوزر فلان فهو يوازر الأمير ويتوزر له ووازره الأمر أعانه وقواه والأصل آزره . وقال ابن سيده : ومن هنا ذهب بعضهم إلى أن الواو من الهمزة أبعد ، وقال الزمخشري : وزير الملك الذي يوازره أعباء الملك أي يحامله وليس من الموازرة المعاونة لأن واوها عن الهمزة والفعل منها أزير (وحالة الوزارة بالكسر وبفتح) والكسر أعلي والجمع أوزار كشريف وأشراف ووزراء والعامة تقول الوزر محركة وعن أبي عمرو أوزره أحرزه ، ونص أبي عمر وأحرز به ويقال أوزره الشيء إذا ذهب به وأعبأه كاستوزره أوزره فهو موزر جعل له وزرا يأوي إليه أي ملجأ ، والوزير والموازر كالجليس المجالس ويقال وآزره على الأمر وآزره والأول - أفصح . والوزير علم من الأعلام » [(3)] .

الحاجب « على وزن فاعل هو ما اشتق من مصدر المبني للفاعل ، لمن وقع منه الفعل وتعلق به . وحاجب من الفعل الثلاثي حجب فعل » [(4)] وردت عند الجاحظ في أماكن عديدة من كتاباته حتى أنه خصص إحدي رسائله للحجاب ، وقال في هذه الرسالة : قال الفضل بن يحيى : إن حاجب الرجل عامله على عرضه [(5)] قال صاحب اللسان : الحاجب البواب ، صفة غالبة ،

---

(١) شذا العرف الحملاوي ص ١٠٨ .

(٢) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٣٧ .

(٣) تاج العروس جـ ٣ ص ٦٠٢ وانظر اللسان جـ ٣ ص ٩١٨ .

(٤) شذا العرف الحملاوي ص ٧٥ .

(٥) كتاب الحجاب ص ٤١ .

وجمعه حجبة وحجاب وخطته الحجابة . وحجبه : أي منعه من الدخول . وفي الحديث : قالت بنو قصي : فينا الحجابة ، يعنون حجابة الكعبة وهي سدانتها وتولي حفظها وهم الذين بأيديهم مفاتيحها وحاجب الأمير : معروف ، وجمعه حجاب ، وحجب الحاجب يحجب حجبا . واستحجبه : ولاه الحجبة . والحجابة : ولاية الحاجب . وحاجب كل شيء : حرفه [1] . وقال ابن قتيبة : حاجب الرجل حارس عرضه ، وقال : وقرأت في التاج أن أبرويز قال لحاجبه : لاتقدمن مستغيثا ولاتضعن ذا شرف بصعوبة حجاب ولاترفعن ذا ضعة بسهولته وضع الرجال مواضع أخطارهم [2] .

حاشية من الألفاظ الحضارية القديمة ووزنها على فاعلة اسما أو صفة[3] من الفعل حشا : فعل . وقد وردت عند الجاحظ في كلامه وهو يحدد هؤلاء الناس الذين يتسمون بالحاشية قال : وفرض لسوى هؤلاء النفر من العجم من الحاشية والعوام[4] قال صاحب اللسان : الحشو من الكلام : الفضل الذي لايعتمد عليه . وكذلك من الناس . وحشوة الناس : رذالتهم وفلان من حشوة بني فلان ، بالكسر أي من رذالهم . وتحشي في بني فلان إذا اضطموا عليه وآووه . وجاء في حاشيته أي في قومه الذين في حشاه . وهؤلاء حاشيته أي أهله وخاصته ، بالنصب أي في ناحيته وظله[5] وكلمة الحاشية استمرت مع الزمن على مر العصور وانتشر استخدامها في العصر العباسي .

(١) اللسان جـ ١ ص ٥٦٨ وانظر التاج جـ ١ ص ٣٠٢ .
(٢) عيون الأخبار ابن قتيبة جـ ١ ص ٨٥ - ٨٤ .
(٣) شذا العرف الحملاوي ص ١٠٨
(٤) العثمانية ٢١٣ .
(٥) اللسان جـ ١ ص ٦٤٧ وانظر التاج جـ ١ ص ٨٩ .

الجمهور لفظة حضـارية قديمة . ووزنها جاء علـى « فعلول » [1] من باب فعلال وفـعلول [2] وأصلـها من الـفعل « جمـهر » فعـلل . وقد وردت عـند الجاحظ بقوله : هـكذا ظاهر هذه القضية وجمـهور هذه الحكومة[3] وجاء في اللسان : جـمهور كل شيء : معـظمه ، وجمهور الـناس جلهم . وجمـاهير القوم أشرافـهم . وفي حديث ابن الزبـير قال لمعاوية : إنا لانـدع مروان يرمي جماهـير قريش بمـشاقصه أي جـماعاتهـا ، واحدها جمـهور وجمهـرت القوم جمعتهم [4] . ويعقب الـزبيدي على ما جاء فـي اللسان فيقـول : في التاج : الجمهـــور بالضـم قال شـيخنا هذا هو المـشهور والمعروف الذي يـجب الوقوف عنده ، وما حـكاه ابن التلمسـانى في شرحه على الـشفاء من أنه يقال بـالفتح ونقله شيخنا الزرقاني في شرح الذهب ، قال شيخ شيوخنا الشهاب إن ما نقله التلمسانـي من الفتح غريب وقد تقرر عـندهم أنه ليس لهم فعلـول بالفتح فلا سماع ولاقياس يثبت به هذا الفتح[5] والجمهور كلمة معروفةمنذ العصور البعيدة فهي لفظة ذات جـذور حضارية وقويت هذه الجذور في عصـر الجاحظ وأصبح لها استعمالات كثيرة .

جِلّة من الألفاظ الحضاريـة القديمة وزنها فِعْلة بكسر فـسكون ، ولـم يطرد في شيء بل سمع في ألفاظ [6] . وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ فقال : شيوخا من جِلّة الشيعة ، وكهولا من أبنـاء رجال الدولة والمنسوبين إلى الطاعة

(١) ديوان الأدب الفارابى جـ ٣ ص ١١٢ .

(٢) أدب الكاتب ابن قتية ص ٤٥٢ .

(٣) البيان والتبين جـ ١ ص ١٢ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ٥٠٦ .

(٥) تاج العروس جـ ٣ ص ١١٠ .

(٦) شذا العرف الحملاوي ص ١٠٣ .

والمناصحة [1] ،وقد فسر صاحب اللسان لفظة الجلة فقال : قوم جِلة : ذوو أخطار وعن ابن دريد مشيخة جلة أي مُسَّان ، والواحد منهم جليل . وجل الرجل جلالا فهو جليل : أسن وفي حديث الدعاء : اللهم اغفر لي ذنبى كله دقه وجله أي صغيره وكبيره[2] ، وفي التاج قال الزبيري : قوم جلة بالكسر وجل جلالة عظم قدره فهو جليل [3] .

بَوْش على وزن فَعْل فهو اسم جمع قال عنه سيبويه اسم جمع لامفرد من لفظه يقع على الجميع ولم يكسر عليه واحدة[4] وقال الفارابي بوش من باب فعل بفتح الفاء وتسكين العين[5] وقد ذكر هذه اللفظة الجاحظ في حديثه عن الدور وصيانتها وسكانها قال : وإذا كثر الصبيان ، وتضاعف البَوْش نزعت مسامير الأبواب ، وقلعت كل ضبة ونزعت كل رزة وكسرت كل حوزة[6] . وفي اللسان فسرت لفظة البوش بالجماعة الكثيرة وعن ابن سيده البوش والبوش : جماعة القوم لايكونون إلا من قبائل شتي، وقيل : بوشي بائشي ، والأوباش جمع مقلوب منه ، والبوش الرجل الفقير الكثير العيال . وقيل البوش : الجماعة والعيال ، وقيل : هما الكثرة من الناس ، وقيل الجماعة من الناس المختلطين . وجاء من الناس الهوشي والبوش أي الكثرة وعن أبي زيد وبوش القوم : كثروا واختلطوا وتركهم هوشًا بوشا أي مختلطين[7] ، وفي

(١) مناقب الترك ص ٨ .

(٢) اللسان جـ ١ ص ٤٨٧ .

(٣) التاج جـ ٧ ص ٣٥٩ .

(٤) الكتاب جـ ٢ ص ٢٠٣ .

(٥) ديوان الأدب جـ ١ ص ٩٣ .

(٦) البخلاء ص ٨٢ .

(٧) اللسان جـ ١ ص ٢٨٧ .

التاج قال الفراء : وباش يبوش بوشا إذا صحب البوش وهم الغوغاء عن ابن الأعرابي [1] .

خَوَل على وزن فعل اسم جنس إفرادي وهو ما يصدق على القليل والكثير[2] ذكرها الجاحظ في أماكن عديدة ومعها مشتقاتها المتنوعة فقال : وكل ما نقله كتابها للإنسان خول ومتاع إلى حين [3] وقال في رسائله : قالوا : ومنا المغول وبنوه ، وهم من الخول ، ليس في الأرض أعرف ولا أثقف ولا أعلم بالبادية منهم [4] وجاء بالفعل أيضًا من هذه اللفظة فقال : وتستوى لهم الرياسة على طغام الناس ورعاعهم ويستخولون رعاتهم وقومهم[5] . قال صاحب اللسان خول ، وخول ، وخوله المال : أعطاه إياه ، وقيل أعطاه إياه تفضلاً . وخول الرجل : حشمه الواحد خائل ، وقد يكون الخول واحدا وهو اسم يقع على العبد والأمة قال الفراء : هو جمع خائل وهو الراعي وقال غيره : هو مأخوذ من التخويل وهو التمليك . قال ابن سيده : الخول ما أعطي الله سبحانه وتعالي الإنسان من النعم الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء ، وهو مما جاء شاذا عن القياس وإن اطرد في الاستعمال ، وقال الفراء : القوم خول فلان ، ومعناه أتباعه ، وقال : خول الرجل الذى يملك أمورهم وخولك الله مالا أي ملكك . وخال يخول خولا إذا صار ذا خول بعد انفراد . والتخول : التعهد وتخول الرجل : تعهده . والخول ما أعطي الله سبحانه وتعالي الإنسان من النعم .

(١) التاج جـ ٤ ص ٣٨٤ .

(٢) شذا العرف الحملاوي ص ١١٦ .

(٣) كتاب القيان ص ١٤٦ .

(٤) فخر السودان على البيضان ص ١٩٣ .

(٥) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٣٩ .

واستخول في بني فلان : اتخذهم أخـوالا والاستخوال : مثل الاستخيال من أخيلته المال إذا أعرته ناقة لينتفع بألبانها وأوبارها [1] .

مُعَلْهِج جاء وزنها على مفعلل من الفعل علج : فعل[2] وهو وزن المفعول من الرباعي وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ بقوله : وكلهم مع ذلك عربي خالص غير مشوب ولا معلهج[3] وفسرت المعاجم العربية لفظة المعلهج وكذلك كتب اللغة تناولـت هذه اللفظة بالشرح الطويل المسهـب . ففي اللسان جاء أن المعلهج هو الذي ولـد من جنسين مختلفين ، وعن ابن سـيده : المعلهج الذي ليس بـخالص النـسب . وقال الجوهري الـهجين . وقال الـليث : المعـلهج : الرجل الأحمـق الهـذر اللئيم [4] . وفـي التاج المـعلهج بمعني الهـجين بزيادة الهاء ، وحكم الجوهـري الهاء غلط . وقال شيخنا : لاغلـط فإن أئمة الصرف قاطبة صرحوا بزيادة الهاء فيه ، ونقله أبـو حيان في شرح التسهيل وابن القطاع في تعريـفه وغير واحد ، فلا وجه لـلحكم عليه بـالغلط في موافقـة الجمهور والجري على المـشهور واستدراك صاحب التـاج فقال : ومما يستدرك عـليه في هذه المادة العلج بالكسر الرجل الشديد الغليظ[5] . ومن كتب اللغة التي تناولت هذه اللفـظة بالشرح كتاب الـقالي وقد ذكر القالي لـفظة المعلهج فـي باب الهاء والعين إذا اجتـمعتا ، قال أبو على ، قـال ابن الأعرابي : المعلهـج الذي ليس خالص النسب ونقل عن الخليل قولـه : المعلهج الأحمق الهذر اللئيم [6] ونري

(١) اللسان جـ ١ ص ٩٢٢ وانظر التاج جـ ٧ ص ٣١٢ .

(٢) تهذيب اللغة جـ ٣ ص ٢٦٥ .

(٣) مناقب الترك ص ١٠ .

(٤) اللسان جـ ٣ ص ٨٧٣ .

(٥) التاج جـ ٢ ص ٧٦ .

(٦) البارع للـقالي ص ١٨٥ – ١٨٦ وقد ورد في هـذه المادة عنده شاهـدان ، أحدهما منسـوب إلى أبي الجون الخزاعي .

أن كلمة المعلهج من الكلمات الحضارية القديمة ، وقد وردت عند الجاحظ استمرارا لاستخدامها اللغوي في لغة أهل عصره والعصور السابقة إذ أنها تهتم بأصول الأشخاص المنتمين إلى القبائل العربية ، وهكذا استمرت معهم ومع حضارتهم في العصر العباسي .

أُلاَّف جاءت على وزن فُعَّال وهذا الوزن فيه أقوال إذ يعده سيبويه سماعيا[1] ويعده الرضي اسم جمع ويصنفه ابن قتيبة في باب فُعَّال جمعا لفعيل قال : وإذا أرادوا المبالغة شددوا [2] . لفظة حضارية قديمة وردت عند الجاحظ في كتاباته فقال : إن - احترست منك ألفيت لنفسي كدا شديدا وغما طويلا ، وطال اغترابي وافتراق ألأُفي وتعرضت للعدو[3] . فسر صاحب اللسان ألأَف جمع أليف ، ويقال : فلان أليفى وهم ألأفي . يجوز الألاف وهو جمع أليف والألأَف جمع ألف ، وقد ائتلف القوم ائتلافا وألف الله بينهم تأليفا . وقال ابن الأعرابي : وألف الشيء ألفا وألافا وولافا . وعن ابن الأعرابي أيضًا وشارطه مؤالفة أي على ألف ، وألف الشيء ألفا وألفانا وألفة : لزمه وآلفه إياه ألزمه . وقال أبو زيد : ألفت الشيء وألفت فلانا إذا أنست به وألفت بينهم تأليفا . إذا جمعت بينهم بعد تفرق ، وآلفت فلانا الشيء إذا ألزمته إياه أولفه إيلافا . والألف : الأليف . يقال : حنت الألف . وجمع الأليف الائف مثل أفيل وأفائل[4] وقال الزبيدى في معجمه الألف بالكسر الأليف تقول حن فلان إلى فلان حنين الإلف إلى الإلف والجمع آلاف وجمع الأليف الائف مثل تبيع وتبائع .

---

(١) الكتاب جـ ٢ ص ١٩٦ .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٤٤٠ .

(٣) في الجد والهزل ص ٣٥١ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ٨٣ ورد هنا شاهد منسوب لذي الرمة فيه لفظة آلاف .

والألوف كصبور الكثير الألفة والجمع ألف ككتب . وهو آلف ككاتب والجمع أُلاَّف ككُتَّاب وفي الحديث المؤمن آلف مألوف وهي آلفة جمع آلفات وأوالف . وتألف فلان فلانا إذا داراه وآنسه وقاربه وواصله فيما يصل إليهم من المال وتألف القوم تألفا اجتمعوا كائتلفوا ائتلافا [1] . وتعد هذه اللفظة من الألفاظ التى تتناولها الألسن في كل عصر وأوان فهي ذات صلة وثيقة بالنفس البشرية على مر العصور .

عَامَّة جاءت على وزن فعلة من الفعل عمم : فعل . وهى من الألفاظ الحضارية القديمة التى وردت عند الجاحظ متلازمة مع لفظة خاصة على وزن فعلة ، قال الجاحظ : « والعامة لم يصل ذكر هؤلاء إليهم إلا من قبل الخاصة ، والخاصة لم تذكر هؤلاء دون أولئك ، فتركت تحصيل الأمور والموازنة بين الرجال وحكمت بالسابق إلى القلب ، على قدر طباع القلب وهيبته ، ثم استوت علل العامة في ذلك وتشابهت »[2] . وقال : « والمعلمون عندي على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة[3] وفسر صاحب اللسان هذه اللفظة فقال : والعامة : خلاف الخاصة قال ثعلب : سميت بذلك لأنها تعم بالشر . ويقال رجل عمى ورجل خصى ، فالعمي العام ، والخصى الخاص . وفي الحديث : كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءا لله ، وجزءا لأهله ، وجزءا لنفسه ، ثم جزءا جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ، أراد أن العامة كانت لاتصل إليه في هذا الوقت ، فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه ، فكأنه وصل الفوائد إلى العامة بالخاصة[4] . وقال الزبيدي في معجمه

(١) تاج العروس جـ ٦ ص ٤٤ - ٤٦ .

(٢) الحيوان جـ ٢ ص ١٠٤ .

(٣) البيان والتبين جـ ١ ص ١٧٤ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٨٩٠ .

التاج : العامة : بتشديد الميم وقال ثعلب إنما سميت عامة لأنها تعم بالشر وقال الراغب لكثرتهم وعموميتهم في البلاد . والعمم اسم جمع للعامة وهي خلاف الخاصة[1] . وتعلق الدكتورة وديعة على استعمال لفظة العامة والخاصة عند الجاحظ فتقول : يميز الجاحظ بين طبقتين : خاصة وعامة والسبب كما يبدو هو أنّ الناس عند الجاحظ كلهم من طبقتين : خاصة وعامة[2] . ويصف الجاحظ العامة بصفات تتشابه مع السفلة من الطبقات الدنيا للمجمع العباسى فيقول : والعامة والباعة والأغبياء والسفلة كأنهم أعذار عام واحد وهم في باطنهم أشد تشابها من التوأمين في ظاهرهما وكذلك هم في مقادير العقول وإن اختلفت الصور والنعم [3] وزن عامة فعلة من الفعل عمم : فعل .

عِتْرة على وزن فِعْلة من الفعل عتر : فعل والعتر : مصدر عتر يعتر عترار إذا اضطرب[4] . من الألفاظ الحضارية ذات الجذور القديمة وردت عند الجاحظ بقوله : « وعلى أبرار عترته الطيبين الأخيار » [5] قال صاحب اللسان عترة الرجل : أقرباؤه من ولد غيره ، وقيل : هم قومه دينا ، وقيل هم رهطه وعشيرته الأدنون من مضى منهم ومن غبر . ومنه قول أبى بكر ﷺ : نحن عترة رسول الله ﷺ التى خرج منها وبيضته التى تفقأت عنه . وقال أبو عبيدة وغيره : عترة الرجل أسرته وفصيلته ، وقال ابن الأثير : عترة الرجل أخص أقاربه . وقال ابن الأعرابي : العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه[6] . وفي تاج العروس تفصيل أكثر لكلمة عترة وهي نسل الرجل

(١) تاج العروس جـ ٨ ص ٤١٠ - ٤١١ .

(٢) الجاحظ والحاضرة العباسية د. وديعة طه النجم ص ٨٤ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ١٠٥ .

(٤) إصلاح المنطق ابن السكيت ص ٢٨ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٩٨ .

(٦) اللسان جـ ٢ ص ٦٧٦ .

وأقرباؤه من ولد وغيره . وقال ابن سيده : عترة الرسول ﷺ ولد فاطمة رضي الله عنها . وقال : وعترة النبي ﷺ عبد المطلب وولده ، وقيل عترته أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده وقيل عترته الأقربون والأبعدون منهم ، ومنه حديث أبى بكر رضي الله عنه قال النبى ﷺ حين شاور أصحابه في أساري بدر عترتك وقومك أراد بعترته العباس . ومن كان فيهم من بني هاشم وبقومه قريشا ، والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته وهم الذين حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة وهم ذوو القربي الذين لهم الخمس المذكور في سورة الأنفال (١) .

من نص الجاحظ يتبين لنا أن كلمة عترة بمعني أهل البيت المقربون لمن تخصه العترة فهم أولاده وذريته والجاحظ كان يقصد في نصه عترة النبي ﷺ .

مَحَلَّة على وزن مفعلة من الفعل حل : فعل وردت في كتابات الجاحظ وتناولتها الكتب التاريخية واللغوية فهي من ألفاظ الحضارة القديمة ، قال الجاحظ : نقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة (٢) وقال : ولكن محلة شيخ(٣) ومن المؤرخين الذين تناولوا التنظيمات الخاصة بالمحلة العباسية الطبري فقال : كان من واجبات الشيخ في المحلة أن يكون واسطة بين أبناء محلته والسلطة(٤) . ويقول التوحيدي : كما أن الحكومة كانت تستعين به لمعرفة شؤون محلته كمعرفة الفقراء أو مرتكبي الجرائم بها (٥) . والشيخ له فاعليات

(١) تاج العروس جـ ١ ص ٣٨٠ .
(٢) مناقب الترك ص ٢٨ .
(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٢٠ .
(٤) تاريخ الطبري جـ ٩ ص ٣٣٥ .
(٥) الامتاع والمؤانسة التوحيدى جـ ٣ ص ٢٦ .

متعددة بالنسبة لمحلته فنري التنوخي يذكر أن شيخ المحلة يحضر عادة مراسيم عقد الزواج مع القاضي(١) . وقال ابن الجوزي : إن شيخ المحلة كان له مجلس يجتمع فيه أفراد محلته للسمر والحديث (٢) . ويشير ابن الأثير إلى أن سكان كل محلة كانوا يشعرون بنوع من الرابطة المتينة بينهم فكان أهل كل محلة يتعصبون لمحلتهم ضد المحال الأخرى(٣) . أما أصحاب المعاجم فقد تناولوا لفظة المحلة بالتفسير والرجوع بها إلى جذورها الأصلية ، فصاحب اللسان يقول حل بالمكان يحل حلولا ومحلا وحلا وحللا بفك التضعيف نادر وذلك نزول القوم بمحلة وهو نقيض الارتحال قال : ويكون المحل الموضع الذي يحل فيه ويكون مصدرا . وإذا قلت المحل بكسر الحاء فهو من حل يحل أي وجب يجب قال الله عز وجل : وقد بلغ الهدي محله ، أي الموضع الذي يحل فيه نحره ، والمصدر من هذا بالفتح أيضًا . والمكان بالكسر والحلة : مجتمع القوم هذه عن اللحياني . والمحلة : منزل القوم . وهو بكسر الحاء يقع على الموضع والزمان (٤) .

وهذه اللفظة تعد من الألفاظ الحضارية القديمة منذ أن عرف العرب الاستيطان وهذا ما قصده الجاحظ باستخدامه لهذه اللفظة .

قَيِّم على وزن فيعل من الفعل قوم : فعل قال الجاحظ في حديثه عن أحد الكتاب : « ولم يزل بمكانه في ديوانه قيما لابن أبي خالد الأحول » (٥) وفي اللسان : القيم السيد وسائس الأمر . وقيم القوم : الذي يقومهم ويسوس

(١) الفرج بعد الشدة التنوخي جـ ٢ ص ٢٢٤ .

(٢) المنتظم ابن الجوزي جـ ٥ ص ١٠٨ .

(٣) الكامل لابن الأثير جـ ٩ ص ٤١٨ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ٧٠٣ وانظر التاج جـ ٧ ص ٣٨٤ ولهذه اللفظة ورد في التاج شاهد منسوب للنابغة .

(٥) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٢ .

أمرهم . وفي الحديث ما أفلح قوم قيمتهم امرأة . وقيم المرأة : زوجها في بعض اللغات[1] . وقال الزبيدي هو قيم أهل بيته كعنب بمعني قيام به ، قريء قوله تعالى : ﴿ جعل الله لكم قيما ﴾ أي بها تقوم أموركم وهي قراءة نافع . وقيم الأمر : ككيس مقيمه وأمر قيم مستقيم وخلق قيم حسن ودين قيم مستقيم . وقال الفراء الأصل في قيم قويم على فعيل إذ ليس في أبنية العرب فيعل وقال سيبويه وزنه فيعل وأصله قيوم والقوام المتكفل بالأمر ، وأيضًا كثير القيام بالليل وقام إلى الصلاة هم بها وتوجه إليها بالعناية والقيامة بعد الأذان معروفة وجمع قيم عند كراع قامة . وقال الزجاج قيم مصدر كالصغر والكبر أي الاستقامة [2] .

والقيم لفظة حضارية قديمة وردت في الشعر الجاهلي واستمرت إلى أن جاء عصر الجاحظ وكثر استخدامها اللغوي .

طوّافون من الألفاظ الحضارية القديمة وجاءت هنا جمعا لمذكر سالم من المفرد طواف . ذكرها الجاحظ في حديثه عن أصحاب المهن قال : « القرادين والمتكسبين والطوافين »[3] الطواف في اللسان فقال شبهها بالخادم الذي يطوف على مولاه ويدور حوله أخذا من قوله تعالى : ﴿ ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم ﴾ ولما كان فيهم ذكور وأناث قال : الطوافين والطوافات . وقال أبو الهيثم : الطائف هو الخادم الذي يخدمك برفق وعناية وجمعه الطوافون . وقال النبي ﷺ في المهرة : إنما هي من الطوافات في البيت أي من خدم البيت [4] .

(١) اللسان جـ ٣ ص ١٩٤ .

(٢) تاج العروس جـ ٩ ص ٣٧ ، وقد وردت في هذه المادة شاهد منسوب إلى كعب بن زهير .

(٣) الحيوان جـ ٦ ص ٢٨ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٦٢٧ .

وفي تاج العروس قال أبو الهيثم وقال ابن دريد الطوافون الخدم والمماليك[1] . وقال ابن قتيبة طاف حول الشيء يطوف طوفا وطوافا وطاف الخيال يطيف طيفا وأطاف يطاف أطياف إذا قضي حاجته وأطاف به يطيف أطافه إذا ألم به [2] .

الناشد على وزن فاعل من الفعل نشد : فعل ذكرها الجاحظ فقال : فوالله ماشعرت إلا والناشد قد جاءني وهو يطلب جعله[3] . قال صاحب اللسان الناشد : المعرف وغيره أراد بالناشد أيضًا رجلا قد ضلت دابته فهو ينشدها أي طلبها . قال : وهذا من عجيب كلامهم أن يكون الناشد الطالب والمعرف جميعا . ومما يبين لك أن الناشد هو الطالب حديث النبي ﷺ ، حين سمع رجلا ينشد ضالة في مسجد فقال : يا أيها الناشد غيرك الواجد . معناه لا وجدت ، وقال ذلك تأديبا له حين طلب ضالته في المسجد ، وهو من النشيد : رفع الصوت [4] .

أما الزبيدي فهو يشرح لفظة الناشد بإسهاب مع الشواهد والأمثلة فيقول في الناشد : قال كراع في المجرد وابن القطاع في الأفعال يقال نشدت الضالة طلبتها وعرفتها . ونشد فلانا عرفه بتخفيف الراء معرفة وروي عن المفضل الضبي أنه قال زعموا أن امرأة قالت لابنتها احفظي بيتك ممن تنشدين أي لاتعرفين . ونشد بالله استحلف . وقال ابن الأثير : النشدة مصدر وأما نشدك فقيل إنه حذف منها التاء وأقامها مقام الفعل وقيل هو بناء مرتجل كعقدك الله

(1) تاج العروس جـ ٦ ص ١٨٥ .

(2) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٢٦٣ .

(3) الحيوان جـ ٦ ص ٤٦١ .

(4) اللسان جـ ٣ ص ٦٣٤ . وقد ورد شاهد ذكره أبو عمر بن العلاء منسوبا لأبي داود فيه هذه اللفظة الحضارية القديمة التي حدد الجاحظ مفهومها في نصه .

وعمرك الله . وقال شيخنا في قوله وأصله نشدتك طلبت إيماء إلى أنه مأخوذ من نشد الضالة إذا طلبها ، وصرح به غيره ، وفي المشارق للقاضي عياض أصل الإنشاد رفع الصوت ومنه إنشاد الشعر . وفي المحكم أنشد الضالة عرفها واسترشد عنها .

وفي الحديث في حرم مكة لايختلي خلاها ولاتحل لقطتها إلا لمنشد قال أبو عبيد : المنشد المعرف قال والطالب هو الناشد . وحكى اللحياني في النوادر نشدت الضالة إذا طلبتها وأنشدتها ونشدتها بغير ألف إذا عرفتها ، قال ويقال : أشدت الضالة أشيدها إشادة إذا عرفتها ، وقال الأصمعي كل شيء رفعت به صوتك فقد أشدت به ضالة كانت أو غيرها .

ومما يستدرك عليه الناشدون الذين ينشدون الإبل ويطلبون الضوال فيأخذونها ويحبسونها على أربابها وفي حديث عثمان فأنشد له رجالا أي أجابوه ، وهذه الألف تسمي ألف الإزالة .

أمارة جاءت على وزن فعالة من الفعل أمرويصاغ المصدر من هذا الوزن فعل يفعل على فعالة[1] . وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ بقوله لأحدهم « كل من كان بالصحاصح الأماليس حيث لا أمارة ولا هادي ، مع حاجته لبعد الشقة – مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤديه » [2] . وفسر صاحب اللسان لفظة أمارة بالعلامة ، وقال : الأمار جمع الأمارة ومنه الحديث : فهل للسفر أمارة ؟ والأمارة والأمار : الموعد والوقت المحدد ، وهو أمار لكذا أى علم . وعم ابن الأعرابي بالأمارة الوقت فقال : الأمارة الوقت ، ولم يعين أمحدود أم غير محدود ؟ وعن أبى عمرو قال : الأمرات : الأعلام ، واحدتها أمرة ،

(١) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٥٠٨ .

(٢) الحيوان جـ ٦ ص ٣٠ .

وقال غيره : وأمـارة مثل أمرة . وكل علامـة تعد فهي أمارة . وتـقول : هي أمارة ما بـيني وبينـك أي علامة . وقال ابن سـيده : الأمرة العلامـة والجمع كالجمع ، والأمار الوقت والعلامة [1] . وفي التاج جاء الحديث الذي ذكره ابن مسعود عن الأمار قال : ابعثوا بالهدي واجـعلوا بينكم وبينه يوم أمار « والأمار والأمرة العلامة » [2] وقال الهمذاني موردا تفسيـرا للفظة أمارة والجمع أمارات فهي عنده تـعني العلامة وجمعـها علامات قال : هذه علامات الـيمن وأمارات الخير وتبـاشير النصر وآية من آيـات الساعة أى علامة من عـلاماتها[3] . ومن نص الجاحظ نفهم معني الأمارة هذه اللفظة التاريخية القديمة والمعاجم وضحت صورتها وأبعادها وإن كان الجاحظ واضحا في ذكره لهذه الكلمة وما تعنيه .

تورية وزنها على تَـفْعِلة جاءت من الفعـل غير الثلاثي فتكـون في المصدر على فـعّل بتشديد العـين قال ابن قتيبـة : يجئ مصدر فعـلت على التفـعيل ، والفـعال ، وفي بنـات الياء والواو عـلى تفعـلة [4] ووردت هذه الـلفظة عـند الجاحظ في حديثه عـن المسائل الكلامية قال : فطنته عنـد الرشق والتورية فإن فضل الفـطنة ربما دل على فـرط الاكتراث » [5] قال صاحب اللـسان استوريت فلانا رأيا سألته أن يستخرج لى رأيا ، قـال : ويحتمل أن يكون من التورية عن الشـىء ، وهـو الكناية عنه ، ووريـت الخبر أوريه تورية إذا سـترته وأظهرت غيره ، كـأنه مأخوذ مـن وراء الإنسان لأنه إذا قـال وريته فكـأنه يجعـله وراءه حيث لايظهر [6] .

(١) اللسان جـ ١ ص ٩٨ وقد أورد صاحب اللسان شاهدا منسوبا للعجاج يذكر فيه لفظة أمارة .

(٢) تاج العروس جـ ٣ ص ١٩ .

(٣) الألفاظ الكتابية الهمذاني ص ٤٦ .

(٤) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٥٠٩ .

(٥) في الجد والهزل ص ٢٣٧ .

(٦) اللسان جـ ٣ ص ٩١٦ .

وفـي التـاج وري الخبر تـورية سـتره مـأخوذ من وراء الإنـسان كـذا في الصحـاح ، وقال كراع ليس مـن لفظ وراء لأن لام وراء همـزة ووري عن كذا أراده وأظهر غـيره وفي الحديث كان إذا أراد سـفرا ورى بغيره أى سـتـره وكني عنه ومنه أخـذ أهل المعاني والبيان الـتورية ووري عنه تورية نصـره ودفعه عنه وهو نص ابن الأعرابي[1] هذه اللفظة تبين لنا المـباحث الكلامية وإلى أي مدي وصلت في ذلك الـعصر العباسي الزاهر وكـيف استخدمها الجاحظ فـي كتاباته فهي متداولة في لغة أهل عصره والعصور السابقة .

إمام جاءت على وزن فِعَال وهو مصدر للفـعل أمم ، قال ابن قتيبة ويجئ مصدر فاعلت على فعال[2] وذكر الجاحظ الإمام فقال يصف تأويل أبى لقمان : « حين جعل الإمام جـزءا لايتجزء » [3] وقال يصف مذهـب الروافض : وإنما صارت الروافض إلى إكفـار الأنصار والمهاجرين بزعمهـم أن النبي ﷺ نص إمامته ودل على فـضيلته »[4] في هذا النـص ذكر الجاحظ لفظـة الإمامة وهى تلازم لفظـة الإمـام أحيانا وتمت لها بـالصلة ووزن إمامة فعالـة من نفس مادة إمـام ، أمـا المعاجم العـربية فلها مـع هذه اللفظـة حديث طويل قـال صاحب اللسان : يقال : فلان إمـام القوم معناه هو المتقدم لهم - ويـكون الإمام رئيسا كقولك إمام المسلمين ، ويكون الكتاب قال الله تعالى : ﴿ وإنهما لبإمام مبين ﴾ ويكون الإمام المثال ، والـدليل : إمام السفر . وقوله عز وجـل : ﴿ واجعلنا للمتقين إمـاما ﴾ قال أبو عبيدة : هو واحد يدل علـى الجمع . وقيل : الإمام جمع آم كصاحب وصحاب ، وقيل : هو جمع إمام ليس على حد عدل ورضا لأنهم قد قالوا إمـامان ، وإنما هو جمع مكسر ، قال ابن سيـده : أنبأني بذلك

(١) تاج العروس جـ ١٠ ص ٣٨٩ وذكر صاحب التاج هذه اللفظة في شاهد منسوب للفرزدق .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٥٠٨ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٣٨ .

(٤) العثمانية ص ١٣٩ .

أبو العلاء عن أبى على الفارسى قال : وقد استعمل سيبويه هذا القياس كثيراً قال : والإمة والإمام[1] . وقال صاحب التاج ما قاله الجوهرى : الإمام الذى يقتدى به والجمع بلفظ الواحد وجمع إمام أيمة على أفعلة فأدغمت الميم فنقلت حركتها إلى ما قبلها فلما حركوها بالكسر جعلوها ياء . وقال الأخفش جعلت الهمزة ياء لأنها في موضع كسر وما قبلها مفتوح إمام كمثال وأمثلة ولكن الميمين لما اجتمعتا أدغمت الأولى في الثانية وألغيت حركتها على الهمزة فقيل أئمة فأبدلت العرب من الهمزة المكسورة الياء . وعن معنى الإمام قال الخليفة إمام الرعية وقد بقى هذا اللقب على ملوك اليمن إلى الآن ، وقال أبو بكر يقال فلان إمام القوم معناه هو المتقدم عليهم[2] . وهذه اللفظة من الألفاظ الحضارية القديمة والتى استخدمها الجاحظ فى كتاباته كثيراً فجاءت تبين بعدا من أبعاد الحضارة .

نظائر نظائر على وزن فَعَائِل بالفتح وكسر ما بعد الألف ويطرد في الرباعى الذى مؤنثه على فعلية وثالثه مدة[3] . قال الجاحظ مورداً هذه اللفظة الحضارية القديمة : وعرفوا الشرائع والفروع ففرقوا ما بين الأشباه والنظائر[4] تفسير النظائر اللفظة فى اللسان هى المثل والشبه فى الأشكال ، والأخلاق والأفعال والأقوال ، قال الفراء : يقال نظيرة قومه ونظورة قومه للذى ينظر إليه منهم ، ويجمعان على نظائر ، وجمع النظير نظراء والأنثى نظيرة ، والجمع النظائر فى الكلام والأشياء كلها . وفي حديث ابن مسعود : لقد عرفت النظائر التى كان رسول الله ﷺ يقوم بها عشرين سورة من المفصل ، يعنى سور المفصل ،

(١) اللسان جـ ١ ص ١٠٢ .

(٢) التاج جـ ٨ ص ١٩٣ وذكر الزبيدى شاهدا للنابغة موردا فيه لفظة إمام .

(٣) شذا العرف الحملاوى ص ١٠٩ .

(٤) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٣٨ .

سميت نظائر لاشتباه بعضها ببعض فى الطول (١) .

قال الزبيدى : والنظائر الأفاضل والأماثل لاشتباه بعضهم ببعض فى الأخلاق والأفعال والأقوال . والنظيرة والنظورة نقله الصاغانى ويجمعان على نظائر وناظره صار نظيراً له فى المخاطبة ، وناظر فلانا بفلان جعله نظيره ومنه قول الزهرى محمد بن شهاب لاتناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله ﷺ . ومن المجاز ما كان هذا نظيراً لهذا ولقد أنظر به كما يقال ما كان خطيراً . وقد أخطر به وقال الأصمعى عددت إبلهم نظائر أى مثنى مثنى والنِظار ككتاب الفراسة (٢) .

هذه اللفظة الحضارية استخدمت فى عصر الجاحظ كثيراً وخاصة عند أصحاب علم الكلام فهى وإن كانت قديمة إلا أنها شاعت وكثر استخدامها فى العصر العباسى .

ظِهْرِىّ : على وزن فِعْلِىّ منسوب إلى الظهر ذكرها الجاحظ بقوله : وإذا تجاوز المطلوب مقدار وسعها وحاجتها فصار ظهريا وفضلا استخفت به وقل فى أعتيها كثيرة(٣) فسرت هذه اللفظة فى اللسان بقوله : واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيًّا ، أى لم تلتفتوا إليه وهو استهانة بحاجة الرجل ، وجعلنى بظهر طرحنى وظهر الشىء ظهورا ، ونقل عن ابن سيده : واتخذ حاجته ظهريا استهان بها كأنه نسبها إلى الظهر على غير قياس . ويقال للشىء الذى لايعنى به : قد جعلت هذا الأمر بظهر ورميته بظهر (٤) . وفسر صاحب التاج لفظة ظهريا فقال : هى من الاستظهار والاحتياط . ومنه قوله عز وجل حكاية عن شعيب واتخذتموه

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٦٦٦ .

(٢) تاج العروس جـ ٣ ص ٥٧٣ .

(٣) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥٥ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٦٥٦ .

وراءكم ظهريًا والجمع ظهاريّ مشددة ممنوعة من الصرف لأن ياء السنة ثابتة فى الواحد كذا فى الصحاح ومن المجاز ظهر بحاجتى كمنع . واتخذها ظهريا وظهرية أى خلف ظهر كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم . وقال ابن سيده واتخذ حاجته ظهريا استهان بها [1] .

واستخدام الجاحظ هذه اللفظة الحضارية القديمة دلالة على استمرارها ومعايشتها للعصر العباسى عصر الحضارة الزاهرة .

جُرْثُومَة من الألفاظ التى وردت عند الجاحظ وهى لفظة حضارية قديمة وقد ذكر الجاحظ لفظة الجرثومة فقال : الجرثومة وهى الطين والتراب يجمع حول النخلة ليقويها[2] قال صاحب اللسان جرثم : والجرثومة : الأصل ، وجرثومة كل شيء أصله ومجتمعه وقيل : الجرثومة ما اجتمع من التراب فى أصول الشجر ، عن اللحيانى وجرثومة النمل قريته . وقال الليث : الجرثومة أصل شجرة يجتمع إليها التراب . والجرثومة التراب الذى تسفيه الريح[3] ، وهى أيضًا ما يجمع النمل من التراب ، وفى حديث ابن الزبير : لما أراد أن يهدم الكعبة ويبنيها كانت فى المسجد جراثيم أى كان فيها أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من تراب أو طين ، أراد إن أرض المسجد لم تكن مستوية . واجرنثم القوم إذا اجتمعوا ولزموا موضعا وتجرثم الرجل : اجتمع ، وروى عن بعضهم : الأسد جرثومة العرب فمن أضل نسبه فليأتهم ، وفى الحديث : تميم برثمتها وجرثمتها ، الجرثمة هى الجرثومة وجمعها جراثيم وفى حديث على : من سرَّه أن يقتحم جراثيم جهنم فليقض فى الجد .

والجرثومة : الغلصمة . واجرنثم الرجل وتجرثم إذا سقط من علو إلى

(١) تاج العروس جـ ٣ ص ٣٧٣ ، وأورد الزبيدى فى معجمه شاهدا للفرزدق يذكر فيه هذه اللفظة .

(٢) البيان والتبين جـ ١ ص ٣٢٤ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ٤٣١ .

أسفل وجرثم : موضع . وفسر صاحب التاج لفظة جرثومة وجاء بما ذكره اللسان من تفاسير وإن أضاف بعض الإضافات قال : الجرثومة قرية النمل . والجرثومة الغلصمة وأبو ثعلبة الخشنى اختلف فى اسمه فقيل جرثوم بنى ناشر أو ناشم صاحبى ﷺ . ومنه حديث خزيمة : « وعاد لها النقاد مجرنثما » أى مجتمعا منقبضا من شدة الجدب والنقاد صغار الإبل . ومما يستدرك عليه الجراثيم أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من طين وتراب والاجرنثام الانقباض والجرثمة بالضم الأصل[1] . والهمذانى وصف الجرثومة أصل الشجرة ، وتقول : نشأ فلان وفلان فى عش ودرجا من وكر ومهدا فى حجر ورضعا بلبان ونجلتهما أبوة ونتقتهما أمومة وأفرعهما جذم ، وهما ينتسبان إلى جرثومة واحدة[2] . وفى الكنز اللغوى الجراثم أصول الشجر [3] .

وزن جرثومة : فعلولة من الفعل جرثم : فعلل .

رياضة على وزن فعالة لفظة حضارية قديمة وردت عند الجاحظ فى رسائله وفى أماكن أخرى من كتبه قال : أوصيك برياضة نفسك حتى تذللها على الأمور الحميدة[4] وقال : ما تكون الزماتة والوقار إلا بحمل على النفس شديد ورياضة متعبة[5] قال صاحب اللسان فلان يراوض فلانا أمر كذا أى يداريه ليدخله فيه وفى حديث طلحة : فتراوضنا حتى أحطرف منى وأخذ الذهب أى نجاذبنا فى البيع والشراء وهو ما يجرى بين المتابعين من الزيادة والنقصان كان كل واحد منهما يروض صاحبه من رياضة الدابة[6] . وقال

(١) تاج العروس الزبيدى جـ ٨ ص ٢٢٧
(٢) الألفاظ الكتابية الهمذانى ص ٣٣
(٣) الكنز اللغوى فى اللسن العربى ص ٢٠٦ عن ابن السكيت .
(٤) المعاش والمعاد ص ١٣٣ .
(٥) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٦ .
(٦) اللسان جـ ١ ص ١٢٥٥ .

صاحب التاج : روض تريضا لزم الرياضى وروض السيل القراح جعله روضة واستراض المكان فسح واتسع . ومن المجاز أراضت النفس أى طابت يقال أفعل ذلك ما دامت النفس مستريضة أى متسعة طيبة .

والتراوض فى البيع والشراء التخاذى وهو ما يجرى بين المتبايعين من الزيادة والنقصان وهو مجاز . والروض جمع رائض ، وحماد البصرى عرف بالرائض لرياضة الخيل[1] سمع من الحسن وابن سيرين : واستراض المحل كثرت رياضه ، ومن المجاز أنا عندك روضة وغدير ومجلسك روضة من رياض الجنة . ويقال راض الشاعر القوافى فارتاضت له ورضت الدر رياضة ثقبته وهو صعب الرياضة .

ويحدثنا آدم ميتز عن الرياضة فى العصر العباسى وتطور هذه اللفظة قال : أما الرياضة التى كان أكثر ما يشتغل بها الكبراء والوزراء فكانت بالصوالجة . وكان الخلفاء يلعبون بالصوالجة فى ميادين خاصة فى قصورهم ويحكى أنه فى سنة ٢٦٣ هـ دخل الوزير أبو الحسن عبدالله بن يحيى بن خاقان التركى ميدانا فى داره يوم الجمعة ليضرب بالصوالجة فركب ولعب فصدمه خادمه وسقط من على دابته ميتا . وكان اللاعبون بعد الفراغ من لعبهم يدخلون الحمام الساخن ويدلكون [2] .

أزقة على وزن أفعِلة ذكرها الجاحظ فى حديثه عن مناقب الترك قال : لنا المواجأة فى الأزقة والصبر على قتال السجون[3] وهذه اللفظة من الألفاظ الحضارية القديمة وقد فسرها صاحب اللسان فقال : أزقة جمع زقاق ،

(١) تاج العروس جـ ٥ ص ٣٩

(٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ٢ ص ٢٦٢ .

(٣) مناقب الترك ص ٢٧ .

والزقاق : السكة ، يذكَّر ويؤنَّث . وقيل الزقاق الطريق الضيق دون السكة والجمع أزقة وزقاق . والأخيرة عن سيبويه ، مثل حوار وحوران .

والزقاق : الطريق نافذ وغير نافذ ضيق دون السكة . وفي الحديث : من منح منحة لبن أو هدى زقاقا ، الزُّقاق ، بالضم : الطريق ، يريد من دل الضال أو الأعمى على طريقه ، وقيل : أراد من تصدق بزقاق من النخل وهي السكة منها ، والأول أشبه لأن هدى من الهداية لا من الهدية[1] . وفي التاج فسر الزبيدي الزُّقاق كغراب يذكر ويؤنث قال - الأخفش : أهل الحجاز يؤنثون الطريق والسراط والسبيل والسوق والزقاق والكلاء وهو سوق البصرة وبنو تميم يذكرون هذا كله . وأزقة وزقان الجمع (للفظة زقاق) كغراب وأغربة[2] وذكر في كتاب الرجل والمنزل المنسوب لابن قتيبة « كل كوة ليست بنافذة في الحائط فهي مشكاة أفواه الأزقة واحدتها فوهة مثل خمرة ولايقال فم[3] .

وزن أزقة : أفعلة من فعال : زقاق من جموع القلة اسم على فعال بضم الفاء نحو غُراب وأغربة [4] .

تسريح جاءت على وزن تفعيل وهي مصدر للفعل سرَّح ، وقد ذكر ابن قتيبة في باب مصادر بنات الأربع فما فوق يجئ مصدر فعلت على التفعيل والفعال[5] ذكر الجاحظ هذه اللفظة فقال واصفا قومًا من الأقوام : وكانوا يكرهون تسريح الشعر [6] . وتفسير هذه اللفظة ورد عند صاحب اللسان قال :

(١) اللسان جـ ٢ ص ٣٤ .

(٢) تاج العروس جـ ٦ ص ٣٧١ .

(٣) البلغة في شذور اللغة ص ١٢٨ .

(٤) الاشتقاق عبدالله أمين ص ٢٩٠ .

(٥) ادب الكاتب ابن قتيبة ص ٥٠٩

(٦) الحيوان جـ ٥ ص ٣٧٧ .

التسريح التسهيل . وتسريح الشعر : إرساله قبل المشط ، وقال الأزهرى : تسريح الشعر ترجيله وتخليص بعضه من بعض بالمشط[1] . وقال صاحب التاج: التسرح : قال شيخنا ظاهره أنه مصدر متعد والصواب أنه مصدر اللازم اقتضى القياس ، والسرح أساقها كالتسريح . والمسرح كمنبر المشط وهو المرجل أيضًا لأنه آلة التسريح والترجيل . والمسرحة ما يسرح به الشعر [2] .

مَلّة على وزن فَعْلة بفتح الفاء وسكون العين . لفظة حضارية قديمة وردت عند الجاحظ بقوله : « كان الأصمعى يقول : لايقولن أحدكم أكلت مَلَّة يقول أكلت خبزة وإنما الملة موضع الخبزة » [3] .

قال صاحب اللسان المَلَّة : الرماد الحار والجمر ، ويقال أكلنا خبز مَلَّة ولايقال أكلنا مَلَّة . ومل الشىء فى الجمر يمله ملا ، فهو مملول ومليل : أدخله . ويقال مللت الخبزة فى الملة ملا وأمللتها إذا عملتها فى الملة فهى مملولة ، وكذلك كل مشوى فى الملة من قريس وغيره . ويقال هذا خبز ملة ولايقال للخبز ملة إنما الملة الرماد الحار والخبز يسمى المليل والمملول ، وكذلك اللحم . وقال أبو عبيد : الملة الحفرة نفسها . والملة : الرماد الحار الذى يحمى ليدفن فيه الخبز لينضج[4] . وفى التاج أضاف الزبيدى على ما جاء فى اللسان قال : وفى حديث خيبر يقول : إذا - أناس من يهود مجتمعون على خبزة يملونها أى يجعلونها فى ملة [5] .

ومن اللغويين الذين تناولوا هذه اللفظة ابن السكيت قال فى كتابه إصلاح

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ١٢٨ .

(٢) التاج جـ ٢ ص ١٦١ .

(٣) البخلاء ص ٢١٥ .

(٤) اللسان جـ ٥ ص ٥٦٥ .

(٥) تاج العروس جـ ٨ ص ١٣٠ .

المنطق : ومما تضعه العامة فى غير موضعه قولهم : أكلنا ملة ، وإنما الملة الرماد الحار .

وتقول : أطعمنا خبز ملة . وأطعمنا خبزة مليلا . وقد مللت الخبزة فى الملة أملها ملا وهى خبزة مليل [1] .

شريعة على وزن فعيلة ويطرد فى الرباعى مؤنث ثالثه مدة وتجمع على فعائل[2] من الألفاظ الحضارية القديمة ، وقد وردت عند الجاحظ بقوله : « لا ماء ولا وحل ولاعين ولاشريعة »[3] فى اللسان : الشريعة والشراع والمشرعة : المواضع التى ينحدر إلى الماء منها ، قال الليث : وبها سمى ما شرع الله لعباده شريعة من الصوم والصلاة والحج وغيره . والشرعة والشريعة فى كلام العرب : مشرعة الماء وهو مورد الشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون . والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء عدا لا انقطاع له ، ويكون ظاهرا معينًا لايسقى بالرشاء ، والشريعة : موضع على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب [4] .

قال الزبيدى منه قوله تعالى ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر ﴾ وقال الليث الشريعة منحدر الماء ، وفى المفردات للراغب : وقال بعضهم سميت الشريعة تشبيها بشريعة الماء بحيث أن من شرع فيها على الحقيقة والمصدوقة . ومن المجاز الشريعة العتبة على التشبيه بشريعة الماء عن ابن عباد وأصل الشريعة فى كلام العرب مورد للشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون وربما شرعوها دوابهم فشرعت تشرب فيها والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء

(١) إصلاح المنطق ابن السكيت ص ٢٨٥ ، ص ١٩٩

(٢) شذا العرف الحملاوى ص ١٠٩

(٣) الحيوان جـ ١ ص ١٥٦ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٢٩٨

عدا لا انقطاع له ويكون ظاهراً معينًا لايسقى بالرشاء وإذا كان من السماء والأمطار فهو الكريم [1] .

لفظة الشريعة جاءت فى نصوص كثيرة عند الجاحظ وهذا مما يدل على تأثير البيئة النهرية عليه وهذه اللفظة مستمرة فى تداولها كاستمرار النهر فهى قديمة منذ الأزل .

الفُرْضَة على وزن فُعْلَة ويأتى الجمع على فُعَل فُرَض . وجمعها فُرَض وهى من الألفاظ الحضارية القديمة قال الجاحظ ذاكرا الفرضى : « فسألته أن يقربنى إلى بعض الفرض ، حتى اكترى من هنا إلى حيث أريد » وقال : « فلما قربنا من الفرضة صحت يا حمال »[2] قال ابن منظور : فرضة النهر : مشرب الماء منه والجمع فرض وفراض . والفرضة المشرعة . يقال : سقاها بالفراض أى من فرضة النهر . والفرضة : الثلمة التى تكون فى النهر . والفراض : فوهة النهر . وفرضة النهر : « ملته التى فيها يستقى وفى حديث موسى عليه السلام حتى أرفأ به عند فرضة النهر أى مشرعته ، وجمع الفرضة فرض . وفرضة البحر : محط السفن » [3] .

والفرض عند الزبيدى لها كلام مسهب قال : الفرض فوهة النهر .

والفرضة بالضم من النهر ثلمة يستقى منها والفرضة من البحر محط السفن كذا فى نسخ الصحاح وفى بعضها مرفأ السفن . والجمع فراض ، وفرض النهر وفراضه مشارعه ، وقال الأصمعى الفرضة المشرعة يقال سقاها بالفراض أى من فرضة النهر وفى حديث ابن الزبير فاجعلوا السيوف للمنايا فرضا أى

(١) تاج العروس جـ ٥ ص ٣٩٤ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٣٥٧ ، ص ٤٥٢ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ١٠٧٨ .

اجعلوها مشارع للمنايا وتعرضوا للشهادة . والفرضة بشط الفرات . والفراض الثغور تشبيها بمشارع المياه (١) .

ومن نص الجاحظ يتبين أن هذه اللفظة كثيرة الاستعمال فى عصره لتأثره بالبيئة النهرية وهى مستمرة فى استخدامها من قبل الجاحظ بعصور عديدة .

مُدُود على وزن فُعُول ويطرد فى فَعِل بفتح فكسر وفى فَعْل اسما ثلاثيا ساكن العين مثلث الفاء(٢) . وردت عند الجاحظ كثيراً وهذا من تأثير البيئة النهرية، وهذه اللفظة لها امتداد حضارى وهو ما تؤكده المعاجم العربية . قال الجاحظ : المسنيات التى تهدمها المدود(٣) قال صاحب اللسان : المد : كثرة الماء أيام المدود وجمعه مدود ، وقد مد الماء يمد مدا ، وامتد مده غيره وأمده . قال ثعلب : كل شيء مده غيره ، فهو بألف ، يقال : مد البحر ، وامتد الحبل ، قال الليث هكذا تقول العرب . والأصمعى يقول : المد مد النهر ، والمد : مد الحبل . والمد : أن يمد الرجل . وقال اللحيانى : يقال لكل شيء دخل فيه مثله فكثرة : مده يمده مدا . تقول دجلة تمد تيارنا وأنهارنا والله يمدنا بها (٤) وجاء فى التاج المد السيل ومن المجاز المد ارتفاع النهار والظل .

وقال الفراء فى قوله تعالى : ﴿ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ﴾ . قال يكون مدادا كالمداد الذى يكتب به والشيء إذا مد الشيء فكان زيادة فيه فهو يمده. والمدادين جمع مدان للمياه المالحة(٥) . ولفظة مدود لفظة حضارية قديمة ممتدة منذ عصور قديمة وإلى عصر الجاحظ عصر الحضارة العباسية .

---

(١) تاج العروس جـ ٥ ص ٦٦ .

(٢) شذا العرف الحملاوى ص ١٠٧

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ٣٨٥

(٤) اللسان جـ ٣ ص ٤٥٣ .

(٥) تاج العروس جـ ٢ ص ٤٩٧

السكان من الألفاظ الحضارية القديمة وقد وردت عـند الجاحظ كثيراً كقوله يصف أحـد اللصوص على لـسان ملاح فقال : وقـع علينا اللـصوص : فأول رجل دخل علـينا السفينة كـان فى طول هذا المردى وكان فخذه أغـلظ من هذا السكان [1] . ووردت لفظة سكان عند الجاحظ أيضًا بمعنى القوم قال : وكذلك الترك أصحاب عمد وسـكان فياف وأرباب مواش[2] يقول صاحب الـلسان فى تفسير هذه اللـفظة : قال أبو عبيد : الخيزرانة السـكان ، وهو الكوثل أيضًا . وقال أبو عمـرو : الجذف السكان فى باب الـسفن . والليث يقـول : السكان ذنب السفيـنة التى به تعد . وسكان الـسفينة عربى . والسكان : مـا تسكن به السفـينة تمنـع به من الحركـة والاضطراب[3] . فسـر صاحب اللـسان السـكان الكوثل ويـورد الجاحظ نصا فيـه لفظة كوثلـة مبينا أنهـا ذنب السفينـة وليست السكان ، قال الجاحظ : « أردت الصعود مرة فى بعض القناطر ، وشيخ ملاح جالس ، وكان يـوم مطر وزلق . فزلق حـمارى فكان يلقـينى لجنبى ، ولـكنه تماسك فـأقعى على عـجزه . فقال المـلاح لا إله إلا الله ، ما أحسن مـا جلس على كـوثله »[4] وفى التـاج قال الزبيـدى : ومما يستـدرك عليه أسـكنه سكـنه والسكان كرمان جمع ساكن وأيضًا ذنب السفينة عربى صحيح [5] .

وزن سكان على فـعال من الفعل سكن : فعل وهـى من باب فعال وفُعال بكسر الفاء وبضمها [6] .

(١) الحيوان جـ ٢ ص ١٧٦ .

(٢) مناقب الترك ص ٧٠ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ١٧٤ .

(٤) الحيوان جـ ٤ ص ١٧٦ .

(٥) تاج العروس جـ ٩ ص ٢٤٠ .

(٦) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٤٣٨ .

ملاح على وزن فعّال من باب فعال وفعيل . من الألفاظ التى وردت عند الجاحظ فى أماكن عديدة من كتاباته وهو شديد الولع بهذه اللفظة الحضارية القديمة قال يصف أخلاق الملاح : إن مولاك ملاح ، لأن الملاحين إذا تظلموا رفعوا المرادى[1] وقال : قلت لملاح لى ، وذلك بعد العصر فى رمضان : انظركم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الأرض ؟ قال : أكثر من مرديين ونصف[2] . وتفسير هذه اللفظة ذكرتها المعاجم العربية بإسهاب فنرى صاحب اللسان يقول : الملاح : صاحب الملح حكاه ابن الأعرابى .

والملاح : النوتى ، وفى التهذيب : صاحب السفينة لملازمته الماء الملح وهو أيضًا الذى يتعهد فوهة النهر ليصلحه وأصله من ذلك ، وحرفته الملاحة والملاحية .

وقال ابن الأعرابى : الملاح الريح التى تجرى بها السفينة وبه سمى الملاح ملاحا . وقال غيره : سمى السفان ملاحا لمعالجته الماء الملح بإجراء السفن فيه ، ويقال للرجل الجديد : ملحه على ركبتيه . ويقال فلان ملحه على ركبتيه إذا كان قليل الوفاء[3] . أما الزبيدى فيقول فى التاج : ملاح بالكسر وأملاح كلاهما عن أبى عمرو مثل شريف وأشراف وجمع ملاح وملاح ملاحون . وملاحون وهما جمعا سلامة والأنثى مليحة . وفى الأساس من المجاز ملحه أى عرضه . والملاح : النوتى وفى التهذيب صاحب السفينة لملازمته الماء الملح[4] .

وفى الكتب التاريخية يذكر المؤرخون أخبار طريفة عن الملاحين وعن

---

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٩ .

(٢) الحيوان جـ ٢ ص ١٧٦ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٥٢٠ .

(٤) تاج العروس جـ ٢ ص ٢٢٧ .

سفنـهم وعاداتهـم وطرق معيـشتهم . وقـد خصص المسـعودى بابا فـى أخبار الملاحين وأنواع سفنهم وأسمائها المختلفـة . قال الفتح : فكان المتوكل كثيراً ما يقول إذا ذكـر قدر الملاح : ما أكلت أحـسن من سكبـاج أصحاب السفيـنة فى ذلك اليوم [١] . وتعد هذه الـلفظة من الألفاظ الـقديمة والتى تداولتـها الألسن منذ عرف البحـر وركوبه ، والجاحظ يكثر من ذكر الملاح وهـو الذى فطر على رؤيته منذ وجـد فى تلك البيئة البصـرية ، وللفظة تاريخ عريق مـن قبل عصر الجاحظ .

أسياف جاء وزنها على أفعـال بفتح فسكون ويكون جمعا لـكل مالم يطرد فيه أفعل[٢] . وردت عنـد الجاحظ فى كـتاباتـه قال : « وقد تـعلف فى تـلك الحالات اللحم اليابـس وهسيس السمك . فأما الهسيس فـلخيول أهل الأسياف خاصة[٣] قال صاحـب اللسان مفسـرا هذه اللفظة الحـضارية القديمة : الـسيف ساحل الـبحر ، والجمـع أسياف . وحـكى الفـارسى : أسـاف الـقوم أتوا السيف ، ابن الأعـرابى : الموضـع النقـى من الماء ، وفى حديث جابر : فأتينا سيف البحر : أى ساحله [٤] .

وقال صاحب التاج : الـسيف بالكسر خاصة ساحل البـحر والجمع أسياف كما فى الصحاح . والـسيف ساحل الوادى والساحل الطويل جـداً فكأنه قطع بالسيف مسيـره مائة فرسخ ويقال نزلوا بالسيف أى بالـساحل وهـم أهل أسياف وأرياف[٥] . ومن نص الجاحظ نرى أنه كان متعايـشا مع هذه اللفظة الحضارية القديمة كقدم أمواج البحر .

(١) مروج الذهب المسعودى جـ ١ ص ١٦ .

(٢) شذا العرف الحملاوى ص ١٠٢ .

(٣) الحيوان جـ ٧ ص ١٤٥ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٢٥٤ وجاء فى اللسان شاهد للبيد يذكر فيه لفظة الأسياف .

(٥) تاج العروس جـ ٦ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

حرفة جاءت على وزن فِعْلة بكسر الفاء وسكون العين . من الألفاظ الحضارية القديمة وقد وردت عند الجاحظ فى بيانه قال : ذكر لعمر بن الخطاب إتلاف شباب من قريش أموالهم فقال : حرفة أحدهم أشد على من عيلته « وأورد الجاحظ قولا آخر لعمر بن الخطاب : حرفة يعاش بها خير من مساءلة الناس »[1] . وذكر الجاحظ لفظة حريف فقال : جعلت فداك : دفعتها إلى حريف لى دهان ، فألقاها فى المصفاة شهرا حتى رويت[2] . وقد تناولت المعاجم لفظة حرفة بالشرح والتفسير قال صاحب اللسان : وأما الحرفة فهو اسم من الاحتراف وهو الاكتساب ، يقال هو يحرف لعياله ويحترف ويقرش ويقترش بمعنى يكتسب من ههنا وههنا ، وقيل المحارف بفتح الراء هو المحروم المحدود الذى إذا طلب فلا يرزق أو يكون لايسعى فى الكسب . والحرف : الاسم من قولك رجل محارف أى منقوص الحظ لاينمو له مال . وكذلك الحرفة بالكسر . والمحترف : الصانع . وفلان حريفى أى معاملى . والمحرف : الذى نما ماله وصلح ، والاسم الحرفة . وأحرف الرجل إحرافا فهو محرف إذا نما ماله وصلح يقال جاء فلان بالحلق والإحراف إذا جاء بالمال الكثير . والحرفة : الصناعة . وحرفة الرجل : ضيعته أو صنعته . وحرف لأهله واحترف : كسب وطلب واحتال ، وقيل : الاحتراف الاكتساب أيا كان . وقال الأزهرى : وأحرف إذا استغنى بعد فقر . وأحرف الرجل إذا كد على عياله . وفى حديث عائشة : لما استخلف أبو بكر ﷺ ، قال : لقد علم قومى أن حرفتى لم تكن تعجز عن مؤونة أهلى . والحرفة : الصناعة وجهة الكسب ، وحريف الرجل : معامله فى حرفته . ومنه الحديث : إنى لأرى الرجل يعجبنى فأقول : هل له حرفة ؟ فإن قالوا : لا ،سقط من عينى[3] .

---

(١) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٨١ .

(٢) البخلاء ص ٢٠ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ٦١١ .

أما الزبيدى فقد فسر لفظة الحرفة بالطعمة والصناعة التى يرتزق منها وهى جهة الكسب وكل ما اشتغل الإنسان به وضرى به أى أمر كان فإنه عند العرب يسمى صنعة وحرفة ، يقولون صنعة فلان أن يعمل كذا وحرفة فلان أن يفعل كذا يريدون دأبه وديدنه لأنه ينحرف إليها أى يميل . وحريفك معاملك كما في الصحاح (في حرفتك) أى في الصنعة ، قلت ومنه استعمال أكثر العجم إياه فى معنى النديم والشريب ومنه أيضًا يستفاد استعمال أكثر الترك إياه فى معرض الذم بحيث لو خاطب به أحدهم صاحبه لغضب [1] .

ولفظة الحرفة والحرف تناولتها كتب الفقه والتاريخ والأدب فالفقهاء اعتبروا هذه اللفظة من الأمور الأساسية فى بناء صرح الحضارة ، فهى ضرورة اجتماعية تفرضها الحاجات المعاشية على أفراد المجتمع فى كل العصور ، واستشهد الفقهاء بالقرآن والسنة وكيفية نظرة الإسلام إلى الحرف فقد رفع الإسلام من شأن الحرف إلى مصاف العبادة وحث الرسول ﷺ على العمل والكسب بقوله : إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف وكذلك كان شأن الصحابة فى نظرتهم إلى العمل واكتساب الحرف أسوة برسول الله ﷺ . وقد مارس الفقهاء أنواعًا كثيرة من الحرف ومما يدل على اشتغال الفقهاء فى الحرف تسميتهم بأسماء هذه الحرف ، فأبو حنيفة مثلا كان خرازا[2] وغيره تسمى بالقطان[3] والسراج والقيار وغير ذلك من الأسماء التى تدل على الحرف . وهذه النظرة تختلف عند الأدباء فى العصر العباسى ، فقد ظلت الحرف ومن يحترفها ينظر إليها نظرة ازدراء وعدم احترام وتؤدى إلى مطعن اجتماعى كالحياكة والحجامة[4]

(١) تاج العروس الزبيدى جـ ٦ ص ٦٩ .

(٢) المحاسن والمساوئ البيهقى جـ ١ ص ١٦٥ .

(٣) البداية والنهاية ابن كثير جـ ١٠ ص ١٨٢ ، ص ٢٦٩ .

(٤) الحيوان جـ ٢ ص ١٩٣ ، جـ ٦ ص ٤٦٤ و جـ ٣ ص ٢٤٨ .

وخير من يمثل هذا الرأى الجاحظ عندما استهزأ من الحاكة والحجامين . وعلى لسان المأمون يورد البيهقى هذه المقولة : « السوق سفل والصناع آنذاك والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس »[1] وأبو حيان التوحيدى يصف المهنة بأنها « حركة يتعاطاها الإنسان بلا حفز ولااستكراه ، وجعل الصناعة أقرب إلى الذل والضعة » [2] .

ويرد جرونبيام سبب نظرة الازدراء هذه إلى العهد الساسانى حيث كان الغنى والشرف هما اللذان يحددان المركز الاجتماعى عندهم ، فتبنى رجال الأدب هذه النظرة ، فى الوقت الذى نجدها لاتتفق مع قيم الجماعة العربية ، فقد كانت مكة دولة تجار ، واشتغل الرسول ﷺ نفسه بالتجارة فترة من حياته كما أنه زكى الحرف[3] - ويعلق جب فى كتابه عن حضارة الإسلام بأن النظرة الاجتماعية إلى الصنائع بدأت تتغير بمرور الزمن بسبب النمو الاقتصادى الذى شهده المجتمع العربى الإسلامى فى مجالات الزراعة والتجارة والصناعة فقد أقبل الكثيرون على ممارسة الحرف لتلبية حاجات المجتمع العربى الإسلامى المترف [4] .

وبمرور الزمن نرى لفظة الحرف تتغير مفاهيم الناس نحوها فانبرى كثير من المفكرين للدفاع عن هذه اللفظة الحضارية ، فأخوان الصفا دعوا إلى تعلم الحرف وإتقانها واهتموا بتقسيم الحرف وتبين أوجه التفاضل بينها[5] وكذلك الغزالى الذى جعل الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها [6] وفى عصر

(١) المحاسن والمساوئ البيهقى جـ ١ ص ١٦٤ .
(٢) الإمتاع والمؤانسة التوحيدى جـ ٣ ص ١٣٢ .
(٣) حضارة الإسلام جرونبيام ص ٢٧٤ .
(٤) دراسات فى حضارة الإسلام جب ص ٨٢ .
(٥) رسائل إخوان الصفا جـ ١ ص ٢٨٥ .
(٦) إحياء العلوم للغزالى جـ ٢ ص ٦٢ .

متأخر نرى لفظة الحرفة تأخذ مكانا رفيعا فى بناء الحضارة الإنسانية كما وصفها ابن خلدون فى مقدمته[1] . هذه هى قصة « الحرفة » وسيرتها الذاتية من خلال كتابات الفقهاء والمؤرخين والأدباء . والجاحظ كان إمام الكتاب ورائدهم فى الحديث عن أصناف الحرف وصاحب الحرفة ، وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ كثيراً جداً ككثرة أصحابها . وميزات لفظة الحرفة ذكرتها كما جاء فى الكتب التاريخية التى وضحت لنا أبعاد هذه اللفظة التاريخية الحضارية .

احتكار على وزن افتعال من الفعل احتكر افتعل ، قال ابن قتيبة : ويجئ مصدر افتعل على افتعال[2] وهى من الألفاظ الحضارية القديمة والتى وردت عند الجاحظ فى رسائله قال : « ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ، ولا أصحاب احتكار لما فى أيديهم وطلب ما عند غيرهم » [3] .وفى اللسان : الاحتكار من الحكر وهو إدخار الطعام للتربص وصاحبه محتكر .

وابن سيده يفسر الاحتكار كما جاء فى اللسان بجمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه انتظار وقت الغلاء به . والحكر والحكر جميعا : ما احتكر . وعن ابن شميل : أنهم ليتحكرون فى بيعهم ينظرون يتربصون ، وأنه لحكر لايزال يحبس سلعته والسوق مادة حتى يبيع بالكثير من شدة حكره أى من شدة احتباسه وتربصه ، قال والسوق مادة أى ملأى رجالا وبيوعا وقد مدت السوق تمد مدا . وفى الحديث : من احتكر طعاما فهو كذا ، أى اشتراه وحبسه ليقل فيغلو ، والحكر والحكرة الاسم منه ، ومنه الحديث : أنه نهى عن الحكرة أى جملة ، وقيل : جزافا . وأصل الحكرة : الجمع والإمساك[4] . وفى التاج قال الزبيدى : والحكر بالضم اسم من الاحتكار وكذلك الحكر . ومما يستدرك

(١) مقدمة ابن خلدون جـ٢ ص ٢٨٩ .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٥١٠ .

(٣) مناقب الترك ص ٧٠ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ٦٨٧ .

عليه الحكر بالكسر . ما يجعل على العقارات ويحبس [1] .

وتعد هذه اللفظة من الألفاظ الحضارية القديمة التى تناولتها الكتب بالشرح ، فالطبرى يحدثنا عن الدولة العباسية وكيف اهتمت بالتسعير والاحتكار ، فقد كان المنصور يأمر ولاة البريد فى جميع الأقاليم أن يكتبوا له كل يوم بسعر القمح والحبوب والأدم ، وبسعر كل مأكول ، فإذا وجد تغيرا فى الأسعار كتب إلى والى الإقاليم يسأله عن العلة فى زيادة السعر ، فإن اقتنع بها حاول إزالتها حتى يعود السعر إلى ما كان عليه[2] . ويقول المؤرخ مسكويه : إن ضجر العامة من ارتفاع الأسعار كثيرا ما أجبر الدولة العباسية على إنقاص السعر السائد وفرض سعر معين ، ففى سنة ٣٠٨ هـ ضجر العامة من ارتفاع الأسعار ، فأمر الخليفة المقتدر بخفض السعر ، وطلب من المحتسب أن يسعر بأقل من السعر القديم[3] . ومن قبل الطبرى كان الجاحظ ومن قبله كان الكثيرون قد استخدموا لفظة الاحتكار .

إقطاع على وزن إفعال إذ يجئ مصدر أفعلت على إفعال وهو فى باب مصادر بنات الأربعة فما فوق[4] . وردت عند الجاحظ بقوله : لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكاك وكل إقطاع[5] . فسر صاحب اللسان لفظة الإقطاع بأنه يكون تمليكا وغير تمليك . وقال ابن الأثير : سأله أن يجعله له إقطاعا يتملكه ويستبد به وينفرد ، ويقال : استقطع فلان الإمام قطيعة فأقطعه إياها . وقال الشافعى : ومن الإقطاع إقطاع أرفاق لاتمليك ، كالقاعدة بالأسواق التى هى طرق المسلمين ، فمن قعد فى موضع منها كان له بقدر ما يصلح له ما كان مقيما فيه ، ومنها إقطاع السكنى[6] . وفسر الزبيدى لفظة الإقطاع : من المجاز أقطعه قطيعة أى طائفة من أرض الخراج والإقطاع

(١) تاج العروس جـ ٣ ص ١٥٤ .

(٢) تاريخ الطبرى جـ ٨ ص ٩٦ .

(٣) تجارب الأمم - مسكويه جـ ١ ص ٧٣ - ٧٤ .

(٤) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٥٠٩ .

(٥) الحيوان جـ ١ ص ٦٩ .

(٦) اللسان جـ ٣ ص ١١٩ .

يكون تمليكا ويكـون غير تمليك كما ذكر فى اللسان ، وعن ابـن الأثير القطائع إنما تجوز فى عـقود البلاد التى لامـلك لأحد فيها ولاعـمارة فيها لأحد فـيقطع الإمام المستقـطع منها قدر ما يتهيـأ له عمارته بإجراء الماء إليه أو بـاستخراج عين منه أو بتحجر عليه للبناء فيـه . قال الشافعى : إقطاع أرفاق كالمقاعدة بالأسواق التى هى طرق المسلمـين فمن قعد فى موضع فيها كان له بقـدر ما يصلح له ما كان مقيما فيه فإذا فارقه لم يكن له منع غيره منه كأبنية العرب وفساطيطهم فإذا انتجعوا لم يملكوا بها حيث نزلوا ، مـنها إقطاع السكنى ، وفى الحديث لما قدم النبى ﷺ المدينة أقـطع الناس الدور معناه أنزلهم فى دور الأنصـار يسكنونها معهم ثم يتحولون عنها ، ومنه الحديث أنه أقطع الزبير نخلا يشبه أنه إنما أعطاه ذلك من الخـمس الذى هو سـهمه لأن النخـل مال ظاهر الـعين حاضر الـنفع فلايجوز إقطاعه وأما إقطاع الموات فهو تمليك [1] .

وهذه اللفظة استـخدمت من قبل عصر الجاحظ وفى عصـره وهذا ما أثبته فى نصوصه الكثـيرة . ويقول آدم ميتز عن الإقطاع فى العـصر العباسى : كان الإقطاع فـى المملكـة الإسلامية كـلها ضربـا هاما من ضـروب تملك الأرض . ويقول أبو يوســف : فأمـا الإقطـاع أو الـقطائع فـى أرض العـراق فكـل ما كان لكســرى ومرازبتـه وأهـل بيته مما لم يـكن فى يد أحد عن كـتاب الخراج لقدامة [2] .

ويحدثنا التنوخى أن الرشيد اعتل فداواه طبـيبه فأمر بإقطاعه ما قيمته ألف ألف درهم ، فقال له : مـالى حاجة إلى الإقطاع ، ولكن تهـب لى ما أشترى الضيـاع بـه ، فأجاب الخلـيفة طلبه وأمـر بمعاونته حـتى ابتاع ضياعـا لا إقطاع فيها[3] . ومما تقدم نرى أن لفظة الإقطاع قديمة وذات دلالة تاريخية عريقة .

وظيفة على وزن فعيلة والجمع منه على فعائل بالفتح وكسر ما بعد الألف وهى من الألفاظ الحضارية القديمة وقـد وردت عند الجاحظ بقوله : « وأقاموا

(١) تاج العروس جـ ٥ ص ٤٧٤ . (٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتز جـ ١ ص ٢١٢ .

(٣) الفرج بعد الشدة للتنوخى جـ ٢ ص ١٠٢ .

وظائف الثلج والريحان »[١] وقال الجاحظ : خبرنى صديق لى أنه حبس كلبا له فى بيت وأغلق دونه الباب فى الوقت الذى كان طباخه يرجع فيه من السوق ومعه اللحم ، ثم أحد سكينا بسكين فنبح الكلب ورام فتح الباب ، لتوهمه أن الطباخ قد رجع من السوق بالوظيفة »[٢] وقد فسر صاحب اللسان الوظيفة من كل شىء : ما يقدر له فى كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شرب وجمعها الوظائف والوظف . ووظف الشىء على نفسه ووظفه توظيفا : ألزمها أياه ، وقد وظفت له توظيفا على الصبى كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل . عن ابن الأعرابى . ويقال : وظف فلان فلانا يظفه وظفا إذا تبعه ، مأخوذ من الوظيف [٣] .

وقال فى التاج الوظيفة : كسفينة ما يقدر لك فى اليوم وكذا فى السنة والزمان المعين كما فى شروح الشفا من طعام أو رزق كما فى الصحاح زاد غيره ونحوه كشراب أو علف للدابة يقال له وظيفة . قال شيخنا ويبقى النظر هل هو عربى أو مولد وإلا ظهر عندى الثانى .

وقال ابن عباد الوظيفة : العهد والشرط والجمع وظائف ووظف بضمتين والتوظيف تعيين الوظيفة ، وقال ابن عباد المواظفة مثل الموافقة والموازرة والملازمة يقال واظفت فلانا إلى القاضى إذا لازمته عنده[٤] . الوظيفة ربما استعملت بمعنى المنصب والخدمة المعينة (للدنيا وظائف) أى نوب ودول وكذا الدنيا لها وظف وهى شبه الدول مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء جمع الوظيفة (الأساس) [٥] ومن النصوص السابقة نرى أن لفظة الوظيفة قديمة واستعمالاتها كثيرة ، وقد ذكرها الجاحظ فى عصور متقدمة على عصره فكانت تستخدم أيضًا من قبل المجتمع الإنسانى وليس العباسى فقط .

(١) البخلاء ص ٢٠٥ . (٢) الحيوان جـ ٢ ص ١٢٠ .
(٣) اللسان جـ ٣ ص ٩٥٠ . (٤) تاج العروس جـ ٦ ص ٢٦٨ .
(٥) أقرب الموارد الشرتونى جـ ٢ ص ١٤٦٤ .

لفظة «**أصناف**» على وزن أفعال من الفعل صنف ، قال ابن قتيبة : صنف وصنف من فعل وفعل بفتح الفاء وكسرها مع سكون العين صنف من المتاع وصنف[1] . وردت عند الجاحظ فى نصوصه وهى من الألفاظ الحضارية القديمة . قال الجاحظ : وأعلم أنه سيمر بك فى معاملات الناس حالات تحتاج فيها إلى مداراة أصناف الناس وطبقاتهم»[2] وقال «كنحو صيادى السمك وصيادى الوحش وأصناف الجزارين والقطابين والشوائين والطهائين»[3] . لفظة الأصناف أوردها المؤرخون هذا القدم للتعبير عن الجماعات الحرفية فى المجتمع العربى الإسلامى وهناك كتب تاريخية عديدة فسرت هذه اللفظة التاريخية فنرى اليعقوبى يذكر لفظة الزصناف فيقول : «ان المنصور عندما أراد بناء بغداد جمع الصناع من مختلف البلاد ، فبلغ عددهم مائة ألف من أصناف المهن والصناعات»[4] . أما الطبرى ، فيشير إلى كلمة صنف عند ذكره خبر إخراج المنصور لأسواق مدينة بغداد إلى ناحية الكرخ وكيف جعلها «صفوفاً وبيوتاً لكل صنف»[5] ويؤيده الخطيب البغدادى فى قوله : ورتب كل صنف فيها فى موضعه»[6] ويطلق ياقوت صنف على أهل المهن والحرف ، كصنفل الصيارفة وصنف الصاغة»[7] . أما المعاجم فقد فسرت الأصناف ومفردها صنف ، وأهمها معجم الزبيدى وقد جاء فيه الصنف بالكسر والفتح لغة فيه النوع والضرب من الشئ يقال صنف من المتاع وصنف منه والجمع أصناف وصنوف وقال الليث : الصنف طائفة من كل شئ وكل ضرب من الأشياء صنف على حدة . وصنفه تصنيفاً جعله أصنافاً وميز بعضها عن بعض[8] .

ولفظة الصنف حضارية قديمة وهذا ما ثبت فى كتب الجاحظ وعند غيره من المؤرخين فهى ممتدة مع التاريخ وأصنافه .

(١) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٤٢٤ .
(٢) المعاش والمعاد ص ١١٧ .
(٣) الحيوان جـ ٤ ص ٤٢٩ .
(٤) البلدان - لليعقوبى ص ٢٥٨ .
(٥) تاريخ الطبرى جـ ٧ ص ٦٥٣ .
(٦) تاريخ بغداد جـ ١ ص ٨٠ .
(٧) معجم البلدان جـ ٥ ص ٤١٠ ، ٤١١ .
(٨) تاج العروس جـ ٦ ص١٦٨ . وذكر صاحب التاج شاهداً منسوباً لقيس بن الرقيات ترد فيه هذه اللفظة.

ثانياً: التغير الدلالي

التغير الـدلالي ظاهرة معروفة في إطـار اللغة الواحدة فضلاً عـنه في إطار الأسرة اللغوية الواحدة[1] . وظاهرة تعدد معاني اللفظة الواحدة ، ظاهرة لغوية تجدها في جميع اللغات الشائعة ، والمعاني المجتمعة في لفظة من الألفاظ يتفرع بعضها من بعض وتتصل بالمعنى الأصلي بنوع من الصلة فمنها المعنى الاشتقاقي أو المعنى التاريخي ، وفي كتب الأقدمين من علـماء اللغة نجد بحوثاً متفرقة هى في الصميم من بحوث دلالة الألفاظ ومعانـيها ، كالمترادفة والمشترك اللفظي ، والأضداد ، والخاص ، والعام والحقيقة والمجاز وغيرها من البحوث التي تهتم باللـفظة ودلالتهـا . وقد عنى المؤلفـون في أصول الفقـه بهذه الأبحاث عـناية خاصة وأفردوا لها فـصلاً من كتبهم وذلك لأنهم اعتـبروا أن دلالة الألفاظ من أهم موضوعات علم أصول فقه اللغة .

إن البحث في دلالة الألفاظ ومعرفة قوانين لغة من اللغات وسننها في قرب الألفاظ بمعانيها وتبدلها وتطورها وأسباب ذلـك يعين على فهم اللغة فهماً عميقاً كما أنه من جـهة أخرى يكشف عن مدى الارتـباط بين اللغة وأصحابـها بوجه عام ويعين علـى تحديد مفاهيم عصـر بعينه[2] . وتطور الـدلالة من عصـر إلى عصر يعتبر صدى لتحول اجتماعي خارج حـقل اللغة يتضاءل فيه الاهتمام بأحد المسميات ويتعاظم فيه الاهتمام بمسمى آخر فيغلب الآخر على الكلمة التي كانت تدل على الأول[3] . هذا وقد أمدت اللـغة البدوية مجتمع الحـضارة الإسلامية بالمواد اللغوية المختلفة ونعنـي بالمواد هنا الحروف الأصول ، وأمدت أيضاً بعدد

(١) علم اللغة د. محمود حجازي ص ٢١٠

(٢) مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان ص ٣٢٧

(٣) في التطور اللغوي د. عبد الصبور شاهين ص ١٦ .

من القوالب أو الأوزان ، ولكنها لم تكن بحاجة إلى استخدام جميع الأوزان في كل كلمة ، والقضية ليست فقط قضية وجود الكلمة ، فالكلمة كرمز صوتي لا قيمة لها دون الاستخدام ، والمعنى هو العنصر الثاني بعد وجود الرمز، فالرمز اللغوي لا يكون رمزاً إلا إذا كان له معنى[١] . ومن طبيعة العملية التطويرية للدلالة أن تتم بصورة تدريجية تستغرق زمناً طويلاً وليس المسئول عنها فرداً بعينه بل تعزى إلى المجتمع في البيئة اللغوية[٢] . وكل تطور في حياة الأمة يترك أثراً قوياً وواضحاً في لغتها وتستجيب الأمم عادة لمظاهر الحياة وتواكب التقدم الحضاري ، فتعمل على تغير الدلالات في بعض ألفاظها حتى تتمكن من مسايرة ركب الحضارة وهذا ما أكده فندريس في كتابه القيم اللغة قال : إن الحياة تشجع على تغير المفردات لأنها تضاعف الأسباب التي تؤثر في الكلمات ، فالعلاقة الاجتماعية والصناعات والعدد المتنوعة تعمل على تغير المفردات ، وتقضي على الكلمات القديمة أو تحور معناها وتتطلب خلق كلمات جديدة[٣] . ويؤكد الدكتور حجازي على رأي فندريس بشأن نشأة الكلمات الجديدة كمتطلبات ضرورية تبين لنا الأبعاد الحضارية فيقول : لولا هذه التجديدات لما عرفنا الحضارة العربية الإسلامية في أبعادها المأثورة ولو نظرنا إلى الألفاظ الحضارية في العصر العباسي لوجدنا ذلك الخضم الهائل من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة الدلالة ، وقد وجدت في الكلمة القديمة إمكانية طيعة طورتها بالاستعمال في المعنى الجديد فاكتسبته[٤] . وأديبنا اللغوي الجاحظ هو خير من يبرز لنا هذا الخضم الزاخر لأن الأديب يشعر حيال الألفاظ

(١) علم اللغة د. محمود حجازي ص ٣٠٣ .

(٢) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٤٥ .

(٣) اللغة . ج فندريس ص ٢٤٧ .

(٤) علم اللغة د. محمود حجازي ص ٣٠٣ ص ٣٠٦ .

بانفعالات لا يجدها الرجل العادي ويستجيب لبعض ظلال معانيها استجابات خاصة ويؤلف منها أسلوباً جديداً أو يسبغ معنى آخر فوق معناها القديم بالتضمين[1] .

والتغير الدلالي عند الجاحظ يظهر في كتاباته ضمن مجموعة محددة من الألفاظ الحضارية ذات الأصل والوزن العربي والتي وردت عند الجاحظ بمعنى مخالف لما جاء في المعاجم العربية ، إذ أن هذه المعاجم تهدف إلى ألفاظ اللغة العربية عامة أو إلى جمهرة الألفاظ ، أما المعاجم الدلالية فهي تلتزم بمجموعة من الألفاظ وتبحثها من النواحي الدلالية وتصنفها هجائياً[2] إذا اقتضى الأمر. ومنهجنا مع الألفاظ التي تناولها الجاحظ في مجال التغير الدلالي سوف نقسم هذه الألفاظ إلى أفعال وأسماء وهذه الأخيرة تمثل الجانب الأكبر من معجم الجاحظ الخاص بالتغير الدلالي ، وهذه الأسماء لها مجالات متنوعة سنتعرض لها وتقسيماتها ستكون حسب أغراض التطور الدلالي من عامة إلى خاصة ومن دلالة راقية إلى منحطة أو بالعكس ، ومن مجال ضيق إلى مجال أوسع وهكذا سيستمر التقسيم . أما الأفعال في هذا المجال فهي قليلة جداً وسوف نتعرض لها حسب الأبنية وأنواعها مع ذكر الأوزان والنواحي الصرفية الأخرى .

(١) المعجم العربي د. حسين نصار ص ٧٦٩

(٢) علم اللغة د. محمود حجازي ص ١١

أولاً : الأفعال

ذكر الجاحظ في مجـال التغير الدلالي صيغاً لأفعال قـليلة ونادرة الورود . ومعظم هذه الصيـغ من وزن الثلاثي والرباعي وهى تدخل في بـاب تغير مجال الاستعمال من المحسوس إلى المجرد وبالعكـس . وتغير مجال استعمال الدلالة يحدث عنـدما تنتقل دلالـة الكلمة من الـدلالة المجردة إلى الدلالة المحـسوسة وبالعكس . وقد وردت عند الجاحظ أفعال مثل غشوه ، وغلس وينساح وأطلع وجميعها من وزن الثنائي والثلاثي المجرد أو المزيد .

غَشُّوه فعل ثنائي مضعف على وزن فـعل يفعل ، وردت عند الجاحظ في قوله : وقد غشوه ببطانة ساج أملس كأنه صفاة ، فإذا كان الليل لزقت به[1] . في المعاجم جاء تفسير لفظة غش مخـالفاً لما ذكره الجاحظ فنرى صاحب اللسان يقول : غشه يغـشه غشاً بمعنى لم يمنحـه النصيحة ، واستغشه واغـتشه ظن به الغش وهو خلاف استنصحـه . وغش صدره يغش غشاً : غل[2] . وفي كتاب الأفعال ذكر ابن القوطية غش صـاحبه غشاً : لم يخلص له[3] . والقالي يذكر عدة لغات للفعل (غش) ففيه غشـوه وغشوه بفتح الغين وضمها غشو[4] . ومما تقدم من تفسير للفظة غشوه التي يعني بها الجاحظ حجبوه عن الأنظار ووضعوا عليه غطاء يحـجبه عن العيون هذا ما قصده الجاحـظ وهو لا يمت بصلة لما ورد في المعاجم وكتب اللغة فقد استخدم الجـاحظ هذه اللفظة استخداماً آخر مغايراً لما جاء في المعاجم .

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٨ .

(٢) اللسان جـ ٢ ص ٩٩٠ وأورد صاحب اللـسان شاهداً لكثير عزة يذكر فيه هذه الـلفظة وكذلك شاهداً لأوس بن حجر يذكر فيه كلمة غشو .

(٣) كتاب الأفعال لابن القوطية ص ٢٧ - ١٩٦ .

(٤) البارع للقالي ص ٣٩٠ .

غَلَّسَ جاءت من الفعل (فعل) وهو من الرباعي الصحيح[1] ، وقد ذكر الجاحظ هذا الفعل فقال يصف أحد القصاص . وشرب نبيذ تمر ، وغلس إلى بعض المساجد ليقص على أهله[2] وفي اللسان جاء معنى الفعل غلس وغلسنا سرنا بغلس وهو التغليس والغلس معناها ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح . وقال أبو منصور الغلس أول الصبح حتى ينتشر في الآفاق . والتغليس ورد الماء أو ما ينفجر الصبح . وغلس يغلس تغليساً . وغلسنا الماء : أتيناه بغلس[3] . نرى أن صاحب اللسان لم يتطرق للمعنى الذي قصده الجاحظ من الكلمة غلس ، فالجاحظ يريد أن الفعل غلس أي دخل بحذر وذلك الشخص الذي وصفه بهذا الوصف هو الذي دخل المسجد بدون أن يثير انتباه أحد الموجودين . فدلالة اللفظة غلس عند الجاحظ تختلف عما فسرته المعاجم العربية .

ينساح من الأفعال المعتلة العين قال ابن القوطية «ينساح» من الأفعال المعتلة الياء في عينه ووزنه فعل ، وقد فسره بأن ساح في الأرض سياحة ذهب فيها للتعبد والترهب[4] وذكر الجاحظ هذه اللفظة في حديثه عن أنواع الحيوانات قال : والحيوان على أربعة أقسام شيء يمشي وشيء يطير وشيء يسبح وشيء ينساح[5] . وفي اللسان فسرت لفظة انساح وكانت بغير المعنى الذي جاء في نص الجاحظ فصاحب اللسان يقول : انساح الثوب وغيره تشقق وكذلك الصبح وفي حديث الغار ؛ فانساحت الصخرة أي اندفعت واتسعت وانساح

(١) الأفعال ابن القوطية ص ١٦٤ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٢٤ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ١٠٠٥ وهذه اللفظة وردت في شاهدين منسوبين للأخطل ولبيد .

(٤) الأفعال لابن قوطية ص ٢٣٥ .

(٥) الحيوان جـ ١ ص ٢٧ .

البطن : اتسع ودنا من السمن وانساح باله أي اتسع[١] .

ومما تقدم يتضح الاختلاف البين بين الدلالتين ، فقد استعمل الجاحظ هذه اللفظة في مجال الدلالة المحسوسة وهى بمعنى الزحف على البطن في الجرى على وجه الأرض وقصد به مشي بعض الحيوانات . أما في المعاجم فقد كانت دلالة الكلمة مجردة وهى بمعنى الاتساع وهذا يختلف عما ذكره الجاحظ في نصه .

أَطْلَعَ فعل ثلاثي مزيد من باب أفعل : يُفعِل «واطَّلَعَ» على وزن افتعل وقد وردت عند الجاحظ وهو يصف لغة أهل الشام قال : وقوله «واطلع» يريد وانزل وهى لغة أهل الشام وأخذوها من نازلة العرب في أول الدهر[٢] وجاء تفسير هذه اللفظة في اللسان بقوله طلع الرجل على القوم يطلع وتطلع طلوعاً واطلع : هجم ، والأخيرة عن سيبويه ، وطلع عليهم : أتاهم ،، وطلع عليهم : غاب وهو من الأضداد .

وأطلع رأسه إذا أشرف على شئ ، وكذلك اطلع ويقال طلعت عليهم واطلعت واطلعت بمعنى واحد . وطلعت في الجبل اطلع طلوعاً إذا أدبرت فيه حتى لا يراك صاحبك[٣] جميع التفسيرات التي وردت للفظة اطلع لم أجد فيها ما قصده الجاحظ فدلالة هذه اللفظة عند الجاحظ شرحها في نصه وهى بمعنى النزول ، وفي اللسان وغيره بمعنى آخر ، فاستخدام الجاحظ لهذه اللفظة هو استخدام خاص به وسائد في عصره ولم تسجلها المعاجم المتداولة ولا كتب الأضداد لكنهم ذكروا طلع عنهم ، وطلع عنهم وعليهم بمعنى أقبل[٤] .

(١) اللسان جـ ٢ ص ٢٥١٤ وذكر صاحب اللسان شاهداً للفرزدق يذكر فيه هذه اللفظة

(٢) مناقب الترك ص ٨٣ .

(٣) اللسان جـ ص ٦٠٤ .

(٤) حاشية مناقب الترك ص ٨٣ التعليق للمحقق .

ثانياً: الأسماء

١ - تغير المجال الدلالي :

انتقال الدلالة من مجال إلى آخر له مبرراته ودوافعه فإما يكون لتوضيح أو لترقية الحياة العقلية فتنتقل الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد أو بالعكس وهذا يتم بصورة تدريجية ، ومن خلال الألفاظ التي وردت في كتابات الجاحظ ودخلت مجال التغيير سنرى ألفاظاً منها .

تعطيل مثلاً وردت عند الجاحظ في معرض كلامه عن المسائل الدينية ومباحثها الكلامية قال : « نسك المتكلم : التسرع إلى إكفار أهل المعاصي وأن يرمي الناس بالجبر أو بالتعطيل أو بالزندقة يريد أن يوهم أموراً»[1] معنى لفظة التعطيل : التفريغ ، وعطل الدار : أخلاها . وتعطل الرجل إذا بقى لا عمل له والاسم العطلة ، وعطلت المرأة تعطل عطلاً وعطولاً . وتعطلت إذا لم يكن عليها حلي ولم تلبس الزينة . وقد يستعمل العطل في الخلو من الشئ ، وإن كان أصله في الحلي ، يقال عطل الرجل من المال والأدب فهو عطل مثل عسر[2] . أما ما قصده الجاحظ من لفظة التعطيل فهي مبحث كلامي يتعلق بمسائل دينية كانت ترد هذه اللفظة كثيراً في مناظرات أصحاب علم الكلام في العصر العباسي عصر ازدهار الحضارة العباسية .

أما وزن تعطيل : تفعيل مصدر غير ثلاثي عطَّل على وزن فعَّل المشدد العين الصحيح اللام .

(١) الحيوان حـ ص ١٧٤ .

(٢) اللسان جـ ٢ ص ٨١٣ .

الطفرة ذكرها الجاحظ فقال : وليست بحمد الله من باب الطفرة والمداخلة، ولا من باب الجوهر والعرض بل كلها في الكتاب والسنة وبجميع الأمة أعظم الحاجة(1) .

لفظة الطفرة فسرها صاحب اللسان بالوثبة ، والطفر : وثبة في ارتفاع كما يطفر الإنسان حائطاً أي يثبه ، وقد طفر يطفر طفراً وطفوراً : وثب في ارتفاع . وطفر الحائط : وثبه إلى ما وراء ، وفي الحديث : فطفر عن راحلته ، والطفرة من اللبن : كالطثرة وهو أن يكثف أعلاه ويرق أسفله ، وقد طفر(2). هذا ما ورد في اللسان لمعنى الطفرة التي يقصد بها الجاحظ مبحثاً من المباحث الكلامية وهى أيضاً من الألفاظ الحضارية التي جاءت في مناظرات أصحاب علم الكلام .

وزن طفرة : فعلة من الفعل طفر : فعل .

مرسال : تغير مجال دلالتها عندما وردت على لسان أبي الفاتك في البخلاء قال أبو الفاتك : «الفتى لا يكون نشالاً ولا نشافاً ولا مرسالاً»(3) وفسر الجاحظ كلام أبي الفاتك قال : و (المرسال) رجلان : أحدهما إذا وضع في فيه لقمة هريسة أو ثريدة أو حيسة أو أرزة ، أرسلها في جوف حلقه إرسالاً . والوجه الآخر : هو الذي إذا مشى في أشب من فسيل أو شجرة قبض على رأس السعفة ، أو على رأس الغصن لينحيها عن وجهه ، فإذا قضى وطره أرسلها من يده ، فهى لا محالة تصك وجه صاحبه الذي يتلوه ، لا يحفل بذلك ، ولا يعرف ما فيه(4) . هذا ما قاله الجاحظ تفسيراً للفظة مرسال .

(1) في كتاب الفتيا ص ٣١٩ .

(2) اللسان جـ ٢ ص ٥٩٧ .

(3) البخلاء ص ٦٧ .

(4) نفسه ص ٧٦ .

أما المعاجم العربية فقد فسرت معنى المرسال بالناقة السهلة السير ، فصاحب اللسان يقول : والناقة المرسال تعني رسلة القوائم كثيرة الشعر في ساقيها طويلته والمراسيل : جمع مرسال وهى سريعة السير[1] . مما تقدم نجد أن المعني الذي ذكره صاحب اللسان يختلف عن المعنى الذي قصده الجاحظ للفظة مرسال، وهذا مما يبين لنا أن الألفاظ التي استخدمها الجاحظ في كتاباته ولم ترد لها معان مطابقة في المعاجم تعتبر هذه الألفاظ من الاستخدامات اللغوية الخاصة بالجاحظ .

وقد وردت في كلام فئة معينة من فئات المجتمع العباسي .

وقد قام الجاحظ بشرح الألفاظ التي لم تكن متداولة على نطاق واسع حتى يقربها من الأذهان ويصبح المعنى الدلالي واضحاً لكافة فئات المجتمع في ذلك العصر العباسي وبها تكون كتابات الجاحظ قد مثلت مرحلة حضارية مهمة في تاريخ دلالة الألفاظ .

أما وزن مرسال فهو على مفعال اسم فاعل من غير الثلاثي تحولت صيغته إلى صيغة تدل على الكثرة والمبالغة في الحدث ومفعال من الصيغ التي تدل على المبالغة[2] ويؤكد ابن قتيبة بأن مرسال على مفعال ويكون لمن دام منه الشئ أو جرى على عادة فيه[3] .

لَكّام تغير مجال استعمالها في عصر الجاحظ ، وقد وردت على لسان أحد بخلائه وفسرها الجاحظ فقال : اللكام الذي في فيه اللقمة ، ثم يلكمها بأخرى قبل إجادة مضغها أو ابتلاعها[4] . وصاحب اللسان فسر اللكام بمعنى الصلب

(١) اللسان جـ ١ ص ١١٦٦ وردت في اللسان لفظة مراسيل في شاهد لكعب بن زهير .

(٢) شذا العرف الحملاوي ص ٧٥ .

(٣) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٢٥٥ .

(٤) البخلاء ص ٧٦ .

الشديد الذي يكسر الحجارة[1] . ومن نص الجاحظ وتفسير اللسان لهذه اللفظة نجد أن المعنى الدلالي للفظة اللكام قد تغير وأصبح عند الجاحظ بمعنى استخدام مغاير لما جاء في المعاجم العربية .

ووزن لفظة (لكام) : فـعال من الفعل لكم فعل : وكـل اسم يكون على فعال هو لمن دام منه الشئ أو جرى على عادة فيه[2] .

الغالية تدخل فـي مجال التغـير الدلالي عـند الجاحظ ، وقد جـاء ذكرها فقال : كان خشخـام بن هند كان شيخاً من الغاليـة وكان ممن إذا أراد أن يسمى أبا بكر وعمر قال : الجبت والطاغوت[3] . وفسر صاحب اللسان الغالية : هى نوع مـن الطيب مـركب من مسك وعنبر وعود ودهن وهى معـروفة وقد تغلي بها . ويـقال إن أول من سماهـا بذلك سليـمان بن عبـد الملك ، ويقال مـنها تغللت وتغلفت وتغليت كله من الغالية[4] .

من الواضـح أن دلالة لفظـة الغالية قـد تغير عنـد الجاحظ واختـلف عن المعاجم العربية ، فالجاحظ يقصد بالغاليـة اسم فرقة دينية متطرفة في معتقداتها ومغالية أشد الغلو ، وقد أطلق عليها الغالية نسبة للغلاة المتطرفين من الشيعة ، وهكـذا نرى الاختـلاف البين فـي مجال الاسـتعمـال عند الجـاحظ والمعـاجم العربية.

أما وزن الغالية فهى على فاعلة مفردة مؤنثة بالتاء من الفعل غلا : فعل .

(١) اللسان جـ ص ٢٩٣ وقد وردت لفظة اللكام في شاهد لثعلب ذكره صاحب اللسان .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٢٥٥ .

(٣) الحيوان جـ ص ٢٠ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ١٠١٢ .

مُحَوِّل وردت في البخلاء على لسان أبي الفاتك وقد فسرها الجاحظ فقال: فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطاع والقطاع والنهاش والمداد والدفاع والمحول[1] ثم فسر معنى المحول فقال : «هو الذي إذا رأى كثرة النوى بين يديه احتال حتى يخلطه بنوى صاحبه »[2] وفي اللسان المحول : هى التي تنتج سنة سقبًا وسنة قلوصاً ، وامرأة محيل وناقة محيل ومحول ومحول إذا ولدت غلاماً على أثر جارية وجارية على أثر غلام[3] . من تفسير صاحب اللسان لـلفظة محول نجد أن المعنى مختلف كلية عما قصده الجاحظ ، فالتغير في مجال استعمال اللفظة واضح ومختلف عن المعاجم العربية .

ووزن محول : مفعل اسم فاعل من فعل غير ثلاثى حول فعل .

مُحَلْقِم : فسرها الجاحظ تعليقاً على كلام أبي الفاتك فقال :

والمحلقم : الذي يتكلم واللقمة قد بلغت حلقومه نقول لهذا : قبيح ادع الكلام وقت إمكانه»[4] . وقال صاحب اللسان نقلاً عن الأزهري رطب محلقم ومحلقن وهى الحلقامة والحلقانة ، وهى التي بدأ فيها النضج من قبل قمعها، هذا رأى الأزهري وأضاف ابن منظور تفسيراً لمعنى حلقم التمر : كحقن ، وزعم يعقوب أنه بدل وعن الجوهري أيضاً الحلقوم الحلق[5] .

من تفسير اللسان وتفسير الجاحظ نرى تغير مجال استعمال اللفظة محلقم التي وردت عند الجاحظ بمعنى مخالف لما جاء في اللسان وهذا مما يوضح لنا أن هذه اللفظة استخدام لغوي للجاحظ وهو الذي قام بتفسيرها ليقربها من الأفهام لفئات المجتمع العباسي قاطبة .

---

(١) البخلاء ص ٦٧ .

(٢) البخلاء ص ٧٧ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٧٦٠ .

(٤) البخلاء ص ٧٧ .

(٥) اللسان جـ ١ ص ٧٠٢ .

ووزن محلقم مفعلل اسم فاعل من غير الثلاثي جاء على زنة مضارعه وأبدلت حرف المضارعة ميما مضمومة ومادة الكلمة «حلقم» .

مُغَرْبِل فسرها الجاحظ بقوله : « والمغربل : الذي يأخذ وعاء الملح فيديره ، إدارة الغربال ليجمع أبازيره يستأثر به دون أصحابه لا يبالي أن يدع ملحهم بلا أبزار»[1] وفي اللسان معنى المغربل : المفرق وغربل الشئ نخله والمغربل من الرجل الدون كأنه خرج من الغربال والمغربل المقتول المنتفخ[2] . أما المعنى الذي قصده الجاحظ وفسره بالتفصيل فهو مختلف عن صاحب اللسان ونجد أن المعنى عند الجاحظ مغاير لما ورد في المعاجم العربية ، وهذه اللفظة وغيرها وردت على لسان فئة معينة من فئات المجتمع العباسي وهو تغير دلالي حمل للفظة المغربل التي شرحتها المعاجم العربية واستعملها العامة بمعنى مختلف .

وزن مغربل مفعْلل مغربل : مفعلل اسم فاعل من غير الثلاثي «غربل» فعلل .

مُقَوِّر وردت عند الجاحظ على لسان أبي الفاتك قاضي الفتيان كما يسميه الجاحظ ويورد الجاحظ قول أبي الفاتك فيقول : قال أبو الفاتك ، ولا نقاضا ولادلاكاً ولا مقوراً[3] ، ثم يفسر الجاحظ كلام أبي الفاتك ويشرح لفظة المقور بقوله : المقور : الذي يقور الجراذق ويستأثر بالأوساط ويدع لأصحابه الحروف[4] وفسر صاحب اللسان لفظة المقور التي تدخل في مجال حديثنا عن تغير مجال الدلالة يقول : القوارة اسم لما قطعت من جوانب الشئ وكل شئ

(١) البخلاء ص ٦٧ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٩٧٠ .

(٣) البخلاء ص ٦٧ .

(٤) البخلاء ص ٧٦ .

قطعت من وسطه خرقاً مستديراً فقد قورته»[1] .

ومما تقدم نرى أن المعنى الذي قصده الجاحظ من هذه اللفظة وقد شرحها شرحاً وافياً لكي تفهمها كافة الفئات في ذلك العصر ، عصر الحضارة العباسية إذ أن لفظة المقور كانت مفهومة عند فئة معينة وقد ذكرهم الجاحظ مع قاضيهم وهذه اللفظة تضاف إلى قاموس الجاحظ اللغوي إذ أنها لم ترد في المعاجم العربية بنفس المعنى الذي أورده الجاحظ لفظة المقور ، فهي استخدام لغوي خاص به .

وزن مقور : مفعل وهو اسم مفعول من الفعل قور غير الثلاثي .

خُضْرَة ذكرها الجاحظ في أماكن عديدة من كتاباته وتدخل في مجال تغير الدلالة من مجال إلى آخر ، وقد وردت عند الجاحظ في بخلائه وهو يصف بساتين بغداد قال : «ومضى وحده ، حتى يدخل بعض بساتين الكرخ وينظر موضعاً تحت شجرة وسط خضرة وعلى ماء جار»[2] وقال في البخلاء أيضاً : رأيت أنا حمارة منهم زهاء خمسين رجلاً يتغدون على مباقل بخضرة قرية الأعراب[3] . وهذه اللفظة فسرها صاحب اللسان فقال : الخضيرة تصغير الخضرة ، وهي النعمة وفي نوادر الأعراب : ليست لفلان بخضرة أي ليست له بحشيشة رطبة يأكلها سريعاً . وخضر الزرع خضراً : نعم ، وأخضره الري. وأرض مخضرة ، على مثال مبقلة : ذات خضرة ، وقرئ : فتصبح الأرض مخضرة . والخضرة من الألوان : لون الأخضر ، يكون ذلك في الحيوان والنبات وغيرهما .

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ١٨٣ .

(٢) البخلاء ص ٢٤ .

(٣) البخلاء ص ٤٢ .

وقال ابن السكيت : والخضر ، والخضر والخضير : اسم للبقلة الخضراء[1] . ومن نص الجاحظ نفهم أن المعنى المقصود للخضرة هو الحقل الذي تزرع فيه المخضرات خاصة وهذا المعنى لم يرد في المعاجم ، وهو استخدام لغوي خاص بالجاحظ وبهذا انتقل مجال استعمال الدلالة للفظة خضرة من استخدام إلى آخر فتغير المجال الدلالي هذا يعتبر من التطور الحضاري الذي طرأ على المجتمع العباسي في عصر الجاحظ عصر ازدهار الحضارة العباسية .

وزن خضرة : فعلة والأصل جاء من خضر : فعل .

مُرَابَطَة ذكرها الجاحظ في حديثه عن أحد قواد الجيش قال : كان سلم ابن قتيبة يركب بغلة واحدة ومعه أربعة ألاف مرابطة»[2] . وفسرت المعاجم هذه اللفظة بملازمة ثغر العدو ، ويقول صاحب اللسان رباط الخيل : مرابطتها ، والرباط والمرابطة : ملازمة ثغر العدو ، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطاً . والرباط المواظبة على الأمر . قال الفارسي : هو ثان من لزوم الثغر ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل[3] . والمعنى الذي ذكره صاحب اللسان يختلف عما أراده الجاحظ من لفظة مرابطة . فالجاحظ تعني عنده المرابطة فرقة عسكرية تسير بجانب القائد أو من يتولى قيادة الجيش خليفة كان أو أميراً ، فهذه الفرقة التي يسميها الجاحظ مرابطة تسير بمحاذاة صاحب السلطان ، والمعنى هنا يختلف عما جاء في المعاجم . وهذا مما يدل على تغير مجال الدلالة وانتقالها إلى مجال آخر غير الذي عرفت به في المعاجم .

(١) اللسان جـ ١ ص ٨٤٦ .

(٢) البخلاء ص ٤٢ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ١١٠٨ هذه اللفظة وردت في اللسان في شاهدين أحدهما لرؤبة والآخر لطرفة .

أما وزن مرابطة فهو على مفاعلة من الفعل ربط : فعل .

تجوير وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ بقوله : وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن استحقه بالتجوير[1] وقال أيضاً : كان تجوير النابتي لربه وتشبيهه بخلقه أعظم من ذلك وأفظع[2] . وفسر صاحب اللسان لفظة التجوير ونسبها إلى الجور قال : الجور ترك القصد في السير والفعل جار يجور وكل ما مال ، فقد جار . والجور : نقيض العدل وجار عليه في الحكم وجوره تجويراً: نسبه إلى الجور ، ومنه الحديث : حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى إلا جوراً أي ضلالاً عن الطريق ، قال ابن الأثير هكذا روى الأزهري»[3] .

والتجوير عند الجاحظ بمعنى مسألة ومبحث ديني أما في المعاجم فالتجوير يختلف بعض الشئ عما قصده الجاحظ ، وهكذا نرى أن مجال الدلالة للفظة تجوير قد تغير إلى مجال آخر لم تذكره المعاجم العربية ، وتغير مجال الدلالة هنا يعطينا صورة عما كان سائداً في العصر العباسي ويوضح لنا بعداً من أبعاد الحضارة العباسية .

وزن تجوير : تفعيل وهو مصدر لغير الثلاثي معتل العين ، جور فعل .

وَبِئَة أصابها التغير في مجال الدلالة ، فالجاحظ يورد هذه اللفظة فيقول : وكان طبيباً فأكسد مرة . فقال له قائل : السنة وبئة والأمراض فاشية[4] . قال صاحب اللسان وبئة على فعلة وهى كثيرة الأمراض أو بمعنى كثيرة الوباء . وأرض وبيئة على فعيلة وموبوءة وموبئة كثيرة الوباء . واستوبأت البلد والماء ،

(١) في النابتة ص ١٤ .

(٢) في النابتة ص ١٥ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ٥٣٠ وقد ورد في اللسان شاهد لأبي ذؤيب فيه لفظة تجوير .

(٤) البخلاء ص ١٠٢ .

وفي حديث علي كرم الله وجهه : أمر منها جانب فأوبأ أي صار وبيئاً . واستوبأ الأرض استرخمها ووجدها وبئة[1] . وتفسير اللسان لفظة وبئة كان بمعنى يخص بقعة من الأرض كثيرة المرض فهو دلالة محسوسة للفظة وبئة . أما الجاحظ فعنده الدلالة مجردة وهى تعني السنة التي انتشر بها الوباء أي الزمن، ومن هنا نرى أن دلالة اللفظة وبئة انتقلت من المحسوسة إلى المجردة وهذا ما يسمى بتغير مجال الدلالة . ووزن وبئة فعلة .

مَعَالِيق تدخل في مجال تغير الدلالة ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : ويزعمون أن جوف التمساح إن هو إلا معاليق فيه وأنه في صورة الجراب ، مفتوح الفم[2] . قال صاحب اللسان : المعالق ، بغير ياء والمعلاق والمعلوق : ما علق من عنب ولحم وغيره . ويقال للمعلاق معلوق وهى ما يعلق عليه الشئ. وكل شئ علق به شئ فهو معلاقة والأعاليق كالمعاليق كلاهما : ما علق ولا واحد للأعاليق[3] . معنى لفظة معاليق يختلف في الأساليب القديمة وتناولها لهذه اللفظة عن المعنى الذي يعنيه الجاحظ . فالمعنى الذي يريده الجاحظ لهذه اللفظة : هو الجهاز الهضمي والتنفسي للكائن الحي وهو معنى مغاير للمعاجم العربية .

أما وزن لفظة معاليق فهو على وزن مفاعيل جمع تكسير ويطرد في مزيد الثلاثي ويجوز تعويض ياء قبل الطرف مما حذف سواء كان المحذوف أصلاً أو زائداً[4] . وهناك تعليق أورده ابن السكيت على مفرد معاليق وهو معلاق ومعلوق قال : ليس في الكلام مفعول مضموم الميم إلا مغفور واحد مغافير

(١) اللسان جـ ٣ ص ٨٦٨ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ١٥٧ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ٨٦٤ وقد ورد هنا شاهد منسوب للفرزدق يذكر فيه لفظة معاليق .

(٤) شذا العرف الحملاوي ص ١١٣ .

ومعلوق لـواحد المعاليق شبه بـفعلول[1] . ومعـلاق من باب فـعلال وفعـلول معلاق ومعلوق .

ومما تقدم نرى أن تفـسير لفظة المعاليق تـناولته كتب اللغة بجـانب المعاجم العربية وكلها تفاسير تختلف عن معنـى الدلالة للفظة معاليق عند الجاحظ فتغير مجال الدلالـة واضح ما بين القديم ومـا أورده الجاحظ وهذا يمثل الاسـتخدام اللغوي في العصر العباسي .

٢ - إرتقاء الدلالة :

رقي الدلالة هـو قوة الدلالة في ألفاظ كانـت تستعمل في مسـتوى أقل مما أصبحت عليه عـند الارتقاء ، وهو وليد الحاجة إلى التجديد فـي التعبير . وقد وردت عند الجاحظ ألفاظ من هذا النوع مثل لفظة .

أَوَاخِي قال الجاحظ ذاكراً هذه اللفظة في حديثه عن ركائز الملك : «الملك يحتاج إلى أواخ شداد وأسباب متان ، ومن أتمها سبـباً وأعمقها نفعاً ما ثبته في نصابه ، وأقره وسكنه في قراره ، وزاد في تمكنه وبهائه»[2] . وقد فسر صاحب اللسـان لفظة أواخي بمـعنى العود الـذي يعرض في الحـائط ويدفن طرفـاه فيه ويصير وسـطه كالعروة وتشد إليـه الدابة ، وقال ابن السكيـت : هو أن يدفن طرفا قطعـة من الحبل في الأرض وفيه عصـبة أو حجير ويظهر مـنه مثل عروة تشد إليه الدابة ، وقيل هو حبل يدفن في الأرض ويبرز طرفه فيشد به ، وقال أبو منصور : سـمعت بعض العرب يقـول للحبل الذي يدفن فـي الأرض مثنياً ويبرز طرفاه الآخران شبه حلقة وتشد به الدابة آخية . وقد أخيت للدابة تأخية

(١) إصلاح المنطق ابن السكيت ص ٢٢٢ لفظة المعاليق شائعة في اللغة المحلية .

(٢) مناقب الترك ص ٧٤ .

وتأخيت الآخية ، والأخية لا غير : الطنب[1] . وقال ابن السكيت : ومما يضعه الناس في غير موضعه الأواخي والواحدة آخية . ويقال هي الآخية وجمعها الأواخي وهو أن يدفن طرفا قطعة من حبل في الأرض وتظهر منه مثل العروة تشد إليها الدابة[2] . ومما تقدم من تفسير لفظة . أواخي ترى كيف ارتقت هذه اللفظة ، ففي المعاجم وكتب اللغة فسرت على أنها الحبل أو العود أو العصية وغيرها من الدلالات المحسوسة ، ولكن هذه اللفظة عند الجاحظ أصبحت تعني ركائز الملك وأعمدته فدلالة اللفظة تطورت واحتلت مكانة مرموقة في الدولة وعند أصحاب السلطة . فالاختلاف واضح بين معناها القديم والمعنى الذي جاء عن الجاحظ ، وارتقاء هذه اللفظة يدل على الرقي الفكري في العصر العباسي .

أما وزن أواخ ، فعال ، أواخي فعالي جمع تكسير يطرد في كل ثلاثي ساكن العين زيد في آخره ياء مشددة ليست متجددة للنسب[3] .

التسوية : تدخل في مجال ترقية الدلالة ، وقد وردت في كلام الجاحظ عن المباحث الدينية والمسائل الكلامية قال الجاحظ : وزعمت العثمانية أن لها في التسوية بين القريب والبعيد حججاً كثيرة[4] . وقد جاء في اللسان أن أصل التسوية من الفعل سوا ، وسوى بالقصر يكون بمعنيين ، يكون بمعنى نفس الشئ ، ويكون بمعنى غير ، وسوى الشئ وأسواه : جعله سويا . والساية فعلة من التسوية . وقول الناس : ضرب لي ساية أي هيأ لي كلمة سواها على

(١) اللسان جـ ١ ص ٣٢ .
(٢) إصلاح المنطق ابن السكيت ص ٣١٣ ، ص ١٧٧ .
(٣) شذا العرف الحملاوي ص ١١١ .
(٤) العثمانية ص ٢٠٦ .

ليخدعني[1] المعنى في اللسان واضح لـلفظة تسـوية . أما المعنى الـذي قصده الجاحظ فهو يـختلف بعض الشئ عن المعـاجم ، فالجاحظ يريد بلفظـة التسوية مبحثاً كلامياً يتـعلق بمسألة دينية ، وبهذا أصبحت دلالة الكـلمة في مكانة أرفع مما كانت عليـه في المعاجم . وكلما ارتقى الـتفكير العقلي جنـح إلى استخراج الدلالات المجردة الأكثر رقياً مما كانت عليه في السابق .

وزن كلمة تسوية : تفعلة مصدر لفـعل غير ثلاثي إذ أن الفعل المعتل اللام يكون مصدره على وزن تفعلة بحذف ياء التفعيل وتعويضها بتاء في الآخر .

التَّقِيَّة : التي وردت في كتابـات الجاحظ فقال يذكر التَّقِيَّـة في حديثه عن إحدى المسائل الدينية : « قد نجد التقية تسيغ الكفر ، والكفر باللسان أعظم من القتـل والقذف بالجـارحة . فإذا جازت التـقية في الأعـظم كانت فـي الأصغر أجوز »[2] وفي اللـسان فسر التقـية وذكر مادتها مـن الفعل وقي وتوقـي واتقي وتوقيـت واتقيت الشئ وتـقيته أتقـيه ، وأتقيه تـقي وتقية وتقـاء : حذرته ، الأخيرة عن اللحـياني ، والاسم التقوي ، التاء بدل مـن الواو والواو بدل من الياء وقوله تعالى : إلا أن تتقوا منهم تقاة ، يجوز أن يكون مصدراً وأن يكون جمـعاً والمصـدر أجود لأن في الـقراءة الأخرى : إلا أن تتـقوا منـهم تقـية ، التعليل للفارسي . وفي التهذيب قرأ حميد تقـية هو وجه إلا أن الأولى أشهر في العربـية والتقي يكـتب بالياء والتقـي والمتقي ، وفي الحديـث : قلت وهل للسيف من تقية قال : نعم ، تقية على أقذاء وهدنة على دخن ، التقية والتقاة بمعنـى يريد أنهم يـتقون بعضـهم بعضـاً ويظهرون الصـلح والاتفاق وباطـنهم بخلاف. وقال في موضـع آخر : التقوى أصلها وقوى من وقيت فـلما فتحت

(١) اللسان جـ ٢ ص ٢٤٩ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٤١٣ .

قلبت الواو تاء ، تم تركت التاء في تصريف الفعل على حالها في التقي والتقوى والتقية والتقي والاتقاء ، قال : والتقاة جمع . وحكى ابن برى عن القزاز : أن تقي جمع تقاة مثل طلاة وطلي . والتقاة : التقية ، يقال : اتقى تقية وتقاه مثل اتخم تخمة[1] . والمعنى الذي قصده الجاحظ للفظة تقية هو مبحث كلامي يتناول مسألة دينية تتعلق بإحدى الفرق الدينية التي عاشت في العصر العباسي ومثلت أحد المعالم الحضارية لتلك الفترة ، والتقية تعتبر من الألفاظ الحضارية التي ظهرت مع ازدهار الحضارة العباسية وان كانت دلالة الكلمة موجودة من قبل إلا أنها وضحت دلالات في عصر الجاحظ وارتقت إلى منزلة أرفع مما كانت عليه في بدء ظهورها .

أما وزن تقية تعلة من الفعل وقي فعل . وتقية مصدر لفعل غير ثلاثي معتل اللام ومصدره على وزن تفعلة دائماً وذلك بحذف ياء التفعيل للمصدر وتعويضها بتاء في الآخر .

٣ - انحطاط الدلالة :

يصيب الدلالة أحياناً بعض الضعف أو الانهيار فتفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال بين الناس الاحترام والتقدير وتستعمل في مجال أضعف من مجالها الأول وأحط فتصيبها الخسة بعد الرفعة أو الضعف بعد القوة ، وقد أورد الجاحظ ألفاظاً تخص موضوعنا هذا مثل .

لفظة الثلج وردت عند الجاحظ في وصفه لمجلس شراب قال : وأقاموا وظائف الثلج واتخذوا القيان[2] . وفسر صاحب اللسان لفظة ثلج فقال :

(١) اللسان جـ ٣ ص ٩٧٢

(٢) البخلاء ص ٢٠٥ .

الثلج هو ما سقط من السماء . وفي حديث الدعاء : واغسل خطاياي بماء الثلج والبرد ، إنما خصهما بالذكر تأكيداً للطهارة ومبالغة فيها لأنهما ماءان مفطوران على خلقتهما ، لم يستعملا ولم تنلهما الأيدي ولم تخصهما الأرجل، كسائر المياه التي خالطت التراب وجرت في الأنهار وجمعت في الحياض فكانا أحق بكمال الطهارة . وفي حديث عمر رضى الله عنه : «حتى أتاه الثلج اليقين» ومنه حديث الأحوص أعطيك ما تثلج إليه[1] . المعنى في نص الجاحظ واضح وهو ما يوضع مع الشراب ويلطفه ويبرده فاستعمل لفظة ثلج بمعنى مبتذل بالنسبة لما ذكرته المعاجم من معنى للفظة الثلج . فقد استعملت هذه اللفظة في الأساليب القديمة قوية محترمة وعند الجاحظ نزلت من عليائها وأصبحت في منزلة منحطة ففقدت مكانتها الأولى .

وزن ثلج فعل اسم جمع .

الواشي وقد وردت عند الجاحظ بقوله : ثم ذراه ثم غربله ثم جش الواشى منه[2] . في اللسان الواشى جاء من المادة وشى ، والواشية : الكثيرة الولد ، والرجل واش وفي حديث عفيف : خرجنا نشي بسعد إلى عمر ، وهو من وشى إذا نم عليه وسعى به ، وهو واش وجمعه وشاة[3] . ما ذكره صاحب اللسان لا يمت للمعنى الذي قصده الجاحظ .

وجاء معنى الواشى عند الجاحظ ما تخلفه الحيوانات أو النباتات وبالأخص عملية الغربلة في النبات وما تتركه من مخلفات عديمة الفائدة ، وهذا المعنى الدلالي للفظة الواشى ليس الذي استعمل في المعاجم ، فقيمة اللفظة انحطت عند الجاحظ كثيراً وأصبحت تعني شيئاً عديم الفائدة بعد أن كانت صفة لإنسان ذي كيان وقيمة ، وهذا ما ذكرته المعاجم تفسيراً لهذه اللفظة .

(١) اللسان جـ ٢ ص ٣٧ ورد في اللسان شاهد منسوب لعبيد يذكر فيه لفظة ثلج .

(٢) البخلاء ص ١٢٩ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٩٣٤ .

وزن واشي : فاعل من الفعل وشى فعل .

المقدّس : من الألفاظ التي أصابها الانحطاط في العصر العباسي ، وقد وردت في كتابات الجاحظ في تفسيره لكلام ابن خالويه المكدي قال : والمقدس الذي يقف على الميت يسأل في كفنه . ويقف في طريق مكة على الحمار الميت والبعير الميت فيدعي أنه كان له ويزعم أنه قد أحصر . وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والأفريقية ، وتعرف تلك المدن والسكك والرجال . وهو متى شاء كان من أي مخاليف اليمن شاء[1] وفي اللسان فسرت لفظة المقدس بالحبر والراهب ، وحكى عن ابن الأعرابي : لا قدسه الله أي لا بارك عليه . وقال: المقدس المبارك[2] .

مما تقدم نجد أن تناول المعاجم للفظة المقدس يختلف عما أورده الجاحظ في نصه تفسيراً لهذه اللفظة فقد انحطت اللفظة في استخدام الجاحظ لها وأصبحت في الدرك الأسفل بعد أن كانت في القمة من القداسة والروحانية ، فالتغير الذي أصاب لفظة المقدس يعتبر تطوراً دلالياً مخالفاً لما كانت عليه في الأساليب العربية القديمة وهو استخدام لغوي انتشر في العصر العباسي ، وخير مؤشر على هذا كتابات الجاحظ المعبرة عن ذلك العصر .

وزن مقدس : مفعل وهو اسم فاعل للفعل غير الثلاثي قدس : فعل .

النابتة من الألفاظ التي تدخل في مجال انحطاط الدلالة عند الجاحظ فقد وردت هذه اللفظة كثيراً في كتابات الجاحظ ، وقد خصص لها رسالة كاملة أسماها في النابتة ويقول الجاحظ عن النابتة : شعراء الأمصار والقرى من

(١) البخلاء ص ٥٣ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٣٣٠

المولدة والنابتة[1] وقال : وزعمت نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا ، أن سب ولاة السوء فتنة ولعن الجوزة بدعة[2] وفسرت لفظة النابتة في اللسان من النابت وهو كل شئ طري حين ينبت صغيراً ، وما أحسن نابتة بني فلان أي ما ينبت عليه أموالهم وأولادهم ونبتت لهم نابتة إذا نشأ لهم نشء صغار . والنوابت من الأحداث : الأغمار[3] . المعنى في اللسان واضح وليس هناك ما يحط من دلالة اللفظة (نابتة) ولكن الجاحظ في نصوصه جعل هؤلاء النابتة في الدرك الأسفل من فئات المجتمع العباسي ، وبهذا نرى أن اللفظة - ضعفت وانحطت في استخدام الجاحظ لها بعد أن كانت في المعاجم في موضع أرفع .

وزن نابتة : فاعلة والمادة منها نبت : فعل .

٤ - تخصيص الدلالة :

تتطور دلالة اللفظ من العموم إلى الخصوص ، ويضيق مجالها وهذا ما نسميه بتخصيص الدلالة ولا تزال تتخصص حتى تصل إلى العلمية أو ما يشبهها .

وقد ذكر الجاحظ ألفاظاً عديدة في هذا المجال مثل لفظة :

تَوَلُّد التي وردت عند الجاحظ في حديثه عن أنواع الكتب الدينية قائلاً : لو تكلفت كتاباً في طوله ، وعدد ألفاظه ومعانيه ثم كان من كتب العرض والجوهر، والطفر ، والتولد والمداخلة والغرائز والتماس لكان أسهل[4] وجاء في اللسان معنى التولد هو تولد الشئ من الشئ والمادة (ولد) والوليد الصبي

(١) الحيوان جـ ٣ ص ١٣٠ .

(٢) في النابتة ص ١٤ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٥٦٣ .

(٤) الحيوان جـ ٤ ص ٢٠٨ .

حين يولـد . وحكى أبو عمـرو عن ثعلب قال : ومما حرفته النـصارى أن في الإنجيل يقول الله تعالى مخاطباً عيسـى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : أنت نبيي وأنا ولدتك أي ربيتك ، فقال النصارى : أنت بنى وأنا ولدتك ، وخففوه وجعلوا له ولداً[1] . إن تفسير اللسان واضح وهو يختلف عن تفسير الجاحظ للفظة التولد . فالجاحظ يعني بهذه اللفظة : مبحث كلامي يتعلق بما تولد عن فعل الإنسان والحـي ، وقد اختلف العلمـاء فيما تولد من فعـل غير الحي[2] . وقد خصص الجـاحظ هذه اللفظـة في أضيق الحدود بينـما المعاجم تعـني بهذه اللفظة عملية خلق الكائن الحي بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة .

وزن تولد : تفعل من الفعل ولد : فعل .

دَفَّاع : وقد فسـرها الجاحظ تعـقيباً على كـلام ابن خالويه المـكدي قال : الدفاع : الذي إذا وقع في القصعة عظم ، فصار مما يليه نحاه بلقمة من الخبز حتى تصـير مكانه قطعـة من لحم . وهو في ذلك كأنه يـطلب بلقمتـه تشريب المرق دون إراغة اللحم[3] . وفي اللسـان رجل دفاع ومدفع : شديـد الدفع . وركـن مدفـع : قـوي . ودفع فلان إلى فـلان شيئاً ، ودفع عنه الـشر على المثل . والدفاع بالضم والتشديد : كثرة الماء وشدته ، وقال أبو عمرو : الدفاع الكثير من الناس ومن السيل[4] . مما تقدم نرى أن المعنـي الذي قصده الجاحظ في نصه للفظة دفـاع مغاير لما جاء في المعاجم ، فالجاحظ يقـصد بلفظة الدفاع بسئ المؤاكلة وهكذا نجده خصص هذه اللفظة بصفة سيئة للإنسان .

(١) اللسان جـ ٣ ص ٩٨٠ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٤٣ .

(٣) البخلاء ص ٧٧ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ٩٩٢ .

أما وزن دفاع فقد ذكره ابن قتيبة فقال : «وهو لمن دام منه الشئ أو جرى على عادة فيه»[1] .

دولة خصص الجاحظ دلالتها في كتاباته وقد وردت هذه اللفظة بقوله : «والحكم ها هنا الحكم هناك ولولا ذلك ما قامت مملكة ولا ثبتت دولة»[2] . فسر صاحب اللسان لفظة الدولة والدولة : العقبة في المال والحرب سواء ، وقيل الدولة بالضم في المال ، والدولة بالفتح الحرب ، وقيل هما سواء فيهما يضمان ويفتحان ، . وقيل : بالضم في الآخرة ، وبالفتح في الدنيا وقيل هما لغتان فيهما ، والجمع دِول ودُول . وقال ابن جني : مجئ فَعْلة على فعل يريك أنها كأنها جاءت عندهم من فعلة فكأن دولة دولة ، وإنما ذلك لأن الواو مما سبيله أن يأتي تابعاً لضمة . وقال الجوهري : الدولة بالفتح في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال : كانت لنا عليهم الدولة ، والجمع الدول . وقال الليث : الدولة والدولة لغتان وكانت الدولة لنا والدولة : الانتقال من حال الشدة إلى الرخاء»[3] هذا ما جاء به صاحب اللسان تفسيراً للفظة دولة وهي تختلف في دلالتها عما يريده الجاحظ من لفظة الدولة ، فقد خصص هذه اللفظة بصفة سياسية تشريعية فالدولة عند الجاحظ تشتمل على عدة أقاليم تحكم من قبل سلطة حاكمة ذات سيادة وكيان وحدود آمنة . وهكذا نرى أن دلالة الكلمة قد تقلص واختص بمعنى واحد عند الجاحظ ، وهذا يختلف عما أوردته المعاجم في تناولها للفظة «دولة» .

وزن دولة فعلة من الفعل دال : فعل .

---

(١) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٢٥٥

(٢) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

(٣) اللسان حـ١ ص ١٠٣٤

حكومة من الألفاظ التي خصصت دلالتها في كتابات الجاحظ وقد وردت في نص من كتاباته قال فيه : هكذا ظاهر هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة[1] . جاء في اللسان أصل الحكومة من الحكم وهو القضاء وجمعه أحكام لا يكسر على غير ذلك ، وقد حكم عليه بالأمر يحكم وحكموه بينهم : أمروه أن يحكم ويقال : حكمنا فلاناً فيما بيننا أي أجزنا حكمه بيننا . وحكمه في الأمر ما احتكم : جاز فيه حكمه ، جاء فيه المطاوع على غير بابه والقياس فتحكم ، والاسم الحكومة والحكومة[2] . هذا ما فسره صاحب اللسان للفظة حكومة ، ولكن الجاحظ خصص هذه اللفظة بمعنى واحد وهو السلطة القضائية للدولة وتعني جهاز الحكم من وزراء ومستشارين ويرأسهم الحاكم .

وزن حكومة : فعولة وأصلها من حكم : فعل .

جيزة تدخل في مجال تخصيص الدلالة وقد وردت عند الجاحظ بقوله : ما طبع الله عليه تلك البرية من خصائص الغرائز ، وما قسم الله تعالى لأهل كل جيزة من الشكل والصورة ومن الأخلاق واللغة[3] . وقد جاء في اللسان معنى الجيزة : الجانب والناحية ، وجمعها جيز وجيز . وقال صاحب اللسان : الجيزة الناحية من الوادي ونحوه . وقال الأزهري : الجيزة من الماء مقدار ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل ، يقال اسقني جيزة وجائزة وجوزة[4] .

هذا ما قاله صاحب اللسان تفسيراً للفظة «جيزة» ، أما الجاحظ فقد حدد معالم هذه اللفظة فهي تعني عنده الحي والمنطقة والمحلة التي نضم فئة من الناس . فالجاحظ إذن خصص هذه اللفظة بعد أن كانت عامة تطلق على أمور

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٢ .

(٢) اللسان جـ ١ ص ٦٨٩ .

(٣) مناقب الترك ص ١١ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ٥٤١ .

كثيرة ، وهـذا تطور دلالي نلاحظه فـي ألفاظ عديدة وردت في كـتب الجاحظ التي تعبر عن فترة حضارية مرت بها الألفاظ العربية وإلى أي مدى وصلت .

وزن جيزة : فعلة من جيز : فعل .

نهارية وقد جاءت فـي كتابات الجـاحظ وهى لفظـة لها مدلـول حضاري وهذا ما نـراه في نص الجاحـظ قال : فأما المكـي فإنه تعشـق جارية يقـال لها سندرة ثم تزوجـها نهارية[1] . وقال فـي نص آخر فـي قصة تمـام بن جعـفر : وقالت له امرأة: ويحك يا أبا القماقم إني قد تزوجت زوجاً نهارياً والساقة وقته ولست على هـيئته فاشتر لي بهـذا الرغيف آسا[2] . هذا مـا ذكره الجاحـظ في نصوصه عن لفظة نهارية ونهاري ، ولنر المعاجم بماذا فسرت هذه اللفظة ، قال صاحب اللسان النهار : ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وقيل: من طلـوع الشمس إلى غـروبها ، وقال بعـضهم : النهـار انتشار ضوء الـبصر واجتماعه والجمع أنهر عن ابن الأعـرابي ، ونهر عن غيره . وقال الجوهري : النهار ضـد الليل . ولا يجمع كمـا لا يجمع العذاب والسراب ، فـإن جمعت قلت في قليله: أنهرة وفي كثيره : نهر . وأنهرنا من النهار . قال ابن بري ولا يجمع . ورجل نـهر : صاحب نهار على النـسب . قال سيبويه : قولـه بليلي يدل أن نهراً على النسب حتى كأنه قال : نهاري ، ورجل نهر أي صاحب نهار يغير فيه[3] . ووردت هذه الـلفظة فـي نوادر أبي زيد قـال : رجل نهر ولـيس بليلي تقول صاحب نهار وليس بصاحب ليل[4] .

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٤٦٧ .

(٢) البخلاء ص ١٠٤ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٣٢٨ .

(٤) النوادر في اللغة أبو زيد الأنصاري ص ٢٤٩ .

وذكر صاحب الأغاني لفظة (النهاريات) قال عن الفضل بن سعيد : حدثني رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج بالنهاريات قال تزوجت امرأة منهن فاجتمعت معها في علو بيت وبشار تحتنا أو كنا في أسفل البيت وبشار في علوه[1] .

مما تقدم نرى لفظة النهارية ومشتقاتها وردت في الأساليب القديمة وكلها تعني ذلك الزواج الذي حدده الجاحظ وهو بالأصح حدد هذه اللفظة وخصها بنوع معين من الزواج وهذا ما كان سائداً في عصره ، واللفظة تبين لنا عادة كانت متعارفاً عليها في العصر العباسي إذ أن ورود اللفظة في ذلك العصر وتخصيصها عند الجاحظ يعطينا بعداً حضارياً آنذاك ويضيف لقاموس اللغة عند الجاحظ لفظة لها استخدام لغوي خاص وضحه في نصوصه .

وزن نهارية فعالية منسوبة إلى النهار .

بَيْسَرِي خصصها الجاحظ بعد أن كانت عامة في الأساليب القديمة ، قال الجاحظ : ورأينا البيسرى من الناس ، وهو الذي يخلق من البيض والهند ، ولا يخرج ذلك النتاج على مقدار ضخم الأبوين وقوتهما ، ولكنه يجئ أحسن وأملح[2] وفي اللسان جاءت هذه اللفظة من المادة بسر بمعنى الإعجال . والمبسور : طالب الحاجة في غير موضعها . وبسر حاجته يبسرها بسراً وبساراً ، وابتسرها وتبسرها : طلبها في غير أوانها أو في غير موضعها ، والبسر : الغض من كل شئ . والبياسر : قوم بالسند ، وقيل جيل من السند يؤاجرون أنفسهم من أهل السفن لحرب عدوهم ، ورجل بيسرى[3] . صاحب اللسان لم يفسر معنى لفظة البيسرى مثلما فسرها الجاحظ وكيف أنه حدد نوع هذا البيسرى وإلى

(١) الأغاني للأصفهاني جـ ٣ ص ٣٠ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ١٥٧ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ٢١١ .

أي القوم ينتمي فهو ليس بالعربي الأصيل بل هو خليط من البيض والهند .

وبهذا خصص الجاحظ هذه اللفظة في كتاباته وهو ما توضحه المعاجم والكتب القديمة قال ابن السكيت : البسر : ، مصدر بسر الرجل ، إذا كلح[1] .

وزن بيسرى فيعلى منسوبة إلى البياسرة .

الشارع : ذكرها الجاحظ بقوله : «قد أردت أن أهدم المسجد الذي كنت بنيته ليزيد بن هشام حين تركه يبنيه في الشارع وبناه في الرائغ»[2] معنى الشارع في اللسان : الطريق الأعظم الذي يشرع فيه الناس عامة وهو على هذا المعنى ذو شرع من الخلق يشرعون فيه . والشرع : موضع وكذلك الشوارع . وشرع المنزل إذا كان على طريق نافذ . وكل دان من شيء فهو شارع وقد شرع له ذلك، وكذلك الدار الشارعة التي دنت من الطريق وقربت من الناس[3] . مما تقدم نرى أن الجاحظ حدد معنى لفظة الشارع بالطريق المهدة الممتدة الواضحة المعالم للبيوت المأهولة ، وبهذا خصص لفظة الشارع فبعد أن كانت تطلق على كل طريق عام أصبحت عند الجاحظ مخصصة بطريق معين يرتاده الناس في أماكن سكناهم .

وزن شارع : فاعل من الفعل شرع : فعل .

عجوز من الألفاظ التي خصص دلالتها الجاحظ وقد ذكرها على لسان أحد بخلائه قال : فقلت للعجوز : لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة[4] . وقال صاحب اللسان مفسراً لفظة العجوز : العجوز من النساء : الشيخة الهرمة والجمع عجز وعجائز ، وقد عجزت تعجز عجزاً وعجوزاً ، وعجزت تعجز

(١) إصلاح المنطق ابن السكيت ص ١٢٧ /

(٢) في كتاب الفتيا ص ٣١٩ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ٥٩٧ .

(٤) البخلاء ص ٣١ .

تعجيزاً : صارت عـجوزاً ويقال للرجل عجوز وللمرأة عـجوز . ويقال : اتقي الله في شبيبـتك وعجزك أي بعدما تصيرين عجـوزاً . قال ابن السكيت : ولا تقل عجوزة والعامة تقوله . وقال ابـن الأثير : العجز جمع عجوز وعجوزة ، وهى المرأة الكبيرة المسنة . والعـرب تقول لامرأة الرجل وإن كانت شابة . هى عجوزة ، وللزوج وإن كان حدثاً : هو شيخها[1] . مما تقدم نرى تفسير الجاحظ للفظة العجـوز وهو يقصد الزوجة لأن الرجل في العصر الـعباسي وخاصة في المنطقة الجنوبيـة من العراق لا يسمى زوجته باسمها بل هو طـالما يكني عنها أو يصفها بوصف ما . وفي المعاجم جاءت لفظة العجوز عامة تقصد المسنة وأحياناً الشابة امرأة لرجل من الأعراب ولكن الذي حدث بالنسبة للجاحظ أنه خصص دلالة هذه الفـظة بالزوجة فقط مهـما كان سنها . ولا يدرك هذه الألـفاظ التي تناولها الجـاحظ في استخدامه اللغوي إلا مـن عايش اللغة العاميـة البصرية أي لغة الجاحظ المحلية .

أما وزن لفظـة عجوز فهو على فعـول من الفعل عجز : فـعل : وعجزت تعجز تعجيزاً إذا صارت عجوزاً[2] .

شهوة من الألفاظ ذات الدلالـة الخاصة في كتابات الجاحظ فقـد خصصها بعد أن كانت عامة ، ولـلجاحظ قصة مع هذه اللفظة فهو لا يـنفك يذكرها في كل مناسبة وهكذا نجدها في أماكن كثيرة من كتبه ورسائله ففي البخلاء يقول : ولأن عامتهم قد بقيت عنده فضـلة ، فهى تمنعه من الشهوة[3] . وقال أيضاً : إن أهله ألحـوا عليه فـي شهوة وأكثروا فـي إنفاق درهم ، فـدافعهم مـا أمكن

(1) اللسان جـ ٢ ص ٦٩١ هذه اللفظة لا تزال تستعمل في المنطقة الجنوبية من العراق .

(2) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٢٦٣ .

(3) البخلاء ص ١١٢ .

ذلك[1] . وفسرت المعاجم العربية لفظة الشهوة تفاسير كثيرة ليس من بينها ما قصده الجاحظ ففي اللسان أصل شهوة من شهى الشئ وشهاه ويشهاه شهوة واشتهاه وتشهاه : أحبه ورغب فيه . وقوم شهاوي أي ذوو شهوة شديدة للأكل. وقال أبو عبيد : ذهب بها بعض الناس إلى شهوة النساء وغيرها من الشهوات . وقال : وعندي أنه ليس بمخصوص بشئ واحد ، ولكنه في كل شئ من المعاصي يحبه صاحبه ويصر عليه ، فإنما هو الإصرار وإن لم يعمله[2] . هذا ما شرحه صاحب اللسان من معنى للفظة شهوة وهو مخالف لما قصده الجاحظ ، فقد خصصت دلالة هذه اللفظة عند الجاحظ وهى بمعنى الطعام الذي لا يطبخ يومياً بل في المناسبات أو نادراً ما يطبخ فهو شهوة لأنه قليل ما يشتهي ويطبخ، وهكذا نرى الجاحظ قد خصص هذه الشهوة بالطبخة التي تشتهي فتطبخ ، فالمعنى الذي قصده الجاحظ من هذه اللفظة غير الذي فسر في المعاجم فقد حدد دلالة هذه اللفظة وخصصها في مجال بعيداً عما تداولته المعاجم إذ أن للجاحظ طرقاً خاصة في التعبير واستخدامه للألفاظ ينفرد به في كتاباته ، وهذه الألفاظ التي استخدمها في معجمه اللغوي وخصص دلالتها كانت سائدة بين فئات المجتمع العباسي في ذلك العصر الحضاري الزاهر عصر الحضارة العباسية ونقلها الجاحظ من بين شفاه الناس دون تحوير إلا أنه أعطاها مكاناً معيناً في معجمه اللفظي ، وخير ما يصور لنا هذا نصه الذي وردت فيه لفظة شهوة على لسان أحد بخلائه فأهل هذا البخيل ألحوا عليه بأن يعطيهم درهماً يشتروا به شيئاً يأكلونه وكل طعام عند هؤلاء أصبح شهوة لشدة بخل من يعولهم ولأن الطعام غير متوفر عندهم يوميًا فقد أصبح شهوة .

(١) البخلاء ص ١٣١ .

(٢) اللسان جـ ٢ ص ٣٧٨ .

ثالثا : الاشتقاق :

قال الرازى : إن لغة العرب هى اللغة التامة الحروف الكاملة الألفاظ ، لم ينقص منها شيء من الحروف فيشينها النقصان ، ولم يزد فيها شيء فيعيبها الزيادة[1] . وقال أحد المحدثين الكلمة العربية : صيغة ذات وظيفة لغوية معينة فى تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم ، وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى ، أو يغير موضعها أو يستبدل بها غيرها فى السياق وترجع فى مادتها غالبا إلى أصول ثلاثة وقد تلحق بها زوائد[2] . هذا ما قاله القدماء والمحدثون فى لغة العرب وحروفها التى تتكون منها الألفاظ العربية الأصل ولكن ما نظام هذه الألفاظ وهذا ما يجيب عنه أحد الباحثين فى اللغة ، بأن الألفاظ العربية تتجمع فى مجموعات كل مجموعة منها تشترك مفرداتها فى حروف ثلاثة وتشترك فى معنى عام ثم تنفرد كل كلمة فى المجموعة تتميز عن قريباتها فى النسب بصيغها أو مبناها وتختلف فى معنى خاص بها ناشئ عن صيغها أو عن غيرها من الملابسات التى أكسبتها حياة خاصة . ولكنها ابتعدت فى معناها وفى حياتها وتأريخها تحمل طابعًا يسنيها فى الحروف الثلاثة التى تدور معها أنى دارت . وهذه مزية فى اللغة العربية ليست لغيرها من اللغات[3] . ومما تقدم نرى أن العناصر القابلة للتحول والتطور هى المفردات ذات الصيغ أى العناصر ذات الصيغ الاشتقاقية وأن العناصر الأخرى التى لاتخضع للصياغة الاشتقاقية إنما هى مبان تنتمى إلى نظام اللغة فمعانيها وصورها محفوظة مسموعة [4] . وأية دراسة للمقابلات السامية من ناحية المفردات تبحث

(١) كتاب الزينة الرازى جـ ١ ص ٦٤ .

(٢) مناهج البحث فى اللغة د. تمام حسان ص ٢٣٢ .

(٣) فقه اللغة محمد المبارك ص ٧٠ .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ص ١٥١ .

الكلمات التى انحدرت من أصل اشتقاقى واحد ثم تبحث مدى الاتفاق أو الاختلاف الدلالى بعد ذلك[1] . فالاشتقاق يحدد الكلمة أو مادتها الأساسية ومعناها الأصلى ، وهو عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من صيغة أخرى والقياس هو الأساس الذى تبنى عليه هذه العملية ويقول السيوطى : « إن الأصل فى الاشتقاق أن يكون من المصادر ، وأصدق ما يكون فى الأفعال المزيدة والصفات منها وأسماء المصادر ، والزمان والمكان يغلب فى العلم ويقل فى أسماء الأجناس »[2]

أما الجاحظ فنجد الصيغ الاشتقاقية التى أوجدها لم ترد فى المعاجم العربية وقد انفرد باستحداثها ولكن مادة هذه الصيغ مع اشتقاقات متعددة من تلك المادة ذكرتها المعاجم العربية بإسهاب وهذه الألفاظ ذات الصيغ الاشتقاقية الجديدة أوزانها كلها عربية الأصل ومعروفة لدى الصرفيين . وتشمل هذه الصيغ الأفعال على قلتها والأسماء - بأنواعها وأبنيتها المختلفة وأجناسها المتباينة وهى تشغل الحيز الأكبر من الصيغ الاشتقاقية التى أوجدها الجاحظ فى عصر الحضارة العباسية .

الأفعال وأوزانها :

وردت فى كتابات الجاحظ صيغ اشتقاقية للأفعال لم ترد فى المعاجم العربية وهذه الصيغ الاشتقاقية المستحدثة كانت من باب الثلاثى المزيد بحرف أو حرفين أو ثلاثة أحرف ومن باب المضعف ، ومن هذه الأفعال لفظة ساهلوك وأفتك ، وخول واستف واستنطى وحموه . وهذه الصيغ الفعلية قليلة جداً بالنسبة

(١) علم اللغة د. محمود حجازى ص ٢١٠ .

(٢) المزهر السيوطى جـ ١ ص ٣٥٠ .

لصيغ الأسماء التى استحدثها الجاحظ وأهم أوزان الأفعال التى ذكرها الجاحظ :

١ - بناء فاعل : وهو مازيدت بين الفاء والعين منه ألف .

وهو من باب المفاعلة ويكون بين اثنين فصاعدا ، ثم يتفرع منه فروع [١] .

سَاهَلَ من هذا الوزن فاعل بمعنى تفاعل . قال الجاحظ : فأما ثناء المادحين لك فى وجهك ، فإنما تلك أسواق أقاموها للأرباح وساهلوك فى المبايعة [٢] .

وفى اللسان وردت المادة سهل ومشتقاتها أسهلوا إذا استعملوا السهولة مع الناس واستسهل الشيء : عده سهلا[٣] . ولم أجد هذه الصيغة التى استحدثها الجاحظ وإن كانت مادتها قد ذكرها اللسان - وقد وردت عند ابن قتيبة فى باب فاعلت[٤] . وهو من الأفعال الثلاثية المزيدة بحرف .

٢ - بناء أفعل (باب الافعلال) وهو ما كررت اللام فيه .

أفتك وقد ذكرها الجاحظ فقال : وكان عبيدالله أفتك الناس وأخطب الناس[٥] وفى اللسان وردت مادة اللفظة هذه من الفتك وذكرها صاحب اللسان ومعها اشتقاقات شتى مثل فتكا وفتوكا وفتكا وفتاك وفاتك[٦] . ولم ترد صيغة أفتك التى جاء فى نص الجاحظ فهى من الصيغ التى استحدثها فى كتاباته ولم يرد ذكرها فى المعاجم وهى من وزن الثلاثى المزيد بحرف وهو الألف وذكره

(١) ديوان الأدب الفارابى جـ ٢ ص ٣٨١ .

(٢) المعاش والمعاد ص ١٢٩ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ٢٢٨ .

(٤) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٣٥٧ .

(٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ٣٢٥ .

(٦) اللسان جـ ٣ ص ١٠٤٨ .

ابن القوطيـة فى كتابه فقال : فتـكت به فتكا : قتلـته مطمئنا مجـاهرة ، ولغة أفتكت[١] .

١ - بناء فعل (باب التفعيل) وهو ما كررت العين فيه [٢] .

خُوِّل وردت فى كتابات الجاحظ وهى من هذا البـناء فعل ثلاثى معتل مزيد بحرف . وقـد ذكرها الجاحـظ بقوله : « ولاشىء أعـجب من أن المنـطق أحد مواهب الله العظام ، ونعمه الجسام وأن صاحبها مسؤول عنها ، ومحاسب على ما خول منها » [٣] .

جاءت مادة خول فى اللسان وهى بمعنى أعـطى وجاءت معها مشتقات شتى مثل التخـول بمعنى العهد وخولـه المال : أعطاه إياه[٤] . وذكر هذا الفـعل ابن القوطيـة فى باب المعتل بـالياء والواو فى عين الـفعل ، قال خيل الـرجل فهو مخيل ومخول : كثرت خيلان جسده ، وأخولتك الشىء : ملكتكه [٥] . وفى نص الجاحظ خول فعل مبنى للمجهول على وزن الثلاثى للتكثير .

٤ - بناء افتعل (باب الافتعال) وهو مما زيدت بين الفاء منه والعين تاء[٦]

إستف جاءت من هذا البناء وهى من الأفـعال المزيدة المضعفة . وقد وردت هذه الصـيغة عند الجاحـظ فى بخلائه قال : لـم يفجأنى قط وأنـا آكل تمرا إلا استفه سفا وحساه حسوا[٧] . فى اللسان لم ترد هذه الـصيغة وإنما جاءت المادة

(١) الأفعال ابن قوطيه ص ١٤٠ .

(٢) ديوان الأدب الفارابى جـ ٣ ص ٤٣٣ .

(٣) كتمان السر وحفظ اللسـان ص ١٤٢ .

(٤) اللسان جـ ١ ص ٩٢٣ .

(٥) الأفعال ابن قوطية ص ٣٦ .

(٦) ديوان الأدب الفارابى جـ ٢ ص ٣٩٤ .

(٧) البخلاء ص ٧٩ .

سف « سفف » وذكر صاحب اللسان بعض الاشتقاقات مثل سفت الريح التراب تسفيه سفيا : ذرته ، وأسفت فلم يعد واحدا منها[1] . وهذه الصيغة الاشتقاقية التى ذكرها الجاحظ فى نصه ذكرها ابن القوطية بقوله « سففت الدواء ، والسويق سفا : ابتلعته [2] . وقد اشتهر هذا الوزن بستة معانٍ ذكرها الحملاوى منها ما يدل على المبالغة فى معنى الفعل وربما يأتى مطاوعا للمضعف[3] .

٥ - بناء استفعل ناقص (ومن المعتل العجز)

إستنطى وهو من الأفعال المزيدة بثلاثة حروف ، وقد وردت هذه الصيغة عند الجاحظ فى حديثه مع أحد البخلاء قال : فرآنى أنظر إليه مرة ، وإلى ما بين يديه ثمرة فتوهم أنى أشتهيه وأستنطيه ، فقال لى : لم تحدق النظر[4] . فى اللسان لم ترد هذه الصيغة بل وردت عدة اشتقاقات مثل أنطيت لغة فى أعطيت ، والإنطاء : العطيات . وذكر على لسان الشعبى أن رسول الله ﷺ قال لرجل : أنطه كذا وكذا أى أعطه . والإنطاء لغة فى الإعطاء ، وقيل الإنطاء الإعطاء بلغة أهل اليمن[5] . ومما تقدم نرى أن الفعل استنطى لم يرد فى الصيغ التى ذكرها صاحب اللسان . ولهذه الصيغة معان كثيرة أحدها : الطلب حقيقة كاستنطى [6] .

---

(١) اللسان جـ ٢ ص ١٦١ .
(٢) الأفعال ابن قوطية ص ٧٠ .
(٣) شذا العرف الحملاوى ص ٤٥ .
(٤) البخلاء ص ١٤٨ .
(٥) اللسان جـ ١ ص ٦٦٤ .
(٦) ديوان الأدب جـ ٣ ص ٢٨٤ .

الأسماء ومشتقاتها :

لقد اشتق الجاحظ من الأسماء صيغا اشتقاقية متنوعة الأجناس وكثيرة العدد ، ففى كتابات الجاحظ وردت ألفاظ مفردة وألفاظ تشمل الجمع باختلاف أنواعه أما المثنى فلم نجد أى صيغ اشتقاقية تأتى فى باب التثنية وعلى هذا نرى أن الجاحظ أهمل صيغة المثنى ولم تأت فى كتاباته وكانت صيغ المفرد تشمل المفرد المذكر والمفردة المؤنثة وصيغ الجموع السالم والتكسير ، وفى مجال صيغ المفرد نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مثال : المستلحم ، والأسطيل والمستعرض والمهموز والاستتمام والالتهاب والتفليس والشاذروان والمخطرانى والمشعب والملغم والمسوغ والنشال والنفاض والنشاف والمصاص والدلاك والنهاش وغيرها من الصيغ الاشتقاقية المفردة المذكرة .

(١) الحيوان جـ ٦ ص ٢٤٩ .

(٢) اللسان جـ ١ ص ٧٢٨ .

(٣) مناقب الترك ص ٢٦ .

المستلحم ذكرها الجاحظ بقوله : ونحن حماة المستلحم ، وأبناء المضايق[1] ومادة هذه اللفظة لحم ومشتقاتها كثيرة فى اللسان منها استلحم الزرع واستك وازدج أى التف وقال أبو منصور : معناه التف واستلحم الرجل إذا اختوسه العدو فى القتال والملحم الذى أسر وظفر به أعداؤه ، واستلحم استلحاما إذا نشب فى الحرب فلم يجد مخلصا . والملحم : الدعى الملزق بالقول ليس منهم . واستلحم : اتبع ، وفى حديث أسامة : فاستلحمنا رجل من العدو أى تبعنا[2] أما وزن اللفظة مستلحم فهو مستفعل وهو صيغة لاسم المفعول من الاسم غير الثلاثى فيكون كاسم فاعله ، لكن بفتح ما قبل الآخر[3] .

استتمام ذكرها الجاحظ فى رسائله فقال : لأن الحاسد الجاهل يتبدر إلى الطعن على الكتاب فى أول وهلة يقرأ عليه من قبل استتمام قراءته ورقة واحدة[4] . هذه الصيغة الاشتقاقية التى أوردها الجاحظ لم ترد فى اللسان ولكن هناك اشتقاقات أخرى من المادة : تم الشىء يتم وتمامة وتمة ، وأتمه غيره وتممه واستتمه بمعنى قال والمستتم الذى يطلب التممة . واستتم النعمة : سأل إتمامها . وجعله تما أى تمامًا [5] أما وزن استتمام الذى استخدمه الجاحظ فهو استفعال المصدر ، استفعل : استتم .

اسطيل قال الجاحظ موردا هذه الصيغة الاشتقاقية : ولامزيدى ولا اسطيل إلا وكان تحت يدى[6] وفسر الجاحظ هذه اللفظة فى مكان آخر من

(١) مناقب الترك ص ٢٦ .

(٢) اللسان جـ ٤ ص ٣٥٢ .

(٣) شذا العرف الحملاوى ص ٧٦ .

(٤) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٥٢ .

(٥) اللسان جـ ١ ص ٣٣٢ .

(٦) البخلاء ص ٤٦ .

كتابه البخلاء فقال : الاسطيل : هو المتعامى إن شاء أراك أنه منخسف العينين وإن شاء أراك أنه بها ماء وإن شاء أراك أنه لايبصر ، للخسف ولريح السبل[1] . ومادة الكلمة سطل - واشتقاقاتها فى اللسان السيطل : السطل والجمع سطول عربى صحيح والسيطل لغة فيه ومعناها الطسيسة الصغيرة ، يقال إنه على صفة تورله عروة كعروة المرجل[2] والوزن إفعيل واسطيل على وزن إفعيل مثل إكليل هذا ما ذكره صاحب ديوان الأدب [3] .

مُسْتَعْرِض ذكرها الجاحظ فى البخلاء ثم شرحها بالتفصيل فى مكان آخر من البخلاء قال : لم يبق فى الأرض مخطرانى ولامستعرض إلا فقته وقال : المستعرض الذى يعارضك وهو ذو هيئة وفى ثياب صالحة وكأنه قد مات من الحياء ، ويخاف أن يراه معرفة ثم يعترضك اعتراضا ويكلمك خفيا[4] هذه الصيغة الاشتقاقية التى جاء بها الجاحظ لم أجدها فى اللسان وإن كانت مادتها موجودة ، وأنواع أخرى من الاشتقاقات ذكرها اللسان لمادة عرض قال : المعرض : الذى يستدين ممن أمكنه من الناس . والمعرض معناها المعترض الذى يعترض لكل من يعرضه ، والعرب تقول : عرض لى الشىء وأعرض وتعرض واعترض بمعنى واحد [5] .

ولفظة مستعرض التى لم ترد فى اللسان وزنها على مستفعل اسم فاعل من غير الثلاثى على زنة المضارع وإبدال حرف المضارع ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر .

---

(1) البخلاء ص ٤٦ .

(2) اللسان جـ ٢ ص ١٤٤ .

(3) ديوان الأدب جـ ٣ ص ٤٩ .

(4) البخلاء ص ٤٦ ص ٥٣ .

(5) اللسان جـ ٢ ص ٧٤٠ .

مهموز ذكرها الجاحظ قائلا : الخرشاء : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج ما فيها وجماعة الخراش ، غير مهموز[1] » . فى اللسان الهمزة من الحروف المتحركة معروفة وسميت الهمزة لأنها تهمز فتهت فتنهمز عن مخرجها ، يقال : هوتهت هنا إذا تكلم بالهمز[2] أما صيغة مهموز فلم ترد فى اللسان وتعتبر من صيغ الجاحظ الاشتقاقية ووزن مهموز مفعول وهى اسم مفعول للفعل : همز .

الالتهاب ذكرها الجاحظ فقال : « ألم السهر والالتهاب والقلق وشدة الكلب » [3] مادة الكلمة لهب كما جاءت فى اللسان ومشتقاتها التهبت وتلهبت النار أى اتقدت وألهب إلهابا وإلهابة : تداركه حتى لايكون بين البرقتين ، ويتلهب وألهوب »[4] ووزنها افتعال مصدر من الفعل ألهب .

المُسَوَّغ فقد جاءت عند الجاحظ فى البخلاء قال : ولا محلقما ولا مسوغا ولا ملغما ولا مخضرا[5] وقد فسر الجاحظ معنى المسوغ فقال : « المسوغ : الذى يعظم اللقم ، فلا يزال قد عض ، ولايزال يسيغه بالماء »[6] وقد جاء فى اللسان ساغ الطعام سوغا بمعنى نزل فى الحلق . والسواغ بكسر السين أما أسغت به غصتك يقال : الماء سواغ الغصص[7] ولم أجد فى اللسان مسوغ التى على وزن مفعل من الفعل ساغ يسوغ وهذا الاشتقاق أوجده الجاحظ .

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٢٤٧ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٧٢٨ .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص

(٤) اللسان جـ ٣ ص ٤٠١ .

(٥) البخلاء ص ٦٧ .

(٦) البخلاء ص ٧٧ .

(٧) اللسان جـ ٢ ص ٢٤٠ .

مُلْغِمٌ قال الجاحظ : هو الـذى يأخذ حروف الرغيف أو يغمز ظـهر التمرة بإبـهامه : لـيحمـلا له من الـزبد والسمـن ، ومن اللـبأ واللـبن ومن البـيض النيمبرشت[1] الملغم صيـغة اشتقاقية غيـر موجودة فى اللسان وإن كانـت مادتها لغم قـد ذكرها صاحب الـلسان وقال لغـم فلان بالطيـب فهو ملغـوم إذا جعل الطيـب على ملاغمـه . والملغم : طرف أنفـه ، والملغم : الفـم والأنف وما حولهمـا . ويقال لغمت المـرأة ألغمها إذا - ملـغمها . وصيغـة لغام وردت فى اللسان أيضًا[2] والملغم على وزن مفعل اشتقها الجاحظ من الفعل لغم .

نشاف قال : « الفـتى لايكون نشالا ولانـشافا ولا نفاضا ولامـصاصا ولا دلاكا » وقد شرح هذه الألفاظ وفسر معناهـا حتى يقربها من الأذهان لأنها لم تكن معروفـة فى عصره وهذا ما يتبين لنـا أنها من الاشتقاقات التى اسـتخدمها الجاحظ فقط ولـم ترد فى المعاجم لأنها غـير متداولة وهى استخـدامات لغوية خاصة بالجـاحظ ، قال مفسرا لـفظة **نشاف** : والنـشاف : الذى يأخـذ حرف الجرذقة فيفتحه ثم يغمسه فى رأس القدر ، ويشربه الدسم . يستأثر بذلك دون أصحابه[3] مادة الكلـمة نشف وجدتهـا فى اللسان ومعـها مشتقات أخـرى مثل النشفة وهى الشىء القليل . والجمع نـشف ونشاف ، والنشافة : التى ينشف بها الماء . والـرغوة والنشافة والنشـفة : ما أخذت بمعرفة من الـقدر وهو حار فتحسيته [4] وهى على وزن فعال صيغة مبالغة

نفاض التـى وردت فى النص الـسابق وقـد فسرهـا الجاحظ فقـال : وأما النفاض فالذى إذا فرغ من غسل يده فى الطست نفض يديه من الماء فنضح على

(١) البخلاء ص ٧٧ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٣٧٨ .
(٣) البخلاء ص ٧٦ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ٦٤١ .

أصحابه[1] والمادة فى اللسان نفض ومنها الاشتقاقات النفاضة والنفاض بالضم وهو ما سقط من الشىء إذا نفض والنفاض يقطر الجلب والنفاض الجدب[2] وزن نفاض على فعال صيغة مبالغة من اسم الفاعل .

والنشال فسره الجاحظ بقوله : فالنشال عنده : الذى يتناول من القدر ويأكل قبل النضج وقبل أن تنزل القدر ويتنام القوم[3] وصيغة نشال لم أجدها فى اللسان وإن وجدت المادة « نشل » ومنها نشل الشىء ينشله نشلا : أسرع نزعه . ونشل اللحم ينشله وينشله نشلا وأنشله : أخرجه من القدر بيده من غير مغرفة . ولحم نشيل : منتشل . ويقال : انتشلت من القدر نشيلا فأكلته . ونشلت اللحم من القدر أنشله بالضم وانتشلته إذا انتزعته منها . ونشل اللحم ينشله وينشله وانتشله : أخذ بيده عضوا فتناول ما عليه من اللحم بفيه . وفى الحديث : أنه مر على قدر فانتشل منها عظما أى أخذه قبل النضج وهو النشيل [4] أما صيغة نشَّال التى على وزن فعال فقد اشتقها الجاحظ فهى استخدام لغوى للجاحظ .

مصاص ذكرها الجاحظ وفسرها بقوله : والمصاص : الذى يمص جوف قصبة العظم ، بعد أن استخرج مخه ، واستأثر به دون أصحابه[5] وفى اللسان مادة الكلمة مص ومنها اشتقاقات أخرى مصمصة ويمصمص[6] أما مصاص فلم ترد فى اللسان وقد أوجدها الجاحظ على وزن فعال .

---

(١) البخلاء ص ٧٦ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٦٩٢ .
(٣) البخلاء ص ٧٦ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ٦٤١ .
(٥) البخلاء ص ٦٧ .
(٦) اللسان جـ ٣ ص ٤٩٤ .

دلاك قال الجاحظ مفسرا لفظة الـدلاك التى وردت فى كلام أبى الفاتك : أما الدلاك : فالذى لايجيد تنقية يديه بالأشنان ويجيد دلكها بالمنديل [1] . ولم ترد هذه الصيغة فى اللسان وإنما وردت المادة دلك ومـشتقاتها الكثيرة التى ليس من بيـنها دلاَّك . فمن مـشتقات مادة دلـك : المدلوك : المصقـول . ودلكت الثوب إذا مصته لـتغسله . ودلكه الدهر حنكه . وقـال ابن الأعرابى : الدلك عقلاء الرجال ، وهم الحنك ، وتدلك بالـشىء : تخلق به . والدليك : طعام يتـخذ من الزبـد واللبن . والدلـوك ، بالفتـح : اسم الدواء أو الشـىء الذى يتدلك به من الغسولات كالقدس والأشنان[2] .

ونقل عن ابن سيده ذلك الشىء يدلكه دلـكا مرسه وعركه ودلكت السنبل حتى انفرك قشره عن حبه[3] أما صيغة دلاَّك فلم أجدها فى اللسان وقد اشتقها الجاحظ على وزن فعَّال وهى صيغة مبالغة وهـذه الصيغة تشتق من اسم الفاعل للدلالة على الكثرة والمبالغة فى الحدث وهى بتشديد العين .

بقال وردت عند الجاحـظ وهـى من وزن فعّال ، وذكرها الجاحظ بقوله : « ورأيت مرة أنا وجعفر بن سعيـد بقالا فى العتيقة » [4] . ذكر صاحب اللسان مادة هذه اللفظة بقـل وقال نقلا عن ابن سيده البقل من النبـات ما ليس بشجر دق ولاجل . وأبقلت الأرض : خـرج بقلها . وقال ابن جنى : مـكان مبقل هو القياس ، وباقل أكثر فى السماع . وقـال الأصمعى : أبقل المكان فهو باقل

(١) البخلاء ص ٦٧ .
(٢) اللسان جـ ١ ص ١٠٠٥ .
(٣) اللسان جـ ١ ص ١٠٠٤ .
(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٣٨٢ .

من نبات البقل . قال وباقل : اسم رجل يضرب به المثل فى العى[1] ومما تقدم نرى أن صيغة بقال التى على وزن فعال لم ترد فى المعاجم ، وذكرها الجاحظ فى نصوصه اشتقاقًا مستحدثًا خاصًا به .

خبَّاص ذكرها الجاحظ بقوله : « وإنك لتغالى بالخباز والطباخ والشواء والخباص » [2] وفى اللسان جاءت المادة خبص خبصا وخبص تخبيصا فهو خبيص مخبص مخبوص . ويقال اختبص فلان إذا اتخذ لنفسه خبيصا . وخبص الحلواء يخبصها خبصا وخبصها : خلطها وعملها . وخبص الشىء بالشىء : خلطه . والمخبصة : التى يقلب فيها الخبيص . وقيل المخبصة كالملعقة يعمل بها الخبيص »[3] لم أجد صيغة خباص فى كل ما ذكره صاحب اللسان من اشتقاقات وعلى هذا فهى صيغة من الصيغ التى استحدثها الجاحظ فى كتاباته . وهى على وزن فعال من باب (فعال بفتح الفاء)[4] .

خطَّاط على وزن فعَّال وردت عند الجاحظ فى حديثه عن المعتقدات الشعبية قال : وعرفت خدع الكاهن وتدسيس العراف وإلى ما يذهب الخطاط والعياف[5] هذه الصيغة الاشتقاقية جاءت من المادة خط ، وقد ذكرها صاحب اللسان قال : روى أبو العباس عن ابن الأعرابى أنه قال فى الطرق : قال ابن عباس هو الخط الذى يخطه الحازى وهو علم قديم تركه الناس . وقال ابن الأثير : الخط وما إليه علم معروف وللناس فيه تصانيف كثيرة وهو معمول به إلى الآن . ولهم فيه أوضاع واصطلاح وأسام ، ويستخرجون به الضمير

(١) اللسان جـ ١ ص ٢٤٦ .
(٢) البخلاء ص ٦٧ .
(٣) اللسان جـ ١ ص ٧٨٥ .
(٤) ديوان الأدب جـ ١ ص ٣٢٥ .
(٥) البخلاء ص ٤٧ .

وغيره ، وقال : والخط : خط الزاجر ، وهو أن يخط بأصبعه فى الرمل ويزجر[1] هذا ما ورد فى اللسان من صيغ للمادة خط أو خطط . أما خطاط فلم يذكرها صاحب اللسان وتعد من الصيغ التى أوجدها الجاحظ فى اشتقاقاته المستحدثة وذكرها الفارابى فى باب فعال بفتح الفاء[2] .

مداد قال الجاحظ : القطاع والنهاش والمداد والدفاع ، وفسر لفظة المداد فقال : والمداد : الذى ربما عض على العصبة التى لم تنضج وهو يمدها بفيه ، ويده توترها له . فربما قطعها بنترة فيكون لها انتضاح على ثوب المؤاكل . وهو الذى إذا أكل مع أصحابه الرطب أو التمر أو الهريسة أو الأرزة فأتى على ما بين يديه ، مد ما بين أيديهم إليه[3] وقد جاء فى اللسان أن أصل المد مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه بالطعام وهذا قول بعضهم[4] أما صيغة مداد فلم ترد فى اللسان وقد اشتقها الجاحظ على وزن فعّال .

نهاش فسرها الجاحظ فقال : والنهاش هو معروف وهو الذى ينهش اللحم كما ينهش السبع[5] هذه الصيغة لاتوجد فى اللسان وإن وجدت مادتها نهش ينهش وينهش نهشا : تناول الشىء بفمه ليعضه فيؤثر فيه ولايجرحه ومنها اشتقاقات النهش والنهش ، وهو أخذ اللحم بمقدم الأسنان يروى بالسين والشين جميعا[6] والصيغة الاشتقاقية نهاش جاءت على وزن فعال .

مخطرانى ذكرها الجاحظ فى البخلاء وفسرها أيضًا فقال : والمخطرانى :

(١) اللسان جـ ١ ص ٨٥٨ .
(٢) ديوان الأدب الفارابى جـ ١ ص ٣٢٥ .
(٣) البخلاء ص ٦٧ ص ٧٧ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ٤٥٤ .
(٥) البخلاء ص ٧٧ .
(٦) اللسان جـ ٣ ص ٧٣٠ .

الذى يأتيك فى زى ناسك ، ويريك أن بابك قد قور لسانه من أصله لأنه كان مؤذنا هناك ثم يفتح فاه كما يصنع من يتثاءب فلا ترى له لسانا البتة . ولسانه فى الحقيقة كلسان الثور . وأنا أحد من خدع بذلك . ولابد للمخطرانى أن يكون معه واحد يعبر عنه أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصته »[1] ولفظة المخطرانى لم ترد فى اللسان ومادتها جاءت فى اللسان وهى خطر ومشتقات أخرى وردت من هذه المادة مثل المخاطر بمعنى الهاجس والجمع خواطر . وتخاطروا على الأمر : تراهنوا ، وخاطرهم عليه راهنهم . والأخطار بمعنى الأحراز فى لعب الجوز . وقالوا تخطراك وتخطاك بمعنى واحد . وتخطرانى شر فلان : تخطانى أى جازنى ومخطرة : مخضوبة به ، ومنه قيل للبن الكثير الماء : خطر والخطار : دهن من الزيت ذو أفاويه [2] وهذه اللفظة التى اشتقها الجاحظ على وزن مفعلانى أو فعلانى وفعللانى كما جاء فى ديوان الأدب [3] ولاوجود لها فى اللسان.

مُتَيَامِن ذكرها الجاحظ فى حيوانه وهى على وزن متفاعل وهذه الصيغة من الاشتقاقات التى استحدثها الجاحظ فى كتاباته ، وقد وردت هذه اللفظة فى وصفه لأحد المواضع فى العراق قال : إن ذلك الموضع يدعى ببئر الكلب . وهو ميتامن عن النجف[4] وفى اللسان وردت صيغ كثيرة للمادة اليمن وهى أصل ''سطة متيامن وعن ابن السكيت ذكر صاحب اللسان : يا من بأصحابك وشائم بهم أى جذبهم يمينا وشمالا ، ولايقال تيامن بهم ولاتياسر بهم ، ويقال أيمن الرجل ويمن ويامن إذا أتى اليمن . وقال ابن الأنبارى : العامة تغلط فى

(١) البخلاء ص ٥١

(٢) اللسان جـ ١ ص ٨٥٦ .

(٣) ديوان الأدب جـ ٣ ص ١١٤ .

(٤) الحيوان جـ ٢ ص ١٢٣ .

معنى تيامن فتظن أنه أخذ عن يمينه وليس كذلك معناه عند العرب ، إنما يقولون تيامن إذا أخذ نـاحية اليمن ، وتشاءم إذا أخذ نـاحية الشام[1] مما تقـدم لم أجد صيـغة متيـامن فى اللـسان ، إذن هى من الـصيغ التـى أوجدها الجاحـظ فى اشتقاقاته . وذكر صاحب ديوان الأدب أن متيامن على وزن متفاعل[2] .

كَعْبِيّ وردت عند الجاحظ فـى حديث ابن خالويه المكـدى قال : ولم يبق فى الأرض كعبـى ولامكد إلا وقد أخذت العرافـة عليه[3] وفسر الجـاحظ كلام ابن خالويه فقال : والكعبى : أضيف إلى أبى بن كعب الموصلى وكان عريفهم بعد خالويه سنة على ماء [4] هذه اللفظة لم ترد فى الـلسان ولكن مادتها جاءت عند صاحب الـلسان ومعها اشتقـاقات متعددة من المادة « كعـب » قال : كعب الإنســان ما أشرف فـوق رسغه عـند قدمه. ورجـل عالى الـكعب : يـوصف بالشرف والـظفر . وكعبت الشيء تـكعيبا إذا ملأته ، وأكعـب الرجل أسرع ، والكعـاب فصوص النـرد واحدها كعـب وكعبة . والـكعبة الـغرفة[5] .وهناك اشتقـاقات أخرى من المادة كعـب ذكرها صاحب اللـسان ولامجال لذكرهـا هنا وهذا ما يـثبت أن صيـغة كعبـى لم ترد فى المـعاجم واستـحدثها الجـاحظ فى اشتقاقاته ، ووزن الكعبى فعلى منسوبة .

المُشَعِّب قال الجاحـظ مفسراً هـذه اللفظة : الـذى يجعل أولاد المـكدين عميانا وعرجانا وعمشا وحدبا فهو يسمى المشعب[6] فى اللسان وجدت مادة هذه اللفظة من شعب ومـعها عدة مشتقات مثل المشعب معنـاها الطريق ، ومشعب

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ١٠١٦ .

(٢) ديوان الأدب الفارابى جـ ١ ص ٣٢٢ .

(٣) البخلاء ص ٤٦ .

(٤) البخلاء ص ٥٣ .

(٥) اللسان جـ ٣ ص ٢٦٦ .

(٦) البرصان والعرجان ص ٢٣٧ .

الحق : طريقه المفرق بينه وبين الباطل ، وانشعب عنى فلان تباعد . وجمل مشعوب وإبل مشعبة : موسوم بها . والشعب : موضع[1] أما صيغة المشعب فلم أجد لها أى أثر فى اللسان «وهذه الصيغة التى أوجدها الجاحظ على وزن مفعل من اشتقاقاته .

هذه بعض الصيغ التى اشتقها الجاحظ من الأسماء وهى تمثل المفرد المذكر . وهناك ألفاظ وردت عند الجاحظ وقد جاءت مفردة مؤنثة مثل مناسخة ومزملة وتزميلة وشعبذة وحومة ومحلة وزنبلة ومحقنة والمداخلة والمواجأة وغيرها كثير .

ذكر الجاحظ لفظة **المُنَاسِخَة** فقال : وجهل بادعاء الربوبية من طريق المناسخة[2] . هذه اللفظة جاءت من المادة نسخ وقد ذكر اللسان عدة اشتقاقات لمادة نسخ ليس من بينها مناسخة ، وتلك المشتقات مثل تناسخ : تداول فيكون بعضها مكان بعض كالدول والملك ، وفى الحديث : لم تكن بنوة إلا تناسخت أى تحولت من حال إلى حال ، يعنى أمر الأمة وتغاير أحوالها . والعرب تقول : نسخت الشمس الظل وانتسخته أزالته . والمعنى أذهبت الظل وحلت محله . والتناسخ فى الفرائض والميراث : أن تموت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم ، وكذلك تناسخ الأزمنة والقرن بعد القرن »[3] وكذلك جاء فى اللسان صيغة ناسخة ومنسوخة . أما مناسخة التى ذكرها الجاحظ فهى على وزن مفاعلة أو مفاعلة .

---

(١) اللسان جـ ٣ ص ٣٢٠ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٠٣ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٦٢٤ .

مداخلة ذكرها الجاحظ فى رسائله فقال : من باب الطفرة والمداخلة[1] وقد جاء فى اللسان داخلة الرجل : باطن أمره والمداخل : المباطن[2] والمادة دخل والوزن (مفاعلة مداخلة) مصدر الفعل الثلاثى المجرد دخل . ولفظة **مواجأة** على وزن مفاعلة أيضًا قال الجاحظ : « ولنا المواجأة فى الأزقة »[3] وفى اللسان وجأ هى مادة الصيغة الاشتقاقية مواجأة . والوجوء معناها فى اللسان اللكز . ووجأه باليد والسكين وجاء مقصوراً : ضربه ووجأ فى عنقه كذلك . وقد توجأته بيدى ، ووجئ فهو موجوء ووجأت عنقه وجأ : ضربته . وأوجأ : جاء فى طلب حاجة أو صيد فلم يصبه : وأوجأت الركية وأوجت : انقطع ماؤها أو لم يكن فيها ماء . وأوجأ عنه : دفعه ونحاه »[4] ولم يذكر اللسان لفظة مواجأة التى على وزن مفاعلة .

الشعبذة ذكرها الجاحظ متسائلا : وما فصل ما بين الكهانة والشعبذة[5] فى اللسان المادة شعبد ومنها المشعبد بمعنى الهارئ كالمشعوذ[6] أما الشعبذة فلم ترد فى اللسان وهى من الصيغ الاشتقاقية التى أوجدها الجاحظ على وزن فعللة وهى مصدر من الفعل الرباعى المجرد شعبذ .

الزنبلة على وزن فَعْلَلَة وقد ذكرها الجاحظ بقوله : وأدب فقبل وتعلق فى رقبته الزنبلة والدوخلة وتوضع فيها رقعة[7] مادة هذه اللفظة جاءت فى اللسان زنبل فعل رباعى ، وقال فى التهذيب زنبل اسم وهو القصير من الرجال

(١) فى كتاب الفتيا ص ٣١٩ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٩٥٦ .
(٣) مناقب الترك ص ٢٧ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ٨٧٨ .
(٥) التربيع والتدوير ص ٧٧ .
(٦) اللسان جـ ٢ ص ٣٢٢ .
(٧) الحيوان جـ ٢ ص ١٧٩ .

والزبيل والزنبيل لغة فى الزبيل [1] ومن المادة زنبل أو من الزبيل التى ذكرها الجاحظ فى كتاباته اشتق لفظة الزنبلة ووزنها على فعللة مصدر من الفعل الرباعى .

مِحْقَنَة ذكرها الجاحظ على لسان أحد الأطباء وهو يصف معركة فقال : حتى تركناهم فى أضيق من محقنة[2] فى اللسان لاتوجد هذه اللفظة وإنما جاءت المادة حقن ومنها اشتق عدة مشتقات ليس من بينها محقنة . وقد ذكر ابن منظور الحقنة بمعنى الدواء الذى يحقن به المريض المحتقن وهى أن يعطى المريض الدواء من أسفله وهى معروفة عند الأطباء والمحقن : الذى يجعل فى فم السقاء والزق ثم يصب فيه الشراب أو الماء . وقد قال الأزهرى : المحقن القمح الذى يحقن به اللبن فى السقاء ، ويجوز أن يقال للسقاء نفسه محقن[3] . ولفظة المحقنة جاء على وزن مفعلة وهى اسم آلة .

مزملة وقد ذكرها الجاحظ بقوله « بلغنى أن عندكَ مزملة ، ويومنا يوم حار فابعث إلى بشربة منها »[4] وكذلك وردت عند الجاحظ لفظة تزميل فقال « وكان لديهم الخدم فى الدور يعنون بتصفية الماء وتبريده وتزميله » [5] المزملة لم أجدها فى اللسان وإن ذكرت مادتها زمل ومنها الاشتقاقات التالية يزمل ويزمل وزمالا والزامل وأزمل وجمعه الأزامل . والأزمولة والأزمولة والزملة بالكسر والزميل ومزمول . والمزاملة وزاملته والمزمل - والزوملة . والأزميل ، وأخذ الشيء بزملته وأزملة وأزمله وترك زمله والزمل يزمل زمالا والزمال[6]

(١) اللسان جـ ٢ ص ٥٠ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٣) اللسان جـ ١ ص ٦٨٥ .

(٤) البخلاء ص ١١٣ .

(٥) البخلاء ص ٣٦ .

(٦) اللسان جـ ٢ ص ٤٧ .

كل هذه المشتقات وردت فـى اللسان وكما هو واضح ليس من بيـنها المزملة أو المزملة التى اشتقها الجاحظ على وزن مفـعلة أو مفعلة مصدر وهى لفظة مفردة مؤنثة .

أما لفظة التزميل التى لم ترد فى اللسان فهى على وزن تفعيل مصدر صاغه الجاحظ من الفعل زمَّل .

معتزلى وردت عند الجاحظ وهو يصف أحدهـم بهذه اللفظة قال : وزعم إبراهيم الأنصارى المعتزلى [1] وقد فسر صاحب اللسان جـميع الاشتقاقات التى جـاءت مـن المادة عزل ولم يتطرق إلى صيغة معتزلى التى اشتقت من الأصل « عزل » وذكر فـى اللسان : عـزل الشىء يعـزله عزلا وعزلـه فاعتزل وانـعزل وتعـزل : نحاه جانـبا فتـنحى وتعـازل القوم : انـعزل بعـضهم عن بـعض . واعتزلت الـقوم أى فارقتهم ، والمـعتزلة ، زعموا أنهـم اعتزلوا فئتـى الضلالة عندهم . والعزلة العبادة [2] .

وهناك اشتقاقات أخـرى لمادة عزل ليس من بينها لفظة مـعتزلى التى جاءت فى كتـابات الجاحظ فهى صـيغة اشتقاقـية مستحـدثة ظهرت فى عصـر الجاحظ بشكل واسع الانتشار وهذا مما يعطى بعـدا حضاريا فى ذلك العصر العباسى . وهذه اللـفظة جاءت عـلى وزن مفتـعلى وهى منـسوبة إلى المـعتزلة فـرقة من القدرية .

نهارية صيغة مستحدثة أوجدها الجاحـظ فى كتاباته وقد وردت على لسان أحدهم وهو يصف المكى قال : فأما المكى فإنه تعشق جارية يقال لها سندرة ثم تزوجها نهارية[3] جاءت هـذه اللـفظـة فى اللـسان مـن المادة « نـهر » ووردت

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٩٣ .

(٢) اللسان جـ ٢ ص ٧٦٧ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٤٦٧ .

اشتقاقات كثيرة من هذه المادة مثل النهار وهو الضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس وقال بعضهم : النهار انتشار الضوء أو انتشار ضوء البصر واجتماعه ، والجمع أنهر ونهر وقال سيبويه : تعليقا على رجل نهر يدل على أن نهرا على النسب حتى كأنه قال نهارى[1] هذا ما ذكره صاحب اللسان ونرى أنه لم يتطرق إلى لفظة نهارية التى جاءت على وزن فعالية[2] .

العَارِيَّة ذكرها الجاحظ بقوله : كان لابن سيرين بغلتان : بغلة لخاصة نفسه وبغلة للعارية[3] هذه الصيغة الاشتقاقية التى أوردها الجاحظ من المادة « عرا » ذكرها صاحب اللسان مع اشتقاقاتها قال : « عرا » عراه عروا واعتراه ، كلاهما غشيه طالبا : معروفة . والعراة : شدة البرد . وريح عرى وعرية : باردة والعرى : خلاف اللبس وعريان والجمع وعريانون ورجل عارٍ من قوم عراة وامرأة عريانة والمعرى والمعراة أى المجرد[4] كل هذه الصيغ الاشتقاقية ليس من بينها صيغة عارية التى جاءت فى كتابات الجاحظ ، فهى اشتقاق خاص به أما وزن العارية فهو فاعلة من الفعل عرا : فعل .

أما صيغ الجمع عند الجاحظ فقد كانت متنوعة وقد شملت كل أنواع الجموع ولكنه من الملاحظ أن جمع المؤنث السالم احتل حيزاً كبيراً من الصيغ الاشتقاقية التى استحدثها الجاحظ واستعملها فى استخدامه اللغوى . وجمع المذكر السالم ورد عند الجاحظ بشكل غير ملحوظ .

كَسَّاحون : ذكرها الجاحظ قائلا عن أحد البخلاء: نظر يوما إلى الكساحين وهو معنا جالس فى رجال من قريش وهم يخرجون ما فى بالوعته

(١) اللسان جـ ٣ ص ٣٢٨ .

(٢) ديوان الأدب جـ ١ ص ٣٧٠ .

(٣) كتاب البغال ص ٢٣٣ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٧٥٩ .

ويرمون به فـى الطريق [1] فى اللسان ذكـرت المادة الكسح بمعنى الـكنس وعن اللحيانى كـساحة البيت ماكسح من الـتراب فألقى بعضه على بـعض والكساحة بمعنى الكناسة وقال ابن سيده : والكساحة الكناسة[2] وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان وهـى مـن المشتـقات التـى أوجـدها الجاحظ على وزن الجـمع المذكر السالم .

الملحدون : وردت عند الجـاحظ فقد قال فـى رسائله : ولولا الـكلام لم يقم لله دين ، ولم نبن من الملحدين[3] فى اللسان ورد لفظ الملحد وهو العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه ، أما لفظة الجمع ملحدون فلم يذكرها اللسان وإن ذكر مشتقات من مادة لحد مثـل ألحد فى الدين ولحد أى حاد عنه ، وقرئ : لسان الذى يلحدون إليه . والتحد مـثله . وقيل الإلحاد فيه الشك فى الله ، وقيل كل ظالم فيه ملحد [4] .

خناقون ذكرهـا الجاحظ فقـال : وذلك أن الخناقـين لايسيرون إلا مـعا ، ولايقيمون فى الأمـصار إلا كذلك . فإذا عزم أهل دار على خنـق إنسان كانت العلامـة بينهـم الضرب علـى دف أو طبل[5] . فى الـلسان جـاءت المادة خـنق والصيغ خناق وانخنق اختنق وانخنقت الشاة بنفسها فهى مخنقة وخناق : نعت لمن يكون ذلك شأنه بين الناس[6] أما صيغة الجمع خناقـون فلم ترد فى اللسان وأوجدها الجاحظ جمعا لمذكر سالم .

(١) البخلاء ص ١١٤ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٢٥٥ .
(٣) فى نفى التشبيه ص ٢٨٥ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ٣٤٨
(٥) الحيوان جـ ٦ ص ٣٩٠ .
(٦) اللسان جـ ١ ص ٩١٤ .

النفاطون : أوجدها الجاحظ فـى قوله « فكأن هذا الطائر فـى طباعه وفى طباع ريشه مـزاج من طلاء النفاطين وأظن هـذا من طلق »[١] فى اللـسان ذكر النفـاطات وهـى ضـــرب مـن السرج يرمـى بها النفـط والتشديد فـى كل ذلك أعرف ، نـفاطات : ضرب مـن السرج يـستصـبح بها وهـى أدوات تعمـل من النحاس يرمى فيهـا بالنفط والنار [٢] .ولم ترد فى الـلسان الصيغة الـتى ذكرها الجاحظ نفاطين وهى جمع لمذكر سالم .

القلاسون قال الجاحظ وكذلك الســماكون والقلاسون[٣] فى اللـسان المادة قلس ، وتقليس هو الضرب بالدف والـغناء . والمقلس : الذى يلعب بين يدى الأميـر إذا قدم المصر . وقـال أبو الجراح : الـتقلـيس : استقـبال الولاة عـند قدومهم بأصناف الـلهو . وقال الشاعر : ضرب المقلس جنـب الدف للعجم . ومنه حـديث ﷺ : لما قدم الشام : لـقيه المقلسـون بالسيوف والريـحان وفى الحديث لما رأوه قلسوا لـه ، التقليس : التكفير وهو وضع الـيدين على الصدر والانحناء خضوعـا واستكانة [٤] أما الصـيغة الاشتقاقـية قلاسون فلـم ترد فى اللسان وقد صاغها الجاحظ جمعا لمذكر سالم .

المعينون ذكرها الجاحـظ فى بخلائه يصـف أحدهم قال : كان أبو سـعيد المدائنى إماما فى البخل عندنا فى البصرة . وكان من كبار المعينين ومياسيرهم[٥] لفظـة المعينـين لم ترد فى الـلسان ولكـن المادة عين جاءت فـى اللسان ومـعها مشتقات عديدة مثل العين : المال العتيد الحاضر الناضر والعين : النقد والذهب

(١) الحيوان جـ ٦ ص ٤٣٥ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٦٩٣ .
(٣) الحيوان جـ ٢ ص ١٠٥ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ١٤٩ .
(٥) البخلاء ص ١٣٧ .

عامــة والدينـار ، والعــين عـند العرب حـقيقة الشــىء وعينة المال خيـاره مثل العيــمة . وقد سميـت عينة لحـصول النقد لـطالب العيـنة . وذلك أن العـينة اشتقاقـها من العين وهو الـنقد الحاضر ويحـصل له من فوره ، والمشـترى إنما يشتريها لبيعـها بعين حاضرة تصل إليه معجلة وعن اللحـيانى : العين والعينة : الربا . وعين التاجـر : أخذ بالعينة أو أعطى بهـا . وقال الأزهرى : يقال عين التاجر يعين تعينا وعينة قبيـحة ، وهى الاسم وذلك إذا باع الرجل بثمن معلوم إلى أجل معلوم ثم اشتراها منه بأقل من الـثمن الذى باعها به . وقد كره العينة أكثر الفـقهاء . والعينة الـسلف تعين عينـة وعينة إياها . والعـين : الجماعة : مخـل ثور وقد قال الـشاعر جابـر بن جريش يـذكر المعين : « ومـعينا يـحوى الصوار كأنه متخمط قطم إذا ما بربـرا » والمعين المصاب بالعين ، والمعيون الذى فيه عين[1] ولم يتطرق صاحب اللسان إلى المعينين وهى جمع مذكر سالم جاء به الجاحظ من اللفظ عينة الاسم ومعين المفرد المذكر .

زَفَّانُون : من صيغ الجمع المذكر السالـم التى وردت فى كتابات الجاحظ ، فقد قال فى البيـان والتبيين ذاكرا هذه اللفظة : تكلم عـمر بن ذر فصاح بعض الزفانين صيحة[2] وفى الـلسان وردت المادة زفـن يزفن زفـنا والزفن والـرقص ويزفنون يـرقصون والزفن والزمـارات والمزاهر والكتارات ، قـال ابن الأثير : ساق هـذ. ه نماط سيـاقا واحدا والزفـن والزفن بـلغة عمـان كلاهما : ظـلة يتخذونهـا فوق سطوحهم تقيـهم ومد الحراى حره ونداه . والزفن عـسيب من عسب النخل يضم بعضه إلى بعض شبـيه بالحصير المرمول . قيل هى لغة أزدية والزيفن : الـشديد . ورجل منه أزفـنه أى حركه . يقال لـلمرقاص زفان[3] أما

(١) اللسان جـ ٢ ص ٩٤٨ .

(٢) البيان والتبين جـ ٢ ص ٢٩٤ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ٣٣ .

جمع المذكر السالم فلم يأت فى اللسان وقد أورده الجاحظ فقال زفانين .

ومن صيغ الجمع التى اشتقها الجاحـظ وأوجدها فى كتاباته : جمع المؤنث السالم ، وهذا الجمع ورد عند الجاحظ فى أماكن كثيرة وفى ألفاظ متعددة .

ولايات وعقارات وصـينيات وراسـات وتأريخات والبـرهانات ومعـجونات ومكـامنات وقيـارات وفطيسـات ومزملات وديورات وعـيالات . وغيرهـا من الألفاظ التى لايسع المجال لذكرها ولم تـرد هذه الجموع فى اللسان إطلاقا وقد اختص الجاحظ بذكرها .

الولايات ذكرها الجـاحظ فقال : « ضـخم البدن كـثير العـلم فاشى الـغلة عظيم الولايات »[1] وردت فى اللســان لفظة ولايا جمـعا لولية والأوليـة جمع الولية وهى البرذعـة شبه ما عليها من الشحم وتراكمـه بالولايا وهى البراذع . وقيل الوليـة التى تحت البرذعة وقيل كـل ما ولى الظهر من كسـاء أو غيره فهو ولية . وقال أبو منصورة الولايا إذا جعلتها جمع الولية ، وهى البرذعة ، التى تكون تحت الرحل [2] ومما تقـدم نجد أن لفظة ولايـات لم ترد فى الـلسان وأن الجاحظ اشتق هـذه الصيغة الاشتقاقيـة كاستخدام لغوى فى عـصره وهى جمع مؤنث سالم للمفرد ولية والمادة ولى كما ذكرها اللسان .

عقارات من الصيغ الـتى أوردها الجاحظ فى رسائله فقـال : فى الصكاك والعهود وفى الشروط وصور العقارات[3] وقد جاءت مادة هذه اللفظة من عقر وفى اللسان ذكر ابن مـنظور العقر والعقار : المنزل والضـيعة ، ويقال ماله دار ولاعقار وخص بـعضهم بالعـقار النخل . يقـال للنخل خاصـة من بين المال : عقار وفى حديث من باع دارا أو عقاراً ، قال العقـار ، بالفتح الضيعة والنخل

(١) البخلاء ص ٥٦ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٩٨٦ .

(٣) فى الجد والهزل ص ٢٥٣ .

والأرض ونحو ذلك[1] أما لفظة عقارات التى ذكرها الجاحظ فلم ترد فى اللسان وهى من صيغ الجاحظ الاشتقاقية .

صينيات وردت عند الجاحظ بقوله : ثم عمدت إلى أصح ما بقى منعته من أصحاب الصينيات والصلاحيات[2] ولفظة الصينيات لم ترد فى اللسان وذكر صاحب اللسان الجمع صوانى وهى منسوبة إلى بلد معروف وهو الصين وإليه ينسب الدار صينى[3] وعلى هذا يكون الجمع صينيات خاصًا بالجموع المؤنثة السالمة التى أوردها الجاحظ فى كتاباته .

الراسات صيغة جمع مؤنث سالم ذكرها الجاحظ فى حيوانه فقال : وإنما تبتلع ذوات الراسات وهى غير ذوات الأنياب[4] هذه اللفظة جمع رأس وذكر صاحب اللسان أن جمع رأس أرؤس على القلب ، ورؤوس فى الكثير ولم يقبلوا هذه ، ورؤوس الأخيرة على الحذف[5] أما الراسات فلم ترد فى اللسان وهى اشتقاق ذكره الجاحظ جمعا للمؤنث السالم .

تأريخات وردت فى العثمانية قال الجاحظ : وهذه التأريخات والأعمار معروفة[6] جاءت هذه اللفظة من المادة أرخ التى ذكرها صاحب اللسان ومعها مشتقات كالتأريخ وهو تعريف الوقت والتوريخ مثله. وقال إن التأريخ الذى يؤرخه الناس ليس بعربى محض . وأن المسلمين أخذوه من أهل الكتاب وتأريخ المسلمين أرخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله ﷺ والأرخ ولد البقرة الصغير وقيل إن التأريخ مأخوذ منه كأنه شىء حدث كما يحدث للولد . وقيل

(١) اللسان جـ ٢ ص ٨٣٩ .
(٢) الحيوان جـ ٥ ص ١١٧ .
(٣) اللسان جـ ٢ ص ٥٠٢ .
(٤) الحيوان جـ ٢ ص ٥٦ .
(٥) اللسان جـ ٢ ص ١٠٨٩ .
(٦) العثمانية ص ٦ .

التاريخ مأخوذ منه لأنه حديث[١] ولم ترد صيغة جمع المؤنث السالم تأريخات في اللسان .

البرهانات جمع مؤنث سالم ، قال الجاحظ في أماكن عديدة من كتاباته يذكر فيها لفظة البرهانات قال في الحيوان : ومع ما فيها من البرهانات النيرة[٢] وقال في البيان : ومن العلامات الظاهرة ، والبرهانات الواضحة ، إلى أن حل الله تلك العقدة[٣] وذكر الجاحظ هذه اللفظة في رسائله وفي أماكن أخرى من كتبه وهي جمع لمؤنث سالم ، ولكن في اللسان ذكر أن البرهان الحجة الفاصلة البينة . يقال برهن يبرهن برهنة إذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم فهو مبرهن . والجمع براهين وقد برهن عليه : أقام الحجة[٤] .

مكامنات قال الجاحظ في رسائله : وإبراهيم بن سيار النظام في المكامنات[٥] في اللسان المادة كمن ومنها كمون : اختفاء وكمن له يكمن كمونا وكمن : استخفى . وناقة كمون : كتوم اللقاح . والكمنة : جرب وحمرة تبقى في العين من رمد يساء علاجه فتكمن ، وهي مكمونة ، وقال شمر : الكمنة ورم في الأجفان ، وقيل قرح في المآقي . والمكتمن : الخافي المضمر[٦] وهذه المكامنات هي مذهب كلامي يزعم أصحابه أن النار كامنة في الحجر وفي دهن السراج كما يكمن الدم في الإنسان[٧] . ولفظة المكامنات فلم ترد في اللسان فهي صيغة اشتقاقية أوجدها الجاحظ في كتاباته .

معجونات جمع لمؤنث سالم ذكره الجاحظ فقال : « إن المعجونات كلها

(١) اللسان جـ ١ ص ٤٤ .

(٢) الحيوان جـ ٦ ص ١٠ .

(٣) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٥ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٢٠٥ .

(٥) ذم أخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

(٦) اللسان جـ ٣ ص ٢٩٨ .

(٧) الحيوان جـ ٤ ص ٢٠٨ .

إنما تكون بالعسل وكذلك الأنبجات »[1] المادة لهذه اللفظة عجن ، وقد جاءت في اللسان عجن الشيء يعجنه عجنا ، فهو معجون وعجين ، والعاجن من الرجال : المعتمد على الأرض بجمعه إذا أراد النهوض من كبر أو بدن قال ابن الأعرابي : العجن أهل الرخاوة من الرجال والنساء والعجان الأحمق . وعاجنة المكان : وسطه والمتعجن : البعير المكتنز سمنا كأنه لحم بلا عظم[2] ولم ترد في اللسان لفظة معجونات .

قيارات لفظة أوردها الجاحظ في كتاباته كثيراً قال : إن الماء الذي يكون عليه النفاطات أمرأ من الماء الذي يكون عليه القيارات[3] هذه الصيغة الاشتقاقية لم ترد في اللسان مع العلم بأن مادة قير ذكرها اللسان ومنها اشتق قيرت السفينة أى طليتها بالقار ، وقير الحب والزق ، وصاحبه قيّار [4] وقد اشتق الجاحظ صيغة جمع المؤنث السالم قيارات من المادة قير .

الفطّيْسات ذكرها الجاحظ فقال : أصبر على دق عظام المطارق والفطيسات[5] في اللسان المادة فطس واشتق منها الفطيس ، مثال الفسيق : المطرقة العظيمة والفأس العظيمة[6] ولم يذكر اللسان أى جمع لهذه المادة ولفظة الفطيسات من الصيغ الاشتقاقية التي أوجدها الجاحظ جمعا لمؤنث سالم .

المزملات فقال : « وعرفوا كيف يرشحون ماءهم في الجرار الراشحة وكيف يبردونها صيفا في المزملات »[7] لم يذكر هذا الجمع في اللسان وإن

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٤٢٩ .
(٢) اللسان جـ ٢ ص ٦٩٩ .
(٣) البخلاء ص ٩٨ .
(٤) اللسان جـ ٣ ص ٢٠٠ .
(٥) الحيوان جـ ٤ ص ٣١١ .
(٦) اللسان جـ ٢ ص ١١١ .
(٧) البخلاء ص ٨٣ .

ذكرت مادته زمـل يزمل ويزمل زمالا عدا وأسرع مـعتمدا فى أحد شقـيه رافعا جنبه الآخر ، وكـأنه يعتمد على رجل واحدة . والـزامل من الدواب : الذى كأنه يظلـع فى سيره من نشاطه . والزاملـة : البعير الذى يحمل علـيه الطعام والمتاع والزوملة واللطيمة : العير التى عليها أحمالها . وزاملهم يجوز أن يكون جمع زاملة . والمزاملة المعادلة على البـعير . والمزمل أصله المتزمل والتاء تدغم فى الزاى لقربـها منها[1] ومما تقـدم لم يذكر اللـسان فى مشتـقاتها زمل لـفظة مزملات التى جاء بها الجـاحظ جمعا مؤنثا سالما لمزملة التـى ذكرها فى كتاباته ، وقد وردت هذه اللفظة فى صيغ المفردة المؤنثة .

عيالات ذكرها الجاحظ فـقال : « وإنما كان ذلك من زياد على جـهة النظر للعيالات وكما ينظر الراعى للرعية »[2] هذه اللفظة مادتها عيل ذكرها اللسان مع مشتقات أخرى مثل عيال وعيائل ، وعيول ، ومعيل وغيرها كثير ليس من بينها عيالات ، والـعيل جمع العـائل وهو الفقيـر والعيل جمـع العائل وهو المتـكبر والمتبختر وجمع عيال المتبـختر عاييل ورجل فعيل : ذو عيال[3] ولفظة عيالات لم ترد فى اللسان وذكرها الجاحظ فى صيغ الجمع .

المسنيات فى كلام الجاحـظ قال : الخشبة التـى تمنع الحائط من الـسقوط وتشخص فى القنـاطر والمسنيات[4] وقد جاء فـى اللسان المسـناة : ضفيرة تـبنى للسيـل لترد الماء . سميت مســناة لأن فيها مفاتيـح للماء بقدر ما تحتـاج إليه مما لايغلب . مأخوذ مِن قولك سنيت الشىء والأمر إذا فتحت وجهه[5] .

(١) اللسان جـ ٢ ص ٤٦ .

(٢) البخلاء ص ٧٤ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ٩٤٥ .

(٤) الحيوان جـ ٢ ص ١٨٦ .

(٥) اللسان جـ ٢ ص ٢٢٥ .

نُسَيْئَات ذكرها الجاحظ فقال : « ثم لايلبث كـذلك إلا نسيئات يسيرة حتى يذهب ذلك ذهابا لايعود »[1] وقال صاحب اللسان نسأ الشيء نسأ : باعه بتأخير والاسم النسيئـة . تقول : نسأته البيع وأنسـأته وبعته بنسأة وبعتـه بكلأة وبعته بنسيئة أى بأخرة [2] .

باكورات قال الجاحـظ : اصبروا علـى الرطب عنـد ابتدائه وأوائـله وعن باكورات الفاكهة[3] الباكور مـن كل شىء : المعجل المجـئ والإدراك ، والأنثى باكورة وباكـورة الثمرة منه . والباكـورة أول الفاكهة . وقد ابتـكرت الشىء إذا استوليـت على باكورته وأول كـل شىء باكورته والبـاكور : هو المبكر الـسريع الإدراك[4] .

المُخَارِجات من صيغ الجمـع المؤنث السالم الذى ذكره الجاحظ فـى كتاباته وجاءت المفردة منه فى اللسان قال الجاحظ : لم يصعد نهر سليمان ولاقاتل فى المخارجات أحد قط يـشبهه[5] وفى اللـسان مخارجـة : لعبة لـفتيان الـعرب . والمخارجــة : المـناهــدة بالأصـابع وجـاء فى التـهذيـب : الخراج والخـريج ومخارجـة : لعبة لفتـيان الأعراب [6] والمخارجـات جمع مؤنـث سالم بمعـنى المبـارزات وهو أن يخرج كـل من الفـارسين لصاحـبه فيـبارزه وهذا ما قـصده الجاحظ فى قوله ولاقاتل فى المخرجات .

السَّتِيرَات من صيغ الجـمع التى ذكرها الجاحـظ فقال : كتحنن العـفيفات

(١) الحيوان جـ ١ ص ١٠٧ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٦٢٢ .
(٣) البخلاء ص ٩٢ .
(٤) اللسان جـ ١ ص ٢٤٨ .
(٥) فخر السودان على البيضان ص ١٩٤ .
(٦) اللسان جـ ١ ص ٨٠٨ .

الستيرات[1] هذا الجمع جاء مفرده فى اللسان ستير أى عفيف والجارية ستيرة . وقال الكميت فأما ستيرة فلا تجمع إلا جمع سلامة على ماذهب إليه سيبويه فى هذا النحو[2] .

جموع التكسير وردت عند الجاحظ بكثرة ، وقد اشتق من الأسماء صيغًا اشتقاقية متنوعة لهذه الجموع ومن هذه الصيغ : المتشبهة والنفاضة والنحل والمرادى والأرابيح والمحارى والأوفاق والأمواه والشرائف والأوكية والملال والأعالى والخيوش والجلاليب ، وألفاظ أخرى كثيرة لايسع المجال لذكرها .

الألفاظ التى جاءت على صيغ جمع التكسير فى كتابات الجاحظ لتمثل لنا الاستخدام اللغوى للألفاظ فى العصر العباسى .

فقد ذكر الجاحظ لفظة **المتشبهة** بقوله : سل عنى المتشبهة وذباحى الجزيرة[3] وهذه اللفظة جاءت من مادة شبه التى وردت فى اللسان ومعها مشتقاتها مثل الشبه ، والشبه ، والشبيه بمعنى المثل والجمع أشباه ، قال صاحب اللسان وبينهم أشباه أى أشياء يتشابهون فيها . ومشبهة : مشكلة يشبه بعضها بعضا قال : وأعلم بأنك فى زمان مشبهات والمتشابهات : المتماثلات والتشبيه : التمثيل [4] .

أما لفظة متشبهة فلم ترد فى اللسان فهى من الصيغ الاشتقاقية التى اشتقها الجاحظ من شبه أو من أشباه . أو تشبيه وهى على وزن متفعلة .

نفاضة جاء بها الجاحظ من النفض وذكرها فى بيانه فقال : « كنتم

(١) الحيوان جـ ٣ ص ١٦٧ .

(٢) اللسان جـ ٢ ص ٩٤ .

(٣) البخلاء ص ٥٠ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٢٦٦ .

لاتقاتلون بالليل ، ولاتعرفون البيات ولا الكمين ، ولا الميمنة ولا الميسرة ، ولا القلب ولا الجناح ولا الساقة ولا الطليعة ولا النفاضة ولا الدراجة »[١] لفظة نفاضة على وزن فعالة فى اللسان جاءت المادة نفض ومشتقاتها النفيضة : الذى ينفض الطريق والنفضة : الذين ينفضون الطريق وقال الليث : النفضة بالتحريك ، الجماعة يبعثون فى الأرض متجسسين لينظروا هل فيها عدو أو خوف وكذلك النفيضة نحو الطليعة والنفض تبصر الطريق[٢] أما لفظة نفاضة التى على وزن فعالة فلم ترد فى اللسان .

أراييح التى ذكرها الجاحظ فى كتاباته فى أماكن عديدة لم ترد فى اللسان وإنما اشتقها الجاحظ اشتقاقا جديداً ، وقد جاء ذكر لفظة أراييح فى الرسائل قال : ولسنا نعنى معانى تراكيب الألوان والطعوم والأراييح[٣] وقال فى الحيوان «.وكذلك الطعوم ، وكذلك الأراييح وكذلك الأصوات »[٤] وفى اللسان المادة ريح والجمع أرياح وأرايح وكلاهما شاذ هذا ما ذكره صاحب اللسان وقال الريح : نسيم الهواء وكذلك نسيم كل شىء ، وهى مؤنثة ، والريحة : طائفة من الريح عن سيبويه ، قال : وقد يجوز أن يدل الواحد على مايدل عليه الجمع ، وجمع الريح أرواح وأراويح جمع الجمع ، وقد حكيت أرياح وأرايح وكلاهما شاذ ، وفى التهذيب : الريح واحدة الرياح ، وقد تجتمع على أرواح لأن أصلها الواو وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها ، وإذا رجعوا إلى الفتح عادت إلى الواو [٥] أما صيغة أراييح فلم يأت ذكرها فى اللسان وهى استخدام لغوى خاص بالجاحظ ووزنها على أفاعيل .

(١) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٧ .
(٢) اللسان جـ ٣ ص ٦٩٢ .
(٣) فى الجد والهزل ص ٢٦٢ .
(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٥٧ .
(٥) اللسان جـ ١ ص ١٢٤٧ .

أوفاق ذكرها الجاحظ فقال : وعتبنى بكتاب الأوفاق والرياضيات[1] هذه اللفظة لم ترد فى اللسان وإن كانت مادتها وفق قد ذكرها صاحب اللسان ومعها المشتقات أوفق القوم الرجل : دنوا منه واجتمعت كلمتهم عليه ، وأوفقت الإبل : اصطفت واستوت معا وقد سموا العرب موفقا ووفاقا [2] أما أوفاق التى لم يذكرها صاحب اللسان وصاغها الجاحظ على وزن أفعال من صيغ جموع التكسير (للقلة) .

شرائف ذكرها الجاحظ بقوله « كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث » [3] فى اللسان جاءت المادة شرف . وشرفا وشرفة وشرفة وشرافة فهو شريف والجمع أشراف ، والشرف ، مصدر الشريف من الناس . وشريف وأشراف مثل نصير وأنصار وشهيد وأشهاد وشرف وشوارف وشرف جمع شارف نادر لم يأت مثله[4] أما الجمع شرائف فلم ترد فى اللسان وصاغها الجاحظ على وزن فعائل بالفتح وكسر ما بعد الألف ويطرد فى رباعى مؤنث ثالثه مدة سواء كان تأنيثه بالتاء أو بالألف مطلقا [5]

أوكية ذكرها الجاحظ فقال : وتقرض الجرب وأوكية الأسقية[6] قال ابن منظور الوكاء هو ما يشد به الكيس وغيره كأنه أوكأ مقعدته وشدها بالعقود على الوطأ الذى ... وعن الأخفش التكأة بوزن فعلة وأصله وكأة وإنما متكأ أصله موتكأ مثل متفق أصله موتفق عن أبى عبيد قال : تكأة بوزن فعلة ، وأصله

(١) الحيوان جـ ١ ص ٧ .

(٢) اللسان جـ ٣ ص ٩٦٠ .

(٣) كتاب القيان ص ١٤٩ .

(٤) اللسان جـ ٢ ص ٣٠١ .

(٥) شذا العرف الحملاوى ص ١٠٩ .

(٦) الحيوان جـ ٤ ص ٢٩٨ .

وكأة ، فقلبت الواو تاء فى تكأة [1] .

أما لفظة أوكية فلم أجدها فى اللسان وصاغها الجاحظ على وزن أفعلة من جموع التكسير .

المِلال ذكرها الجاحظ فى أماكن عديدة من كتبه فقال : وأنهم ليوقدون بها الحمامات ، وأتاتين الملال [2] وقد جاء فى اللسان المادة لهذه اللفظة من ملل والمفردة ملة وهى بمعنى الرماد الحار والجمر ويقال الملة الحفرة نفسها وأيضًا بمعنى الرماد الذى يحمى ليدفن فيه الخبز لينضج[3] أما الجمع ملال فلم ترد فى اللسان وإن ورودها عند الجاحظ جاء على وزن فعال بكسر ففتح مخفف ، وقد علق الجاحظ على الملة مفرد الجمع ملال فقال : « ومن هذا الباب الملة والملة موضع الخبزة ، فسموا الخبزة باسم موضعها وهذا عند الأصمعى خطأ [4] .

الخُيُوش على وزن فعول ذكرها الجاحظ فى أماكن عديدة من كتاباته قال فى البخلاء : إذا جلسوا فى الخيوش واتخذوا الحمامات فى الدور[5] مادة هذه اللفظة خيش ومفردها خيشة ، والخيش بمعنى الثياب الرقاق النسج والغلاظ الخيوط وتتخذ منه مشامة الكتان ومن أردئه ، وربما اتخذت من القصب والجمع أخياش وفيه خيوشة أى رقة وخاش ما فى الوعاء أخرجه[6] أما الجمع خيوش فلم يرد فى اللسان وجاء به الجاحظ على وزن فعول .

النُّحَّل ذكرها الجاحظ فى حيوانه فقال : « لولا مكان المعتزلة لهلكت

(١) اللسان جـ ٣ ص ٩٧٢ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ٢٤٤ .

(٣) اللسان جـ ٣ ص ٥٣٠ .

(٤) الحيوان جـ ١ ص ٣٣٣ .

(٥) البخلاء ص ٢٠٥ .

(٦) اللسان جـ ١ ص ٩٢٨ .

العوام من جميع النحل »[1] لم يرد هذا الجمع فى اللسان وإن جاءت المادة نحل وذكر صاحب اللسان لفظة المفردة نحلة أى دين وتدين . وقال بعضهم : هى نحلة من الله لهن أن جعل على الرجل الصداق ولم يجعل على المرأة شيئًا من الغرم ، فتلك نحلة من الله للنساء [2] الجمع نحل لم يذكره صاحب اللسان وورد عند الجاحظ على وزن فِعَل من جموع التكسير ويطرد فى الاسم الذى على وزن فِعْلة بكسر وسكون .

جلاليب وقد وردت هذه اللفظة في قول الجاحظ : « وما تخفيه الجلاليب مما يحل للزوج والولى ويحرم على غيرهما »[3] لفظة الجلاليب استخدام لغوى خاص بالجاحظ فقد ذكر صاحب اللسان أن جلباب الملاءة التى ترتديها المرأة وتشتمل بها والجماعة جلابيب والفعل تجلبيت . وقد أنشد الشاعر : « مجلبب من سواد الليل جلبابا » والجلباب هو الرداء وقيل هو كالمقنعة تغطى به المرأة رأسها وظهرها وصدرها والجمع جلابيب كنى به عن الصبر لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن . والجلباب الملك »[4] والجمع جلاليب لم يرد في اللسان وقد جاء به الجاحظ على وزن فعاليل .

المرادى ذكرها الجاحظ بقوله : « المسنيات التى تهدمها المدود وتخربها المرادى »[5] فى اللسان ذكر المفرد مردى بمعنى الخشبة التى يدفع بها الملاح السفينة والمرد : دفعها بالمردى ، والفعل يمرد [6] أما الجمع مرادى فلم يذكره صاحب اللسان وجاء به الجاحظ على وزن مفاعل .

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٢٠٦ .
(٢) اللسان جـ٣ ص ٥٩٨ .
(٣) كتاب القيان ص ١٥٤ .
(٤) اللسان جـ ١ ص ٤٧٧ .
(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٣٨٥ .
(٦) اللسان جـ ٣ ص ٤٦٤ .

محارى ذكرها الجاحظ بقوله : « لم صوروا فى محاريهم وبيوت عباداتهم ، صور عظمائهم ورجال دعوتهم »[1] . فى اللسان لم ترد لفظة محارى وإن ذكر صاحب اللسان الحارة بمعنى المحلة التى دنت فيها المنازل وقال : كل محلة دنت منازلهم فهم أهل حارة ، وذكر المحارة بمعنى الصدفة وجمعها محار والمادة حير بالفتح بمعنى شبه الحظيرة أو الحمى ومنه الحير بكربلاء[2] والوزن لهذه الصيغة مفاعل .

رءاسى على وزن فعالى منسوب وقد ذكرها الجاحظ فى بخلائه فقال : « وكان أبو عبدالرحمن يشترى ذلك الرأس من جميع رءاسى بغداد »[3] هذه الصيغة لم ترد فى المعاجم ، ففى اللسان نرى المادة رأس والجمع فى القلة أرؤس وآراس على القلب ورؤوس فى الكثير ولم يقبلوا هذه ، ورؤوس : الأخيرة على الحذف . وقال صاحب اللسان نقلا عن أبى عبيد : ارتأسنى فلان واكتسأنى أى شغلنى وقال : الرؤاس والرؤاسى والأرأس : العظيم الرأس . وقال أبو عبيد : شاة أرأس ولاتقل رؤاسى عن ابن السكيت . وشاة رئيس : مصابة الرأس والجمع رآسى بوزن رعاسى ، ورجل رأس بوزن رعاس : يبيع الرؤوس والعامة تقول رواسى »[4] ومما تقدم نجد أن اللسان لم يذكر هذه الصيغة الاشتقاقية رآسى التى أوردها الجاحظ ، فهى من الصيغ الجديدة المستحدثة فى كتاباته وهى على وزن فعالى من المنسوب [5] .

(1) الحيوان جـ ١ ص ٦ .
(2) اللسان جـ ١ ص ٧٦٨ .
(3) البخلاء ص ١١١ .
(4) اللسان جـ ١ ص ١٠٨٩ .
(5) ديوان الأدب الفارابى جـ ٣ ص ٦٩ .

الفصل الثاني

الألفاظ ذات الأصول غير العربية

الفصل الثاني

الألفاظ ذات الأصول غير العربية

تسربت الألفاظ الأجنبية إلى اللغة العربية منذ القدم من أيام الجاهلية وذلك عن طريق التجارة أو الاختلاط بالشعوب المجاورة لبلاد العرب ، كالفرس واليونان وغيرهم . وفي عصر الفتوحات الإسلامية انتقل إلى اللغة العربية نتيجة لاتصالها بغيرها من اللغات عدد من الألفاظ الأجنبية تعبر عن أمور ليست مألوفة عند العرب ولكنهم كانوا بحاجة شديدة إلى هذه الألفاظ الغريبة على بيئتهم اللغوية لكي يسايروا ركب التقدم الحضاري لدى الأمم التي كانت تجاورهم ويرتبطون معها بمصالح مشتركة ، إذ أن التقارب الحضاري يصحبه دائماً تبادل لغوي ، وهذه ظاهرة عامة في كل اللغات وقد سلكت العربية مسلك غيرها من اللغات .

وما أن نصل إلى العصر العباسي حتى نجد أن العرب أصبحوا أكثر شعوراً بأسباب الحضارة للأمم المجاورة واشتد احتياجهم لاقتباس الألفاظ من الفرس[١] واليونان وإن كان ما أخذوه من الفرس أكثر ، وهذا ما سنجده في كتابات الجاحظ أديب العصر العباسي . وقد كان العرب في اقتباسهم للألفاظ الأجنبية يعمدون إلى تحوير بعض هذه الألفاظ عن بنيتها الأصلية وجعلها على نسج الكلمات العربية وأسموها بالألفاظ المعربة ، والبعض الآخر من الألفاظ الأجنبية تركوها على صورتها الأصلية وأسموها بالألفاظ الدخيلة . وهذا التصنيف لم يعرفه علماء العربية القدماء فقلما يفرقون بين المعربة والدخيلة ، ويقول د. حسن ظاظا : إن السيوطي في المزهر والخفاجي في شفاء الغليل استعملوا لفظتي المعرب والدخيل بمعنى واحد[٢] .

(١) ضحى الإسلامي احمد أمين جـ ١ ص ١٧٥ .

(٢) كلام العرب د. حسن ظاظا ص ٧٩ .

والمتأخرون من المؤلفين يصفهم الدكتور إبراهيم أنيس بأنهم استعملوا لفظتي المعرب والدخيل بمعنى واحد وأنهم لم يلتزموا هذا التمييز في علاجهم للألفاظ التي اقترضها العرب[1] . أما الفرق بين اللفظتين فيشرحه مفصلاً الدكتور إبراهيم أنيس فيقول : الكلمة الأعجمية التي يشيع استعمالها لدى العرب القدماء تأخذ نسج العربي فينتقص من أطرافها وتبدل بعض حروفها ويغير موضع النبر منها حتى تصبح على صورة شبيهة بالكلمات العربية وتلك هى التي سماها علماء العربية فيما بعد بالمعرب ، أما غيرها من الكلمات الأجنبية التي بقيت على صورتها الأصلية فقليل عددها وقد ظلت قليلة الشيوع والدوران وأطلق عليها «الأعجمي الدخيل» كأنما أريد بهذا استبعادها عن الألفاظ العربية الأصيلة[2] .

(١) أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ص ١٢٥ .

(٢) أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ص ١٢٦ .

الألفاظ الإيرانية :

أثرت اللغات الإيرانية في عربية العراق تأثيراً قوياً وكثرت في اللغة العربية الألفاظ الإيرانية المعربة بصورة واضحة ، وكتابات الجاحظ تشير إلى هذه الألفاظ وتكشف لنا النقاب عن مدى تأثير اللغات الإيرانية في أهل العراق وخاصة الجيوش العربية الفاتحة ، وقد أورد الجاحظ في بيانه محاورة بين الحجاج وأحد التجار الخراسانيين الذين كانوا يعقدون صفقات تجارية مع الجيش الإسلامي من أجل التموين والإمداد بالمواد الغذائية وغيرها مما يحتاجه الجيش، قال تاجر الدواب للحجاج : شريكاننا في هوازها ، وشريكاننا في مدينها[١] . ويعلق الدكتور حجازي على هذا الحديث اليومي بين الجيش العربي الفاتح وبين المتعاونين معه من الأمصار المفتوحة : من النص نرى أن التاجر استخدم كلمة شريكاننا بدل شركاؤنا ، وبذلك لم يعرف المتحدث صيغة الجمع الصحيحة شركاء وهي صيغة جمع تكسير ، ولكنه لم يجمع هذه الكلمة على نحو عربي بل أضاف علامة الجمع في الفارسية «آن» وبذلك نشأت هذه الصيغة الهجين[٢] .

وأشار الجاحظ إلى انتشار الألفاظ الإيرانية في المدينة والبصرة والكوفة وخص أهل المدينة بقوله : ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز ويسمون السميط الرزدق ، وقال عن أهل الكوفة : فإنهم يسمون المسحاة بال، وبال بالفارسية[٣] . ولو أردنا تتبع الألفاظ الإيرانية التي وردت في كتابات الجاحظ لكان من العسير علينا إحصاؤها ، ولكنه من الممكن إعطاء صورة

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٦١ .

(٢) علم اللغة العربية د. محمود حجازي ص ٢٤٧ .

(٣) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٩ .

تقريبية عما ورد في تلك الكتب من ألفاظ إيرانية دخلت في شتى المجالات للحياة اليومية في العصر العباسي ، ومن الملاحظ أن أكثر هذه الألفاظ تتعلق بالماديات المحسوسة ولم ترد في الناحية المعنوية إلا نادراً كمصطلحات فلسفية أو دينية ، وفيما عدا ذلك كانت تشمل مجالات الأطعمة والألبسة والسكن والأدوية والعقاقير والتعدين والصناعات والمرافق الصحية والمصطلحات الإدارية وغيرها من المجالات التي تنوعت في العصر العباسي وتقريب بعض الألفاظ الإيرانية إلى أفراد المجتمع العباسي ، وإن كانت هذه الألفاظ تدور على ألسنة الأكثرية من أفراد المجتمع حتى المثقفين من الكتاب في هذا العصر كانوا مزهوين بكل ما هو فارسي[1] .

(١) ذم أخلاق الكتاب ص ٤٣ .

أولاً : المجالات الدلالية :

(١) الأطعمة :

مجال الأطعمة متنوع يشمل أنواع البطيخ وأدوات الطبخ وأوانيه وكذلك إعداد الموائد وصفات الآكلين وآداب الطعام وكل ما يمس الأطعمة ويدخل في مجالها وما يستعمل للتنظيف من مواد . وكذلك الأشربة وأنواعها ومن يقوم على خدمة الشاربين وما يدخل في إعداد الأشربة من مواد أولية .

ففي مجال أنواع الطبيخ نجد كلمة سكباج وبزر ماورد وشاهسفرم والجردقة والشبارقات والفالوذق والطبرزد والكامخ والنشاستج والأبزار والباذنجان والماش واللوبيا والترنجبين والخشكار والحواري والزردج والفستق والفانيد والجوز والخربز والكمثرى والسيريز والجيسران والمارماهي .

سِكْبَاج : لفظة «السكباج» وردت عن الجاحظ في أماكن كثيرة من كتبه ورسائله ففي البخلاء قال يصف أحد بخلائه : اشترى بصلاً بدانق وباذنجان بدانق وقرعة بدانق فإذا كان أيام الجزر فجزراً بدانق وطبخه كله سكباجا[١] . إن لفظة السكباج فسرها آدي شير بأنها مرق يعمل من اللحم والخل معرب سكبا وهو مركب من سك أي خل ومن با أي طعام[٢] . وفي معجم استاينجس وصفت لفظة السكباج بأنها فارسية الأصل معربة عن سكبا وهي نوع من الأكل يعمل من اللحم والطحين الأبيض والجزر[٣] . ويعلق طه الحاجري على تناول المعاجم لهذه اللفظة فيقول : عد أصحابُ المعاجم هذه اللفظة من الألفاظ المعربة ، وقد وردت في القاموس المحيط من مادة سكب

(١) البخلاء ص ١٢٢ .

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٩٢ .

(٣) معجم استاينجس ص ٦٨٨ .

وأن السكباج بالكسر : معرب سكبا ولعله من أجل ذلك كان يسمى كما يقول الراغب - الخلية والمخللة[١] .

كَعْك : وردت عند الجاحظ في البخلاء قال : بعد أن كنا لا نرى إلا شيئاً كالبعر من يبس الكعك وهذا ثلط يعبر عن كل غض[٢] . وقد فسرت لفظة الكعك في اللسان بالخبز اليابس ، وقيل الكعك خبز فارسي معرب . قال الليث : أظنه : فارسي معرب[٣] . وقال صاحب كتاب الألفاظ الفارسية : الكعك تعريب كاك ، وهو خبز يعمل مستديراً من الدقيق والحليب والسكر[٤] . ووردت هذه الكلمة في معجم استاينجس بأنها فارسية معربة وهى تعني : نوع من الخبز أو الفطائر تعمل بدون حليب أو زبدة أي أنها ناشفة غير طرية[٥] .

جَرْذَقَة : ذكرها الجاحظ بقوله : فما الشيء أن أرى أحدهم يأخذ حرف الجرذقة ، فيغمسها في الخل الحاذق ويغرقها فيه[٦] . ومن النص نفهم أنها نوع من الأرغفة ، وقد ذكرها القالي بأنها فارسية معربة قال : ولا يقال جردقة وقال أبو النجم : كان بصيراً بالرغيف الجردق[٧] . وفي القاموس جاءت الكلمة بالدال جرذقة : بالفتح ومعناها الرغيف معرب كرده[٨] . وفسرها الجواليقي بالخبز الغليظ وهى بالفارسية كرده[٩] . وقال الخفاجي الجرذق معرب

(١) البخلاء طه الحاجري ص ٢٨٨ .

(٢) البخلاء ص ٢٠١ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ٢٦٨ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٣٦ .

(٥) معجم استاينجس ص ١٠٣٦ .

(٦) البخلاء ص ٥٥

(٧) البارع للقالي ص ٥٢٩ .

(٨) ق م الفيروز آبادي جـ ١ ص ٤٧٣ .

(٩) المعرب للجواليقي ص ٩٥ ، ١١٥

كرده ويأتي بالدال والذال وهو رغيف غليظ[1] .

شَبَارِقات : من الألفاظ التي وردت عند الجاحظ ووصفها بأنها من طعام العجم . قال : أبا فلان ما أدمك ، فيقول : الشبارقات والأخبصة والفالوذجات ، قال : طعام العجم وعيش كسري ، ولباب البر ، بلعاب النحل بخالص السمن[2] . وفي اللسان مادة شبرق ، وفسر صاحب اللسان الشبارق والشباريق : القطع أو يقال ثوب شبرق كجعفر ، والشبارق كقنادل : ما اقتطع من اللحم صغاراً وطبخ وهو معرب[3] . وقال الجواليقي نقلاً عن ابن دريد : والشبارق الذي تسميه الفرس بيشارة . ولحم شبارق يقطع صغاراً ويطبخ ، وزعموا أنه فارسي معرب . وقال الجواليقي أيضاً : فأما الشبارقات وهي ألوان اللحم في الطبائخ ففارسي معرب ، وهو الشفارج للذي تقول له العامة فيشفارج وبشارج وهو ما يقدم بين يدي الطعام من الأطعمة المشهية له[4]. والخفاجي يفسر الشبارق : بمعنى مقطع معرب يقال ثوب شبارق ويقال لحم شبارق وجمعه شباريق والشبارقات ألوانه . . . قلت ومنه قول العامة شبرقة[5] .

فالوذَجات : ذكرها الجاحظ بقوله : الشبارقات والأخبصة والفالوذجات، قال طعام العجم[6] . وذكر مفردها الفالوذق فقال : ومن أشرف ما عرفوه من الطعام ولم يطعم الناس أحد منهم ذلك الطعام إلا عبد الله بن جدعان ، وهو الفالوذق[7] . قال ابن قتيبة : والعرب تسمي الفالوذ صير طراطاً سميت بذلك

(١) شفاء العليل للخفاجي ص ٩٠ .

(٢) البخلاء ص ٢٠٣ .

(٣) ق . م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٦٦٦ وانظر بالبارع للقالي ص ٥٣٠ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ٢٠٤ ، ٢٨٧ .

(٥) شفاء العليل للخفاجي ص ١٥٨ .

(٦) البخلاء ص ٢٠٣ .

(٧) البخلاء ص ٢٢٩ .

للاسترط وهو الابتلاع[1] . ويقول ابن السكيت : تـقول الفالوذ والفالوذق ، ولا تقل الـفالوذج[2] . وقال الجـواليقي : والـفالوذ أعجـمي معرب وكـذلك الفالوذق والفولاذ قال أبو حاتم : قال أبو زيـد : سمعت من العرب من يقول للفـولاذ . فالوذ[3] . والخفـاجي يقول الـفالوذ ، والفـالوذق ، معربـان عن بالوذه. قال يعقوب : ولا تقل فالوذج قال الجوهري : وفي الحديث كان يأكل الدجاج والفالوذ[4] . وآدي شير يقـول : إن الفالوذج والفالوذق وهـى معربة عن بالوده وأما الفالوذ بمعنى ذكره الحديد فلغة في الفولاذ[5] .

بَزْمَاوَرْد : ذكرها الجاحظ بقوله : لم يلبث الفضل أن أتى بصحفة ملآنة من فراخ الزنابير ، ليتخذ له منهـا بزماورد ، والدبر والنحل عند العرب أجناس من الذبان[6] . ويعلـق ابن السكيـت على هذه اللـفظة ويقول : مـا جاء من الأسمـاء مضـموماً الـزماورد . وتقـول : هو الـزماورد للـذي تقولـه العـامة بزماورد[7] ويفسـر صاحب القاموس الـبزماورد بالطـعام الذي يعد من الـبيض واللحم ، والمادة من ورد[8] . ويقول أبو منصور البزماورد هو ما تدعوه العامة وأصل اللفظة الزماورد وهى معربة[9] ، والخفاجي يفصل معنى الكلمة فيقول: الزماورد معرب والعامة تقول بزماورد وليس بـغلط لأن فارسيته كما هو مسطور في لغاتهم وهو الرقاق الملفوف باللـحم بفتح الزاي كذا في حواشي الكشاف ،

(1) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ١٤٣ .
(2) إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣٠٨ .
(3) المعرب للجواليقي ص ٢٤٧ .
(4) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٩٨ .
(5) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٢١ .
(6) الحيوان جـ ٦ ص ٩١ .
(7) إصلاح المنطق ابن السكيت ص ١٦٧ .
(8) ق . م للفيروز آبادي جـ ٢ ص ٤٧٣ .
(9) المعرب للجواليقي ص ١٧٣ .

وفي القاموس هو بـالضم طعام من البيض واللحـم معرب . وفي كتب الأدب هو طعام يـقال له لقمة الـقاضي ولقمة الخـليفة[1] . وفي معجم اسـتاينجس البزماورد حلـوى تصنع في المناسبـات أو هو نوع من الشطائر وهـو معرب عن الفارسية[2] .

شاهَسْفَرَم : من الكـلمات المعـربة وقد وردت عنـد الجاحظ بقـوله اجعلـوا النقل باقلاء ، وإن قـدرتم على الفسـتق ، والريحان شاهـسفرم[3] وردت هذه الكلـمة في القاموس بالـباء الشاهسبرم وبـالفاء الشاهسفـرم ومعناه الريحان ومـادته شهرب[4] . وفي شـفاء الغلـيل ترد هـذه اللفـظة بحركـتين الشاهشفرم والشاهسفرم وأصل الكلمة شاه اسبرغم ومعناه الريحان السلطاني . وقال في البرهان القاطع شاه اسبرغم بكسر الهمزة وهو المسمى ريحانا ويقال له بالعربية ضميران[5] . وفي الألفاظ الفـارسية وردت الشاهسفرم بالفـاء ومعناها عند آدي شيـر نوع من الريحان ويـفصل أصل الكلمـة فيقول : سيرغـم معناه بالفارسـية الريحان وفيـه لغة سبرم ، وللـكبير الشاهـسبرم وشاه سبرفـم والباء الفارسية تـبدل فاء لقربها منهـا ، وقد ذكره في القاموس وهو فيـما عرب قديما لوقوعه في شعر الأعشى وغيره[6] .

باذنجان : فقد أورها الجاحـظ فقال يصف أحد بخلائـه : فإذا كان يوم الأربعاء أكلوا الـباذنجان . فإذا كان يوم الخميس أكـلوا اللحم[7] . جاءت هذه

(١) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٣٩ .

(٢) معجم استاينجس ص ١٨٤ وهذه اللفظة تسمى في العراق اليورك .

(٣) الحيوان جـ ٢ ص ٣٦٦ .

(٤) ق م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٧٧٠ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٦٤ وانظر حياة الحيوان للدميري جـ ٢ ص ١٨٨ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٠٤ .

(٧) البخلاء ص ١٢٢ .

اللفظة من المادة أ ن ب كما ذكرها صاحب القاموس وهى الأنب في العربية[1] وقال الدميري يصف الباذنجان ومضاره : أكله يورث أخلاطاً رديئة وخيالات فاسدة ونقل عن ابن سينا : يولد السدد والسوداء ويفسد اللون ويسود البشرة ويصفر الوجه ويولد الجذام والسرطانات والصداع[2] . وفي شفاء الغليل فسرت لفظة الباذنجان بالأنب والمغد والوغد وهذه أسماؤه بالعربية ، وعن ابن البيطار وهو بكسر الذال وبعض العجم يفتحها ذكره في المصباح ، والعجم تضرب بقبحه المثل في شدة القبح فتقول باذنجان[3] . أما آدي شير فهو يشك في أصل هذه الكلمة فيقول : والصحيح أن الباذنجان مشتق من السريانية . وفي محيط المحيط : الباذنجان معرب باذنكان بالفارسية ومعناه بيض الجن ، وأن باد بالفارسية اسم جن كان موكلاً على أمر التزويج ونك جمعه نكان هو المنقار فيكون معناه مناقير الجن[4] . ويعلق الأب أنستانس في كتابه نشوء اللغة العربية على لفظة الباذنجان فيقول : هذه الكلمة باذنجان ليس في العربي لفظة أفشى انتشاراً ولا أعرف منها ، وقد جاءتنا من جيراننا الفرس الأقدمين فحاول الأقدمون خنقها وعمد بعضهم إلى عمل في منتهى القسوة ، أنهم لم يثبتوها في معاجمهم ليلجئوا الجميع إلى عدها من حوشي اللفظ ، أو من العربي المستهجن ، ولهذا لا تجدها في القاموس ولا في تاج العروس ولا في المصباح ولا في مختاره ولا في الأساس . ومن الغريب أنهم لم يحتاطوا لأنفسهم كل الاحتياط لأنهم لما ذكروا ما يقابلها في العربية المبنية شرحوه بقولهم الباذنجان فجاء عملهم هذا خداجاً مضحكاً والآن اذهب بنفسك إلى جميع الربوع التي نطق أهلها بلسان معد وعدنان فإنك لا تسمع إلا الباذنجان ولا يعرفون المغد ،

(١) القاموس الفيروز آبادي جـ ١ ص ١٨٤ .

(٢) حياة الحيوان للدميري جـ ٢ ص ١٨١ وانظر المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٢٨٤ .

(٣) شفاء الغليل للخفاجي ص ٦٨ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٥ .

ولا الوغـد ، ولا الجدق والحذق ولا الحـيصل ولا الـكهكـب أو الكهـكم أو القهقب ولا الأنب ولا الشرجيان ولا الا نفحة ولا سواها[1] .

طَبَاهِج : وقد ذكـره الجاحظ بقـوله : فلـم يلبـث الخرساني أن سـمع نشيش اللحم في المـقلي ، وشم الطباهج[2] . وجاء في القاموس : الـطباهجة : هى اللحم المشرح معـرب تابهه والمادة طبهج[3] . وذكر آدي شير الطـباهجة معربة عن الفارسية تباهة وهو طعام من بيض وبصل ولحم[4] .

طَبَرْزَد : وردت عند الجاحظ كثيراً ففي مجـال العلاج قال : فمما يعالج به الكباد : الـزعفران والسكر الطبرزد ، ومـاء الهندبا[5] . وجاء في الـقاموس أصل المادة من طبر والطبرزد : سكر معرب كأنه نحت من نواحيه بالفأس وذكر قول الأصمعي طبرزن وطبرزل[6] . وذكر الجواليقي هذه الكلمة بثلاث لغات : سكر طبرزد وطبرزل وطبرزن وقال : عن هـذه اللغات لغات معربات . وأصله بالفارسية تبرزد كأنه يراد : نحت من نواحيه بفأس . والتبر : الفأس بالفارسية ومن ذلك سمـى الطبرزد من التمر لأن نـخلته كأنما ضربـت بالفأس[7] . وقال الخفـاجي : الطبـرزد : سكر وطـبرزل وطبرزن مـعرب أصل مـعناه ما نـحت بالفأس ولذا سـميت طبرستان لقـطع شجرها[8] . وقال آدي شـير الطـبرزد : السكر الأبـيض الصلب فارسي مـحض مركب من تبـر ومن زد أي ضرب لأنه يدقق بالـفأس ، وهذه الآلة من السـلاح تشبه الطبـر أو هو الطبر بعـينه وهذا

(١) مصادر اللغة د. عبد الحميد الشلقاني ص ٥٥٤ .

(٢) البخلاء ص ٢٣ .

(٣) قاموس المحيط جـ ٣ ص ٥٦ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١١١ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٣ وانظر البيان والتبيين جـ ٣ ص ٩٣ .

(٦) ق . م . الفيروز آبادي جـ ٣ ص ٥٢ .

(٧) المعرب للجواليقي ص ٢٢٨ وانظر المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٢٨٢ .

(٨) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٧٦ .

أصح لأن أصل معناه الطبر المعلق في السرج فإن الفرس كان من عاداتهم أن يعلقوا الطبر في السروج[١] .

كامخ : ذكرها الجاحظ فقال : أتى قاسم التمار منزل ابن أبي شهاب وقد تعشي القوم وجلسوا على النبيذ فأتوه بخبز وزيتون وكامخ[٢] . وقد فسرت المعاجم هذه الكلمة بالأدم وأيضاً بالمشهيات التي توضع مع الأكل .

ففي المعرب الكامخ هو الذي يؤتدم به معرب . وروى ابن دريد عن بعض أهل اللغة : أن أعرابياً قدم إليه خبز وكامخ ، فلم يعرفه فقيل له : هذا كامخ فقال : قد علمت ولكن أيكم كمخ به[٣] . وفي شفاء الغليل يقول الخفاجي : الكامخ جمعه كواميخ مخلل يشهى الطعام معرب كامه . وعن صاحب منهاج البيان : الكامخ هو الطعام من الدقيق والملح واللبن ينشف في الشمس ثم يطرح عليه الأبازير[٤] . وقال آدي شير عن الكامخ هو أدام يؤتدم به يقال له المري تعريب كامه ومنه الآرامي ويرادفه اليوناني[٥] .

نِيمْبِرِشْت : ذكرها الجاحظ في مجال الأطعمة فقال : ومن اللبأ واللبن ومن البيض والنيمبرشت[٦] . وقد فسر آدي شير هذه اللفظة بالشئ الذي يشوي نصف شى مركب من نيم أي نصف ومن برشت أي مشوي[٧] . أما في المعاجم الأخرى فلم أجد ورود هذه الكلمة وإن كانت تستخدم بمعنى البيض الذي يشوى نصف شى .

(١) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١١١ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٤ ص ١٢ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ٢٩٨ وانظر ق . م جـ ٤ ص ٨٠ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٢٦ .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٣٧ .

(٦) البخلاء ص ٧٧ .

(٧) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٥٦ .

أبزار : ذكرها الجاحظ في تفسيره لكلام أبي الفاتك قال : المغربل الذي يأخذ وعاء الملح ، فيديره إدارة الغربال ليجمع أبازيره ، يستأثر به دون أصحابه. لا يبالي أن يدع ملحهم بلا أبزار[١] وقد تناولت المعاجم هذه الكلمة، ففي القاموس جاءت لفظة أبزار ، وأبازير ، والبزر كل حبّ يبذر للنبات والجمع بزور والتابل جمع أبزار الطعام وإلقاء الأبازير في القدر[٢] . وفي المعرب جاءت لفظة إبزار بكسر الهمزة وهو التابل وقال الجواليقي : الأبزار فارسي معرب وليس بجمع[٣] .

دارصيني : وهو نوع من التوابل لا يستغنى عنه في إعداد الطعام آنذاك، وقد ذكره الجاحظ في كلامه عن أحد بخلائه قال : وكان قد جاوز في ذلك حد البخلاء . فدخلت عليه يوماً وإذا قدامه قطع دارصيني لا تساوي قيراطاً فلما نال حاجته منها مددت يدي لآخذ منها قطعة فلما نظر إلى قبضت يدي[٤] . جاء في شفاء الغليل : الدارصيني معروف معرب ومعناه بالفارسية شجر الصين[٥] . وفسر آدي شير لفظة الدارصيني بالشجر الهندي ومكانه في تخوم الصين كالرماة ، تعريب دارجيني أي شجر الصين[٦] .

النَّشَاسْتَج : تدخل في مجال حديثنا عن الأطعمة وقد ذكرها الجاحظ في حديثه عن فضل الكتب ومآثر المتقدمين قال : ولهم صب الزردج واستخراج النشاستج[٧] . واستعمال هذه الكلمة ذكره الجاحظ في بخلائه

(١) البخلاء ص ٧٧ .
(٢) ق. م جـ ١ ص ٢٦٥ .
(٣) المعرب للجواليقي ص ١٩ .
(٤) البخلاء ص ١٢٢ .
(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٩ .
(٦) الألفاظ الفارسية المعربة ادي شير ص ٦٠ .
(٧) الحيوان جـ ١ ص ٨٢ .

ليصـف الخزيرة التـي تتخذ من الـنشاستـج والسكر ودهـن اللوز[١] . وفسر الجواليقي هذه اللـفظة نقلاً عن الجوهري قال : التشاستـج هو النشا ، فارسي معرب حـذف شطره تخـفيفاً كمـا قالوا للـمنازل منا . والـنشا معـرب وأصله نشاسته[٢] . ويفصل لنـا آدي شير هذه اللفظة فـيقول : النشا ما يسـتخرج من الحنطـة إذا نقعت حتـى تلين ومرست حـتى تخالط المـاء وصفيت في المـناخل وجففت فارسيته نشاسته والكردي نشا ولعل الكلمة آرامية الأصل[٣] .

ماش : يوردها الجاحظ في حديثه عن أدواء الحمام وعلاجها قال : ومما يعالج به السل أن يطعم الماش المقشور ، ويمج في حلقه من اللبن الحليب[٤] . قال الجواليقي مفسراً هذه اللفظة : المج حب كالعدس غير أنه أشد استدارة منه أعجمي معرب وهو بالفارسية ماش[٥] . وقال الدميري يصف الماش : هو نبت معروف يضمد به الأعضاء فـيسكن ويضعف الأسنان[٦] . الخفاجي لا يـضيف شيئاً جديداً على ما جاء في المعرب وهو ينقل نص المعرب حرفياً .

لوبيا : وهى من البقول التي تستعمـل في الأطعمة بكثرة ، قال الجاحظ في الحيوان : قال : وتعشي أبـو كعب القاص بطفشيك كثير اللـوبيا وأكثر منه وشرب نبيذ التمر[٧] وفي القاموس اللوبياء ، اللوباء بالضم ولوبه به : خلطه به أو لطخه به[٨] . ومما نلاحظ أن معـنى القاموس غير واضح . أمـا في المعرب

(١) البخلاء ص ٣١ .

(٢) المعرب للجواليقي ص ٣٤٠ .

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٥٣ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٧٣ .

(٥) المعرب للجواليقي ص ٣١٧ .

(٦) حياة الحيوان للدميري جـ ٢ ص ١٩٦ .

(٧) الحيوان جـ ٣ ص ٢٤٨ .

(٨) ق م الفيرور آبادي جـ ٤ ص ١٨٠ .

فيقول الجواليقي اللوبيا ، واللوبياء ، واللوبياج ، ولم أجد من نص على أنه معرب إلا قول ابن دريد والدجر الذي يسمى اللوبيا بالفارسية[(١)] . وآدي شير فهو يفسر الكلمة : اللوبياء تعريب لوبية وفيها لغات بالفارسية منها لوبيا ولوبا ولووبا ويورد كلام (فرنكل) على أنها مأخوذة من الآرامي[(٢)] .

التَّرَنْجَبِين : ذكرها الجاحظ في حيوانه فقال : ثم تنقل من الأشجار العسل الساقط عليها ، كما يسقط الترنجبين والمن وغير ذلك[(٣)] . قال آدي شير مفسراً لهذه الكلمة : الترنجبين طل أكثر ما يسقط بخراسان وما وراء النهر وأكثر وقوعه على الحاج ويجمع كالمن وأجوده الأبيض تعريب ترنكبين . وقد قال في البرهان القاطع ترنكبين من أنواع المن يسقط مثل الطل على الحسك وهو حلوا . ويقال له بالعربية المن . والترنجبين معرب عنه[(٤)] . ولم يرد ذكر هذه الكلمة في المعاجم الأخرى .

الخُشْكَار : فقد ذكرها الجاحظ بقوله : فيقوم الحواري المتطلخ مقام الخشكار النظيف[(٥)] . يقول آدي شير : الخشكر ما خشن من الطحين فارسيته خشكار وهو القصرى والقصرى ما بقى في المخل بعد الانتخال ، أي ما نسميه بالنخالة[(٦)] . وقد وردت كلمة الحواري بقول الجاحظ : فيقوم الحواري المتلطخ مقام الخشكار[(٧)] وهى من الألفاظ الفارسية ، وهذا ما أكده استاينجس في

(١) المعرب للجواليقي ص ٣٠٠ وانظر شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٤٢ ، وانظر حياة الحيوان للدميري جـ ٢ ص ١٩٦ .

(٢) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٤٢ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٤٢٣ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٣٥ .

(٥) البخلاء ص ٩٦ .

(٦) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٥٥ .

(٧) البخلاء ص ٩٦ .

معجمه قال : هو نوع من الدقيق الجيد يعمل منه الخبز الأبيض اللذيذ . أو هو ما يدعى بالخبز الأبيض[١] .

الخُشْكَنَان : قال الجاحظ : وقد عاب ناس من أهل المازج والمديير بأمور : منها أن خشكنانهم من دقيق الشعير وحشوه الذي فيه من الجوز والسكر من دقيق خشكار[٢] . قال الجواليقي : هذه الكلمة قد تكلمت بها العرب واستشهد لها ببيت من الرجز :

يا حبذا الكعك بلحم مثرود وخشكنان وسويق مقنود[٣]

أما في شفاء الغليل فيقول الخفاجي : الخشكنان لفظ معروف تكلمت به العرب قديماً[٤] ويعلق الحاجري على كلام الجواليقي والخفاجي فيقول : والذي يؤخذ من السياق هنا أنه نوع من الكعك يحشى بالجوز والسكر . وكذلك يفسر دوزي الكلمة «خشكنانج» ، فيقول : إنه نوع من الخبز المصنوع من الزبد والسكر والجوز والفستق ، ويكون على هيئة هلال[٥] .

الزردج : ذكرها الجاحظ في الحيوان فقال : ولهم صب الزردج واستخراج النشاستج[٦] . يقول الخفاجي عن الزردج هو المصفر وماء الزردج ماؤه وهو معرب[٧] . وفسرها آدي شير فقال : الزردج فسر بالمصفر تعريب زرتك وهو ماء المصفر[٨] .

(١) معجم استاينجس ص ٤٣٣ .

(٢) البخلاء ص ١٢٢ .

(٣) المعرب الجواليقي ص ١٣٤ - ٢٦١ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٢ .

(٥) البخلاء ص ٣٦٩ .

(٦) الحيوان جـ ١ ص ٨٢ .

(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٣٩ .

(٨) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٧٨ .

الجَوْزِينَج : وهذه تستخدم في الحلوى وقد ذكرها الجاحظ فقال : الإيثال بخبز الخشكار على الحواري والباقلي على الجوزينج[١] . قال الجواليقي الجوزينق والجوزينج . وبالقاف للغة الفصيحة[٢] . ولم يزد على هذا القول شيئاً ولكن آدى شير أوضح معنى الكلمة وذكر أصلها فقال : فالجوزينج والجوزينق من الحلاوات يعمل من الجوز تعريب كوزينة[٣] .

الفَانِيد : نوع من الحلواء وقد ذكر الجاحظ هذه الكلمة في مجال وصفها كدواء من السعال قال : اشتكيت أياماً صدري ، من سعال كان أصابني ، فأمرني قوم بالفانيد السكري[٤] . ذكر آدي شير الفانيد فقال : الفانيد معرب فانيد ، وهو نوع من الحلوى يصنع من السكر ودقيق الشعير والترنجبين[٥] .

الفستق : وقد تكررت في كتب الجاحظ فذكرها في وصية عثمان الخياط للشطار من اللصوص قال : واجعلوا النقل باقلاء ، وأن قدرتهم على الفستق والريحان شاهسفرم وأن قدرتهم على الياسمين[٦] . قال القالي : الفستق والواحدة فسدقة ، وفستقة . قال الخليل : الفسدق حمل شجر كالبندق ويكسر عن لب كالفستق[٧] . أما آدي شير فيقول : الفستق تعريب بسته وهو مركب من بست أي السويق ومن هاء التخصيص ومنه اليوناني والتركي والكردي فستق[٨] .

---

(١) في الجد والهزل ص ٢٦٦ .

(٢) المعرب للجواليقي ص ٩٩ .

(٣) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٤٨ .

(٤) البخلاء ص ٣١ .

(٥) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٢١ .

(٦) الحيوان جـ ٢ ص ٣٦٦ .

(٧) البارع للقالي ص ٥٥٧ وانظر القاموس المحيط جـ ٣ ص ٤٨٩ .

(٨) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١١٩ .

الجوز : وهو ما يدخل كثيراً في عمل الحلوى وذكر الجاحظ هذه اللفظة فقال : وحشوه الذي يكون فيه من الجوز والسكر من دقيق خشكار[1] . في القاموس الجوز بمعنى وسط الشئ ومعظمه . وثمر معرب كوز أما الجمع فجوزات[2] . ويقول الخفاجي عن الجوز بأنه فارسي معرب وقد تكلم به العرب قديماً ومن أمثالهم : لأشقحنك شقح الجوز بالجندل[3] . وآدي شير يصف الجوز بزنة تمر معروف معرب كوز ومنه التركي جويز والآرامي والكردي كوز أو قوز والأرمني والعبراني كوز وهو باللغة الربانية ويقربه الرومي[4] .

الخِرْبِز : وقد ذكره الجاحظ في بيانه فقال ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز[5] . فسرت لفظة الخربز في القاموس بالبطيخ وقال الفيروز أبادي: هو عربي صحيح أو أصله فارسي[6] . وفي المعرب الخربز والرطب وهو البطيخ بالفارسية ، وقد جاء في حاشية المعرب الخربز فسروه بالبطيخ ولكن أهل الحجاز يطلقونه على البطيخ الأصفر[7] . وفي شفاء الغليل يؤكد الخفاجي أن هذه الكلمة معناها بطيخ وهو معرب[8] . أما آدي شير فيقول إن الخربز مشتق من خربزة وهو البطيخ والكربز لغة فيه[9] ومما تقدم نرى أن المعاجم قد اختلفت في تحديد أصل هذه الكلمة ولكن الجاحظ في نصه يؤكد أن الخربز لفظة فارسية الأصل .

(١) البخلاء ص ١٢٢ .

(٢) ق. م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٥٥٥ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ٩٩ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٤٨ .

(٥) البيان والتبيين جـ ١ ص ١٩ .

(٦) ق م جـ ٢ ص ٣٠ .

(٧) المعرب الجواليقي ص ١٣٧ .

(٨) شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٢ .

(٩) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٥٢ .

خيار : ذكرها الجاحظ في حديثه عن الألفاظ الفارسية فقال : ويسمون القثاء خيار والخيار بالفارسية[١] . جاء في القاموس الخيار من مادة خير شبه القثاء والاسم من الاختيار[٢] . وفي شفاء الغليل يقول الخفاجي : الخيار نوع من القثاء ليس بعربي[٣] أما آدي شير فيؤكد أن الخيار فارسي محض وهو معروف[٤] .

كمثرى : وهو أنواع مثل الكمثرى الخراساني والصيني والنهاوندي . قال الجاحظ عن الكمثرى الخراساني : وهذا الباقلي الأخضر العباسي ، أطيب من كمثرى خراسان[٥] جاء في القاموس الكمثرى منه ، الواحدة كمثراة والجمع كمثريات وقد يذكر وقد يقال هذه كمثرى واحدة وهذه كمثرى كثيرة[٦] . وفي المعرب قال الجواليقي نقلاً عن الأصمعي : من الفارسي المعرب الكمثرى ، ويقال كمثراة وكمثرى منون مشدد ولم يعرف التخفيف وقال الأصمعي : حدثني عقيلي قال : قيل لابن ميادة الكمثرى فلم يعرفه ، لأنه أعرابي ثم فكر وقال : مالهم - قاتلهم الله - يقولون الأكم أثرى : ليست - والله - بأثرى ولا كرامة[٧] . وقال الخفاجي : إن الكمثرى معربة ويخفف وقيل هى عربية وتكلفوا في اشتقاقها ولا يعرفها عربي قح[٨] .

والتمور ذكرها الجاحظ في كتاباته وعدَّد أنواعها مثل :

(١) البيان والتبيين جـ ٦ ص ١٩ .
(٢) ق. م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ١٣٣ .
(٣) شفاء الغليل للخفاجى ص ١١٢ .
(٤) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٥٨ .
(٥) البخلاء ص ٩٨ .
(٦) ق. م الفيروز آبادي جـ ٤ ص ٨٠ .
(٧) المعرب للجواليقي ص ٢٩٦ .
(٨) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٢٣ .

بَرْني : والهلباثا والسكر والرطب أيضاً ذكره الجاحظ فقال : إنك إذا أطعمتهم اليوم البرني أطعمتهم غدا السكر ، وبعد غد الهلبثا . ثم يصير ذلك بعد أيام الجمع في سائر أيام الأسبوع ثم يتحول الرطب إلى غداء[١] . في شفاء الغليل يفصل معنى هذه اللفظة البرني معناه بالفارسية حمل مبارك لأن بر بمعنى حمل وني بمعنى جيد فعربته العرب وأدخلته في كلامها ، قال الإمام السهيلي : وفيه نوع يقال له البردي كما في المصباح[٢] وآدي شير يقول إن البرني ضرب من التمر وهو من أجود التمر ، معرب بارنيك وأصل معناه الحمل الجيد[٣] .

سَهْرِيز : ذكره الجاحظ فقال : فلو جئنا بشئ من السهريز والبرني لأكلنا[٤] . وهذه اللفظة شرحها صاحب القاموس قائلاً : سهريز بالضم والكسر وبالنعت والإضافة : نوع من التمر[٥] وقال الجواليقي : السهريز يقال له التمر السهريز والشهريز وقال : وسمعت أعرابياً يقول شهريز فجاء بالشين معجمة وضمها والقياس الكسر . وهو فارسي معرب وبعض العرب يسمى السهريز السوادي وبعضهم يسميه الأوتكي[٦] ويقول الخفاجي السهريزي معربة[٧] .

الجَيْسَرَان : فيقول : جاءنا بطبق عليه ربط سكر وجيسران أسود[٨] شرح هذه اللفظة في القاموس بأفخر أنواع النخل وهى لفظة معربة والأصل

(١) البخلاء ص ١٣٤ .

(٢) شفاء الغليل للخفاجي ص ٧٢ .

(٣) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٢١ .

(٤) البخلاء ص ١٩٧ .

(٥) ق م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٦٣٨ .

(٦) المعرب للجواليقي ص ١٨٩ ، ١٩٩ .

(٧) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٤٨ .

(٨) البخلاء ص ١٩٧ .

كيسران ومعناها الذوائب(١) . ويقول آدي شير الجيسران : جنس من أفخر النخل فارسيته كيسران ومعناه الذوائب(٢) .

المارماهي : وردت عند الجاحظ قال : وكل شئ في الماء مما يعايش السمك ، ومما أشبه الحيات كالمارماهي والأتكليس فإنها كلها على ضربين(٣) . قال الدميري عن المارماهي بأنه سمك شبيه الحيات ردئ الغذاء ، وهو الذي يسمى الجرئ ويسمى المارماهي ويكون في أنهار البصرة ولفظه غير عربي(٤) وفي معجم استاينجس المارماهي من الألفاظ الفارسية التي تدل على نوع من السمك Snake-Fish(٥) .

البَاذَرُوج : وردت عند الجاحظ في حديثه عن أهل الكوفة قال : ويسمى أهل الكوفة الحوك الباذروج والباذروج بالفارسية(٦). وصف استاينجس هذه اللفظة في معجمه فقال : هى نوع من النبات له عطر أو هو زيت نبات ذو رائحة لطيفة ويجلب السلام والهوى للعقل والذهن فارسي الأصل(٧) .

اواني الطعام :

ذكر الجاحظ في كتاباته كلمات كثيرة معربة لأدوات وأواني الطعام مثل الجامات والأسكرجات والأسكرية والدستج والدبة والهاون . والخوان والبارجين والتنور والأنهار . وهذه الألفاظ وردت في أماكن متفرقة عند الجاحظ .

(١) ق. م الفيروز آبادي جـ ١ ص ٥٦٦ .
(٢) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٤٩ .
(٣) الحيوان جـ ٤ ص ١٢٩ .
(٤) حياة الحيوان للدميري جـ ١ ص٦٤ .
(٥) معجم استجاينجس ص ١١٤٠ .
(٦) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٠ .
(٧) معجم استاينجس ص ١٤١ .

الجامات : وذكر المفرد جام فقال : وجاءني بجام لبأ وطبق تمر[١] . فسرت المعاجم هذه اللفظة بالتفصيل ففي القاموس الجام : إناء من الفضة والجمع أجوم بالهمز والجمع أجوام ، وجامات وجوم[٢] . وآدي شير يشرح هذه اللفظة باقتضاب فيقول : الجام وهو معروف فارسيته جام[٣] وفي معجم استاينجس الجام بمعنى الكأس أو القدح أو الاطس أو الإناء العميق[٤] .

السُكرّجات : وقد وردت عند الجاحظ بقوله : ما يفضل في الجامات والسكرجات[٥] . وذكر الجاحظ لفظة المفرد سكرجة بعدة لغات أسكرجة وأسيكرة وكلها تعني مفرد السكرجات . قال : فنثروا عليها لبكة من دبس مقدار نصف أسيكرة[٦] . وقد فسر الجواليقي هذه اللفظة فقال : والسكرجة بضم السين والكاف وفتح الراء وتشديدها أعجمية معربة ، وكان بعض أهل اللغة يقول : الصواب أسكرجة وقد جاء في الحديث بغير همزة . عن أنس بن مالك قال : ما أكل النبي ﷺ على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق. ويستمر الجواليقي في تفسيره لهذه الكلمة فقال : الأسكرجة : فارسية معربة ترجمتها مقرب الخل وقد تكلمت بها العرب وفارسيته أسكرة وهو إناء صغير من خزف ، وقال أبو علي فإن حقرت حذفت الجيم والراء فقلت أسيكرة، وإن عوضت من المحذوف قلت أسيكيرة وكذلك قياس التكسير إذا اضطر إليه . وزعم سيبويه أن بنات الخمسة لا تكسر إلا على استكراه فإن جمع على غير التكسير ألحق الألف والتاء وقياس ما رواه سيبويه في «بريهم» ،

(١) البخلاء ص ١٢٣ .

(٢) ق. م للفيرور آبادي جـ ١ ص ٥٦١

(٣) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٤٩ .

(٤) معجم اسنداينجس ص ٣٥٠ .

(٥) البخلاء ص ١٢٠ .

(٦) البخلاء ص ١٢٨ .

«سكيرجة[١] أما آدي شير فقد فسر هذه الكلمة المتعددة اللغات قال : إن الأسكرجة والسكرجة إناء صغير معناه مقرب الخل وفارسيته أسكرة وهو إناء صغير من خزف وقال : السكرجة الصحفة تعريب سكرة[٢] .

ولفظة **دَسْتِج** وردت عند الجاحظ على لسان الطبيب بختيشوع قال : «شرب الوصل دستج الهجر فاستطلق»[٣] وفسر صاحب القاموس هذه اللفظة فقال : الدستجة : الحزمة معرب الجمع الدساتج . والدستج آنية تحول باليد معرب دستي . والدستينج : اليارق[٤] . وقال آدي شير عن الدستيج بأنه آنية تحول باليد مشتق من دستي الفارسية[٥] .

ومن أدوات الطعام **الدَّبَّة** ذكرها الجاحظ وهو يصف أحد بخلائه قال : فأخذ دبة وجعل فيها حصى واتكأ عليها[٦] . وردت لفظة دبة في القاموس من المادة دبب وفصل صاحب القاموس بإسهاب معنى الدبة . قال هي الطرف للبزر والزيت وهي الكثيب من الرمل أو الرملة الحمراء ، أو المستوية أو الأرض المستوية والفعلة الواحدة من الدبيب والجمع دب ، والدباء : القرع كالدبة بالفتح والواحدة بهاء[٧] . ويذكر آدي شير أصل الكلمة الفارسي دبا وهو القرع[٨] .

هاون : **من** الأدوات التي لا يستغنى عنه المطبخ العباسي وقد وردت

(١) المعرب الجواليقي ص ١٩٧ وص ٢٧-٢٨ .

(٢) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٠ ، ص ٩٢ وانظر الخفاجي ص ١٤٦ .

(٣) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٤) ق . م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ١٧٨ وانظر المعرب للجواليقي ص ٣٥٧ .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٦٣ .

(٦) البخلاء ص ١٥٣ .

(٧) ق . م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ١٧٨

(٨) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٦ .

عند الجاحظ في بخلائه فقال : الدق في الهاون والمنحاز في أرض الدار[1] يقول الحريري عن هذه اللفظة : إن القياس المطرد ألا تجمع أسماء الجنس المذكر بالألف والتاء وإنما أشذت العرب عن هذا القياس أسماء جمعتها بالألف والتاء تعويضاً لأكثرها عن تكسيره وهي حمام وإيوان ، وهاوون[2] . وذكر صاحب القاموس هذه اللفظة بعدة لغات مثل هاون وهاؤن وهاوون وكلها جاءت من المادة هون[3] والجواليقي ذكر أن كلمة هاوون معربة أعجمية وهي على وزن فاعول وقال لا تقل هاون لأنه ليس في الكلام اسم على فاعل موضع العين منه واو[4] . وأكد كلام أبي منصور ما أورده الخفاجي في شفاء الغليل أن هاوون بوزن فاعول ولا يقال هاون بضم الواو لأنه ليس في كلامهم فاعل بالضم[5] . أما آدي شير فيوضح هذه الكلمة بصورة مفصلة فيقول : الهاون والهاوون فارسية وهو الذي يدق فيه الدواء وغيره وأصله الفارسي هاون ومنه هاون بالتركية وجاون بالكردية[6] .

خُوَان : وردت هذه اللفظة عند الجاحظ وهو يصف خوان أحدهم قال: كنت أنا وأبو إسحاق إبراهيم بن يسار النظام وقطرب النحوي ، وأبو الفتح مؤدب منصور بن زياد على خوان فلان بن فلان والخوان من جزعة[7] وتفسير هذه اللفظة ورد في المعاجم وفي كتب اللغة ، ففي البارع يقول القالي: جاءت لفظة الخوان من مقلوب الخاء والنون والألف والواو والياء في الثلاثي

(١) البخلاء ص ٨٤ .

(٢) درة الغواص للحريري ص ٢٥٨ .

(٣) ق. م جـ ٤ ص ٥٤٧ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ٣٤٦ وانظر المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٢٨٠ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٦٩ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٥٩ .

(٧) البخلاء ص ٥٤ .

المعتل وعن أبي على قال يعقوب : وتسمى العرب ربيع الأول خواناً وحكى أبو عبيدة : خوان وخوان بكسر الخاء وضمها للذي يؤكل عليه . وقال الخليل: الخوان المائدة وجمعه أخونة وخون . قال والمخانة خون النصح وخون الود[1] . وقال القالي في أماليه : خوان وجمعه خون ، وخوان المائدة إذا لم يكن عليها طعام فهى خوان[2] . والحريري يفسر معنى كلمة الخوان فيقول : يقولون لما يتخذ لتقديم الطعام عليه : مائدة ، والصحيح أن يقال له : خوان إلى أن يحضر عليه الطعام فيسمى حينئذ مائدة[3] . وفي القاموس وردت لفظة الخوان بدون توضيح وافٍ ، فقد ذكر صاحب القاموس الخوان في خون ما يؤكل عليه[4] أما الجواليقي فيفصل معنى هذه اللفظة ويذكر أصلها فيقول : الخوان : أعجمي معرب وقد تكلمت به العرب قديماً وفيه لغتان جيدتان : خوان وخوان ولغة ولغة أخرى دونهما وهى أخوان وقد مضت في الهمزة قال الشاعر : «كثير إلى جنب الخوان ابتراكه[5] . وفي شفاء الغليل فسرت لفظة خوان بأنها معربة وهناك قول بأنها من أصل عربي مأخوذ من تخونه أي نقص حقه لأنه يؤكل ما عليه فينقص[6] . أما آدي شير فيقول : الخوان والأخوان ما يوضع عليه الطعام ليؤكل تعريب خوان وأصل معناها الطعام والوليمة[7] .

البَارْجِين : من أدوات الطعام وقد وردت عند الجاحظ بقوله : «وحين أكلوا بالبارجين ، وقطعوا بالسكين ، ولزموا عند الطعام السكتة»[8] قال

(١) البارع للقالي ص ٢٣٤ .

(٢) الأمالي للقالي جـ ٢ ص ١٦٢ ، ٢٧٨ .

(٣) درة الغواص للحريري ص ٢٢ .

(٤) ق. م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ١٣٠ .

(٥) المعرب للجواليقي ص ١٢٩ .

(٦) شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٢ .

(٧) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٥٨ .

(٨) البخلاء ص ٦٨ .

الجواليقي مفسراً هذه اللفظة : البارجين هى الفارقين وتعني الخندق بالفارسية[١] ومما تقدم من تفسير الجواليقي لا يتضح معنى الكلمة ، ولكن الحاجري أوضح المعنى بقوله : البارجين مأخوذة من المصدر الفارسي برجنيدن ومعناه الالتقاط، ويلاحظ أن مادة الفعل برجين . ويؤخذ من سياق ذكرها هنا أنها أداة من أدوات الأكل ولعلها كانت شيئاً قريباً من الشوكة المستعملة الآن[٢] .

التنُّور : وقد وردت في مجال الأطعمة وهى من الأجزاء الرئيسية في البيت العباسي ، قال الجاحظ يحدد مكان هذا التنور وأورد الجمع تنانير أيضاً : لا ينصبون التنانير ، ولا يمكنون للقدور ، إلا على متن السطح[٣] . ويقول ابن قتيبة : روى عن ابن عباس أنه قال : التنور بكل لسان عربي وعجمي[٤] والجواليقي يشرح لفظة التنور فيقول : هى لفظة معربة عن الفارسية . لا تعرف له العرب اسماً غير هذا فلذلك جاء في التنزيل ، لأنهم خوطبوا بما عرفوا «وفار التنور . . وعن أبي علي : التنور وجه الأرض[٥] ويؤكد الخفاجي بأن التنور فارسي معرب ويزيد بأن التنور من تنوير الصبح وهذا القول مروي عن أبي علي[٦] أما آدي شير فيرجع الكلمة إلى أصول فارسية فيقول : كما أن الآرامية استعارت من الفارسية ألفاظاً كثيرة كذلك أعارتها أيضاً كلمات عديدة منها التنور[٧] .

أنابير : ذكرها الجاحظ في مجال الأطعمة وهى المكان المخصص لحفظ

(١) المعرب للجواليقي ص ٣٢٢ .

(٢) البخلاء طه الحاجري ص ٣٣٩ .

(٣) البخلاء ص ٨٣ .

(٤) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٣٨٤ .

(٥) المعرب للجواليقي ص ٨٤ وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٣٨١ .

(٦) شفاء العليل للخفاجي ص ٨٣ .

(٧) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٨٩ .

المواد الغذائيــة قال الجاحظ : وقتلناهم فـجعلناهم كأنهم أنــابير سرجين[١] في القامــوس ترد لفظة أنــبار مفرد أنابــير وهو بمعنــى بيت التاجــر ينضد فيــه المتاع الواحد نبر بالكسر . وأكداس الطعــام وبلد بالعراق قديم . ومواضع بين البر والريف[٢] . وفسر الجواليقي الأنبار من الطعـام وغيره قال نقلاً عن أبي بكر : هو أعجمــي معرب وإن كان لفظــه دانياً من لفظــة النبر . وقال غيــره : الأنبار أهراء الطعام ، واحدها نبر ويجمع أنابير جمع الجمع وقال : وسمى الهرى نبرا لأن الطعام إذا صب في موضعه انتبر أي ارتفع[٣] . وآدي شير يقول : الأنبار فارســي محض أني الــبري وأصل مـعناه المـتلي ، وأنبــار أو عنبــار بالتركـية والكردية[٤] .

الزمزمة : من الأوعيــة التي تذكــر على الطعــام ذكرها الجاحــظ يصف بعض القوم بأنــهم : ولزموا عند الطعام السكتــة ، وتركوا الخوض ، واختاروا الزمزمة[٥] وقد وصف آدي شير الزمزمة وصفاً دقـيقاً فقال : «زمزم المغني ترنم مأخوذ من زمزم وهــو النغم الذي يتنغــم به المجوس على أكلهم وفــي قراءتهم كتاب الزنــد وفي غسل أبدانهــم وهو عبارة عن صوت يــدبرونه في خياشــيمهم وحلوقهــم وهم صموت لا يستعــملون لساناً ولا شفــة لكن يفهم بعــضهم من بعض . وأصل معنى زمزم بــالفارسية رويداً رويداً[٦] وجاء وصف الزمزمة في القاموس المحــيط بأنها الصــوت البعيد له دوى (وأن أصــل المادة «زمزم») وهي تتابع صوت الرعد وهو أحسنه صوتاً وأثبته مطراً . وتراطن العلوج على أكلهم

(١) صناعات القواد ص ٣٨١ .

(٢) ق . م الفيروز آبادي جـ ٤ ص ٣١٢ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ٢٠ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٥٠ .

(٥) البخلاء ص ٦٨ .

(٦) آدي شير «الألفاظ الفارسية» ص ٧٩ .

وهم صموت ، لا يستعملون لساناً ولا شفة لكنه صوت تديره في خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض . وصوت الأسد[1] .

إِشْنَان : هى المزيلة للأوساخ ، قال الجاحظ «فالذي لا يجيد تنقية يديه بالأشنان ويجيد دلكها بالمنديل»[2] وقال : «فإن وليت ذلك الخادم أسود ثوبتها وغرمنا ثمن الأشنان والصابون»[3] وفسرت لفظة الأشنان بقول الجواليقي فارسي معرب . وقال أبو عبيدة : فيه لغتان : «الأشنان» و «الأشنان» وهو الحرض بالعربية وهمزته أصل لأنك إن جعلتها زائدة لم تصادف شيئاً من أصول أبنيتهم . وحكم النون أن تكون اللام ، كررتها للإلحاق بقرطاس[4] . ويقول آدي شير : الأشنان الحرض فارسيته أشنان[5] والخفاجي يوضح أكثر فيقول : أشنان بضم الهمزة وكسرها معرب وهمزته أصلية ووزنه «فعلال» أو فعلان ولو جعلت زائدة لكان وزنه أفعال ولا نظير له في العربية وعربيته حرض[6] . والفيروز آبادي يقول : إن الأشنان بالضم والكسر : نافع للجرب والحكة ، جلاء ، منق مدر للطمث ، مسقط للأجنة[7] .

صَابُون : وصفها الجواليقي بأنها غير عربية فقال والصابون : أعجمي[8]، ولكن آدي شير يشرح لنا طريقة صنع الصابون ومن أي المواد يتكون يقول : الصابون مطبوخ مركب من الزيت أو من الشحم وغيرهما

(١) ق. م جـ ٢ ص ٤٧٣ .
(٢) البخلاء ص ٧٨ .
(٣) البخلاء ص ٦٣ .
(٤) المعرب ص ٢٤ وانظر المزهر للسيوطي جـ ١ ص ٢٨٣ .
(٥) الألفاظ الفارسية ص ١١ .
(٦) شفاء الغليل ص ٣٤ .
(٧) ق. م جـ ١ ص ١٥١ .
(٨) المعرب ص ٢١٧ .

والقلى وهو صابون بالفارسية والتركية والكردية وقيل إن أصلها لاتيني مشتق من Sevun وهو الشحم . وقيل إنه منسوب إلى مدينة ساقون التي فيها صنع أول مرة الصابون ، ويحتمل أن يكون سرياني الأصل . فإن الصابون ، مصنوع لتنظيف كل ما وسخ من الثياب وغيرها[1] . وفي القاموس عرف الصابون بأنه حار يابس مفرد للجسد[2] .

الأشربة :

إن في مجال الأشربة ألفاظاً إيرانية الأصل لأنواع مختلفة من الأشربة التي كان يتعاطها الناس في العصر العباسي ، وقد وردت في كتابات الجاحظ مثل : الميبختج والكوشان والداذي والدوشاب والاستفشار والجلاب والسكنجبين وغيرها من الألفاظ الإيرانية المعربة التي تشمل الأشربة وما يتبعها من ألفاظ .

النقل : التي ذكرها الجاحظ في كلامه عن مجالس الشراب فقال : ما يصلح للنبيذ قال : ليس ما يمنعني من ذلك ومن إحضار النقل والريحان إلا لأني أحتسب لك هذه الزورة بدعوة[3] . ولفظة النقل فسرها معجم استاينجس بمعنى الطعام الذي يوضع مع الشراب أو ما يؤكل مع النبيذ وهى من الألفاظ الفارسية المعربة[4] .

المَيْبُخْتَج : وردت هذه اللفظة عند الحاجظ في قوله : «ادفع إلى أبي هاشم مائتي دورق ميبختجا»[5] وقد فسرها آدي شير بالعنب المطبوخ مركب من

(١) الألفاظ الفارسية ص ١٠٦ .

(٢) ق. م جـ ٢ ص ٧٩٦ .

(٣) البخلاء ص ٢١١ .

(٤) معجم استاينجس ص ١٤٢٠ .

(٥) البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٦٨

مي أي خمر ومن بخته أي مطبوخ من عسل العنب . ولكن الأطباء يغلونه مرة ثانية بالسكر والعسل[1] . وفي معجم استاينجس الميبختج أصلها مي بخته وأن المعنى الحرفي لها هو الخمر المطبوخة من التمر والعنب أو هو الخمر التي تغلى حتى تصبح غليظة القوام[2] .

كَوْشَان : وردت عند الجاحظ بقوله : وفي الجري قال أبو كلدة : هم آدم العميان ، وجيد في الكوشان ودواء للكليتين[3] . ولفظة الكوشان فسرت بتفاسير عديدة ففي القاموس الكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك[4] . وفي معجم استاينجس تفسير مغاير للقاموس فاستاينجس يفسر الكوشان بعصير العنب وهى من الألفاظ الفارسية المعربة[5] .

دُوشَاب : قال الجاحظ واصفاً هذا الشراب : هذا الدوشاب دسيس من الحرفة وكيد من الشيطان[6] . وفسر الخفاجي لفظة الدوشاب بأنه نبيذ التمر معرب ، وأورد الخفاجي قولاً لابن المعتز يذكر فيه هذا الشراب قال : لا تخلط الدوشاب في قدح[7] . وفي معجم استاينجس فسر الدوشاب بشراب التمر والعنب وأصله فارسي[8] .

الداذي : وقد ورد ذكره عند الجاحظ قال : يشربون الداذي والسكر[9] .

(١) الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٤٨ .

(٢) معجم استاينجس ص ١٣٥٩ .

(٣) الحيوان جـ ١ ص ٢٣٤ .

(٤) ق. م الفيرور آبادي جـ ٤ ص ١٠٠ .

(٥) معجم استاينجس ص ١١٠٣ .

(٦) البخلاء ص ٦٤ .

(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٢٥ .

(٨) معجم استاينجس ص ٥٤٤ .

(٩) الحيوان جـ ٥ ص ١٤٦ - البخلاء ص ١٢٦ .

وقد جاء في القاموس الداذي أو الذذي : شراب والمادة دذي[1] . أما في المعرب فلفظة داذ بمعنى عطية فكأنها عطية النفس ، وقد أطال ياقوت في معجم البلدان لبيان الاختلاف في أصل الكلمة بالفارسية[2] . وآدي شير يفسر الداذي بنبات له عنقود طويل تعريب دادي وهو فسر بنبات طوله قدر شبر حبه شبيه بالشعير لكنه أضعف منه وهو مر ونافع في البواسير[3] .

الدَّسْتَفْشَار : قال الجاحظ : ابعث إلى بعسل من عسل خلار من النحل الأبكار ، من الدستشفار[4] . وقد فسر آدي شير هذه اللفظة بأنها فارسية الأصل ومعناها المعصور باليد ومركبة من دست بمعنى اليد ومن أفشار بمعنى المعصور أي العسل الجيد المعصور باليد[5] . وفي معجم استاينجس الاستفشار نوع من العسل يشبه الذهب في صفائه وأصلها فارسية[6] .

السَّكَنْجَبِين : قال الجاحظ يمتدح مذاقه مع الماء : وفي الماء أن أطيب شراب عمل وركب مثل السكنجبين[7] . وقد شرحت هذه اللفظة في أقرب الموارد بأنها مكونة من سركة وأنكبين بالفارسية ومعناها خل وعسل ويراد بها كل شراب حامض وحلو[8] .

وآدي شير يقول السكنجبين شراب مركب من سك وأنكبين أي خل وعسل

(١) القاموس المحيط الفيروز آبادي جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٢) المعرب - الجواليقي ص ٧٣ .
(٣) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٦٩ .
(٤) البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٠٣ .
(٥) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٦٤ .
(٦) معجم استاينجس ص ٥٢٢ .
(٧) الحيوان جـ ٥ ص ١٤٦ .
(٨) أقرب الموارد للشرتوني جـ ١ ص ٥٢٩ .

ويراد به كل حامض حلو[1] . وفي معجم استاينجس السكنجبين كلمة تتألف من مقطعين أو كلمتين سركة بمعنى خل وأنكبين بمعنى عسل وتعريبها سكنجبين مشروب من الخل والعسل وهى فارسية الأصل[2] .

جُلّاب : تدخل في مجال الأشربة ، قال الجاحظ : وفي الماء أن أطيب شراب عمل وركب مثل السكنجبين والجلاب والبنفسج وغير ذلك مما يشرب من الأشربة[3] . وقد تناولت المعاجم لفظة الجلاب ، ففي القاموس الجلاب - كزنار ماء الورد معرب والمادة جلب[4] . وفي المعرب الجلاب فارسي معرب ، وقد أورد المعرب لفظة الجولاب وهو ماء الورد . وفي حاشية المعرب نقلاً عن المعيار الجلاب كرمان : ماء الورد ، معرب ويطلق في الطب على ماء الورد المغلي فيه السكر[5] . وآدي شير يقول : الجلاب والجلاب العسل أو السكر عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد المركب من كل أي ورد ومن آب أو ماء ، ومنه كلاب بالتركية وكلاب بالكردية والفرنسي Julep[6] .

٢ - السكن :

وردت في كتب الجاحظ ألفاظ خاصة بالدور والأبنية ومستلزمات البناء والحياة اليومية ، ومن الألفاظ الإيرانية الأصل كان هناك الكثير الذي ورد على ألسنة النا. ـ ي ذلك العصر الحضاري من تاريخ الأمة الإسلامية ، ففي مجال السكن وردت ألفاظ إيرانية مثل قول الجاحظ في كتابه البلدان ، قال إن الدار

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٩٢ .

(٢) معجم استاينجس ص ٦٨٩

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ١٤٦ .

(٤) ق ـم الفيروز آبادي جـ ١ ص ٥١٠ .

(٥) المعرب الجواليقي ص ١٠٦

(٦) الألفاظ الفارسية المعرب آدي شير ص ٤٢ .

في البصرة إنما يتم بناؤها بالطين واللبن والآجر والجص والأجذاع والساج والخشب والحديد والصناع[1] . ففي هذا النص نرى بعض الكلمات الإيرانية كالجص والآجر وهما لفظتان وردتا كثيراً عند الجاحظ ، وفسرت المعاجم لفظة.

جِصّ : بالآتي . ففي القاموس المحيط يقول عن لفظة الجص بأنها معرب كج والجصاص : متخذه والجصاصات : المواضع يعمل فيها . ومكان جصا جص بالضم : أبيض مستو . وهذه جصيصة من ناس وبصصة : إذا تقاربت حلتهم . وجصص الإناء : ملأه ، والبناء : طلاه بالجص . والجرو : فتح عينيه . والشجر : بدا أول ما يخرج[2] . وفي المعرب قال : الجص معروف وليس بعربي صحيح[3] وفي شفاء الغليل جص : ليس بعربي صحيح[4] وفي حاشية المعرب نقلاً عن ابن دريد قال الجص فارسي معرب ، وفي اللسان: ولغة أهل الحجاز في الجص القص يعني بفتح القاف[5] .

آجر : التي ذكرها الجاحظ في النص السابق مع الجص فسرتها المعاجم بالآتي : ففي القاموس الآجور ، واليأجور ، والأجور ، والآجر ، والأجر ، والأجر ، والآجرون ، والآجرون ، والآجر ، معربات واجر[6] .

وفي المعرب : الآجر : فارسي معرب . وفيه لغات : آجر بالتشديد ، وآجر بالتخفيف[7] ويورد لنا آدي شير لغات الآجر وهى الآجور ، والياجور ، والآجور ، والآجر والأجر والآجرون تعريب أكور وهو تراب يحكم عجنه

(١) الأوطان ص ٤٢ .

(٢) ق. م الفيروز آبادي ج١ ١ ص ٤٩٦ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ١١

(٤) شفاء العليل للخفاجي ص ٩٠ .

(٥) حاشية المعرب ص ٩٥ ص ٢٢ .

(٦) ق. م الفيروز آبادي جـ ١ ص ١١٦ .

(٧) المعرب - الجواليقي ص ٢١

وتقريصه ثم يحرق ليبنى وقالوا فيه أجر الطين ويرادفه بالأرمنية Wghiu . وقال فرنكل (ص:٥) إن أصل اللفظة آرامي وهو موجود في اللغة الآشورية القديمة[١] . وفي أبنية الصرف الآجرون الأجر معربة[٢] .

اشكنج : ذكرها الجاحظ في حديثه عن المواد التي تستعمل في بناء الدور فقال : «وما كان من اشكنج فهو مجموع للبناء»[٣] وتفسير هذه اللفظة لم أجده في المعاجم العربية مطلقاً ووجدته في المساعد فقط ، قال الأب أنستاس الأشكنج : كلمة معروفة عند العراقيين ويراد بها صغار الآجر والحجارة أو كسرها يتخذها البناءون حشوا للبناء ولما فيه من الفراغ ، ويتخذ أيضاً لرصف الطرق وقوارعها ، وهى لا توجد في معاجم اللغة مع أنها قديمة ، وقد استعملها الجاحظ في كتاباته .

جادّة : وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ بقوله : «عليك بالجادة فإنه خير لك ودع الثنيات»[٤] وفسرت المعاجم هذه اللفظة بإسهاب ، ففي اللسان جاءت لفظة جادة من جدد وسميت المحجة المسلوكة جادة لأنها ذات جدة وجدود ، وهى طرقاتها وشركها المخططة في الأرض ، وكذلك قال الأصمعي في قول الراعي : لهن المنار ، والجواد اللوائح . قال : أخطأ الراعي حين خفف الجواد ، وهى جمع الجادة من الطرق التي بها جدد . والجادة : معظم الطريق والجمع جواد . والجواد : الطرق واحدها جادة وهى سواء الطريق وقيل معظمه . وقيل : وسطه ، وقيل : هى الطريق الأعظم الذي يجمع الطرق ولابد من المرور عليه . وجادة الطريق : مسلكه وما وضح منه . وقال

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٧ .

(٢) أبنية الصرف د. خديجة الحديثي ص ٤٤٤ .

(٣) البخلاء ص ١٤٣

(٤) التربيع والتدوير ص ٧١ .

أبو حنيفة : الجادة الطريق إلى الماء[1] . ولكن هذا الشرح المفصل لكلمة جادة لم يهدنا إلى أصل الكلمة ، ونجد آدي شير يبين لنا أن لفظة جادة تعريب جادة وأصل معناه المكان الموصل إلى القرية ومنه جادة بالتركية[2] . وفي معجم استاينجس نجد أن أصل الكلمة فارسي[3] .

رَسَن : ذكرها الجاحظ فقال : إذا ألقى على الرسن ، فهو يعرض الجذبة والنترة[4] . وقد جاء في القاموس الرسن معناها : الحبل وما كان من زمام على الأنف والجمع أرسان وأرسن[5] . وفي المعرب قال أبو حاتم الرسن بالفارسية إلا أنه قد أعرب في الجاهلية قال الأعشى : ومرسون خيل أعطالها[6]. وفي شفاء الغليل الرسن معروف وقيل هو فارسي عربوه قديماً[7] . وآدي شير يقول : الرسن هو الحبل المعقود وهو بالعبرانية أيضاً ، ويقول فرنكل : الرسن مأخوذ من الفارسي ريس المشتق هو أيضاً من ريشتن أي غزل أو هو مشتق من ريسيدن ومعناه غزل أيضاً أو من رسان أي الموصل[8] .

دَرْوَنْد : أوردها الجاحظ بقوله : ربما جعلت مأواها بالليل دروند الباب[9]. وهذه اللفظة لم ترد إلا في معجم استاينجس الذي فصل معناها إذ تتألف من مقطعين در بمعنى الباب ويند بمعنى المادة من المصدر بستن بمعنى

(١) اللسان ص ٤١٣ .
(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٣٩ .
(٣) معجم استاينجس ص ٣٤٩ .
(٤) البخلاء ص ١٤٠ .
(٥) ق. م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٣٣٩
(٦) المعرب الجواليقي ص ١٤٧ .
(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٣٣ .
(٨) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٧٢
(٩) الحيوان جـ ٣ ص ٤٠٨ .

الأغلاق ودروند ما يغلق به الباب مثل دربند[١] .

جِبْسِين : وردت عند الجاحظ فقال : وهى لدق الجص والجبسين والسمسم[٢] ، وقد فسرها القاموس على اللفظ جبس وهو الجامد الثقيل الروح[٣] . وهذا الشرح غير وافٍ وآدي شير يقول : الجبس بمعنى الجص ومعرب عن اليوناني ومنه الفارسي جبسين والظاهر أن العربي والفارسي جبسين مأخوذ من السرياني[٤] . وعند استاينجس جبسين لفظة معربة عن الفارسية[٥]

بَوارِيّ : وردت عند الجاحظ بقوله : «فبطنوا البواري وبطنوا الحصر»[٦] وهذه اللفظة جاءت في شفاء الغليل بلفظة المفرد باريه بمعنى حصير تقوله العوام وهو خطأ والصواب باري وبوري قال الراجز : كالحصن إذ جلله الباري[٧] ويورد لنا آدي شير لغات عديدة للفظة البارية فيقول : الباري والبارية والبورياء والبوري والبورية الحصير المنسوج من القصب تعريب بوريا . وأظن أن أصل هذه الكلمة آرامي وهى مشتقة من أي بار لم يفلح فكان الباري أغلظ المفروشات[٨] ولكن في المساعد نجد أن أصل اللفظة فارسية يقول البارية أو البورية فارسية . وهى في هذه اللغة بوريا ومعناها الأصلي نوع من القصب يكثر في الآجام تتخذ منه الحصر أو البواري . وقد عربت هذه اللفظة بصور مختلفة البوري ، والبورية ، والبورياء والبارياء ، والباري ، والبارية وتجمع

---

(١) معجم اسباينجس ص ٥١٥

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٦٨ .

(٣) ق. م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٤٣٩ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٣٨ .

(٥) معجم استاينجس ص ٣٥٥ .

(٦) البخلاء ص ١٠٤ .

(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ٧٣

(٨) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٣٠ .

على البواري[١] ومما تقدم نجد أن أصل الكلمة اختلف فيه مابين فارسي وآرامي ولم أجد معجماً آخر يفصل في هذا الاختلاط ، وبقيت الكلمة مشكوكاً في آمرها ومثلها كلمات كثيرة تأتي في كتب الجاحظ في مجال الألفاظ المعربة .

خَيْش : فقد وردت عند الجاحظ قال : «لو كانوا إذا جلسوا في الخيوش» وقال : «خيشتي أرض ، وماء خيشق من بئري وبيتي أبرد ، ومؤنتي أخف»[٢] ، وقد تناولت المعاجم هذه اللفظة ففي القاموس المحيط الخيش . ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ . من مشاقة الكتان ، أو من أغلظ القصب ، وإليه ينسب أحمد بن محمد بن دلان والجمع أخياش وخيوش[٣] . وقال آدي شير : الخيش فارسي محض وهى ثياب في نسجها تخلخل وخيوطها غلاظ من مشاقة الكتان[٤] وتكلم الحاجري كثيراً عن هذه اللفظة فقال : ويغلب على الظن أن تكون كلمة خيش مأخوذة من كلمة «كاشان» الفارسية ومعناها بيت الصيف كما ذكر آدي شير على أنا نحسب أن لكلمة خيش استعمالاً آخر غير هذا الاستعمال هو المقصود هنا.، وهو الذي يعنيه الجاحظ في قوله ولهم صب الزردج واستخراج النشاستج وتعليق الخيوش ، فالمقصود بالخيش هنا ما ذكره ياقوت في معجمه أو هو مروحة الخيش التي قال الشريش في شرحها : هذه المروحة تستعمل ببلاد العراق ، تكون شبه الشراع للسفينة ، وتعلق من سقف البيت ، ويشد بها حبل ، ويدار بها ، وتبل بالماء وترش بماء الورد . فإذا أراد الرجل في القائلة أو الليل أن ينام جذبها بحبلها ، فتذهب بطول البيت وتجئ فيهب على الرجل منها نسيم طيب الريح بارد «وبهذا المعنى

---

(١) المساعد جـ ٢ ص ١١٩ الأب أنستاس .

(٢) البخلاء ص ٢٠٥ ، ص ١٠٢ .

(٣) ق. م - الفيروز آبادي جـ ٢ ص ١٣٥ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٥٩ .

يستقيم كلام أسد بن جاني فهو يشبه أرضه المنادة بماء البئر بتلك المروحة»[1] .

دِهْلِيز : هذه اللفظة وردت عند الجاحظ بقوله : «وقيل للجماز : رأيناك في دهليز فلان»[2] وقد جاء في القاموس الدهليز بالكسر : ما بين الباب والدار والحنية . والجمع الدهاليز ، وأبناء الدهاليز الذين يلفظون والمادة «دهلز»[3] والمعرب عرف الكلمة باقتضاب بأنها فارسية الأصل قال والدهليز : فارسي[4] ولم يذكر أي تفاصيل أخرى كالذي ذكره الخفاجي في شفاء الغليل قال : الدهليز : بالكسر ما بين الباب والدار فارسي معرب عن الجوهري ، وفي شرح الفصيح هو اسم الممر الذي بين باب الدار ووسطها عن ابن درستويه جمعه دهاليز[5] وآدي شير أورد تعريبها بلفظ يختلف عن الجميع قال الدهليز تعريب «دهله» ومعناه القنطرة والعقدة ما بين الباب والدار[6] .

الإيوَان : ذكرها الجاحظ فقال : لقيناهم في مقدار سطح الإيوان[7] . وقد جاء في القاموس الإيوان بالكسر : الصفة العظيمة كالأزج والجمع إيوانات. وأواوين . وإيوان اللجام جمعه إيوانات . وذو إيوان قيل من رعين[8] وفي المعرب الإيوان : أعجمي معرب ، وقال قوم من أهل اللغة هو (أوان) بالتخفيف[9] . وآدي شير يشرح لفظة الإيوان بأنها الصفة العظيمة

(١) البخلاء – طه الحاجري – ص ٣٥٥ .

(٢) البخلاء ص ٧٣ .

(٣) ق. م جـ ٢ ص ٣٢٤ ، وانظر أيضاً البارع للقالي ص ٢٠٨ .

(٤) المعرب – الجواليقي ص ٧٣ ، المزهر ١/ ٢٨١ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٢٤ .

(٦) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٦٨ .

(٧) صناعات القواد ص ٣٨٩ .

(٨) ق. م – الفيروز آبادي جـ ١ ص ١٩٩ .

(٩) المعرب للجواليقي ص ١٩ .

كالأزج ومنه إيوان كسري فارسيته إيوان ومنه الكردي إيوان . والظاهر أن أصل الكلمة آرامي وهو مشتق من OK أي ضم وأوي بالعربية معناه سكن[1] .

كَنَادِيج : ذكرها الجاحظ فقال : يصعد إلى العلالي فوق الكناديج درجة بعد درجة[2] . قال آدي شير في تفسير هذه اللفظة وجاء بلفظ المفرد وهى الكندجة معربة كندة وهى خشبة عظيمة يستخدمها الباني[3] وجاء في غرائب اللغة العربية كندجة : خشبة تستعمل في بناء الجدران . كنده : قطعة خشب مستطيلة[4] .

سَابَاط : ذكرها الجاحظ في حيوانه قال : «وتركت مجلسك في ساباط غيث وبإشرافك على رحبة بني هاشم»[5] وهذه اللفظة ذكرها القاموس بأنها سقيفة بين دارين تحتها طريق والجمع سوابيط وساباطات والمادة «سبط»[6] وفي شفاء الغليل قال عن الساباط سقيفة بين حائطين تحتها طريق ، وقال الأصمعي هو ساباط كسرى ومنه المثل أفرغ من حجام ساباط لأنه حجم كسرى مرة فأغناه، وهو بالفارسية بلاس آباد وبلاس اسم أخي فباذ عم أنو شروان فهو معرب كذا في القاموس وخطئ فيه ، وقيل إنما هو معرب شاه آباد وشاه بمعنى عظيم مطلقاً ومنه شاه راه وشاره دانه ، ولذا خص بالسلطان وآباد بمعنى معمور أي ما عمره السلطان[7] ، وقال صاحب الألفاظ الفارسية أن ساباط :

(١) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٣ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٢٢٤ .

(٣) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٣٨ .

(٤) غرائب اللغة العربية - نخلة اليسوعي - ص ٢٤٣ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٩ .

(٦) ق. م جـ ٢ ص ٥١٦ .

(٧) شفاء الغليل ، الخفاجي ص ١٤٩ .

مأخوذة من سايه بوش ومعناها المظلة وهي سقيفة بين دارين تحتها طريق[١] .

شَاذَرْوَان : ذكرها الجاحظ قال : «كان على ربض الشاذروان شيخ لنا من أهل خراسان[٢] . وقد جاء تفسير هذه الكلمة في المعاجم مختلفاً عما هو عليه في الواقع قال الخفاجي شاذروان : معروف بفتح الذال من جدار البيت الحرام وهو الذي ترك من عرض الأساس خارجاً ويسمى تأزيراً لأنه كالإزار للبيت وهو دخيل كذا في المصباح قلت : هو في كلام المولدين أيضاً[٣] وآدي شير يشرح هذه اللفظة يقول : إن الشاذروان بالفارسية ستر عظيم يسدل على سرادق السلاطين والوزراء وعلى الشرفة من القصر والدار ، ومنه مأخوذ أيضاً الشاذروان الذي يسمى أيضاً تأزيراً لأنه كالإزار للبيت[٤] وفي البرهان القاطع ومعجم استاينجس فسر الشاذروان بأنه ستار يضرب على باب الملوك والبساط المنقوش واسم لحن من ألحان اسم المغني الفارسي القديم باربد[٥] ومما تقدم نرى أن المعنى غير واضح في تفسير كلمة الشاذروان ويضيف الحاجري بعض التفسيرات لكلمة الشاذروان استخلصها من كتب البلدان مثل كتاب المسالك والممالك ومعجم البلدان ، يقول الحاجري : وهناك معنى آخر أدى إلى أن يكون المراد هنا وقد أغفلته كتب اللغة إغفالاً تاماً وإنما يمكن استخلاصه من كتب البلدان من خلال ما يذكرونه من عجائب الأمصار وفي أثناء كلامهم عن إقليم الأهواز ومدينة تستر . وذلك كما في قول ابن خرداذبه : ما بناء بالجص والآجر أبهى من إيوان كسرى . . . ولا بناء بالحجارة أحكم ولا أبهى من شاذروان تستر لأنه بالصخر وأعمدة الحديد وملاط الرصاص . وكقول

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٨٤ .

(٢) البخلاء ص ٢٤ .

(٣) شفاء الغليل خفاجي ص ١٦٣ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٩٩ .

(٥) البرهان القاطع ص ومعجم استاينجس ص .

الاصطخري في كلامه عن الأهواز : وأما الخاصيات بهفان عندهم تستر الشاذروان الذي بناه سابور وهو من أعجب البناء وأحكمه . ومثل هذا ما نراه عند ياقوت في الفصل الذي كتبه عن تستر . ومن ذلك يتبين لنا أن هذه الكلمة تعني عملاً من الأعمال الهندسية التي كان يقصد بها إلى تنظيم الري في هذا الإقليم فهو نوع من القناطر أو الخزانات يتيح للماء أن يجتمع وراءه ويرتفع ، حتى يمكن توزيعه على النحو المطلوب من ناحية ، وحتى يمكن إيصاله إلى الأمكنة المرتفعة من ناحية أخرى : وإذا كان الشاذروان أكثر ما يطلق على شاذروان تستر ، فليس هناك ما يمنع أنه كان يطلق على كل عمل هندسي من هذا القبيل[1] . ومع كل هذه التفاسير التي وردت لكلمة الشاذروان فإنها لم تف بالمعنى المطلوب لهذه الكلمة إذ أن الشاذروان تطلق على النافورة التي تزين بها الحدائق وكانت ولا تزال تزين بها البيوت في إيران وفي العراق وتطلق بنفس اللفظة الشاذروان أي النافورة .

صِهْرِيج : ذكرها الجاحظ فقال : أمرت بصهريج لي في بستان عليه نخل مطل[2] . والقاموس المحيط يفسر لفظة الصهريج كقنديل وعلابط : حوض يجتمع فيه الماء والمصهرج : المعمول بالصاروج[3] أما المعرب فيفسر هذه اللفظة بأنها واحد الصهاريج . وهى كالحياض يجتمع فيه الماء وبركة مصهرجة: معمولة بالصاروج . قال العجاج : حتى تناهى في صهاريج الصفا . يقول : حتى وقف الماء في صهاريج من حجر . قال أبو حاتم : وقالوا : صهري ، صهاري ، وصهريج وصهاريج وصرفوا منه الفعل وقال بعضهم شاروق وحوض مشرق والصهارج بالضم : مثل الصهريج قال هميان : فضجت جابية

(١) البخلاء ص ٢٩٠ - ٢٩١ طه الحاجري

(٢) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٨ .

(٣) ق. م للفيروز آبادي جـ ٢ ص ٨٦٣ .

صهارجاً[١] . وفي شفاء الغليل فسرت الكلمة صهريج جمعه صهاريج وبركة مصهرجة معمولة بالصاروج وهو شئ يخلط بالنورة ويطلى به الحياض ونحوها وهو معرب وتسمى بركة الماء صهريجاً لذلك . وفي كتاب سلوك السنن : والصهريج بكسر الصاد مأخوذ من الصاروج وهو الكلس وبركة مصهرجة مبنية به والصواب ما قدمناه وصاروج قدقر[٢] . وجاء في حاشية المعرب نقلاً عن اللسان الصهريج مصنعة يجتمع فيها الماء وأصله فارسي وهو الصهري على البدل . وحكى أبو زيد في جمعه صهاري وصرهج الحوض : طلاه[٣] .

ومن الألفاظ التي تدخل في مجال السكن ومستلزمات المعيشة الأدوات التي تستعمل في الأمور اليومية :

طَسْت : قال الجاحظ : «إذا فرغ من غسل يده في الطست نفض يديه في الماء»[٤] . وفسر قاموس المحيط لفظة الطست : الطس ، أبدل من إحدى السينين تاء وحكى بالشين المعجمة . الطس الطست ، كالسطة ، والطسة ، والجمع طسوس وطساس . وطسيس وطسات والمادة «طسس»[٥] وقال في المعرب : قال أبو عبيدة : ومما دخل في كلام العرب «الطست»» والنور والطاجن وهى فارسية كلها ، وقال الفراء : طيئ تقول «طست» وغيرهم طس وهم الذين يقولون لصت للص . وجمعها طسوت ولصوت عندهم . وقال سفيان الثوري : الطس هو الطست ولكن الطس بالعربية أراد أنهم لما أعربوه قالوا طس ويجمع طساساً وطسوساً قال الراجز : ضرب يد اللعابة الطوسة[٦]

(١) المعرب للجواليقي ص ٢١٥ ، المزهر ١/ ٢٨٠ .

(٢) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٧٠ .

(٣) حاشية المعرب ص ٢١٥

(٤) البخلاء ص ٧٦ .

(٥) ق م - الفيروز آبادي جـ ٣ ص ٧٦ .

(٦) المعرب - الجواليقي - ص ٢٢١

وفي شفاء الغليل : الطست معرب طشت بالمعجمة وفي المغرب أنها مؤنثة أعجمية وتعريبها طسس وخطئ فيه لأنها معربة وطس مخفف منها أو لغة فيها، وقال الجوهري طست عربية وأصلها طس وهى لغة طيئ أبدلت إحدى السينين تاء لدفع ثقل التضعيف ورد . وقال الفراء طيئ تقول طست وغيرهم يقولون طس[1] .

أما آدي شير فيصف الطست بقوله : الطس إناء من نحاس لغسل اليد تعريب تشت . والطست والطشت والسطة لغات فيه ومن السرياني والتركي تاس وتست وتشت والكردي تشت وطشت وطاس[2] .

زِبِّيل : أو الزنبيل ذكرها الجاحظ في بخلائه قال : فعزلت بين يديه من الكساحة زبيلاً[3] ، يقول الكسائي : وتقول هذه زبيل بإسقاط النون . قال الشاعر : وماء البحر يغرف في زبيل[4] ، يقول ابن قتيبة : «مما يكسر ويفتح» زبيل مفتوحة الزاي فإن كسرتها زدت نوناً فقلت زنبيل ولا يقال زنبيل[5] ، وهذه اللفظة شرحها القاموس المحيط بأنها القفة أو الجراب أو الوعاء والجمع زبلان بالضم والمادة «زبل» والزبيل كأمير ، وسكين وقنديل وقد يفتح الزنبل[6]. ويصف آدي شير لفظة الزنبيل وهو يقول : الزنبيل وهو معروف مأخوذ من الفارسي زنبيل وزنبير لغة فيه بالفارسية وأما الزبيل فمأخوذ من السرياني والفارسي نفسه مشتق من الآرامي ؟[7] إذن أصل الكلمة عند آدي

(١) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٧٦ .

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١١٢

(٣) البخلاء ص ١٤٢ .

(٤) ما تلحن فيه العوام ص ٢٨ .

(٥) أدب الكاتب ، ابن قتيبة ص ٤٥٦

(٦) ق. م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٤٣٣ .

(٧) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٨٠ .

شير هـى مأخوذة عن الآرامية ومن ثم انتقلت إلى الفارسية ، وفي حاشية المعرب قال : إن الزنبيل محرف عن الزنفالجة وهو وعاء أداة الراعي أو وعاء أسقاط التاجر . ولم يفسر المؤلف لفظة زنبيل وإنما جاء على لسان الأصمعي بأن الزنفاجلة هى بالفارسية «زين فاله» : وعاء . وفي اللسان تعرب مرة بالياء ومرة بالهاء «زين بيله»[1] .

خان : فهى تعني أمراً واحداً هو الإقامة والسكن وإن كان مؤقتاً فهى خاصة بالمسافرين وذكرتها هنا لأنها من الألفاظ التي تدخل في مجال الأبنية والمبيت وقد ذكرها الجاحظ في مجال حديثه لبعض الأصدقاء قال : «ثم إنا نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملاء روثاً وتراباً»[2] قال الفيروز آبادي في القاموس : الخان والخوان في «خون» والخان : والحانوت أو صاحبه وخان التجار[3] . والجواليقي يفسر لنا كلمة خان بأنها الفندق بلغة أهل الشام : خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرق والمدائن . سمعه عن الفراء : سمعت أعرابياً من قضاعة يقول فنتق للفندق وهو الخان[4] وآدي شير يقول . الخان فارسي بحت وهو الحانوت وهو موجود في جميع اللغات الشرقية الدارجة وأصل الكلمة آرامي وهو يطلق على الدكان والمخدع والماخور. والخان يأتي بمعنى آخر عند آدي شير وهو السلطان ولقب سلاطين الخطا وتركستان[5] . وقد جاء عند الجاحظ بالمعنى الذي أورده الجواليقي وهذا مما يفهم من النص الذي ورد عند الجاحظ ونصوص أخرى غيره في كتب الجاحظ تشير إلى معنى السكن الذي يأوى إليه المسافرون .

(١) المعرب - الجواليقي ص ١٧٠ والحاشية ص ١٨٠

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٤٧ .

(٣) ق . م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ١٣٠ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ٢٣٩ .

(٥) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٥٨

٣ - الألبسة :

وردت ألفاظ كثيرة في كتابات الجاحظ تشير إلى أنواع مختلفة من الألبسة ومكملاتها وأدوات التجميل وغيرها من الأمور التي يهتم بها الفرد في حياته اليومية في عصر الحضارة العباسية .

وكانت معظم الألفاظ التي تدخل في مجال الألبسة ذات أصل إيراني ، وهذا ما نجده عندما نتصفح كتب الجاحظ ورسائله ، فهي خير دليل لنا في عالم الأزياء وملحقاتها .

بِزْيَوْن : وردت في قول الجاحظ يصف أحدهم قال : وحين جاء من واسط ، لم يجئ معه بشئ من خبر أبي حمزة ولا بشئ من مقاريض واسط ، وبِزْيَوْن واسط»[١] وقد تناولت المعاجم لفظة البزيون ، فالمعرب يصف البزيون بأن السندسي ضرب من البزيون يتخذ من المرعزاء ولم يختلف أهل اللغة في أنه معرب وفسروه بأنه الإيباج الرقيق وبأنه السندسي قال الراجز .

وليلة من الليالي حندس   لون حواشيها كلون السندس[٢]

وفي القاموس البزيون كجردحل وعصفور : السندس . وبازن بالحق : جاء به[٣] ، وآدي شير يذكر أصل الكلمة وهو لغة في كون بالفارسية وفيه لغات البزيون والبزيون ضرب من نسيج البز أو من رقيق الديباج مركب من بز ومن بون أي يشبه البزيون لغة في كون بالفارسية[٤] .

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٩٤ .
(٢) المعرب الجواليقي ص ١٧٧ .
(٣) ق م. الفيروز آبادي جـ ١ ص ٢٦٨ .
(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٢٢ .

جِرِبَّان : ذكرها الجاحظ بقوله : «حتى قتلناهم وتركناهم في أضيق من جربان»[١] وهذه اللفظة في القاموس الجربان القميص بالكسر والضم : جيبه. وجربان السيف وجربانه حده أو شئ يجعل فيه السيف وغمده وحمائله[٢] . وفي المعرب أعجمي معرب وأن جربان الدرع جيبها ، وقال أبو حاتم : كريبان بالفارسية . وأنشد ابن حبيب لجرير :

إذا قبل هذا البين راجعت عبرة　　　لها بجربان النبيقة واكــف[٣]

وفي شفاء الغليل جربان القميص : لبنته[٤] .

بُرْنَكَان : ذكرها الجاحظ وهو يصف أحد بخلائه فقال : فمضي ساعته إلى منزله فجعله برنكاناً لامرأته[٥] . ولفظة برنكان في القاموس هي الكساء الأسود والمادة برك ، وفيها لغات البركان والبركاني مشددتين ، والبرنكان كزعفران والبرنكاني والجمع برانك[٦] وفي المعرب البرنكان بالفارسية وهو الكساء والجمع برانك وقد تكلمت به العرب[٧] .

كَرَابِيس : ذكرها الجاحظ وهو يصف إنارة القناديل : جلله بالجلال وغطاه بالكرابيس وطبع سلاسل القناديل حتى ذهبت عنها ذلك التلألؤ»[٨] وقد فسرت لفظة الكرابيس في المعاجم المختلفة ففي القاموس كرابيس فارسي ،

(١) صناعات القواد ص ٣٨٤ .

(٢) ق. م. الفروز ابادي جـ ٢ ص ٤٦٧ .

(٣) المعرب الجواليقي ص ٩٩ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجي ص ٩٢ .

(٥) البخلاء ص ٣٦ .

(٦) ق. م الفيروز آبادي جـ ١ ص ٢٥٩ .

(٧) المعرب الجواليقي ص ٥٦ .

(٨) الحيوان جـ ١ ص ٥٧ .

وهذا ما نقله الجواليقي في المعرب والكرباس الثوب الذي من القطن الأبيض وفارسيته بالفتح[1] وآدي شير يقول الكرباس بمعنى الثوب من القطن الأبيض والكرباس بالفارسية ضرب من الثياب الكتانية[2] وفي معجم استاينجس كرباس نسيج قطني خشن فارسي الأصل[3] .

قَلَنْسُوَة : ذكرها الجاحظ على لسان أحد بخلائه فقال : «ومن الإصلاح الواجب قلب خرقة القلنسوة إذا اتسخت»[4] وذكرها في موضع آخر في رسائله فقال : «ونحن أصحاب التجافيف والأجراس والبازيكند واللبود الطوال والأغماد المقفعة والشوارب المعقربة والقلانس الشاشية والخيول السهرية والكافركوبات والطبرزينات في الأكف والخناجر في الأوساط»[5] ففي هذا النص نجد كلمات متعددة ذات أصول إيرانية وهذا مما تثبته المعاجم المختلفة ، فقد جاء في القاموس المحيط : القلنسوة تلبس في الرأس ، والجمع قلانس ، وقلانيس ، وقلنس . وأصله قلنسو إلا أنهم رفضوا الواو لأنه ليس اسماً آخره حرف علة قبلها ضمة فصار آخره ياء مكسور ما قبلها فكان كقاضي ، وقلاسي وقلاس وتصغيره : قلينسة وقلينيسة وتقلنس : النسبة إليها قلنس . وقلنسوة : حصن بفلسطين والتقليس : الضرب بالدف . والغناء . واستقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو[6] . أما آدي شير فيقول نقلاً عن الأب أنستاس أنها تعريب ويحتمل أن تكون معربة عن الفارسي «كله بوش» وهو مركب من كله أي رأس ومن بوش أي غطاء ولعل الأجدر أن يقال : إن القلنسوة لغة في

(١) المعرب الجواليقي ص ٢٩٤ .
(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٣٣ .
(٣) معجم استاينجس س ١٥١٩ .
(٤) البخلاء ص ١٠٥
(٥) الرسائل جـ ١ ص ١٩
(٦) ق. م الفيرور آبادي جـ ٣ ص ٦٨٣ .

القلوسة كما تـقول العامة ، وأن القلوسة مأخوذة عن الـفرنس وعن الفارسي كلاه ويقال أيضاً بالسريانية الدارجة[1] . وفي أبنية الصرف عرفت القلنسوة بأنها ما توضع فوق الرأس[2] .

تجافيف : التي جاءت في النـص السابق معربة عن الفارسـية كما ذكرها الجواليقي وقال التجفاف فارسي معرب . وأصله بالفارسية «تن باه» أي حارس البدن وفي الحديث قـال أبو فرقد : ورأيت على تجافيف أبـي موسى الديباج[3] وقال آدي شير : التـجفاف معرب تنبنـاه أي حارس البدن[4] . وقال الخفاجي تجفاف : معرب تنبناه أي حارس البدن[5] وقالت د. خديجة الحديثي التجافيف جمـع تجفاف بـكسر الـتاء وهى آلـة للحـرب يلـبسه الـفرس والإنسـان ليقـيه الحرب[6].

بَازْبَكَنْد : وقد ذكره الجاحظ بقوله : «ومنهم مـن يلبس القباء ومنهم من يلبس البازبكند[7] ولم أجد شرحـاً للفظة البازبـكند في جميع المـعاجم ، وقد أورد الأستاذ عبد الـسلام هارون شرحاً في حاشيـة البيان والتبيين وفـي رسائله يوضح معنى هـذه الكلمة ويرجح أنها كسـاء يلقى على الكتف وباز بـالفارسية بمعنى الكتف[8] وفي العـامية العـراقية لفـظة مقاربـة للفظـة البازبكـند وهى «البـازبند» ومـعناه دعاء مـكتوب يـحفظ فـي جلد ويشـد على الـذراع أي هو

(١) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٢٨ .

(٢) أبنية الصرف د. خديجة الحديثي ص ٥١٣ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ٩١ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٣٤ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ٥٩/ ٨٢ .

(٦) أبنية الصرف د. خديجة الحديثي ص ٤٥٩ .

(٧) البيان والتبيين جـ ١ ص ١١٥ .

(٨) البيان والتبيين جـ ١ ص ١١٥ الحاشية .

كالحجاب يشد على الذراع ، وهذه اللفظة تستعمل إلى الآن في إيران بنفس المعنى العامي العراقي .

طَبَرْزِينَات : التي ذكرها الجاحظ في رسائله فقال : والطبرزينات في الأكف[١] . قال الجواليقي الطبرزين معرب فارسي وتفسيره فأس السرج لأن فرسان العجم تحمله معها يقاتلون به وقد تكلمت به العرب . قال جرير في رجل من بني كليب يقال له مجيب أنه بقرفة فلم يحقوا عليه شيئاً فخلوا عنه :

كـاد مجيب الخبيث تلقى يمينه طبرزين قين مقضبا للمفاصل[٢]

وقال عنه الخفاجي : الطبرزين سمى به لأنهم كانوا يعلقونه في السروج ويقال له عند العجم تبر[٣] . ولم يذكره آدي شير ، ومن تأكيد الجواليقي نفهم بأن اللفظة من أصل إيراني .

جَوَاشِن : فقد ذكرها الجاحظ في بيانه فقال : «ولا تعرفون الأقبية ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود ولا التجافيف ولا الجواشن ولا الخوذ»[٤] . وقد فسرت كلمة الجوشن في القاموس المحيط بأنها الصدر ، والدرع وإلى عملها نسب عبد الوهاب بن رواج بن الجوشني ومن القدماء القاسم بن ربيعة . ومن الليل وسطه أو صدره وعينية بن عبد الرحمن ابن جوشن[٥] . وقال الخفاجي : اسم جيل بحلب وكذا وقع في شعر أبي فراس وفسره به ابن خالويه في شرحه[٦] . وقال آدي شير : الجوشن الصدر

(١) الرسائل جـ ١ ص ١٩ .

(٢) المعرب للحواليقي ص ٢٢٨ .

(٣) شفاء الغليل ص ١٧٦ .

(٤) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٨

(٥) ق . م الفيروز آبادي جـ ١ ص ٥٥٧ .

(٦) شفاء الغليل للخفاجي ص ٩٨ .

والدرع ومن الليل وسطه فارسيته جوشن وهو مثل الزرد يلبس على الظهر والفرق بينه وبين الزرد أنَ الزرد يكون من حلقة واحدة فقط والجوشن يكون حلقة حلقة يتداخل فيها صفائح رقيقة من التنك ويطلق بالفارسية على الصدر ووسط الليل أيضاً والجوش بالعربية لغة في الجوشن[1] .

تالِسَان : أو طيلسان فقد ذكرها الجاحظ باللفظتين قال في البيان والتبيين تالسان وقال في موضع آخر من بيانه طيلسان : فأتيته فإذا عليه طيلسان أبيض مطبق وسراويل وشى مسدولة»[2] .

وقد فسرت المعاجم كلمة طيلسان وأطالت في تفسيرها ، قال الفيروز أبادي طيلسان مثلثة اللام ، عن عياض وغيره : معرب أصله تالسان من «طلس» وطلس الكتاب يطلسه محاه - كطلسه - والطلس بالكسر - الصحيفة أو المحوة والوسخ من الثياب . وجلد فخذ البعير إذا تساقط شعره والذئب الإمعط . وبالفتح الطيلسان الأسود . والطلاسة - مشددة : خرقة يمسح بها اللوح . والأطلس : الثوب الخلق[3] ، وقال الجواليقي الطيلسان : أعجمي معرب بفتح اللام والجمع : طيالسة بالهاء وقد تكلمت به العرب وأنشد ثعلب:

كلهم مبتكر لشانه   كاعم لحييه بطيلسانه[4]

وقال ' ـفاجي طيلسان بفتح اللام معرب جمعه طيالسة[5] .

وقال آدي شير في شرحه للفظة طيلسان : معنى كساء مدور أخضر لا أسفل له لحمته أو سداه من صوف يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ وهو

(١) الألفاظ الفارسية ص ٤٩ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٣٤٢ ، وأدب الكاتب ص ٢٩٢ .

(٣) ق. م. للفيروز آبادي جـ ٣ ص ١١٨ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ٢٢٧

(٥) شفاء العليل للخفاجي ص ١٧٥ .

من لباس العجم وهو معرب من تالسان وفسر بكساء يلقى على الكتف مركب من طرة وهو طرف العمامة ومن سان وهى أداة تشبيه[1] وفي أبنية الصرف الطيلسان مثلثة اللام معرب أصله : تالسان أي أعجمي وطيلسان بفتح الطاء واللام إقليم واسع من نواحي الديلم[2] . وفي حاشية المعرب تالسان جاء في المعيار وآدي شير أنه معرب تالسان بكسر اللام وبأنه ثوب يلبس على الكتف ويحيط بالبدن خال عن التفصيل والخياطة[3] . ومما تقدم يتضح أن لفظة طيلسان أعجمية معربة عن تالسان وهذه الأخيرة هى لفظة إيرانية محضة .

سَرَاوِيل : وقد ذكرها الجاحظ في النص السابق فقال : وسراويل وشى مسدولة[4] وقد فسر اللسان لفظة سروال وسراويل بأنها ألفاظ فارسية معربة وقال نقلاً عن الأصمعي : لم يعرف الأصمعي فيها إلا التأنيث وعن الليث السراويل أعجمية أعرب وأنثت والجمع سراويلات قال سيبويه ، ولا يكسر لأنه لو كسر لم يرجع إلا إلى لفظ الواحد فترك ، وقد قيل سراويل جمع واحدته سروالة . والأزهري يقول : جاء السراويل على لفظ الجماعة وهى واحدة . قال : وقد سمعت غير واحد من الأعراب يقول سروال[5] . وفي المعرب السراويل لفظ أعجمي معرب[6] وفي شفاء الغليل جاءت لفظة سرويل معربة عن شلوار[7] . أما آدي شير فيفصل ويسهب في تفسير هذه الكلمة فيقول سروال معرب شروال وأصله سربال مركب من سرأي فوق ومن بال أي

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١١٣ .

(٢) أبنية الصرف د. خديجة الحديثي ص ٤٩٧ .

(٣) حاشية المعرب أحمد شاكر ص ٢٢٧ .

(٤) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٣٤٢ .

(٥) اللسان جـ ٢ ص ١٣٨ .

(٦) المعرب الجواليقي ص ١٩٦ .

(٧) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٤٧ .

القامة. وفـيه بالعربية لـغات سروال وسرويل وسراويـن وسراويل وسروال . وبنـوا منه أفعـالاً منها سـرول وتسرول وسـربل وتسربـل ومن الفارسـي أخذ اليوناني والآرامي وقيل إن أصله آرامي[1] .

تكك : ذكرهـا الجاحـظ فقال : قـد جذبـه إلى حب الحـمام ، وعـمل التكك[2] . ولفظـة تكك مرتبطـة بالسراويل ، وهـذا ما ذكره القاموس الـتكة بالكسر : رباط السراويل والجمع تكك وتكة قطعة أو وطئه فشدخه كتكته[3] . وفي المعـرب التكة هى تكـة السراويل المعروفـة وعن ابن دريد قال : أحسـبها معربة وقد تكلموا بها قديماً[4] . وفي شفاء الغليل : التكة ما تربط به السراويل معرب جمعه تكك[5] . أما أصل الكلمة فلم أجده وأغلب الظن أنها جاءت عن الفارسية فهى معربة كما ذكرت المعاجم .

هِمْيَان : قال الجاحـظ «ولقد صحب مـنهم ناس رجلاً خـرج من الري وفي حـقوه هميـان فكان لا يفـارق معظم الـناس»[6] . ومعنـى الهميـان في القاموس المحيط التكـة ، والمنطقة . وكيس للنفقة يشد فـي الوسط وله هميان أعجر ، وهمايين عجر وابن قحـافة السعدي ، ويضم أو يثلث[7] . أما المعرب فيورد لنا أصل الكلمة بأنها فارسية مـعربة وقد سمت العرب هميان وهو هميان ابن قحـافة السعدي ، أحـد الرجاز[8] . أما الخفـاجي في كتابـه شفاء الغـليل

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٨٨ .
(٢) الحيوان جـ ١ ص ١١٨ .
(٣) ق. م الفيروز آبادي جـ ١ ص ٣٧٣ .
(٤) المعرب الجواليقي ص ٩٠ ، المزهر ١/ ٢٨٥ .
(٥) شفاء الغليل الخفاجي ص ٨٣ .
(٦) الحيوان جـ ٢ ص ٢٧٠
(٧) ق. م الفيرور آبادي جـ ٤ ص ٥٣٦ .
(٨) المعرب للجواليقي ص ٣٤٦ .

يقول: الهميان ما يشد به الوسط معرب وسموا به[١] . وفي كتاب الألفاظ الفارسية المعربة يقول آدي شير : هميان فارسيته هميان وهو كيس يجعل فيه النفقة ويشد على الوسط[٢] . وفي حاشية المعرب يقول المحقق أحمد محمد شاكر : هو الكيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط . ويطلق الهميان أيضاً على شداد السراويل أي التكة وقال ابن دريد في الجمهرة أحسبه فارسياً معرباً. وقال في الاشتقاق «وأحسب أن الهميان المعروف ليس بعربي محض»[٣] .

دواويج : نوع آخر من أنواع اللبس ذكرها الجاحظ بقوله «وتفسد بذلك اللحف والدواويج والجباب»[٤] قال في القاموس الدواج ، كرمان ، وغراب : اللحاف الذي يلبس والمادة «دوج»[٥] وفي المعرب الدواج قال أبو حاتم هو الدواج بالتخفيف ، الذي تقول له العامة دواج بالتشديد وهو فارسي معرب[٦]. وفي كتاب الألفاظ الفارسية المعربة قال : الدواج والدواج اللحاف الذي يلبس فارسيته دواج[٧] وقد زاد المحقق في حاشية المعرب نقلاً عن ابن دريد وابن منظور قال : ذكره ابن دريد في الجمهرة بالتشديد فقط ولم يفسره ، وقال : أحسبه أعجمياً معرباً ونقل عنه ذلك صاحب اللسان وفسره بأنه ضرب من الثياب[٨] .

الديباج : تأتي في مجال كلامنا عن اللبس وهى مما كان يستعمله

(١) شفاء العليل للخفاجي ص ٢٦٩ .

(٢) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٥٨ .

(٣) المعرب ص ٣٤٦ .

(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٣٢٢ .

(٥) ق. م للفيروز آبادي جـ ٢ ص ٢٢٨ .

(٦) المعرب للجواليقي ص ١٤٧ .

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٦٨ .

(٨) حاشية المعرب ص ١٤٧ .

المقتدرون الوجهاء في العصر العباسي ، وقد ذكرها الجاحظ في رسائله وفي كتابه التبصر بالتجارة فقال : «وفي الأهواز الديباج والخرز»[1] . وقد فسر القاموس المحيط هذه اللفظة بأنها معربة ولم يذكر أصلها وذكر أن جمع الديباج هو ديابيج ، ودبابيج والناقة الفتية الشابة والدبج المادة لهذه الكلمة[2] وفي المعرب قال : الديباج أعجمي معرب . وقد تكلمت به العرب قال مالك بن نويرة : ولا ثياب من الديباج تلبسها . ويجمع على ديابيج ودبابيج . على أن تجعل أصله مشدداً وأصل الديباج بالفارسية ديوباف أي : نساجة الجن[3] .

وفي المخصص يقول ابن سيده هو الديباج بالكسر والفتح كلام مولد ، وقال سيبويه: من قال ديباج فهو بمنزلة دينار . ومن قال ديباج فهو عنده بمنزلة بيطار وتصغيره كتصغيره وجعله فيما ألحقوه بأبنية كلامهم من الفارسية كما فعلوا ذلك بدينار ودرهم[4] . وفي شفاء الغليل الديباج معرب ديوباف أي نساجة الجن[5] أما في الألفاظ الفارسية لآدي شير فهو يشرح هذه الكلمة بصورة مفصلة فيقول الديباج معرب ديبا وهو الثوب الذي سداه ولحمته حرير وقيل إن ديبا بالفارسية مركب ديوأي جن ومن «باف» أي نسيج وقالت فيه العرب : دبج أي نقش ودبج أي زين والدباج والديباجة إلى غير ذلك[6] .

سَبَجٌ : ذكرها الجاحظ فقال : فيزعم أن سواد السبج ، وبياض الثلج وحمرة العصفر وصفرة الذهب وخضرة البقل إنما تحدث عند رؤية الإنسان[7] .

(١) الحيوان جـ ٤ ص ١٣٨ .

(٢) ق . م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ١٤٥ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ١٤٠ .

(٤) المخصص - ابن سيده جـ ١ ص ٧٦ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٩ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة ص ٦ .

(٧) الحيوان جـ ٥ ص ٨ .

ومعنى السبج يذكره القاموس المحيط بأن السبجة بالضم والسبيجة : كساء أسود وتسبج : لبسه ، والبقيرة كالسبيج . وسبجة القميص بالضم لبنته[1] . وفي المعرب السبج : خرز أسود قال الأزهري وهو معرب ، أصله شبه[2] . وفي شفاء الغليل السبج خرز أسود فارسي معرب والسبجة الثوب البقير معرب سبى[3] أما آدي شير فهو يوضح المعنى فيقول السبج الخرز الأسود معرب شبه. قال في البرهان القاطع : شبه بفتح الباء حجر أسود بارق يشبه الكهرباء خفة وملاءمة . وهو نوعان : نوع منه موجود في دشت قبجاق في تركستان ، وهو في الأصل ماء ثم يجمد . والنوع الثاني معدني يؤتي به من بلاد جبلان . وقال صاحب المفردات : إن هذا الحجر هو روح التوتياء . ويقال له «مارصني» أيضاً . وهو بارد يابس . إذا حمله أحد الناس حفظه من إصابة العين والحريق . وإذا علقه في رأسه دفع عنه الصداع . وإذا نظر إلى مرآة مصنوعة منه زال البياض من عينه إذا كان فيها . وإذا كحل عينه منه قوى بصره وإذا وضع هو أي السبج على النار اشتعل مثل الحطب وبعث برائحة تشبه رائحة النفط . والسبجة والسبيجة فسر بكساء أسود ، والسبيج البقيرة تعريب شبي وهو الفروة . وبنوا منه فعلاً وقالوا تسبج أي لبس السبجة[4] .

صندل : وقد وردت عند الجاحظ وهو يصف منافع الصندل في التجميل والتطيب قال : فلست أرى شيئاً خيراً من اتخاذ مشط صندل فإن ريحه طيبة والشعر سريع القبول[5] ، وقد شرحت لفظة الصندل في المعاجم المختلفة ، قال صاحب القاموس : الصندل خشب . أجوده الأحمر ، أو الأبيض محلل

(١) ق. م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٥٠٦ .

(٢) المعرب - الجواليقي ص ١٨٣٦ .

(٣) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٤٤ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٨٣ .

(٥) البخلاء ص ٦٠ .

للأورام ، نافع للخفقان والصداع ، ولضعف المعدة الحارة والحميات . وصندل البعير والحمار : ضخم رأسه وصلب وعظم فهو صندل كجعفر[1] وقال أبو منصور الجواليقي : وليس لصندل الطيب أصل في اللغة . ولكن يقولون : بعير صندل : إذا كان صلباً[2] . وقال الخفاجي : صندل : للطيب ليس بأصيل، وبمعنى البعير الصلب عربي صحيح[3] ، ويقول آدي شير : الصندل شجر هندي طيب الرائحة تعريب جندل وصندل بالتركية والكردية وأما الصندل بمعنى الصلب العظيم والضخم الرأس من الجمال والحمير فمعرب عن سندل ومعناه الأحمق الثقيل[4] . وفي معجم استاينجس الصندل خشب ذو رائحة نفاذة طيبة وينقع خشب الصندل بالماء ويمرر على حجر وأصله فارسي[5] .

دَرْز : ذكرها الجاحظ وهو يصف معركة على لسان أحد الخياطين فقال : فما كان بقدر ما يخيط الرجل درزاً حتى قتلناهم وتركناهم[6] . وقد فسر صاحب اللسان لفظة الدرز بأنها لفظة فارسية معربة وهى من مادة درز ، والدرز : واحد دروز الثوب والدرز زئبر الثوب وماؤه وهو دخيل . وبنو درز: الخياطين والحاكة[7] .

٤ - اللهو والملاهي والألعاب :

يدخل في مجال اللهو الأعياد والمهرجانات وأدوات اللهو وملاعبه ألفاظ منها :

(١) ق. م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٨٥٨ .

(٢) المعرب الجواليقي ص ٢٠٢ .

(٣) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٧٠ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٠٨ .

(٥) معجم استاينجس ص ٧٩٣ .

(٦) مناقب الترك ص ١٩ .

(٧) اللسان جـ ٢/ ١٣٥٩ ط دار المعارف .

نيروز : والمهرجان في أحد نصوص الجاحظ قال : «وأهدت إليه في النيروز تكة وسكراً وفي المهرجان خاتماً وتفاحة»[1] وقد فسرت المعاجم لفظة النيروز على أنه أول يوم من السنة أي رأس السنة ، ففي القاموس فسر النيروز هو أول يوم من السنة ، معرب نوروز . وقدم إلى علي شئ من الحلاوى فسأل عنه فقالوا : للنيروز ، فقال : نيروزنا كل يوم . وفي المهرجان ، قال مهرجونا كل يوم[2] . وفي المعرب النيروز والنوروز : فارسي معرب . وقد تكلمت به العرب قال جرير يهجو الأخطل :

عجبت لفخر التغلبي وتغلب تؤدي جزى النيروز خضعاً رقابها[3]

وفي شفاء الغليل نيروز ونوروز فارسي معرب تكلموا به قديماً وأبدلوا واوه ياء إلحاقاً له بديجور تقريباً من التعريب ، قاله الواحدي : وفي تاج الأسماء النوروز نزول الشمس أول الحمل والنيروز هو اليوم الأول من «فروردين ماه» وهو أول شهور الفرس ولا أدري ما سنده في التفرقة بينهما[4] . وقال صاحب الألفاظ الفارسية المعربة النوروز والنيروز أول يوم من السنة الشمسية لكن عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل فارسيته نوروز ومعناه يوم جديد . وربما أريد به يوم فرح وتنزه[5] .

مهرجان : وردت عند الجاحظ في النص السابق من كتابه القيان ، فسرها الخفاجي بأنها أول نزول الشمس في برج الميزان ، وقع في شعر السري والبحتري ولم ترد في الكلام القديم[6] وتفسير لفظة المهرجان عند آدي شير مفصلاً وفيه استطراد . قال : المهرجان عيد الفرس مركب من مهر بمعنى المحبة

(١) كتاب القيان ص ١٧٣ .

(٢) ق. م الفيروز آبادي جـ ٤ ص ٤٦٨ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ٣٤٠ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجي ص ٢٥٩ .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة ، آدي شير ص ١٥١ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجي ص ٢٣٩ .

ومن كان بمعنى المتصلة . وكان المهرجـان يوافق أول الشتاء ثم تقدم عند إهمال الكبس حتى بـقى في الخريف وهو اليوم السادس عشر مـن شهر «مهر» وذلك عـند نـزول الشـمس أول المـيزان . وكـان للـفرس عـيدان كـبيـران النـوروز والمهرجـان. وكان هذا الأخير سـتـة أيام . والداعي إلى تـسميته بالمـهرجان أن الملوك والحكـام كانوا يترحمون فـيه على جميع الرعـايا والبرايا فيقـدمون لهم الطعام . وذهب قوم إلى أن ملكاً ظالماً اسـمه مهرمات في ذلك اليوم . فتذكارا لنجاتهم فيه من ظلم هذا الملك اتخذوه عيداً في كل سنة(١) .

طُنْبُور : وهى مـن أدوات اللهـو وقد جاءت عـند الجـاحظ في وصـية عثـمان الخيـاط للصوص مـن فتيـانه قال : «عـليكـم بنبيـذ التمـر ، وضرب الطنبور»(٢) وقد جاء في القاموس المحيط الطنبور والطنبار - بالكسر : معرب ، أصلـه «دنبه بـره» شبه بـألية الحـمل . وطنـوبرة : بلـدة في الأندلـس والمادة «طنبر»(٣) وفي المعرب الطنـبور : الذي يلعب به ، معرب ، وقد اسـتعمل في لفظ العـربية وروى أبو حاتم عن الأصـمعي : الطنبـور دخيل وإنما شبه بـألية الحمل ، وهى فـارسية «دنب بره» فقيل طـنبور . والطنبار لـغة فيه(٤) . وفي شفاء الغـليل الطنبور فـارسي معرب وطنبار لـغة فيه(٥) وفي الألفاظ الـفارسية المعربة الطنبور والطنبار من آلات الطرب ذو عنق طويل وستة أوتار معرب تنبور أصله «دنبه بره» أي آلية الحمل سمى به على التشبيه(٦) وفي كتاب أبنية الصرف الطنبور معرب أصله دنبه بره - شبيه بألية الحمل(٧) .

(١) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٤٧ .

(٢) الحيوان جـ ٢ ص ٣٦٦ .

(٣) ق . م الفيروز آبادي جـ ٣ ص ١٠١ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ٢٢٥

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٧٥ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١١٣ .

(٧) أبنية الصرف د. خديجة الحديثي ص ٤٩٧ .

صَنْج : وقد ذكره الجاحظ في وصفه لأداة من الأدوات قال : «ولهم الكنكلة وهي وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام أوتار العود والصنج»[1] والصنج في القاموس شئ يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر وآلة بأوتار يضرب بها معرب . وما أدرى أي صنج هو : أي أي الناس وبضمتين قصاع الشيزى والأصنوجة بالضم : الدوالقة من العجين . وليلة قمراء وصناجة : مضيئة[2] . والصنج في المعرب هو الذي تعرفه العرب والذي يتخذ من صفر ، يضرب أحدهما بالآخر . قال الأعشى :

والناي نرم وبربط ذي بحة والصنج يبكي شجوه أن يوضعا

فأما الصنج ذو الأوتار فتحتفظ به العجم وهما معربان وسموا الأعشى صناجة العرب لجودة شعره[3] والصنج في الألفاظ الفارسية المعربة صفيحة مدورة من النحاس يضرب بها على أخر مثلها للطرب تعريب سنج[4] .

بَرَابِط : فقد ذكرها الجاحظ في تساؤلاته العديدة التي تضمنتها رسالته التربيع والتدوير قال : «قدمتم أقليدس مع صنعه البرابط والمعازف»[5] ، وهذه اللفظة فسرها القاموس بصيغة المفرد بربط : كجعفر : العود . معرب بربط : أي صدر الأوز لأنه يشبهه[6] . وفي المعرب فسر كلمة بربط معرب معروف وهو ملاهي العجم سبه بصدر البط . والصدر بالفارسية «بر» فقيل «بربط» وقد تكلمت به العرب قال الأعشى :

(١) فخر السودان على بالبيضان ص ٢٢٣ .
(٢) ق . م الفيروز أبادي جـ ٢ ص ٨٥٧ .
(٣) المعرب للجواليقي ص ٢١٤ .
(٤) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٠٨
(٥) التربيع والتدوير ص ٨٢
(٦) ق . م الفيروز آبادي جـ ١ ص ٢٣٨ .

والناي نرم وبربط ذي بحـــــــة   والصنج يبكي شجوه أن يوضعا[١]

والخفاجي قـال : البربط من الملاهي عـود الطرب معرب قيل شـبه بصدر البط وبر الصدر[٢] أما أدى شيـر فيذكر أصل كلـمة بربط «بربت» وهـى العود وأصل معناه صدر الأوز لأنه يشبهه[٣] .

صَوْلَجَان : وقد ذكرها الجـاحظ في رسائله وفـي أماكن عديدة من كـتبه مثل كتـاب التاج قال : ومن حق الرجـل على الملك إذا ضرب معـه بالكرة أن يتقدم بدابته على دابة الملـك وصولجانه على صولجان الملك»[٤] وفي القاموس الصولجـان بفتح الصـاد واللام : المحجن والجمـع صوالجة وصلج الـفضة : أذابها[٥] . والمعرب يفـسر كلمة الصولجان بـأنها فارسي معرب وكـذلك في كل كلمة فيها صاد وجيم وهو المحجن والجمـع صوالجة والهاء للعجمة . لأنهما لا يجتمـعان في كلمة واحدة مـن كلام العرب[٦] وفي شفاء الغلـيل الصولجان : بمعنـى المحجن معـرب جمعه صـوالجة[٧] أما أدي شـير فـيقـول : الصـولج والصولجانة العود المعوج تعريب جوكان والكردي جوكان[٨] وفي حاشية المعرب يقول المحقق : لـقد زاد اللسان الصولج والـصولجانة وفسره بأنه الـعود المعوج ونقل عن التهذيب «الصلجة» بضم الصاد وفتح اللام مشددة ونقل تفسير ذلك كله عنه بأنه عصا يعطف طرفها يضـرب بها الكرة على الدواب فأما العصا التي

(١) المعرب الجواليقي ص ٧١ .

(٢) شفاء الغليل للخفاجي ص ٦٦ .

(٣) الألفاظ الفارسية أدي شير ص ١٨ .

(٤) التاج ص ٧٣ .

(٥) ق. م. الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٨٧١ .

(٦) المعرب للجواليقي ص ٢١٣ .

(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٧٠ .

(٨) الألفاظ الفارسية أدي شير ص ١٠٩ .

أعوج طرفاها خلقة في شجرتها فهى «محجن»[1] .

نَرْد : والتخت واللفظة : نرد جاءت عند الجاحظ وهو يصف أحدهم يأمر غلامه «يا غلام هات خوان النرد . وهو يريد تخت النرد»[2] واللفظتان متلازمتان دائماً وقال صاحب القاموس عن النرد أنه معرب وقد وضعه أدي شير بن بابك ولهذا يقال النرد شير[3] وجاء في المعرب : النرد أعجمي معرب . وفي الحديث من لعب بالنرد شير[4] والخفاجي يورد نفس التعريف الذي جاء في المعرب بلفظه[5] . أما أدي شير فهو يفصل معنى كلمة النرد فيقول هو شئ معروف يلعب فارسيته نرد وهو من وضع أردشير بن بابك من ملوك الفرس ولهذا أضيف إليه فقيل النرد شير (محيط المحيط) . وقيل هو وضع بزر جمهر وقيل الإبل أقدم منه . والنرد عبارة عن سبع لعبات وهى بالفارسية فارد وزياد وستارة وخانة كير وطويل ودهزار ومنصوبة كما جاء في البرهان القاطع ونرد الفارسي يطلق أيضاً على طلاء مركب فمنه أيضاً العربي نرد بمعنى الطلاء[6] ويؤكد كلام أدي شير ما قاله الفيروز آبادي في قاموسه أن النرد جوالق واسع الأسفل مخروط الأعلى ، يُسفّ من خوص النخل ثم يخيَّط ويضرَّب بشرط من الليف حتى يتمتن فيقوم قائماً ينقل فيه الرطب أيام الخراف . وأيضاً هو طلاء مركب يتداوى به[7] .

---

(١) المعرب الحاشية ص ٢١٣ ص ١٨ .

(٢) البخلاء ص ٣٦ .

(٣) ق. م. الفيروز آبادي جـ ٤ ص ٣٥٣ .

(٤) المعرب الجواليقي ص ٣٣١ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٦٠ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٥١ .

(٧) القاموس المحيط الفيرورز آبادي جـ ٤ ص ٣٥٣ .

تَخْت : الملازمة لـلنرد يصفهـا القاموس بأنهـا وعاء يصان فيه الـثياب[1] وأدي شير وصـف لفظة التـخت بأنها فـارسية محضـة وأصل معناهـا لوح من خشب وهو تخت بالتركية والكردية أيضاً[2] .

جُلَاهِق : ذكرها الجاحظ قـائلاً «ويختدعون بفراخ الحـمام أولاد الناس ويرمون بالجلاهق»[3] وقد فسر القاموس المحيط الجلاهق بالبندق الذي يرمى به وذكر أن أصله فارسي وتدعى بالفارسية جـله وهى كبة غزل . والكثير جلها ، وبها سمى الحائك[4] . والمعرب فسر الجـلاهق بأنها الذي يرمي بـه الصبيان ، وهو الطين المدور المدملق ، يرمى به عن الـقوس ، فارسي ، وأصله بالفارسية جلاهـة ، الواحدة جلاهـقة . والاثنـتان جلاهـقتان . قال الـنضر : ويـقال جهلقت جلاهقـا قدم الهاء وأخر اللام[5] . وفسر آدي شـير الجلاهق بالـبندق الذي يرمي والحائك وأن أصله بالفارسية جلـه وهو كبة من الغزل والكثير منها جلها وبها سمى الحائك بالفارسية وهو أيضاً جولها بالتركية والكردية[6] .

بَنْجَكَان : وردت عند الجاحظ في مجال ذكره للألفاظ الفارسية في بيانه قال : «ولا الرمي بالبنجكان والزرق بالنفظ والنيران»[7] وجاء في المعرب تفسير لهذه اللفظـة الفارسية قال : هى لعبة لهـم تسمى فنجكان بالفارسـية فعربها . ونقل فـي اللسان كلام ابـن السكيت هذا ، ولـكن «بنجكـان» بالباء الفـارسية المنـقوطة بثـلاث نقط وهـى تعرب باء أو فـاء . وفي الجمـهرة وفي الصـحاح

(١) القاموس المحيط الفروز آبادي جـ ١ ص ٣٦١ .

(٢) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٣٤ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ١٩١ .

(٤) ق . م. الفيروز آبادي جـ ١ ص ٥٢٢ .

(٥) المعرب للجواليقي ص ٩٦

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٤٣ .

(٧) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٨ .

والقاموس أنها بالفارسية بنجه»[1] .

٥٠٥ شطرنج : هذه اللعبة العقلية التي كانت سائدة في عصر الجاحظ وها نحن نرى في نص له من رسائله يخاطب أحد أصدقائه فيقول : «وأنت تعد في الشطرنج زبرب وأنا في الشطرنج لا أحد»[2] وقد فسرت المعاجم هذه الكلمة وأسهبت في تفسيرها ففي القاموس ذكر الشطرنج : لعبة والسين لغة فيه من الشطارة ، أو من التشطير أو معرب والشيطرج بكسر الشين : «دواء معرب جيترك بالهندية نافع لوجع المفاصل[3] . وفي المعرب شرح معنى الكلمة بأنها فارسي معرب . وقال : إن بعضهم كسر شينه ، ليكون على مثال من أمثلة العرب[4] وفي شفاء الغليل شطرنج : قال الحرير بفتح الشين والقياس كسرها لأنهم لم يقولوا فعلل بفتح الفاء وقيل عنه أن ابن القطاع نقله عن سيبويه ومثل له ببرطح وهو حزام الدابة ويقال بالسين والشين والمعروف فيه الفتح . وقيل هو عربي من المشاطرة والصحيح أنه معرب صدرنك أي مائة حيلة والمقصور الكثير وقيل معرب شدرنج أي من اشتغل به ذهب عناؤه باطلاً[5] .

وصاحب الألفاظ الفارسية يشرح لنا معنى كلمة الشطرنج بأنها لعبة مشهورة والسين لغة فيه . وأن أصله معرب عن شتردنك أي ستة ألوان وذلك لأن له ستة أصناف من القطع التي يلعب بها فيه وهى الشاه والفرزان والرخ والفرس والفيل والبيذق ولكل قطعة شكل مخصوص ومشية مخصوصة وهو من مخترعات الفرس . وذكر آدي شير أنه جاء في البرهان القاطع : شترنك بالكاف الفارسية السطرنج وهو لعبة معروفة من مخترعات داهر الحكيم

(١) المعرب للحواليقي ص ٢٣٧ .

(٢) في الجد والهزل ص ٢٦٦ .

(٣) ق. م. الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٧١٣ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ٢٠٩ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٥٨ .

الهندي. وذهب قوم إلى أن هذه اللعبة اخترعت في زمان أنو شروان . ويقول آدي شير : وعندي أن الفارسي شترنك أصله شاه ترنك أي الشاه لطيف أو الشاه اللطيف أو مركب من شت وهو تخفيف شتل ويطلق على الحصة التي المقامر يعطيها بعد نهاية اللعب إلى الذين حضروا المجلس ومن رنك ومعناه القمار . أو مركب من شتر وهو العدو باللغة الهندية ومن رنك ومعناه الحيلة والمشية أي حيلة العدو أو مشيته ومن الفارسي مأخوذ اليوناني والتركي والكردي سطرنج وهي مأخوذة من «شاه ترنك»[(١)] .

نَيْرَنْجَات : وردت عند الجاحظ في تساؤلاته الكثيرة التي جاءت في رسالته التربيع والتدوير قال «وخبرني ما النيرنجات وما البارباري وما الكرويات وما الخواتيم»[(٢)] وفي المعرب نجد معنى لفظة النورج والنيرج لغتان . وأهل اليمن يقولون نورج وهو الذي يداس به الطعام ، من حديد كان أو من خشب وهذا الكلام هو النص الحرفي للقاموس المحيط[(٣)] . وجاء في المعرب أن النيرج: ضرب من الوشي والنيرج : السريعة ونقل عن الأزهري عن ابن دريد النرجة : الخشبة التي تكرب بها الأرض . وفي نوادر الأعراب النورج : السراب . وسكة الحراث . وقال الليث النيرج : أخذ كالسحر وليس بسحر ، إنما هو تشبيه وتلبيس . وهذا كله دخيل لأن النون والراء لا يجتمعان في كلمة من كلام العرب[(٤)] . وفسرت الكلمة نيرج في شفاء الغليل بشكل مقتضب : هي ضرب من الوشي وبمعنى السريعة . وأخذ كالسحر وليس به ، فعرب[(٥)] ، وآدي شير يعطينا الشرح الوافي لكلمة نيرنج مفرد النيرنجات قال : النيرنج أخذ

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) التربيع والتدوير ص ٧٨ .

(٣) ق. م. الفيرور آبادي جـ ٤ ص ٤٥٨ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ٣٣٥ .

(٥) شفاء العليل للخفاجي ص ٢٦٢ .

تشبه السحر وليست بحقيقته . والنيرج النمام . ونورج الرجل اختلف إقبالاً وإدباراً ، وكذا في الكلام وهى النميمة والمشى بها . كل ذلك راجع إلى معنى الكلمة الفارسية «نيرنك» ومعناها الحيلة والمكر والسحر والطلسم . والكلمة مركبة من «نو ورنك» أي اللون الجديد أو الهيئة الجديدة . والنيرج بمعنى القوى أو القوة إذ يقال ريح نيرج أي عاصف فمعرب عن نيرو ومعناها القوة . والنيرج بمعنى سكة الحراث والظاهر أنه مأخوذ عن الآرامي[1] . والذي يعنينا هو تفسير الكلمة بمعنى الخدعة أو الحيلة ونيرنك في البرهان القاطع هى الحيلة .

المهن والمتهنون :

تكلم الجاحظ عن أصحاب الحرف والصناعات المختلفة وقد وردت ألفاظ إيرانية تدل على مختلف الحرف والصناعات في ذلك العصر ، وقد كانت من الألفاظ الوافدة التي دخلت العربية مع التيار الحضاري الذي بلغت الحضارة العباسية أوجها في عصر الجاحظ عصر الحضارة العباسية المزدهرة .

ومن الألفاظ التي دخلت مجال الحرف والحرفيين وأصحاب الصناعات والوظائف المختلفة في المجتمع العباسي .

شاكِريّة : وقد ذكرها الجاحظ قائلاً : «فإذا جاوز وثب على عراقيب دواب الشاكرية»[2] وقال في وصفه للنصارى : «ولبسوا الملحم والمطبقة واتخذوا الشاكرية وتسموا بالحسن والحسين»[3] وقد فسر القاموس لفظة الشاكري : الأجير والمستخدم ، معرب جاكر والمادة شكر»[4] وقال صاحب

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٥٥ .

(٢) الحيوان جـ ٢ ص ١٣٠ .

(٣) رسالة الرد على النصارى ص ١٨ .

(٤) ق. م الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٧٤١ .

الألفاظ الفارسية الشاكري الأجير قيل معرب جاكر وهو العبد ، محيط المحيط وعند أنه تعريب شاكر ومعناه السخري وهو مركب من شاه أي ملك ومن كار أي عمل[1] .

هندسة : وصاحبها المهندس ذكرها الجاحظ في معرض كلامه عن أنواع العلوم قال : «وكان يدعي بحضرة أبي إسحاق علم الحساب ، والكلام والهندسة واللحون»[2] ولفظة الهندسة والمهندس فسرها القاموس : الهندسة مشتق من الهنداز ، معرب آب أنداز فأبدلت الزاي سينا لأنه ليس لهم دال بعده زاي . والمهندس : مقدر مجاري القني حيث تحفر[3] وفي المعرب المهندس مشتق من الهنداز وهى فارسية والاسم الهندسة[4] . وقال الخفاجي في شفاء الغليل : المهندس الذي يقدر مجاري القني والأبنية وأصله مهندز فأبدلوا زايه سيناً لأنه ليس في كلامهم زاي قبلها دال[5] . ويفسر آدي شير لفظة الهندسة والمهندس والهندسي وهندس : كل ذلك مأخوذ عن (اندازه) ومعناه القياس والوزن والتقدير والتخمين[6] وفي حاشية المعرب ذكر المحقق نقلاً عن اللسان ويقال فلان هندوس هذا الأمر ، وهم هنادسة هذا الأمر ، أي العلماء به ، ورجل هندوس إذا كان جيد النظر مجرباً[7] .

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٠٢ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ١١٠ .

(٣) ق. م . الفيرزز آبادي جـ ٤ ص ٥٣٩ .

(٤) المعرب - الجواليقي ص ٣٥٢ .

(٥) شفاء الغليل - الخفاجي ص ٢٤٠

(٦) الألفاظ الفارسية آءي شير ص ١٥٨ .

(٧) المعرب - الحاشية ص ٣٥٢ ص ١١ .

دِهْقَان : لفظة وردت عند الجاحظ بقوله : «وما عندي لك إلا ما قال الدهقان لأسد بن عبيد الله وهو على خراسان»[1] وقد ذكر القاموس لفظة الدهقان بالكسر والضم القوي على التصرف مع حدة . والتاجر . وزعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم ، معرب الجمع دهاقنة ، ودهاقين ، والاسم الدهقنة وهى بهاء والمادة (دهق)[2] وفي شفاء الغليل دهقان بفتح الدال وكسرها فارسي معرب ده خان أي رئيس القرية ومقدم أهل الزراعة من العجم ولذلك تسب به العرب[3] . وفي المعرب : الدهقان فارسي معرب وقال أبو عبيدة يقال دهقان ودهقان لغتان والجمع دهاقين[4] . وفسرت لفظة دهقان في شفاء الغليل - يفتح الدال وكسرها - فارسي معرب : ده خان ، أي رئيس القرية ومقدم أهل الزراعة من العجم ولذلك تسب به العرب[5] أما آدي شير فيقول عن الدهقان القوى على التصرف وزعيم فلاحي العجم تعريب دهكان . وقيل أصل «دهكان» ده خان أي رئيس القرية وقالوا فيه دهقن وتدهقن[6] .

بَازْيَار : وقد ذكرها الجاحظ قال : «ثم بلغ من رقة طبع البازي وعتقه أنه ينقطع برد البازيار له إلى مسقطه من يده»[7] وقد فسر القاموس لفظة البازيار معرب بازدار وهى الأكار وفيها المادة من برز وجمعها بيازة وقد أوردها الجاحظ بقوله : «على أن الكلب في تتبع الدراج والإصعاد خلف الأرانب في الجبل الشاهق من الرفق وحسن الاهتداء والتأتي ما يخفى مكانه عن البيازة

(١) في الجد والهزل ص ٢٤٤ .
(٢) ق. م. الفيروز آبادي جـ ٢ ص ٢٢٣ .
(٣) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٢٥ .
(٤) المعرب للجواليقي ص ١٤٦ .
(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٢٥
(٦) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٦٨ .
(٧) في الجد والهزل ص ٢٧٧ .

والكلابين»[1] والبيـزار : الذكر . وحامـل الباري معرب بـازيار ويجمـع بيزار بيازة[2] والمعرب فسر لفظة البيازرة بأنها جمع بيزار كما قال الكميت :

كأن سوابقها في الغبـار صقور تعارض بيزارها[3]

وشفـاء الغلـيل فسـر البيـزار معرب بازيـار كما فـي الصحـاح للجـوهري واستعملوا أيضاً بازدار لكنه محدث كقول أبي فراس :

ثم تقدمت إلـى الفهاد والبازداريين باسـتعداد

ثم تصـرف فيه المولدون حتـى قالوا لصنـاعته بزده من قولـهم بازدار[4] . والبيزار عند أدى شيـر بمعنى الأكار تعريب بازيار وهو تحريف بـرزيار بالفارسية ومنه السـريانـى بمعنى بيـاع البزور . والبيـزار بمعـنـى حامـل البازى فـمعـرب عـن بازدار[5] . ويعلق محقق المعرب علـى كـلام الجواليقى بأنه قاصر مجمل إذ لم يـبين معنـى البيـزار ولـه معـان منهـا : الذى يحمـل البازى ، ومنـها الأكار[6] .

البُنْدار : والبنادرة وقـد ذكر الجاحظ اللفـظة فقال : « وقد بلـغ من تبرك التجار بهم أن **صيارفة** البصرة **وبنادرة البربهارات** لما رأوا ما كسب فرج أبو روح السندى لمولاه من المال والأرضين اشترى كل امرئ منهم غلاما سنديا[7] » والقاموس يـفسر البنادرة بأنهم تجار يـلزمون المعادن أو الذين يخزنـون البضائع

(١) الحيوان جـ ٢ ص ١٢٠ .

(٢) ق. م. الفيروز آبادي جـ ١ ص ٢٦٥ .

(٣) المعرب الجواليقي ص ٧٨ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجى ص ٦٢ .

(٥) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٢١ .

(٦) المعرب الحاشية ص ٧٨ .

(٧) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٥ .

للغلاء جمع بندار ، والبندر : المرسى والمادة منها « بند »[1] وقال أدى شير البندار : التاجر الذى يلزم المعادن فارسيته بندار وأصل معناه صاحب الأساس[2] .

مُكدى : وقد ذكر الجاحظ الكدية والمكدين فى بخلائه وأفاض فى وصفهم ووصف مهنتهم قال « وخدمت الخلفاء والمكدين وخالطت النساك والفتاك » وقال : « وهذا خالد بن يزيد مولى المهالبة هو خالويه المكدى وكان قد بلغ فى البخل والتكدية وفى كثرة المال المبالغ التى لم يبلغها أحد »[3] ولفظة مكد فى القاموس أقام والكدية بالضم شدة الدهر كالكادية . وأكدى : بخل أو قل خيره . أو قلل عطاءه . ككدى كرمى وامرأة مكدية رتقاء . وأيضا الكدية الأرض الغليظة والصفاة العظيمة الشديدة . والشيء الصلب بين الحجارة والطين وما جمع من طعام أو تراب أو نحوه . فجعل كثبه كالكادية والكداة[4] . أما الخفاجى فقد شرح كلمة كدية ومكدى أكثر ما يقوله أهل المشرق يقولون المكدية للسؤّل الطوافين على البلاد ، والصواب رجل مكد من قولك حفر فأكدى إذا بلغ الكدية فم ينبط ماء والكدية أرض صلبة إذا بلغها الحافر ترك الحفر ويقال أعطى فأكدى أى قلل وقيل قطع وقال المكدى بمعنى سائل . قال الحريرى قولهم لمن يكثر السؤال مكد أصله مجد لاشتقاقه من الاجتداء وكان الأصل فى المجدى المجتدى فأدغمت التاء فى الدال ثم ألقيت حركة الحرف المدغم على ما قبله كما فعل ذلك فى قراءة من قرأ من لا يهدى إلا أن يهدّى والأصل فيه يهتدى ، أقول هذا غريب وأغرب منه قول بعض أهل العصر إن التكدى معرب كداى كردن عربته الفقهاء ولم يوجد فى كتب

---

(1) ق . م الفيروز ابادى حـ١ ص ٣٢٦ .

(2) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٢٨ .

(3) البخلاء ص ٤٨ ، ص ٤٦ .

(4) ف . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٢٧ .

اللغة بهذا المعنى وهذا كله خطأ فإنه عربي صحيح قال الراغب فى مفرداته الكدية صلابة فى الأرض يقال حفر فأكدى واستعير ذلك للطالب الملحف والمعطى المقل .[1] وفى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة كدى الرجل سأل . وتكدى تسول . والكدية والكداية : كل ذلك مأخوذ عن كدا ومعناه التسول والفقير المحتاج ومنه الكردى كدا أى الفقر[2] .

قهرمان : تدخل فى مجال حديثنا عن المهن وقد وردت عند الجاحظ بقوله « إنه إذا دعى على مائدته بفضل دجاجة أو بفضل رقاق أو غير ذلك ، رد الخادم مع الخباز إلى القهرمان حتى يصك له بذلك إلى صاحب المطبخ »[3]. والقهرمان لم يذكره الفيروز آبادى فى قاموسه وذكر الشارح للقاموس قال : إنه فارسى معرب ، وهو من أمناء الملك ويقال فيه قرهمان مقلوب[4] والمعرب ذكر كلمة قهرمان بأنه أعجمى ولم يعرف الكلمة أى تعريف آخر سوى أن أصله قرمان[5] والخفاجى يقول إن قهرمان معرب كهرمان كذا فى شرح الكتاب وقيل معرب قرمان[6] أما أدى شير فيقول القهرمان هو الوكيل وبالفارسية القهرمان معناه الآمر صاحب الحكم[7] .

دَيْدَبَانٌ : ذكرها الجاحظ « قالوا يا احترس للديدبان »[8] والقاموس المحيط يقول عن الديدبان معرب ولفظة الديدب : حمار الوحش ، والرقيب ،

(١) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٢٨ ، ص ٢٣٧ .

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٣٢ .

(٣) البخلاء ، ص ٥٦ .

(٤) ق . م الفيروز ابادى جـ٣ ص ٧٠٨ .

(٥) المعرب للجواليقى ص ١٨٦ .

(٦) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٠٦ .

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٣٠ .

(٨) البيان والتبيين جـ٣ ص ١٨٩ .

والطليعة[١] ، وفى المعرب الديدبان فارسى معرَب ، وعن ابن دريد الديدبان يريدون الديذبان ، أى الربيئة ، وقال أبو بكر : ولا أحسب العرب تكلمت به[٢] ويؤكد الخفاجي أن الديدبان بمعنى رقيب فارسى معرب .[٣] أما آدى شير فيفصل الكلمة الديدب والديدبان الرقيب والطليعة مركب من ديد أى نظر ومن بان أى صاحب[٤] وفى أبنية الصرف أن الديدبان الحارس[٥] .

بُسْتَانْبَان : قال الجاحظ فى معرض كلامه عن الألفاظ الفارسية التى كانت سائدة فى العصر العباسى نقلا عن لسان أحدهم : « إن أبى كان أشتربان يريد جمالا وأبو زيد كان بستان بان »[٦] ولفظة « البستان بان » أطال فى شرحها المعرب واقتضب فى تفسيرها القاموس ولم يذكر سوى البستان بمعنى الحديقة[٧] ، أما أصلها فقد أوضحه الجواليقى قال : البستان فارسى معرب ويجمع بساتين . ومن لفظة البستان هذا الذى يقال له بست ولم يحك أحد من الثقات كلمة عن العرب مبنية من باء وسين وتاء ، وقد أوضح الشارح معنى البست بفتح الباء وسكون السين : هو السير أو ما فوق العنق بفتح العين والنون أو السبق فى العدو . قاله فى القاموس . وقال أيضا . وأما بست بضم الباء وسكون السين : مكان بسجستان معروف[٨] وقال آدى شير البستان فارسى محض وهو مركب من بوى أى رائحة ومن ستان أى

(١) ق . م الفيروز آبادى جـ٢ ص ٢٣٩ .
(٢) المعرب للجواليقى ص ١٤١ .
(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ١١٩ .
(٤) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٦١ .
(٥) أبنية الصرف د. خديجة الحديثى ص ٤٨٠ .
(٦) البنيان والتبيين جـ٢ ص ٨٢ .
(٧) ق . م - الفيروز ابادى جـ١ ص ٢٦٩ .
(٨) المعرب للجواليقى ص ٥٣ - ٥٤٥ .

محل .[1] وفى حاشية البيان والتبيين يقول الأستاذ عبد السلام هارون إن البستان بان أى بستانى بالفارسية[2] .

فَيْج : ذكرها الجاحظ قائلا : « ولخبط الشجر ، وللفيج وللمكارى ، فإنهما يتخذان المخاصر »[3] فسر القاموس لفظ فيج : الوهد والمطمئن من الأرض[4] والمعرب يشرح الفيج : رسول السلطان على رجليه . وليس بعربى صحيح وهو فارسى . ومنه الفائج من قولك مر بنا فائج من وليمة فلان . أى فيج ممن كان فى طعامه[5] وفى شفاء الغليل فيج جمع فيوج معرب بيك قال أبو منصور ليس بعربى صحيح[6] وآدى شير يقول : الفيج رسول السلطان القادم على رجليه معرب عن پيك .[7] .

بريد : فقد وردت عند الجاحظ بقوله : « كان فى طريق الموصل سكة بريد ، وبقرب السكة مسجد ومستراح للمسافر »[8] وقد شرح القاموس المحيط كلمة « بريد » المرتب والرسول والمادة « برد » وبرده وأبرده : أرسله بريدا ، والرسل على دواب البريد وسكة البريد محلة بخوارزم .[9] وفى المعرب البريد أنه الوعوع ومنه فرانق البريد ونقل عن الدميرى فى حياة الحيوان أن السيير بياءين موحدتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة ضرب من السباع يعادى الأسد . من العدو لا من العدوان ، ويقال له البريد ويقال له الفرانق بضم

(١) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٢٢ .

(٢) البيان والتبيين / الحاشية جـ٢ ص ٨٢ .

(٣) البيان والتبيين جـ٣ ص ٦٨ .

(٤) ق . م الفيروز ابادى جـ٣ ص ٥٤٠ .

(٥) المعرب للجواليقى ص ٢٤٣ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٩٩ .

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٢٢ .

(٨) كتاب البغال ص ٢٣٦ .

(٩) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٢٤٤ .

الفاء وكسر النون وهو هندى معرب . وفسر صاحب اللسان والصحاح والفرانق بأنه البريد . وكلام ابن دريد يدل على أنــه الذى يتقدم صاحب البريد أى الذي يدل صاحــب البريد على الــطريق .[1] وشفاء الـغليل يـقول البريـد : هو فى الأصل البغل كلــمة فارسية وأصله بريده دم أى محذوف الــذنب لأنه يقال دابة البريد كانت كذلك .[2]

أما آدى شير فيفسر معنى البريد : قيل أصله فارسى من « بردن » أى نقل وحمــل . وقيل رومى أصــله Reredus وهو دابة الــبريد وهنا أفـضل الأصل الرومى علــى الفارسى . والبريد الرســول ومنه قول بعض العرب الحــمى بريد الموت أى رسوله[3] . ومن التـفاسير الــتى وردت فى المعاجــم لكلمــة بريد لا نستطيع أن نجزم بالأصل الحقيقى للــكلمة فمرة هى فارسية الأصل ومرة رومية المنشأ وهكذا لم يستقر الرأى على أصلها ومن أين جاءت فى ذلك العصر عصر الجاحظ .

وفى مجــال كلامنا عن المهــن نذكر الأدوات التى كانــت تستعمل فــى تلك المهن ونــذكر الوسائل الــتى تتعلــق بأصحاب المهــن وهم يؤدون أعمالــهم ومن الأشياء التى تتعلــق بالمهن القربق والكربج والدرياجة والسنبــوق وأيضا المنجنيق وهذه لهــا استعمالات متــباينة ولكنــها تدخل فى مــجال الألفاظ الإيرانيــة التى تختص بالصناعات والحرف .

كُرْبَجْ : قال : « فحين صار المال فى أيديهما قصــد البعض الكرابج فابتاعا من الطعام ما اشتهيا »[4] وقد فسر القاموس لفظة الكربج كقرطق وهى الحانوت

(١) المعرب - الجواليقى ص ٢٣٨ .

(٢) شفاء الغليل للخفاجى ص ٦٧ .

(٣) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ١٨ .

(٤) البيان والتبيين جـ٣ ص ٥١ .

أو متاع حانوت البقال .[1] والمعرب يفسر الكربج بأنـه معرب وأصله بالفارسية كربه . ويقال للحـانوت كربج ، وكربق[2] وذكر المعرب تقـول العرب : قربق وكربـق وكربـج . والجمع كـرابج والقربق دكان الـبقال[3] وفى شفاء الـغليل كربج : وكربق وقربـق الحانوت معرب[4] وفى كتاب الألفاظ الفـارسية القربج الحانوت معرب كربه . والقربق والكربج والكربق لغات فيه[5] .

بَرْبَنْد : وقد ذكرها الجاحـظ فى بخلائه قال : « هذه لا تصـعد ولا يرتقى عليها إلا بالتبليا والبربند[6] . قال آدى شير عن لـفظ البربند بأنهـا معربة وهى البربيطاء أى الثياب ومعربها البربند ومـعناها الصدرية وهى ثياب يلبسها الأطفال والنساء على صدورهم[7] . ولـم يوضح لنـا آدى شير معنى اللفـظة كما أوردها الجاحظ . وطه الحاجرى فسر اللفظة بمـعنى مقارب لورودها عند الجاحظ وذكر أنها آلـة أو أداة لصعود الـنخل فارسـية معنـاها الرباط ولا تـستعمـل الآن فى العراق[8] وقد وهم الحاجرى بـقوله هذا إذ أن هذه الأداة لا تزال تستـعمل فى العراق لصعود النـخل ، ويؤكد الكرملى أن البربند هو الحـابول أو الكر يصعد به على النخل وأورد كلام المعجم الذهبى بأن البربند حزام الظهر . وفى تكملة المعجمات العربية بمعنى طوق الفرس[9] .

(١) ق . م فيروز آبادى جـ٤ ص ٣٠ .

(٢) المعرب للجواليقى ص ٢٨٠ .

(٣) المعرب الجواليقى ص ٢٨٠ ، ص ٢٩٢ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٢٥ .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٢٤ .

(٦) البخلاء ص ٢١٢ .

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٨ .

(٨) البخلاء طه الحاجرى ص ٤٠٨ .

(٩) المساعد جـ٢ ص ١٨١ .

دَرْيَاجَة : أوردها الجاحظ فى كلامه عن السمك وطرق صيده قال : «ينصبوا له الشصوص للمسك ، ويسكروا الدرياجة على صغار السمك لا يدخلوا فى السواقى [1] . ويعلق طه الحاجرى على لفظة الدرياجة بأنها من الكلمات التى لم تعن المعاجم بتدوينها . وقد شرحها السيد سليمان فيض الموصلى نزيل البصرة. قال: استفادة من وجود المد والجزر فى البصرة يفصل صيادو السمك قسما صغيرا من الماء ممايلى الشاطئ بالقصب أو بجريد النخل ، على هيئة قوس طرفه الأسفل فيصل باليابسة وطرفه الأعلى منفصل عنها بمقدار قليل ليمكن السمك من الدخول فى الماء أثناء المد . ويعبرون عن ركز القصب أو الجريد بهذه الصورة بالتسكير بمعنى السد ، ويسمون القسم المحصور بين السكر والشاطئ درياجة وهى البحيرة بالفارسية »[2] .

سَنْبُوقَة : تدخل في مجال حديثنا عن الصناعات وأصحابها ، وقد ذكرها الجاحظ قال : بعث ألف سنبوقة فى كل سنبوقة ألف رجل »[3] ومعنى هذه السنبوقة ، جاء فى القاموس السنبوق . كعصفور : زورق صغير[4] وفى المعرب المعنى غير واضح للفظة السنبوقة فقد ذكر الجواليقى السنبك والجمع السنابك: طرف مقدم الحافر . فارسى معرب . وقال بعضهم : سنبك كل شيء : أوله[5] وفى شفاء الغليل السنبوك : سفينة صغيرة تستعمله أهل الحجاز وعبر به فى الكشاف وقيل من سنبك الدابة على التشبيه ولم نره فى كلامهم قديما[6] .

(١) البخلاء ص ١٢٩ .

(٢) البخلاء ص ٣٧١ طه الحاجرى .

(٣) فخر السودان على البيضان ص ٢١٧ .

(٤) ق . الفيروز ابادى جط٢ ص ٦٢٤ .

(٥) المعرب الجواليقى ص ١٧٧ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٤٤ .

وآدى شير قال : السنبوك السفينة الصغيرة حكاه الزمخشرى فى الكشاف وهى لغة أهل الحجاز[1] .

بَال : ذكرها الجاحظ فقال : « أهل الكوفة ، فإنهم يسمون المسحاة بال ، وبال بالفارسية »[2] ولفظة بال فسرها آدى شير بمعنى المر معرب بيل .[2] وفى معجم استاينجس لفظة بال من الألفاظ الفارسية الأصل وهى أداة للزراعة[3]

شُصُوص : وردت عند الجاحظ فى حديثه عن صيد الأسماك فقال : ومثل ذلك ما قد كلفهم أن ينصبوا له الشصوص للسمك»[4] وقد فسرت لفظة الشصوص فى اللسان بأنها شئ يصاد به السمك وقال ابن دريد: لا أحسبه عربيا. وفى حديث ابن عمر فى رجل ألقى شصه وأخذ سمكه. الشص والشص بالكسر والفتح، حديدة عقفاء يصاد بها السمك.[5] وفى معجم استاينجس الشص حديدة معقوفة يصاد بها السمك والجمع شصوص وهو فارسى معرب .[6]

جَمَّازَات : تدخل فى مجال الحرفيين وأعمالهم ، قال الجاحظ يصف رحلة بحرية : « وقد علمتم أن أول شأن الجمازات ، أن أم جعفر أمرت الرحالين أن يزيدوا فى سير النجيبة التى كانت عليها »[7] ولفظة الجمازات لم أجد شرحا لها فى معظم المعاجم اللغوية وفى معجم استاينجس وجدتها بمعنى المركب الذى يسرع فى سيره وهى من الألفاظ الفارسية[8] .

---

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٩٥ .

(٢) البيان والتبيين جـ١ ص ١٩ .

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٦ .

(٤) معجم استاينجس ص ١٤٩ .

(٥) اللسان جـ٣ ص ٣١٣ .

(٦) معجم استاينجس ص ٧٤٥

(٧) الحيوان جـ١ ص ٨٣ .

(٨) معجم استاينجس ص ٣٧١ .

بِرْكَار : ذكرها الجاحظ بقوله : وصاغوا من المنافع كالقرصطونات والقبانات والاسطرلابات وآلة الساعات وكالكونيا وكالشيزان والبركار »[١] وقد فسرت هذه اللفظة فى شفاء الغليل ، البركار : آلة معروفة لم يسمع عنها فى شعر قديم والذى قاله الدينورى أنه فرجار بالفاء معرب بركار وقال الأرجانى : كأننى مثل بركار الدائرة[٢] أما آدى شير فيقول : البركار معرب بركار وهى آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر والفرجار والفركار لغتان فيه .[٣] وفى غرائب اللغة البركار من الألفاظ الفارسية المعربة .[٤] وفى معجم استاينجس البركار من الألفاظ الفارسية الأصل[٥] .

بُرْجَاس : وقد ذكرها الجاحظ فقال : « رمى المجثمة ، والبرجاس والطائر الخطاف »[٦] وقد تناولت المعاجم اللغوية هذه اللفظة بشروح عديدة ففى القاموس البرجاس بالضم : غرض فى الهواء على رأس رمح أو نحوه مولد[٧] . وفى شفاء الغليل البرجاس : الغرض مولد عن الجوهرى وبرجيس نجم المشترى فارسى أيضا[٨] . وفى كتاب الألفاظ الفارسية : البرجاس غرض فى الهواء على رأس رمح أو نحوه فارسيتها برجاس ومعناها هدف السهم ولعل أصل اللفظة يونانى[٩] . أما معجم استاينجس فيؤكد أن اللفظة برجاس فارسية

(١) مناقب الترك ص ٦٨ .
(٢) شفاء الغليل الخفاجى ص ٦٩ .
(٣) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٢٠ .
(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢١٩ .
(٥) معجم استاينجس ص ١٧٧ .
(٦) مناقب الترك ص ٢١ .
(٧) ق . م الفيروز آبادى جـ١ ص ١٤٠ .
(٨) شفاء الغليل الخفاجى ص ٦٩ .
(٩) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٨ .

الأصل وهى بمعنى أداة لنوع من اللعب فى الماء ويستعمل فيها نوع من الأدوات التى تشبه الرمح[١] .

نَيْزَك : قال الجاحظ هى نوع من الرماح : « للرماح طبقات : فمنها النيزك »[٢] وقد فسر القاموس هذه اللفظة بالرمح القصير ونزكه : طعنه به ، وفلانا أساء القول فيه ورماه بغير الحق[٣] . وفى المعرب النيزك : أعجمى معرب وقد تكلمت به العرب الفصحاء قديما . قال الشاعر : من الوجد شكته صدور النيازك[٤] . وفى شفاء الغليل ينازك جمع ينزك وهو رمح قصير فارسى معرب نيزه تكلمت به الفصحاء قاله الجوهرى واستعمله الحكماء فى شعلة ترى كالرمح وهو أحد أقسام الشهب وصرفته العرب ، وقع فى مسلم نزكوه أى طعنوه[٥] . وعند آدى شير النيزك هو الرمح القصير تعريب نيزه . والنيزق لغة فيه ومنه فعل نزك أى طعن بالنيزك[٦] . وفى معجم استاينجس يؤكد أن لفظة النيزك فارسية الأصل معربة[٧] .

مِيشْار : يستعملها النجارون وذكرها الجاحظ فى حديثه عن أدوات النجارة فقال : تحت القدوم والمثقب والميشار »[٨] وقد جاء فى معجم استاينجس معنى هذه الآلة بأنها تستخدم فى النجارة وهى فارسية معربة[٩] .

(١) معجم استاينجس ص ١٧٠ .
(٢) البيان والتبيين جـ٣ ص ٢٤ .
(٣) ق . م الفيروز ابادى حـ٤ ص ٣٥٧ .
(٤) المعرب الجواليقى ص ٣٣٢ .
(٥) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٦٠ .
(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٥٢ .
(٧) معجم استاينجس ص ١٤٤٢ .
(٨) الحيوان جـ٥ ص ٤٨٢ .
(٩) معجم استاينجس ص ١٣٦٨ .

أساكفة : ذكرها الجاحظ في كتاباته قال : فإنى أزعم أن جلده لا يدبغ ولا ينتفع به إلا الأساكفة[1] لم أجد تفسيرا لهذه اللفظة في معظم المعاجم العربية ولكن وجدت في معجم استاينجس أن معنى لفظة أساكفة تعنى صانعي الأحذية وهي من الألفاظ الفارسية المعربة[2] .

باضوزكى : ذكرها الجاحظ مبينا مهنة صاحبها فقال : وربما بيع الجلد جلد الماعز فيشتريه الباضوزكي »[3] قال الأب أنستاس الكرملي الباضوزكي تصحيف البازكي لغة في قولك البازركان وبعضهم يقولها بمعنى الوغال ، وهو المغلواني عند العوام[4] وفي معجم استاينجس وردت لفظة البازكان بمعنى Atrader وهي من الألفاظ الفارسية[5] .

كاجار : من الألفاظ التي وردت عند الجاحظ في البخلاء وفي أماكن أخرى من كتاباته قال : « وأنا كنت كاجار في حداثة سني »[6] ولفظة الكاجار لم أجد تفسيرا لها في معظم المعاجم إلا في معجم استاينجس وصف الكاجار بأنه صانع الأثاث المنزلي وأصل الكلمة فارسي[7] .

منجنيق : قال الجاحظ في معرض كلامه عن آلات الحرب : « ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العرادة ولا المجانيق »[8] وهذه اللفظة اختلف اللغويون في لفظها وفي أصلها فالقاموس يذكر المنجليق : المنجنيق . وبكسر

---

(١) الحيوان جـ٤ ص ٧٦

(٢) معجم استاينجس ص ٤٧ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٤٧٧ .

(٤) المساعد . الاب انستاس جـ٢ ص ١٢٣ .

(٥) معجم استاينجس ص ١٤٥ .

(٦) البخلاء ص ٤٦ .

(٧) معجم استاينجس ص ١٠٠٠ .

(٨) البيان والتبيين جـ٣ ص ١٧ .

الميم : آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنوق معربة وقد تذكر ، فارسيتها من جه نيك: أى أناما أجودنى . والجمع منجنيقات ومجانق ومجانيق ومادتها منج[1] والمعرب يفسر لفظة المنجنيق الذى اختلف فيه أهل العربية فقال قوم : الميم زائدة . وقال آخرون بل هى أصلية . وأخبرنا ابن بندار عن ابن رزمة عن أبى سعيد عن ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : سألت أعرابيا عن حروب كانت بينهم فقال : كانت بيننا حروب عون تفقأ فيها العيون ، مرة نُجنق وأخرى نرشق . فقوله « نُجنق » دال على أن الميم زائدة ولو كانت أصلية لقال نمجنق . وكان المازنى يقول : الميم من نفس الكلمة والنون زائدة لقولهم «مجانيق» فسقوط النون فى الجمع كسقوط الياء فى : عيضموز » إذا قلت «عضاميز» ويقال منجنيق ومنجنيق بفتح الميم وكسرها . وقيل الميم والنون فى أوله أصليتان . وقيل : زائدتان وقيل : الميم أصلية والنون زائدة . وهو أعجمى معرب . وحكى الفراء منجنوق بالواو . وحكى غيره منجليق . وقد جنق المنجنيق ويقال جنق[2] .

أما الخفاجى فيشرح لنا تفسير لفظة منجنيق بأنها معربة « من جه نيك . أى أجود أو أنا شىء جيد لأنه لا يجتمع الجيم والقاف فى جملة عربية غير اسم صوت بكسر الميم كما فى القاموس وضبطه أبو منصور بفتحها آلة لرمى الحجارة كالمنجنوق ومنجليق لغات فيه معربة وقيل الأقرب أنه معرب « منجل نيك »[3] ويؤكد آدى شير كلام الخفاجى بأنها آلة ترمى بها الحجارة فارسيتها « من جه نيك » أى أنا ما أجودنى (محيط المحيط) . والمنجنوق لغتان فيه وبنوا منه أفعال جنق . وجنق ومنجنق . ويحتمل أن يكون أصل الكلمة

(١) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٢٨٦ .

(٢) المعرب الجواليقى ص ٣٠٨ ، ص ٣٠٩ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٤٠ .

فارسيا ، وذلك إما لأنها مأخوذة عن : من جه نيك أو مركبة من : منك جنك ينك » أى أسلوب جيد للحرب أو أصلها منجك نيك ، وأن منجك معناها الارتفاع إلى فوق وكان اسم لعبة[1] . وفى أبنية الصرف المنجنيق : أداة من أدوات الحرب ترمى بها الحجارة[2] . ويقول الأستاذ عبد السلام هارون : المجانيق جمع منجنيق معرب من الفارسى منجنيك وهذه مأخوذة من اليونانى ويضطرب اللغويون العرب فى تأصيلها من الفارسى[3] .

ويتبع الصناعات والحرف أنواع العملات إذ أنها العامل الحيوى لاستمرار الحياة الاقتصادية وما فيها من نشاطات وقد وردت فى كتب الجاحظ أنواع كثيرة من العملات .

قراريط : والدانق والدرهم بأنواعه والدينار ، وفى نص للجاحظ من كتابه البخلاء يذكر فيه القراريط « إن إنفاق القراريط يفتح عليك أبواب الدوانيق وإنفاق الدوانيق يفتح عليك أبواب الدراهم ، وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير »[4] .

طِسُّوج : وقد حدد الجاحظ مقدار الطسوج . قال : « الطسوج أربعة فلوس »[5] وقد فسر القاموس الطسوج كسفّود : الناحية . وربع دانق معرب[6] وفى المعرب طسوج معرب[7] وفى معجم استاينجس لفظة طسوج فارسية معربة وهى تعادل أربعة وعشرين حبة فى الدرهم[8] .

(١) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ١٤٦ .

(٢) أبنية الصرف د . حديجة الحديثى ص ٥٢٢ .

(٣) حاشية البيان والتبيين جـ٣ ص ١٧ الأستاذ عبد السلام هارون .

(٤) البخلاء ص ١٠٦ .

(٥) البخلاء ص ١٢٦ .

(٦) ق . م جـ٣ ص ٧٦ .

(٧) المعرب للجواليقى ، ص ٧٦ .

(٨) معجم استاينجس ص ٨١٥ .

صَكّ : تتعلق بـالأمور المادية ، وقد ذكرها الجاحظ بقـوله : لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكاك وكل إقطاع وكل إنفاق[1] ، وفى اللسـان لفظة الـصك والجمع صـكاك فسرها ابـن منظور بـأنها فارسـى معرب والصـك : الكتـابْ وجمعـه أصك وصكـوك وصكاك . قـال أبو منـصور : والصك الـذى يكتب للـعهدة معرب أصـله جك ويجـمع صكاكا وصـكوكا . وكانت الأرزاق تسمى صكاكا لأنها كانت تخرج مكتوبة[2] .

دَوَانِيق :[3] يقـول الجاحظ : إنــفاق الـدوانيق يـفتح عـليك أبــواب الـدراهم ، وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبـواب الدنانير ويشرح القاموس لفظة الدانق ويحددها بأنها سدس الدرهم ، ويورد مشتقات الدانق كالداناق . ودنق يدنق ويدنــق دنوقا : أسف لدقائق الأمور . والـدنق بضمتين: المقـترون على عيالـهم . والتدنـيق الاستقصـاء . وإدامة النظر إلـى الشىء . ودنو الـشمس للغروب[4] ومع كـل هذا الشرح المـطول للـقاموس إلا أنـه لم يورد لنـا أصل الكـلمـة . وفـى المـعرب ذكر الـدانق : مـعرب بكـسر النـون وهو الأفـصح الأعلى[5] . والدانق فى شـفاء الغليل مـعرب دانه[6] وآدي شير يقـول الدانق معرب دانك وهو بمعنى الحبة مطلقا ويقدر بسدس الدرهم[7] .

دينار : ذكر القامـوس أنه معرب أصله دنَّار ، بـتضعيف النـون فأبدل من إحداهما ياء لئلا يلبس بالمصـادر ككذاب ، ودنر وجهه تدنيرا : تلألأ . ودينار

(١) الحيوان جـ١ ص ٦٩ .
(٢) اللسـان جـ٢ ص ٤٥٩ .
(٣) البخلاء ص ١٠٦ .
(٤) ق . م الفيروز ابادى جـ٢ ص ٢١٩ .
(٥) المعرب الجواليقى ص ١٤٥ .
(٦) شفاء الغليل للخفاجى ص ١٢٠ .
(٧) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٦٦ .

مدنر : كثر دنانيره[1] والمعرب يـؤكد أن لفظة دينـار فارسية معربـة وأصله دنَّار وهو وإن كان معربا فلـيس تعرف له العرب اسما غير الدينار فـقد صار كالعربى ولذلك ذكره الله تـعالى فى كتابـه لأنه خاطبهم بمـا عرفوا واشتقوا مـنه فعلا ، قالوا : رجل « مـدنر » : كثير الدنـانير[2] . وفى شفاء الغليـل الدينار قال عنه الراغب معرب دين آر أى الشريعة جاءت به ، والشراب الدينارى نسبة إلى ابن دينار الحكيم مولد[3] .

إسْتَار : وردت عند الجاحظ فـى قوله : ويفرغ قربه فى قنـاى فلا يصيب إستاراً واحداً[4] في مجال الألفاظ الإيرانية التى تعنى بالمكايل. وفسرها المعرب: قال أبو سعيد سمـعت العرب تقول للأربعة « إستار » لأنه بـالفارسية « جهار » فأعربوه فقالوا « إستار » قال : الإستار رابع أربعة . ورابع القوم « إستارهم » وهذا الوزن يقال له « الإستار » معرب أيضا أصـله جهار فأعرب فقيل إستار . ويجمع « أساتير » ويقـال لكل أربعة « إستار »[5] والإستار فى شفـاء الغليل : جمع أساتيـر ومعرب جهار وكلام أهل التـفسير والقراء أربعة نـفر وقد ورد فى الشعر القديم[6] .

ومن الوظائف الـدينية التى يقوم بـها الرؤساء الدينيون وتـدخل فى مجال حديثنا عن المهن :

الهَرَابِذَة : وردت عنـد الجاحظ فى قـوله : « فأمـا نعمـة الهرابذة ولـغة

(١) ق المحيط الفيروز ابادى جـ٢ ص ٢١٨ .
(٢) المعرب الجواليقى ص ١٣٩ .
(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٢٤ .
(٤) الحيوان جـ٣ ص ٢٣٧ .
(٥) المعرب الجواليقى ص ٤٢ .
(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ٣٥ .

الموابذة فلصاحب تفسير الزمزمة »[1] وتفسير لفظة الهرابذة جاء فى القاموس : قومة بيت النار للهند ، أو عظماء الهند ، أو علماؤهم ، أو خدم نار المجوس. الواحد كزبرج . والهربذة سيردون الخبب والهربذى : مشية فى اختيال وعدا الجمل الهربذى : أى فى شق[2] .

وفى المعرب الهربذ : بالكسر واحد الهرابذة وهم خدم النار . وقيل حكام المجوس الذين يصلون بهم . أعجمى معرب . وقد تكلمت به العرب قديما . ومشيتهم الهربذى وقال امرؤ القيس :

إذا زاعه من جانبيه كليهما   مشى الهربذى فى دفة ثم فرفرا

ويجمع هرابذة وهرابذ[3]

وهربذ فى شفاء الغليل : جمعه هرابذة خدم النار أو حكام المجوس معرب[4] والهرابذة لفظة فسرها آدى شير : قومة بيت النار للهند وهم البراهمة. وقيل عظماء الهند وقيل علماؤهم وقيل خدم نار المجوس الواحد هربذ (محيط المحيط) والمعنى الأخير أصح لأن الفارسى هربد إمام خدم نار المجوس وسيدهم يحكم ويفصل بينهم[5] . ويفصل لنا معنى الهرابذة الأستاذ عبد السلام هارون بأنها جمع هربذ واحدة هرابذة المجوس ، وهم قومة بيوت النار التى للهند فارسى معرب وتقييد بيوت النار بالهندية هو المذكور فى المعاجم العربية ، وهى مكونة من كلمتين : هير بمعنى النار وبد بمعنى الحافظ والقيم[6] .

(١) البيان والتبيين جـ٣ ص ١٣ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٤٩٨ .

(٣) المعرب الجواليقى ص ٣٥١ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٦٨ .

(٥) الالفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٥٧ انظر البيان والتبيين جـ٣ ص ١٣ .

(٦) حاشية البيان والتبيين جـ٣ ص ١٣ الأستاذ عبد السلام هارون .

مَوَابذَة : وردت فى النص السابق فسرها آدى شير : المؤبذ والموبذان فقيه الفرس وحاكم المجوس فارسيته موبد وجمعه موبدان[1] وجاء فى حاشية البيان والتبيين تفسيرا لكلمة الموابذة جمع موبذ وهو قاضى المجوس فارسى معرب وتركيبه من كلمتين مو بمعنى الدين وبد أى الحافظ أو القيم[2] .

بدّ : التى جاءت كقاسم مشترك بين اللفظتين ووردت عند الجاحظ فى الحيوان قال : « وما الفرق بين البد والوثن » وقال : كإنفاق الهند على سدنة البددة[3] والبد بالضم : العرض . والصنم معرب بت والجمع بددة وأبداد وبيت الصنم[4] هكذا فسرت كلمة بد فى القاموس المحيط ، أما فى المعرب فالبد : الصنم فارسى معرب والجمع البددة[5] وفى شفاء الغليل البد : معرب صنم جمعه بددة[6] وفي حاشية المعرب زاد عما قاله الجواليقى وقال نقلا عن ابن دريد : فأما البد الذى يسمى به الصنم الذى يعبد فلا أصل له فى اللغة . وقال نقلا عن ابن سيده : هو بيت فيه أصنام وتصاوير ، معرب بت »[7] .

زِنْدِيق : والزنادقة وقد جاءت عند الجاحظ فى أماكن كثيرة جدا من حيوانه قال : « إن إنفاق الزنادقة على تحصيل الكتب . كإنفاق النصارى على البيع »[8] ولفظة الزنديق يطول الكلام فى شرحها ، فالقاموس يفسر الزنديق بالكسر : من الثنوية ، أو القائل بالنور والظلمة أو من لايؤمن بالآخرة

---

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٤٨ .

(٢) البيان والتبيين الحاشية / جـ٣ ص ١٣ الأستاذ عبد السلام هارون .

(٣) الحيوان جـ١ ص ٥٦ ، جـ١ ص ٥ .

(٤) ق . م الفيروز آبادى جـ١ ص ٢٢٨ .

(٥) المعرب الجواليقى ص ٨٣ .

(٦) شفاء الغليل للخفاجى ص ٦٤ .

(٧) حاشية مجلة العرب ص ٨٣ ص ٦ .

(٨) الحيوان جـ١ ص ٥٦ .

والربوبية ، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو هو معرب « زن دين » أى دين المرأة والجمع زنادقة أو زناديق . وقد تزندق والاسم الزندقة[1] ويفسر الجواليقى لفظة الزنديق بأنها ليست من كلام العرب . وإنما تقول العرب : رجل زندق وزندقى : إذا كان شديد البخل . وإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا ملحد و « دهرى » . فإذا أرادوا معنى السن قالوا دهرى . قال : وقال سيبويه الهاء فى زنادقة عوض عن الياء فى زنديق . قال ابن دريد قال أبو حاتم : الزنديق فارسى معرب . كان أصله عنده زنده كرد . زنده : الحياة وكرد : العمل . أى : يقول بدوام الدهر . قال أبو بكر : قالوا : رجل زندقى وزندقى . ليس من كلام العرب وهو الذى ينظر فى الأمور . وقال الجواليقى متابعا كلامه عن الزنديق وسألت أبا حاتم فقال : هو فارسى معرب . أى الدنيا زينده فقط إذا حيا الدهر[2] . والخفاجى يفسر معنى الزنديق إذ أنه ليس من كلام العرب وإنما تقول العرب رجل زندق وزندقى أى شديد البخل وإذا أرادوا ما تقول له العامة ملحد قالوا دهرى ، وإذا أرادوا المسن قالوا دهرى بالضم للفرق بينهما والهاء فى زنادقة عوض عن الياء عند سيبويه[3] . وأدى شير يفسر الزنديق : فسر بالقائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان . قال البعض إنه معرب عن زن دين أى دين المرأة . وقيل إنه تعريب زنديك وهو الذى يعمل بموجب ما هو مسطور بكتاب الزند . لكن الزنديق ورد ذكره فى كتاب افراهاط الحكيم الفارسى الذى عاش فى الجيل الرابع للمسيح . وورد أيضا ذكر الزنادقة قبل تأليف الزند أى فى كتاب الأفستا . وقد اتخذ هذه الكلمة الفرس المحدثون فتلفظوا بها على صورة « زنديك » ومنها اشتقت لفظة زنديق[4] .

(١) ق . م الفيروز ابادى جـ٢ ص ٤٨١ .

(٢) المعرب - الجواليقى ص ١٦٦ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٣٨ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٨٠ ، ٨١ .

مَنَّانِيَّة : ذكرهـا الجاحـظ فى الحـيوان قالِ : « كـان أبو إسـحاق يـسأل المنانية»[1] ومنـان من الألفاظ الـفارسية المـعربة ولـهم آلهة خـاصة »[2] ولفظة زرادشت قال الجاحظ ذاكرا هذه اللفظة وهو يسخر منها : « وزعم زرادشت أن العظايا ليـست من ذوات السموم[3] . وقد فسره اسـتنجاس Aprahamnl وهى من الألفاظ الفارسية .

كَهْيَان : قال الجاحظ عنها : سمت الفرس بالفارسية العرب والأعراب : كهيان والكه بالفارسية الجبل[4] وفى معجم استاينجس معنى كهيان العالم بالدنيا من الألفاظ الفارسية[5] . ولفظة فيلـسوف هى بنفس المعنى للفظـة السابقة قال الجاحظ متسائـلا : سألتك عن الفيلسوف وعن عـلته فى المد والجزر »[6] أصل هذه هـذه الكلـمة فارسـى كما ورد فـى معجـم استايـنجس وقـد عرف لفـظة الفيلسوف بأنه العارف الذكى أو الذى يعرف الكثير »[7]

كوكلة : قال الجاحظ عنها : ومن واضع الكوكلة ؟ »[8] وقد فسرت هذه اللفظة عـند استاينجس بأنهـا نوع من المعتقدات أو الخرافـات وهى من الألفاظ الفارسية الأصل[9] .

مجانسات : قال الجاحظ : المكامـنات والمجانسات »[1] وقد فسر صاحب

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٤٤١ .

(٢) معجم استاينجس ص ١٣٢٠ .

(٣) الحيوان جـ٤ ص ٢٩٦ . وانظر أيضاً : معجم استاينجس ص ٦١٤ .

(٤) الحيوان جـ٥ ص ٦٩ .

(٥) معجم استاينجس ص ٤٤ .

(٦) التربيع والتدوير ص ٤٤ .

(٧) معجم استايجس ص ٩٤٥ .

(٨) التربيع والتدوير ص ٨٤ .

(٩) معجم استاينجس ص ١٠٦٣ .

(١٠) ذم أخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

اللسان لفظة المجانسة والتجنيس . يقال : هذا يجانس هذا أى يشاكله ، وكان الأصمعى يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا إذا كان من شكله ، ويقول : ليس بعربى صحيح ، ويقول : إنه مولد وقول المتكلمين : تجانس الشيئان ليس بعربى ، كلام مولد إنما هو توسع[1] وهذه اللفظة فى معجم استاينجس من الألفاظ الفارسية »[2] .

كَارْنَامك : قال الجاحظ متعجبا : جعلت فداك كيف حفظك لكتاب كارنامك ؟[3] وشرح استاينجس هذه اللفظة بأن كار بمعنى عمل « نامك » نامى بمعنى كتاب والمعنى إجمالاً الكتاب الذى يحوى السيرة أو يحوى الأعمال وهو من الألفاظ الفارسية المحضة[4] .

العلوم الطبيعية :

مجال العلوم الطبيعية يشمل عدة نواح من الطبيعة كحياة الحيوان وعلم النبات واحتياجات هذه الكائنات الحية من غذاء ومواد أساسية لاستمرارها فى الحياة . وفى مجال النباتات يورد الجاحظ أسماء لنباتات متنوعة الأصول كالإيرانية والآرامية واليونانية وغيرها من الأصول الأجنبية .

والألفاظ ذات الأصول الإيرانية هى : الأرز والصنوبر والتانبول والنيلوفر والداذى والجاورس والرزدق والباذامك والباذروج وغيرها من الألفاظ الإيرانية المعربة ، فلقد وردت لفظة .

أرز : عند الجاحظ فى حديثه عن أحد البخلاء قال : يشترى لنا أرزاً

(١) اللسان ص ٥١٤ جـ٣ .

(٢) معجم استاينجس ص ١١٧٥ .

(٣) التربيع والتدوير ص ٨٤ .

(٤) معجم استاينجس ص ١٠٠٣ .

بقشره ويحمله معه ، ليس معه شيء مما خلق الله إلا ذلك الأرز »[1] والمعاجم فسرت لفظة الأرز بتفاسير مختلفة ، فى القاموس الأرز شجر الصنوبر ، أو ذكره ، كالأرزة أو العرعر . وبالتحريك شجر الأرزن . والمأرز كمجلس - الملجأ : والأرز - كأشد ، وعتل وطنب ورز[2] . ونلاحظ أن تفسير القاموس للفظة الأرز غير واف . أما المعرب فقد فسر الأرز على وزن أفعل واعتبر الهمزة فيه زائدة وذكر أن فيه لغات كأرز وأرز . وأرز مثل كتب وأرز مثل كتب ورز وعن ابن سيده أن أصل الأرز رز « فكرهوا التشديد وأبدلوا من الزاى الأولى نونا كما يقولون فى « إنجاص » إجاص[3] . وفى المساعد الأرز نبات من أصل شرقى ويعتقد بعضهم أنه من الفارسية ولكنه ليس منها لأنه فى الفارسية الحديثة برنج ، ولعله فى السنسكريتية[4] . وقد وردت الأرز عند استاينجس بأنها من الألفاظ الفارسية الأصل[5] . أما لفظة أرز التى وردت عند الجاحظ بقوله : لو أن إنسانا أراد أن يخرج القطران من الصنوبر والزفت من الأرز لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدقه ويقشره[6] » هذه اللفظة لم أجد لها تفسيرا فى المعاجم يوضح معناها سوى معجم استاينجس يذكر أن ثمر الأرز يستخرج منه القطران وهويقصد الصنوبر[7] . وفى القاموس إن أرز الكلام التثامه[8] وقال آدى شير الأرز معرب عن الأرش وهو القيمة وما يدفع

(١) البخلاء ص ١٢٩ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ١٣٢ .

(٣) المعرب الجواليقى ص ٣٤ .

(٤) المساعد جـ١ ص ١٨٢ .

(٥) معجم استاينجس ص ٧٩٤ .

(٦) الحيوان جـ٥ ص ٥٢ .

(٧) معجم استاينجس ص ٧٩٤ .

(٨) ق . م الفيروز آبادى جـ١ ص ١٣٢ .

بين السلامة والعيب فى السلعة[1] وهذا المعنى بعيد عن مجال كلامنا عن النباتات .

صَنَوْبَر : ذكرها الجاحظ فقال : أن يخرج القطران من « الصنوبر[2] » وقد شرحت هذه اللفظة فى المعاجم ، فقال الفيروز ابادى إن الصنوبر شجر وهو ثمر الأرز والمادة منه صنن[3] وقال الجواليقى : فأما هذا الصنوبر فأحسبه معربا[4] . وأصل الصنوبر هو الفارسى كما يؤكد استاينجس فيقول بأن الصنوبر فارسى الأصل وأنه شجر ثمر الأرز Anycone-Bearing Tree[5] .

تَانْبُول : فقد ذكره الجاحظ بقوله مخاطبا أحدهم : أنك الذى علمتهم مضغ التانبول ودبغ تحمير الأسنان[6] وقد فسر القاموس لفظة التانبول بأنه اليقطين الهندى وفيه لغتان التامول وهو اليقطين الهندى والتأنبول وهو ضرب من اليقطين ، طعم ورقه كالقرنفل يمضغونه بقليل من كلسن ، وهو مشه ، مطرب ، باهى ، مقوللثة والمعدة والكبد وهو خمر الهند يمازج العقل قليلا ، وينبت كاللوبيا ويرتقى فى الشجر[7] . أما آدى شير فقد فسر لفظة التامول بأنه ضرب من اليقطين ينبت كاللوبيا ويرتقى فى الشجر وطعم ورقه كالقرنفل يمضغونه بقليل من كلس وفارسيته تنبول وتأمول لغة فيه[8] .

---

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٨ .

(٢) الحيوان جـ٥ ص ٥٢ .

(٣) ق . م جـ٢ ص ٨٦٢ .

(٤) المعرب الجواليقى ص ٢١٢ .

(٥) معجم استاينجس ص ٧٩٤ .

(٦) التربيع والتدوير ص ٨٥ .

(٧) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٣٧٩ .

(٨) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٣٦ .

دَاذِى : وردت عند الجاحظ بقوله : ولهم صب الزردج واستخراج النشاستج وتعليق الخيش واستخراج الداذى[1] ولم ترد هذه اللفظة فى المعاجم اللغوية سوى إشارة بسيطة ذكرها الجواليقى ، إن الداذى هو العطية[2] ، أما أدى شير فقد شرح لفظة الداذى بأنها نبات له عنقود طويل تعريب دادى وهو نبات طوله قدر شبر حبه شبيه بالشعير لكنه أضعف منه وهو مر ونافع من البواسير[3] . وفى معجم استاينجس ذكر أن الداذى هو الدادى من أصل فارسى وهو نبات صغير الحبة يشبه الحنطة أو القمح[4] .

جَاوْرس : ذكرها الجاحظ فقال : « كما يدخر من خاف الحصار الأكارع والجاورس »[5] ولفظة الجاورس أجمعت المعاجم الحديثة على أنها فارسية الأصل ، فاستاينجس يقول إنها من الألفاظ الفارسية المعربة وفيها لغتان كاورس وجاورس[6] . ورفائيل نخلة يقول : الجاورس والكاورس من الألفاظ الفارسية[7] . أما الأستاذ عبد السلام هارون فيشرح لفظة الجاورس بأنها حب الدخن وهو الذرة الدقيقة[8] .

بَاذَامُك : ذكرها الجاحظ فقال إن الفارسى يتفاءل إليه : لأن اسمه بالفارسية باذامك أى يبقى وبالعربية خلاف ، والخلاف غير الوفاق »[9] وقد

(١) الحيوان جـ١ ص ٨٢ .
(٢) المعرب الجواليقى ص ٧٣ .
(٣) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٦٩ .
(٤) معجم استاينجس ص ٤٩٥ .
(٥) الحيوان جـ ١ ص ٤٤٢ .
(٦) معجم استاينجس ص ٣٥٤ .
(٧) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٢٢ .
(٨) حاشية الحيوان جـ ٣ ص ٤٥٧ .
(٩) الحيوان جـ٣ ص ٤٥٧ .

فسرت هذه اللفظة فى معجم استاينجس بأنها بذور لشجرة تنبت على الشواطئ وهى فارسية الأصل[1] .

نيلُوفَر : من النباتات ذات الأصل الإيرانى ذكرها الجاحظ بقوله : والنيلوفر الذى ينبت فى الماء يغيب الليل كله ويظهر بالنهار »[2] وقد فسرت هذه اللفظة فى القاموس بأنها ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة ، بارد فى الثالثة . رطب فى الثانية ملين صالح للسعال وأوجاع الجنب والرئة والصدر . وإذا عجن أصله بالماء وطلى به البهق مرات أزاله . وإذا عجن بالزفت أزال داء الثعلب[3] .

ولفظة النيلوفر فسرها الخفاجى بقوله فى أشعار المتأخرين وهو مولد ، قال أمين الدولة ، هو اسم فارسى معناه النيلى الأجنحة والنيلى الأرياشى وربما سمى أرياشا ومنه نوع تسميه أهل مصر عرائس النيل وهو معروف[4] . أما آدى شير فيفصل فى تفسير لفظة النيلوفر ويقال النيوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أملس يطول بحسب عمق الماء فإذا ساوى سطحه أورق وأزهر وإذا بلغ يسقط عن رأسه ثمر داخله بزر أسود . فارسيته نيلوپر وهو مركب من نيل وهو الذى يصبغ به ومن بر وهو اسم الجناح فكأنه قيل مجنح نبيل لأن الورقة كأنها مصبوغة الجناحين وقال صاحب البرهان القاطع : النيلوفر ورد معروف يظهر فى طلوع الشمس فوق الماء ويزهر وفى غروبها يقع فى الماء[5] .

(١) معجم استاينجس ص ١٤١ .

(٢) الحيوان جـ٦ ص ٣٦٤ .

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادى جـ٤ ص ٤٦٩ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٥٨ ، وانظر أيضا حياة الحيوان للدميرى ٢/ ١٩٦ .

(٥) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ١٥٥ .

رُزْدَق : ذكرها الجاحظ فى بيانه قال : « ويسمون السميط الرزدق »[1] فسرها الجواليقى : أرض سوداء وفيها لغات رزتاق ورزداق والجمع رساتيق[2]. والخفاجى يفسر الرزدق : سطر من النخل معرب وفيه لغات رستاق ورزداق[3] وعند آدى شير الرزدق : الصف من الناس والسطر من النخل معرب «رسته»[4] وقال استاينجس فى معجمه : إن الرزدق هو السطر من النخل وهو فارسى ، معرب رسته[5] .

جُون : وردت عند الجاحظ ولها عدة تفاسير فالجاحظ يقول : « وكان ولد عبد المطلب العشرة السادة دلما ضخما ، نظر إليهم عامر بن طفيل يطوقون كأنهم جمال جُون »[6] والجَوْن فى القاموس : النبات يضرب إلى السواد من خضرته ، والأحمر ، والأبيض والأسود . والنهار،والجمع جُون بالضم . ومن الإبل والخيل : الأدهم[7] .

وآدى شير يقول الجون معرب كون ومعناه اللون ومما يؤيد تعريبه أنه يأتى بمعنى الأبيض والأسود والأخضر والأحمر والأدهم ، وقالوا فيه جان وجهه أى اسود وتجون باب العروس أى بيضه إلى غير ذلك . ومنه السريانى . والأرمنى ويقربه السانسكريتى أى الصبغ[8] . وفى أبينة الصرف : الجون بالفتح النبات يضرب إلى السواد من خضرته والأحمر والأبيض

(١) البيان والتبيين جـ١ ص ١٩ ، أدب الكاتب ٣٨٨ .

(٢) المعرب الجواليقى ص ٧٥ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٣٣ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٧١ .

(٥) معجم استاينجس ص ٥٧٤ .

(٦) فخر السودان على البيضان ص ٢٠٩ .

(٧) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٥٦٢ .

(٨) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٤٩ .

والأســود والنـهار . الجـمــع جون بالـضم والجــون مــن الإبل والخـيل : الأدهم[1] .

آب : قال الجـاحظ : آلـى يذوق الـدهر آب سـرد وقال آب اسـت نبـيذ آست.[2] فســرت كلمة آب فــى شفاء الغـليل بـأنها من أسـماء الشهـور وهى أعجمى معرب عن ابن الأعرابى قاله ابن سيده فى المحكم[3] .

أما آدى شير فيقول عن آب : الأبـاب « الماء والسراب معرب آب وهو الماء وهو أيـضا Ap بالـسنسكـريتية وآو بـالكردية أو مـأخوذة عن الحبـشى Ababi ومعناها الموج[4] .

حياة الحيـوان وعالم الحيوان تناوله الجـاحظ وأسهب فى التحـدث عنه فى كتابـه المسمى بـالحيوان وهنـاك مجموعة مـن الألفاظ الإيرانـية الأصل تتـعلق بالحيوان وما يختص به من مخلفات وأوساخ ، وقد ذكرها الجاحظ وهى :

شَبْدِيز : وقال عنها الجاحظ «والله أن لو نتجت فى كل عام ألف شبديز»[5] وقد فسر الخفـاجى لفظة الشبديز فـقال : شبداز بمعنى أدهم معــرب شبديز ، وقد ذكرها ابن الرومـى بقوله : وبين شبداز وبرذونكم وشـبدير فرس معروف أهداه ملـك الهند لـكسرى كمـا فى محاضـرات الراغب .[6] وآدى شيــر قال الشبداز . تعريب شـبديز معناه الأدهم . وهو اسم حصان لكـسرى أبرويز قيل كان أطول مــن سائر الأحصـنة بأربعـة أشبار وكان كـسرى قد أتى بـه من بلاد

(١) أبنية الصرف د. خديجة الحديثى ص ٤٦٨ .

(٢) البيان والتبيين جـ١ ص ١٤٣ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٤٨

(٤) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٦ .

(٥) فى الجد والهزل ص ٢٥٩ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٦٠ .

الروم[1] وفسرها الأستاذ عبد السلام هارون فى حاشية الحيوان : أن الشبديز ضرب من الخيل قاتم اللون أصدأ ولفظه فارسى وهذا الكلام نقلا عن معجم استاينجس[2] .

شَبُّوط : من الألفاظ الإيرانية المعربة التى ذكرها الجاحظ ، فقال على لسان أحد البخلاء : اشترى مرة شبوطة وهو ببغداد وأخذها فائقة عظيمة وغالى بها وارتفع فى ثمنها وكان بعد عهده بأكل السمك وهو بصرى لا يبصر عنه »[3] ولفظة الشبوط فى القاموس : سمك دقيق الذنب ، عريض الوسط ، لين أملس . ويضم كالقدوس والواحدة بهاء وقد تخفف المفتوحة .[4] وفى المعرب الشبوط : ضرب من السمك أعجمى وقال الليث : والشبوط لغة فيه وهو دقيق الذنب . عريض الوسط لين الملمس صغير الرأس[5] وفى شفاء الغليل الشبوط : سمك ويقال بالمهملة معرب[6] .

سَنَانِير : أوردها الجاحظ فى كتاباته فقال : زعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عضة الأسد وأن الخنزير خلق من سلحة الفيل »[7] وقد جاء فى القاموس السنور كالسنار - كرمان - وفقارة العنق ، وأصل الذنب والجمع سنانير .[8] والسنور فى المعرب بمعنى الدروع وقيل كل سلاح يتقي به فهو سنور

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٩٧ .
(٢) معجم استاينجس ص ٧٣١ .
(٣) البخلاء ص ١٠٠ .
(٤) ق . م الفيروز ابادى جـ٢ ص ٦٦٧ .
(٥) المعرب الجواليقى ص ٢٠٧ .
(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٥٩ .
(٧) الحيوان جـ٥ ص ٣٤٧ .
(٨) ق . م الفيروز ابادى جـ٢ ص٦٢٨ .

معرب .[1] وفى شفاء الغليل السنور الدرع معرب وقيل كل سلاح[2] .

ومما سبق فـى كلامنا عن لفظـة السنور نجد أنهـا معربة ولكن غيـر معروفة الأصل إذ أن المـعاجم لم تـوضح أصل الكـلمة واكـتفت بأنـها معربـة . قال الدميرى : السـنور بكسر السـين المهملة وفتـح النون المشددة واحد السـنانير ، وقال ابن قتيبة يقال للأنثى سنورة مولد ليس من كلام العرب[3] .

وَرَشَان : قال الجاحـظ فى حيوانـه : « للورشان هـداية ، وإن كان دون الحمام »[4] وقد تناولت المعاجـم هذه اللفظة بالشرح والتفسـير ، ففى القاموس جاء الورشان - محـركة - طائر . وهو ساق حر لحمه أخـف من الحمام وهى بهاء والجمع ورشان بالكسر ووراشين والمادة ورش .[5] وفى اللسان الورشان : طائر شبه الحمامـة وجمعه ورشان بكسر الواو وتسكين الـراء مثل كروان جمع كروان عـلى غـير قيـاس والأنثى ورشـانة وهـو ساق حر والجـمع الـوراشين والورشان أيضا[6] . وفى شفاء الغليل فسر الورشان بأنه طائر شجى الصوت . وهو لفظ فارسى معرب[7] وفى معجم اسـتاينجس يصف الورشـان بأنه فارسى الأصل وهو حمام خشبى Weed Pigeen [8] .

زرزور : ذكرها الجـاحظ فقال : ورأينـا طائراً لا يمشـى وهو الزرزور »[9]

---

(١) المعرب الجواليقى ص ٢٠٠ .

(٢) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٤٨ .

(٣) حياة الحيوان للدميرى جـ١ ص ٥٧٨ .

(٤) الحيوان جـ١ ص ١٣٨ .

(٥) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٥٩٨ .

(٦) اللسان ابن منظور جـ٣ ص ٩١٠ .

(٧) شفاء العليل الخفاجى ص ٢٧٢

(٨) معجم استاينجس ص ١٤٦٣ .

(٩) الحيوان جـ٣ ص ٢٣٣ .

وقد جاء وصف هذا اللفظ فى معظم استاينجس بأنه بمعنى الطائر الصغير وأصله فارسى معرب إلى العربية[1] .

سِيمَرْك : ذكرها الجاحظ فى كلامه عن الألفاظ الفارسية فقال : واسمها عندهم بالفارسية سيمرك كأنه قال : هو وحده ثلاثون طائراً ، لأن قولهم بالفارسية سى هو ثلاثون بالعربية ، مرك بالفارسية هو الطائر بالعربية »[2] وقد جاء فى معجم استاينجس أن السيمرك حيوان أسطورى وأصله فارسى وهو من الطيور الخرافية[3].

شَاهْمُرْك : أوردها الجاحظ فى أماكن عديدة من كتاباته فقال فى الحيوان : وربما قتل السنانير وبنات عرس ، والشَّاهْمُرك[4] » وتفسير هذه اللفظة لم أجده فى المعاجم المختلفة حتى معجم استاينجس المختص بالألفاظ الفارسية لم ترد عنده وإن جاءت فى حاشية الحيوان نقلا عن المخصص وهو طائر طويل الساقين ، وعن الأب أنستاس مارى أورد الأستاذ عبد السلام هارون وصفه لهذه اللفظة بأنه طائر طويل الساقين وبالفرنسية Echassier ويقول الأستاذ عبد السلام إن الجاحظ عد الشاهمرك من الحيوان الذى يأكل الحيات[5] . وتدخل فى مجال الألفاظ الخاصة بالحيوان .

هَزَارْدَسْتَان : ذكرها الجاحظ قال : « وقد تهيأ للهزاردستان – وهو العندليب – ألوان أخر »[6] فسرها القاموس هزاردستان: طائر فارسيته

(١) معجم استاينجس ص ٦١٥ .

(٢) الحيوان جـ٧ ص ١٢١ .

(٣) معجم استاينجس ص ٧١٨ .

(٤) الحيوان جـ٤ ص ٣٠١ .

(٥) الحيوان جـ٣ ص ٣٣٦ .

(٦) الحيوان جـ٥ ص ٢٨٩ .

«هزاردستان»[1] وشفاء الغليل يفسر هذه اللفظة هزار : طائر مشهور فارسيته هزاردستان[2] . ويقول صاحب الألفاظ الفارسية : العندليب فارسيته هزاردستان وله أيضا أسماء أخرى بالفارسية منها هزار آوا وهزار آواز[3] .

جاموس : حيوان ذكره الجاحظ بلفظ الكاوماش والجاموس والجواميس . قال « والجواميس هي ضأن البقر . يقال للجاموس الفارسية كاوماش »[4] فالجاموس فسره القاموس : معرب كاوميش والجمع الجواميس وهي جاموسة. وجموس الودك : جموده أو أكثر ما يستعمل في الماء جمد ، وفي السمن وغيره جمس . والجاميس من النبات : ما ذهب غضوضته[5] . وفي المعرب جاموس : أعجمي وقد تكلمت به العرب قال الراجز : والأقهبين الفيل والجاموسا[6] . والجاموس عند الخفاجي معرب معروف « كاوميش »[7] وآدى شير الجاموس : معرب كاوميش ومنه الآرامي والأرمني والكردي[8] وفي حاشية الحيوان قال الأستاذ عبد السلام هارون كاوميشن بالجاف الفارسية «كاو» بمعنى البقر . وميش بكسر الميم كسر إمالة . ولذلك ساغ للجاحظ رسمها بالألف ومعنى ميش الضأن[9] .

(١) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٥٠٧ .
(٢) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٧٠ .
(٣) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ١٥٧ .
(٤) الحيوان جـ٥ ص ٤٥٩ .
(٥) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٥٢٧ .
(٦) المعرب - الجواليقى ص ١٠٤ .
(٧) شفاء الغليل الخفاجى ص ٩٣ .
(٨) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٤٤ .
(٩) حاشية الحيوان جـ٥ ص ٤٥٩ الاستاذ عبد السلام .

كَرْكَدَنّ : من الألـفاظ التـى ذكرها الجـاحظ فى حـيوانه : « فـأما الهـند ففتنتهم بالكركدن أشد من فتنتهم بالفيل »[١] وقد فسرت هذه اللفظة فى المعاجم المختلفة مـثل القاموس الكركدن : دابة تحمـل الفيل على قرنها والـعامة تشدد النون[٢] . وقال آدى شير الـكركدن فارسيتـه « كركدن » ومنه الآرامى ويـقربه الروسى[٣] .

أُشْتَرَكَا وْبَلنك : ذكرها الجـاحظ فى الحيـوان قال : « زعموا أن الـزرافة خلـق مركــب مـن بين الناقة الوحشـية وبين البقرة الوحشيــة وبين الذيخ وهو ذكــر الضباع وذلـك أنهم لما رأوا أن اسمها بـالفارسـية « اشــتركا وبلـنك » وتأويـل اشـــتر بعير وتأويل كاوبقرة وتأويل بـلنك الضبع[٤] . وقد فـسر آدى شير هذه اللـفظة بأنها مركبـة من ثلاثة أسماء : اشتر أى جـمل وكا : أى ثور وبلنك أى نمر ومعنـاها الزرافة وهى حيوان قصير الرجلـين طويل اليدين رأسه كـرأس البـعير ، وقـرنه كقرن الـبقرة وجلده كجلـد النمر وعنقه كعـنق الفرس تعريب زرنابه[٥] .

بَرَستُوج : قال الجـاحظ فـى حيوانـه : « قواطـع السمـك ، كالأسـبور والجواف والبرستوج »[٦] وهذه اللـفظة لم أجـد لها ذكراً فـى المعاجم الـقديمة ووجدت شرحها فى المساعد للأب أنستاس قال نقلا عن القزوينى فى كلامه عن سمك البحر العربى : ومنها البرستـوج قال البحريون : إن البرستوج يقبل من بلاد الـزنج ، يستعـذب ماء دجلة الـبصرة ، وهـناك لغة فـى البرستـوج وهى

(١) الحيوان جـ ٧ ص ١١١ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٤١ .

(٣) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ١٣٤ .

(٤) الحيوان جـ١ ص ١٤٣ .

(٥) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٧٨ .

(٦) الحيوان جـ٣ ص ٢٥٩ .

الطرستوج ولـها تصحيف الترستوج وهـو البرشتوك أيضا ، واستايـنجس يذكر لفظة البرستوج بأنها فارسية معربة وتدعى بالبرستوك Aswallaw [1] .

كوسج : من الألفاظ الإيرانية التى تدخل مجال حياة الحيوان قال الجاحظ فـى كلامه عـن الأسماك : « فـأما الرق والـكوسـج فهو مـن أعجب طـعام البحريين »[2] وهذه اللفـظة جاءت فى القامـوس : سمك خرطومه كـالمنشار . والناقص الأسـنان . والبطئ من الـبراذين[3] . وفى المعـرب الكوسج فـارسى معرب . قال بـعضهم كوسق . وكان الأصـمعى يقول : الكوسـج : الناقص الأسنان . قال أبو بـكر : الأسنان والأضراس اثنان وثلاثون فإذا نـقصت فهو كوسـج . قال الأصـمعـى : ومن الـفارسـى المعـرب الكـوسج والجـورب ، والجوسق وكذلـك الكوسج : اسم سمكـة من سمك البحر . فـارسى معرب واسمه بالعربية اللخم[4]. قال ابن السـكيت : وتقول الكوسج لـلكوسج ولا تقل الكوسج[5] . وكوسج فى شفاء الغليل : معرب كوسه بمعنى ناقص الشعر وقيل ناقـص الأسنان والأول هو المعروف واشتقـوا منه فعلا فقالـوا من طالت لحيته تكـوسج عقله ويقال كوسـق وهو اسم سمكة وهو معـرب أيضا ، ولقد أجاد الباخرزى فـى قوله : بليت بكوسـج فى عارضيه[6] . وآدى شير يـقول الكوسج : الإثط والـناقص الأسنان قال الأزهرى : لا أصل له فـى العربية . وقال بعضهم معرب وأصله كوسق أو كوسه . وقيل هو عربى من كسج الرجل أى لم يثبت له لحية . قلت إن كسج مشـتق من الكوسج والكوسج معرب عن

(١) المساعد جـ٢ ص ١٩٤ .

(٢) الحيوان جـ ٤ ص ٤٥ .

(٣) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٩٩ .

(٤) المعرب الجواليقى ص ٢٨٣ .

(٥) إصلاح المنطق لابن السكيت ١٦٥ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٢٤ .

كوسه وهو الأثط والذى أسنانه ثمانية وعشرون ومنه كوسه بالتركية والسريانية الدارجة والكردية[1] .

سلحفاة : قال الجاحظ : « وزعم أن السلحفاة والرق والضفدع ، مما لابد له من التنفس ولابد لها من مفارقة الماء »[2] فى القاموس السلحفية كبلهنية . والسلحفاة .

سلحفاء ، ويقصر والسلحفا مقصورة ساكنة اللام ، مفتوحة الحاء ، والسلحفاة بكسر السين وفتح اللام . دابة . ينفع دمها ومرارتها المصروع والتلطخ بدمها : المفاصل[3] . وفى المعرب السلحفاة : فارسية معربة وأصلها سولاح باي ، وذلك أن لرجلها ثقبة من جسدها تدخل فيها .[4] وفى شفاء الغليل السلحفاة : معرب سولاح باى[5] وآدى شير يقول السلحفاة : دابة برية ونهرية وبحرية لها أربع قوائم تختفى بين طبقتين صقيلتين[6] .

سمندل : من الحيوانات التى ورد ذكرها فى كتابات الجاحظ قال : « وكأنك لا ترى أن فى فارة البيش وفى السمندل آية غريبة وصفة عجيبة »[7] فى القاموس لفظة سمندل : طائر بالهند لا يحترق بالنار .[8] وسمندل فى المعرب لم يذكره المؤلف وورد ذكره فى الحاشية قال : السمندل باللام وفى آخره الراء سمندر ولكن الظاهر من صنيع صاحب القاموس وقال الدميرى فى حياة الحيوان السمندر : بالراء دابة معروفة عند أهل الهند

(١) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ١٤٠ .

(٢) الحيوان جـ٤ ص ١٤٤ .

(٣) ق. م الفيروز ابادى جـ٢ ص ٥٩٢ .

(٤) المعرب الجواليقى ص ١٩٩ ، وحياة الحيوان للدميرى ١/ ٥٠٦ .

(٥) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٤٨ .

(٦) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٩٢ .

(٧) الحيوان جـ٢ ص ١١١ .

(٨) ق . م الفيروز آبادى جـ٢ ص ٦٢١ .

والصين[١] . والسمندل والسمندر والسميدر . ذكرها آدى شير لغات فى لفظة السمندل وقال : إنها دابة معروفة عند أهل الصين والهند وسماها الجوهري السندل بغير الميم وابن خلكان السمند بغير اللام . فقال البعض إنه طائر بالهند يأكل البيش ويستلذ بالنار ولا يحترق بها . وقال القزوينى السمندل نوع من الفار يدخل النار والمعروف أنه طائر فارسيته سمندر . وفيه لغات بالفارسية سمندل وسمندور وسمندروك وقال فى البرهان القاطع : سمندر على وزن قلندر دابة قدر الفارة تتكون فى النار وحين خروجها منها تهلك[٢] .

زَنْدَبِيل : قال الجاحظ : « فيكون طبع ذلك وإن قل يفسخ الفيل والزنديبل »[٣] والقاموس يشرح لفظة الزنديبل : الفيل العظيم معرب[٤] . وفى المعرب الزنديبل : قال أبو العلاء : والزنديبل أيضا : أنثى الفيلة . قال : أعظمها شأنا ، وهو فارسى معرب[٥] والزنديبل والزندفيل قال عنه آدى شير : هو الفيل العظيم مركب من زنده أى ضخم ومن بيل أى فيل[٦] .

بَبْر : وهذه اللفظة وردت عند الجاحظ بقوله : « كبار السباع وأشرافها ورؤساؤها وذوو النباهة منها كالأسد والنمر والببر وأشباه ذلك »[٧] وتفسير هذه اللفظة عند الجواليقى الببر ببائين . وهو جنس من السباع . وأحسبه دخيلا وليس من كلام العرب . والفرس يسمونه « بفر »[٨] والقاموس فسرها بكلمة واحدة بأنها معرب[٩] والخفاجي يفسر الببر بجنس من السباع دخيل من كلام

(١) المعرب – الحاشية ص ١٩٦ ش ١ / حياة الحيوان للدميرى جـ١ ص ٥٧٤ .

(٢) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٩٤ .

(٣) الحيوان جـ٢ ص ١٣٧ .

(٤) ق . م الفيروز ابادى جـ٢ ص ٤٨١ .

(٥) المعرب الجواليقى ص ١٧٦ ، وحياة الحيوان ١/ ٤٥٠ .

(٦) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٨٠ .

(٧) الحيوان جـ٦ ص ١١ .

(٨) المعرب الجواليقى ص ٦٢ ، ٢٣٨ ، حياة الحيوان ١/١٥٦ .

(٩) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٢٠٩ .

العـــرب وقيل هـو الفـرانق [1] . أما آدى شـير يـقول عـن البـبر : الأسـد الهندى[2] .

إِرْبِيَان : فقد ذكـرها الجاحظ بقولـه : « ناس يزعمون أن الحيـة مسخ ، والضب مسخ ، والكلب مسخ ، والأربيان مسخ »[3] وقد فسرت المعاجم لفظة الأربيان فالقاموس يذكر الأربيـان بالكسر سمك وبقلة[4] . والأربيان عـند آدى شير كما قال : فسـر بسمك أبيض كالدود لعله مثل الـفارسى أربيان وهو جراد البحر قيل عنـه إن رأسه مربع صدفى الجسم إلى النصف وفـى كلا طرفيه عشر أرجل شبيه بأرجل العنكبوت وفى رأسه قرنان وقرنان آخران تحت عينيه[5] .

الفَنَك : تطلق علـى اسم حيوان ذكره الجاحظ بقولـه : « وليس الصوف إلا للـضأن وذوات الـوبر كالإبـل والثـعالب والخـرز والأرنب ، وكـلاب الماء والسمور والفنك[6] ، والقاموس يفسر الفنك : دابـة فروتها أطيب أنواع الفراء ، وأشرفها ، وأعد لها[7] ، أما أدى شير يـقول الفنك : الساعة مـن الليل أو القطعة منه تعـريب بنك والفنح لغة منه ، والفنك فـارسى محض وهو حيوان فروته أحسن الفراء وأعد لها[8].

سِرْجِين : من مخـلفات الحيـوان قال الجاحظ : « وقـتلناهـم فجعلـناهم كأنهم أنابـير سرجين »[9] ولفظة الســرجين والسرقين فى القاموس بمـعنى الزبل

(١) شفاء الغليل الخفاجى ص ٦٢ .
(٢) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ١٦ .
(٣) الحيوان جـ٦ ص ٧٩ .
(٤) ق . م الفيروز آبادى جـ١ ص ١٢٩ .
(٥) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٧١ .
(٦) الحيوان جـ٥ ص ٤٨٤ .
(٧) ق . م الفيروز ابادى جـ٣ ص ٥٢٨ .
(٨) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٢٢ .
(٩) صناعات القواد ص ٣٨١ .

معرب سركين بالفتح[1] . وفى المعرب يقول أبو منصور : والسرقين : معرب أصله سرجين . قال الأصمعى : لا أدرى كيف أقوله[2] . والخفاجى يقول : سرجين بالكسر معرب ويقال سرقين ولايصح الفتح لأنه ليس فى كلامهم فعلين[3] وآدى شير يقول السرجين والسرقين تعريب سركين وهو الزبل[4] . وفى حاشية المعرب فسر المحقق السرجين بالزبل وهو تعريب سركين بالكاف الفارسية التى تنطق كالجيم غير المعطشة[5] .

سَنْخ : من المخلفات والقاذورات ونصف بها الحيوان والإنسان على السواء ، قال الجاحظ : ومع ذلك إن سنخ الكتابة بنى على أن لا يتقلدها إلا تابع ولا يتولاها إلا من هو فى معنى الخادم[6] . والسنخ وردت فى القاموس السنخ بالكسر : الأصل ومن السن : منتبه ومن الحمى : سورتها . والسنخ محركة البعير وسنخ الدهن كفرح - رنخ ومن الطعام : أكثر والسناخة : الريح المنتنة كالسنخة . والوسخ وآثار الدباغ[7] . والسنخ عند آدى شير الوسخ ، والسناخة الريح المنتنة والوسخ[8] . وفى معجم استاينجس سنخ بمعنى الوسخ The Root of any thing وهى من الألفاظ الفارسية الأصل[9] .

(١) ق . م الفيروز ابادى جـ٢ ص ٥٤٥ .

(٢) المعرب الجواليقى ص ١٨٦ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٨٦ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٨٩ .

(٥) المعرب - الحاشية ص ١٨٦ .

(٦) ذم أخلاق الكتاب ١٩٠ .

(٧) ق . م الفيروز آبادى جـ٢ ص ٦٢٦ .

(٨) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٩٥ .

(٩) معجم استاينجس ص ٧٠٠ .

العلوم الطبيعية :

دخلت الألفاظ الإيرانيـة مجال العلوم الطبيعية وغـطت كافة المجالات العقاقير والمواد الطبية والنباتات والحيوانات . وهذه المجالات المتنوعة نجدها ب طيات كتابـات الجاحظ ، فلو تصفحنا تلك الكتابات نرى أن الألـفاظ الإيرا الأصل تحتل حيزا كبيرا يشمل جميع مجالات الحياة .

ففى مجال الطب والعلاج والعقاقير نجد الكثير من الألفاظ الإيرانية .

جوهر : ذكره الجاحظ بقوله : الفلز : جوهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس والآنك »[١] وقد فسرت المعاجم لفظة الجوهـر بأنه كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به ومن الشيء ما وضعت عليه جبلته . والجرىء المقدم[٢] وهذا ما جاء فى القاموس ، أما المعرب فقـد وصف الجوهر وذكر أصله بأنه جاء عن الفارسية وهو لـفظ معرب ، وجوهر الشيء : أصله وكـذلك الذى يخرج من البحر وما يجرى مجراه فى النفاسة مثل الياقوت والزبرجد . قال المعرى : ولو حمل على أنه من كلام العرب لكان الاشتـقاق دالا عليه فإنهم يقولون : فلان جهير أى حسن الوجه والظاهر فيكون الجوهر من الجهارة التى يراد بها الحسن. وقد تكـلمت به الـعرب قال أبو دهبـل الجمحى : لـؤلؤة الغواص مـيزت من جوهر[٣] ويقول أدى شـير الجوهر الأصـل وكل حجر كـريم تعريب « كـوهر » والجوفر لغة فيه[٤] .

زرنيج : وردت عـند الجـاحظ مـع معـادن أخـرى فى نـص واحد قـال الجاحظ : « وكذلك الزاج والمـغرة والزرنيخ والمرتك والكبريت والـقار والتوتياء

(١) البيان والتبيين جـ١ ص ٣١ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٥٦٢ .

(٣) المعرب الجواليقى ص ٩٨ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة ادى شير ص ٤٦ .

والنوشادر والمرقشياء والمغناطيس . ومن يحصى عدد أجزاء الأرض وأصناف الفلز »[١] . وقد فسر القاموس الزرنيخ بأنه حجر أبيض وأحمر أو أصفر[٢] . وفى شفاء الغليل : الزرنيخ معروف فارسى[٣] ويفسر الزرنيخ صاحب الألفاظ الفارسية المعربة بحجر له ألوان كثيرة إذا جمع مع الكلس حلق الشعر تعريب زرنى[٤] .

آنك : التى وردت فى النص مناقب الترك ص ٢٣ فسرها آدى شير بأنها فارسية معربة والآنك هو الأسرب فارسيتها آنك وهو بالسريانية والعبرانية القصدير[٥] . وفى أبنية الصرف الآنك بالمد وضم النون وليس أفعل غيرها ، الرصاص أو أبيضه أو أسوده أو خالصه[٦] .

نوشادر : فى النص مناقب الترك ص٢٣ فسر أدى شير اللفظة فقال : النوشادر : مادة صلبة ذات طعم حامض حاد وتعرف بكبريت الدخان وملح النار تعريب نوشادر وقد قال فى البرهان القاطع : النشادر ضربان معدنى ومصنوع . وهو أيضا نشادر بالتركية والكردية[٧] .

المعادن التى ذكرها الجاحظ فى كتاباته :

مغناطيس :[٨] ولفظة المغناطيس فسرها استاينجس فى معجمه بأنها حجر الحديد وهى من الألفاظ الفارسية المعربة[٩] .

(١) مناقب الترك ص ٣٣ .

(٢) ق . م الفيروز آبادى جـ٢ ص ٤٤٩ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٤٠ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة ص ٧٩ .

(٥) مناقب الترك ص ٢٣ وانظر الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٢ .

(٦) أبنية الصرف د . خديجة الحديثى ص ٤٤٤ .

(٧) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ١٥٣ .

(٨) الحيوان جـ٤ ص ١١٢ .

(٩) معجم استاينجس ص ١٢٨٢ .

توتياء : يقول الجواليقى فى معربه التوتياء حجر يكتحل به وهى معربة ونقل عن القاموس المحيط بأنها حجر(١) . والخفاجى يصف لفظ التوتياء كحل معرب وهو ممدود(٢) . وفى معجم استاينجس التوتياء من الألفاظ الفارسية المعربة Tutty (٣) .

مرقشياء : التى ذكرها الجاحظ فى النص الحيوان جـ٤ ص١١٢ فسرها استاينجس بأنها نوع من الحجر وهى فارسية معربة(٤) وفى غرائب اللغة وردت ضمن الألفاظ الفارسية المعربة(٥) .

الزنجفور : من المعادن ذكرها الجاحظ فقال : وصفة الزجاج والفسيفساء والأسرنج والزنجفور واللازورد »(٦) . فسرت فى معجم استاينجس على أنها الرصاص الأحمر وهى لفظة فارسية معربة(٧) .

اشرنج :الحيوان جـ١ ص ٨١ وصفها الأب أنستاس بأنها الاسفيداج من مادة سفدج وأنه السيلقون عند الغير أو السزرقون كما قال ابن البيطار(٨) . وفى معجم استاينجس الأشرنج هو الرصاص الأحمر وهو فارسى معرب(٩) .

أزورد : التى وردت فى النص الحيوان جـ١ ص٨١ فسرها أدى شير بأنها

(١) المعرب الجواليقى ص ٨٨ .
(٢) شفاء الغليل الخفاجى ص ٨٢ .
(٣) معجم استانيجس ص ٣٣ .
(٤) معجم استاينجس ص ١٢١٨ .
(٥) غرائب اللغة العربية ميخائيل نخلة ص ٢٠٥ .
(٦) الحيوان جـ١ ص ٨١ .
(٧) معجم استاينجس ص ٦٢٤ .
(٨) المساعد الاب انستاس جـ١ ص ٢١٠ .
(٩) معجم استاينجس ص ٥٧ .

معدن مشهور تعريب لازورد[١] . وفى معجم استاينجس اللازورد حجر ذو لون أزرق ولفظه لازول Lajulli [٢] .

زجاج : وصفها الجاحظ بأنها لفظ مولد قال الجاحظ : قال العجب أن الزجاج وهو - مولد - وقد يجرى مع الذهب فى كثير من مفاخر الذهب[٣] والزجاج وصفه صاحب اللسان بعدة معان ولغات قال : الـزجاج ، والزجاج والزجاج : القوارير والواحدة من ذلك زجاجة ، بالهاء ، وأقلها الكسر . قال الليث : والزجاجة فى قوله تعالى ﴿المصباح في زجاجة﴾ : القنديل . وأجماد الزجاج : بالمصمان ، ذكره ذو الرمة[٤] . ويؤكد معجم استاينجس أن الزجاج لفظ فارسى معرب[٥] .

زئبق : وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ فى وصفة علاجية قال: « ومما يعالج به القمل أن يطلى أصول ريشه بالزئبق المحلل بدهن البنفسج »[٦] .

ولفظة الزئبق فسرها القاموس كدرهم وزبرج معرب . ومنه ما يستقى من معدنه ومنه ما يستخرج من حجارة معدنية بالنار . ودخانه يهرب الحيات والعقارب من البيت ، وما أقام منها قتله[٧] . وفى المعرب الزئبق معروف وهو معرب ويقال له أيضا الزاودق ودرهم مزأبق ولا تقل مزبق[٨] . وأدى شير قال الزئبق سيال معدنى معروف معرب زيوه[٩] .

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٤١ .

(٢) معجم استاينجس ص ١١١١ .

(٣) الحيوان جـ٣ ص ٣٧٥ .

(٤) اللسان ص ١٢ .

(٥) معجم استاينجس ص ٦١١ .

(٦) الحيوان جـ٣ ص ٢٧٤ .

(٧) ق . م الفيروز ابادى جـ٢ ص ٤٢٥ .

(٨) المعرب الجواليقى ص ١٧٠ .

(٩) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٧٦ .

مِينَا : ذكرها الجاحظ فـي حيوانه وهي من الألفاظ الإيرانيـة الوافدة على العربية قال الجاحظ : « المينا لـه أصل قائم وقد عمله الناس »[1] والميناء بالكسر قال عنها القـاموس جوهر الزجاج[2] . والمينـا فى شفاء الغـليل مرسى الـسفن مشتق من الـوناء وهو الفتور لسكـونها فيه[3] . وأدى شير يـقول الميناء بمـعنى جوهر الزجاج تعريب الفارسى مينا[4] .

مُرْدَارسَنْج : من المعادن ذكره الجاحظ قال : للمردارسنج فى العالم أصل قائم . والـرصاص يدبر فـيستحـيل مردارسنـجا[5] . والقـاموس يـقول عـن المردارسنج معرب مردارسنك[6] . لم يذكر هذه اللفظة سوى أدى شير إذ يقول المرداسنج والمرداسـنك : الآنك المحـرق تعريـب مرداسـنك ومعـناها الحـجر المحرق[7] .

جُوَارِشن : مادة طبـية ذكرها الجـاحظ قائلا : « إنـك لست تدرى أنـهم الكواكل جوارشـن كان عندى[8] . وهذه اللـفظة فسـرها طه الحاجـرى : قال تجيء هذه الكلـمة بالنون كما هنا وخالـية منها كما ذكرها أدى شيـر فى كتابه ، وقال إنها عـند الأطباء نوع من الأدوية تـعريب كوارش ومعناه الـهضام . وهذا الذى ذكره أدى شير يوافق ما ذكره التهانوي فى كشاف اصطلاحات الفنون كما يساير سياق الحديث فى هذا الموضع من الـبخلاء ، ولكن هذه الكلمة تعرضت

---

(١) الحيوان جـ٥ ص ٣٥٠ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٣٠٥ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٤٤ .

(٤) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ١٤٩ .

(٥) الحيوان جـ٥ ص ٣٥٠ .

(٦) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٢٢٥ .

(٧) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ١٤٤ .

(٨) البخلاء ص ٣٥ .

فيما بعد لنوع من التوسع اللغوى[1] . أما أدى شير يقول الجوارش : نوع من الحلويات يصنع من السكر . وعند الأطباء نوع من الأدوية تعريب كوارش وأصل معناه الهضام[2] .

الأدوية التى وردت عند الجاحظ إيرانية الأصل .

قِرْمِز : من الأدوية التي وردت عند الجاحظ بقوله : « وإذا وصفوا حمرة القرمز وحمرة الذهب قالوا : ما هو إلا نار »[3] والقاموس يفسر القرمز بالكسر: صبغ أرمنى يكون من عصارة دود يكون فى آجامهم . وقيل هو أحمر كالعدس محبب يقع على نوع من البلوط فى شهر آذار ، فإن غفل عنه ولم يجمع صار طائرا ، وطار ، وهذا الحب منه يسمى القرمز من خاصيته صبغ ما كان حيوانيا كالصوف والقزدون القطن[4] . وفى المعرب والقرمز . أعجمى معرب . وقد تكلموا به قديما[5] . وفى شفاء الغليل القرمز صبغ معروف قيل إنه معرب[6] . أما أدى شير فيقول : القرمز صبغ أرمنى يكون من عصارة دود يكون فى آجامهم قيل هو أحمر كالعدس محبب يقع على نوع من البلوط في شهر آذار فإن غفل عنه ولم يجمع صار طائراً فارسيته قرمز[7] .

بَرْسَام : مرض ذكر الجاحظ فائدة نوع من الأدوية فى علاجه قال : «وهى تعدل من ميل المفلوج وتقيم من ارتعاش المبرسم»[8] والقاموس أورد

---

(١) البخلاء ص ٢٩٩ طه الحاجرى .

(٢) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ٤٠ .

(٣) الحيوان جـ٥ ص ٩٤ .

(٤) ق . م الفيروز ابادى جـ٣ ص ٦٠٥ .

(٥) المعرب للجواليقى ص ٢٦٩ .

(٦) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢١١ .

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٢٥ .

(٨) البيان والتبيين جـ٣ ص ٦٨ .

لفظة مبرسم واشتقاقاتها البرسام علة يهذى فيها وبرسم بالضم فهو مبرسم[1] . والمعرب يفسر البرسام معرب وهو هذه العلة المعروفة « فبر » هو الصدر وسام من أسماء الموت . وقيل بر معناه الابن . والأول أصح . لأن العلة إذا كانت فى الرأس يقال لها سرسام . وسر هو الرأس . وقيل تقديره : ابن موت .[2] وفى شفاء الغليل البرسام اسم مرض معرب وبر الصدر وسام الموت فهو كبرسام[3] . وأدى شير يصف البرسام التهاب يعرض للحجاب الذى بين الكبد والقلب . فارسيته تبرسام ، وهو مركب من بر وهو الصدر ومن سام أى الالتهاب . والجرسام والبلسام لغتان فيه . وقالوا فيه برسم وبرسم وبلسم[4] .

أيَارِجات : تدخل فى مجال الشئون الطبية وقد ذكرها الجاحظ قائلا : « والأشربة والأنجات والأيارجات »[5] والأيارجات فى القاموس مفردها أيارجة معجون مسهل معروف جمعه أيارج معرب أياره . وتفسيره الدواء الإلهى[6] .

موم : من المواد الطبية ووردت عند الحاجظ بقوله : « والأعصار الذى يخرج من شق البحر وكصوت الموم »[7] وكلمة موم لها عدة أصول فمنهم من يقول إنها عربية الأصل كما فى الجمهرة يقول ابن دريد : والموم الشمع عربى معروف والبرسام عند العرب فقد يدل هذا على أن الكلمة عربية[8] . وفى القاموس موم بالضم الشمع ، وأداة للحائك يضع فيها الغزل وينسج به .

(١) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٢٤٩ .

(٢) المعرب الجواليقى ص ٣١٢ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٦١ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٩ .

(٥) الحيوان جـ١ ص ٨١ .

(٦)غرائب اللغة نخلة اليسوعى ص ٢١٧ .

(٧) الحيوان جـ٥ ص ١٠١ .

(٨) الجمهرة ابن دريد جـ٣ ص ١٩٨ .

وأداة للإسكاف . والبرسام وأشد الجدري[١] . والمعرب عرف لفظة موم باقتضاب شديد فذكر الموم : البرسام[٢] . ولكن الخفاجي يشرح هذه اللفظة ويجد أصلا لها يقول : الموم بمعنى الشمع فارسي تكلموا به ونبه عليه في شرح الفصيح نقلا عن أئمة اللغة وكلام القاموس يوهم خلافه وهو وهم[٣] . وأدى شير يقول الموم : بمعنى الشمع فارسي تكلموا به[٤] .

بَنَفْسَج من الأدوية وكان يستعمل دهنه في التطبب كما ذكر الجاحظ : « ومما يعالج به الخنان أن يلين لسانه يوما أو يومين بدهن البنفسج »[٥] والقاموس يشرح لفظة البنفسج ويبين فوائده : البنفسج : شمه رطبا ينفع المحرورين ، وإدامة شمه ينوم نوما صالحا ومرباه ينفع من ذات الجنب ، وذات الرئة ، نافع للسعال والصداع[٦] . والمعرب يذكر كلمة البنفسج بأنها معربة وقد تردد في الشعر القديم بقلة[٧] . وفي شفاء الغليل البنفسج معرب بنفشه تكلمت به العرب وورد في الشعر القديم[٨] . وصاحب الألفاظ الفارسية قال : عن البنفسج تعريب بنفشه نبات من نجوم الأرض طيب الرائحة ومنه بنفشه بالتركية وبنفش بالكردية[٩] .

تِرْيَاق : من الأدوية ذكره الجاحظ فقال : باعني حواء ثلاثين أفعى

(١) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٢٢٩ .
(٢) المعرب الجواليقى ص ٣١٢ .
(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٣٥ .
(٤) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ١٤٨ .
(٥) الحيوان جـ٣ ص ٢٧٣ .
(٦) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٣٢٧ .
(٧) المعرب الجواليقى ص ١٠٥ .
(٨) شفاء الغليل الخفاجى ص ٦٧ .
(٩) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ٢٨ .

بدينارين وأهدى إلى خمسا اصطادها من قبالة القلب ، في تلك الصحارى على شاطئ دجلة . قال وأردتها للترياق[1] .

والترياق بالكسر وصفه صاحب القاموس بدواء مركب اخترعه ماغنيس ، وتممه أندروماخر القديم بزيادة لحوم الأفاعي فيه ، وبها كمل الغرض . وهو مسميه بهذا لأنه نافع من لدغ الهوام السبعية . وهى باليونانية تِرياء نافع من الأدوية المشروبة السمية[2] .

والترياق في المعرب رومي الأصل وفيه لغات : الدرياق والترياق وهو معرب[3] وفي شفاء الغليل ترياق : معروف معرب وفيه لغات[4] ونقل عن اللسان أن الترياق فارسي معرب قال حكى ابن خالويه أنه يقال طرياق لأن الطاء والدال والتاء من مخرج واحد ، ودرياق بفتح الدال وكلها معناها واحد : دواء السموم[5] .

مرهم : يدخل فى مجال الأدوية والتطبب وقد وردت هذه اللفظة في حديث الجاحظ عن أحدهم قال : لا يحتاج إلى طبيب ولا إلى مرهم ولا إلى علاج »[6] والمرهم فى اللسان من مادة رهم وقد فسره ابن منظور بأنه طلاء يطلى به الجرح ، وهو ألين ما يكون من الدواء مشتق من الرهمة للينة وقيل هو معرب[7] .

بيمارِسْتان : مكان العلاج وجاء ذكره عند الجاحظ فى أماكن عديدة منها

(١) الحيوان جـ٤ ص ١١٤ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٣٦٨ .

(٣) المعرب ص ١٤٢ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجى ص ٨٣ .

(٥) حاشية المعرب ص ١٤٢

(٦) الحيوان جـ٢ ص ١٧٥ .

(٧) اللسان جـ٣ ص ٢٤٣ .

فى صناعات القواد : لقيناهم فى مقدار صحن البيمارستان »[1] وهذا البيمارستان ذكره القاموس – بفتح الراء – : دار المرضى معرب[2] . وقال الجواليقى المارستان بفتح الراء فارسى . ولم يجىء فى الكلام القديم .[3] وقال الخفاجى بيمارستان : لفظة فارسية استعملها العرب ومعناها مجمع المرضى لأن بيمار معناها المريض وستان هو الموضع وأول من صنعه بقراط وسماه أخشندوكين[4] أما أدى شير فيقول : المارستان دار المرضى تصحيف بيمارستان وهو مركب من بيمار أى مريض ، ومن ستان أى محل المريض . ويقال له بالتركية خسته خانه[5] .

ألفاظ خاصة بأدوات الكتابة والورق :

هناك ألفاظ تدخل فى مجال الثقافة وما يتبعها من علوم أو فنون أو أدوات كتابية تحتاج لها النهضة الثقافية فى العصر العباسى المزدهر بعلومه وعلمائه .

مَهَارِق : من الأدوات الكتابية ذكرها الجاحظ فى كتابه فقال : «والمهارق ، ليس يراد بها الصحف والكتب ، ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان[6] » وقد تناولت المعاجم لفظة مهارق بالشرح والتفسير ، ففى القاموس مهراق ومهراق : صبه . وأصله . أراقه يريقه إراقة . ومهراق بتسكين هائهما فلا يمكن أن ينطق بهما ، لأن الهاء والفاء جميعا ساكنا والمهرق كمكرم : الصحيفة معرب وجمعه مهارق والهرق

(١) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٢) ق . م النيروز ابادى .

(٣) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ١٤٧ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجى ص ٧٩ .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة ادى شير ص ١٤٥ .

(٦) الحيوان جـ١ ص ٧٠ .

بالكسر : الثوب الخلق[1] . وفى المعرب المهارق : القراطيس . وأصلها فارسى معرب . وقالوا : هى خرق كانت تصقل ويكتب فيها . وأصلها مهر كردة أى: صقلت بالخرز . وقال الأزهرى : المهارق : الصحائف الواحد مهرق ، وقد تكلمت به العرب قديما وهو معرب[2] . وفى شفاء الغليل مهرق : صحيفة معرب (مهره) جمعه مهارق تكلموا به قديما وقد يخص بكتاب الفهد كما فى شرح الحماسة[3] وأدى شير يقول : المهرق بمعنى الصحيفة تعريب مهرة[4] .

طومار : ذكرها الجاحظ فى رسائله قال : ثم جعلت الكتاب فى سدس طومار ليكون المغرور أوثق بها[5] قال صاحب القاموس الطامور ، والطامور : الصحيفة والجمع طوامير : وكسكر وسنور : الأصل . والتطمير : الطى . وإرخاء الستر[6] . وفى المعرب طومار : معروف وهو معرب زعموا هكذا فسر لفظة الطومار أبو منصور تبعا لابن دريد[7] . وفى اللسان الطومار : واحد المطامير وعن ابن سيده كما جاء فى اللسان الطامور والطومار الصحيفة ، قيل : هو دخيل قال وأراه عربيا محضا لأن سيبويه قد اعتد به فى الأبنية فقال : هو ملحق بفسطاط ، وإن كانت الواو بعد الضمة ، فإنما كان ذلك لأن موضع المد إنما هو قبيل الطرق مجاورا له كألف عماد وياء عميد وواو عمود ، فأما واو طومار فليست للمد لأنها لم تجاور الطرف . فلما تقدمت الواو فيه ولم تجاور طرفه قال : إنه ملحق ، قال : بنيت على هذا من سألت مثل

(١) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٥٠٢ .

(٢) المعرب : الجواليقى ص ٣٠٣ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٣٩ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٤٨ .

(٥) كتاب القيان ص ١٧٢ .

(٦) ق . م الفيروز ابادى جـ ٣ ص ٩٦ .

(٧) المعرب الجواليقى ص ٢٢٥ .

طومار ونياس لقلت سوال وسيال[١] . وفي شفاء الغليل الطومار معروف معرب[٢] . أما في معجم استاينجس فقد جاءت لفظة طومار بمعنى A Long Roll Avelume أي الصحيفة الطويلة وأصل الكلمة فارسي[٣] .

كاغد : قال الجاحظ : وكأنها من ورق أطباق صغار الكاغد المزررة[٤] . في القاموس لفظة الكاغد : القرطاس ، معرب[٥] . ويقول صاحب الألفاظ الفارسية إن الكاغد فارسي محض بمعنى القرطاس والكاغد لغة فيه ومنه الكردي كاغز وأما القرطاس فمعرب اليوناني[٦] ويؤكد استاينجس في معجمه أن الكاغد ورق هو فارسي[٧] .

بَنْكَامَات : ذكرها الجاحظ في حديثه عن الحياة العلمية قال : وملوكنا وعلماؤنا يستعملون بالنهار الأسطرلابات وبالليل البنكامات[٨] » هذه اللفظة فيها آراء لغوية فمنهم من يلفظها بنكابات، ومنهم من يقول بنكامات كما وردت عند الجاحظ ، وقد شرح هذا القول الخفاجي قال : البنكابات مفردها بنكام لفظ يوناني ما يقدر به الساعة النجومية من الرمل وهو معرب عربه أهل التوقيت وأرباب الأوضاع ، ووقع في شعر المحدثين في تشبيه الخصر قال : وخصره شد ببنكام ثم قال : وتقلبه العامة فتقول : منكاب وهو غلط[٩] . فما ذكره

(١) اللسان جـ٢ ص ٦١٤ .

(٢) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٧٥ .

(٣) معجم استاينحس ص ٨٢٢ .

(٤) الحيوان جـ٧ ص ٣٢ .

(٥) ف . م الفيروز ابادي جـ٤ ص ٦٢ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٣٦ .

(٧) معجم استاينجس ص ١٠٠٦ .

(٨) الحيوان جـ٢ ص ٢٩٤ .

(٩) شفاء الغليل الخفاجي ص ٧٤ .

الجاحظ هو عامية هذا الأسم ، ويعلق الأستاذ عبد السلام هارون في استدراكاته على الحيوان إن لفظة بنكام قد وجدها في العمدة (جـ٢ ص ٢٣١) في وصف شعرى ومن الوصف فهم أنه آلة مائية لا رملية كما قال الخفاجى[١] ولفظة بنكاب وردت في معجم استاينجس بمعنى مخالف جدا للفظة بنكام التي وردت في نص الجاحظ فالبنكاب كما فسرها استاينجس هو شراب محضر من نبات قصب هندى وهو ثقيل كالحشيش[٢] وهذا الكلام ليس له علاقة لغوية بمعنى البنكام كما ذكره الخفاجى والأستاذ عبد السلام هارون .

جَريب : من الألفاظ التي وردت عند الجاحظ وهى وحدة للمساحة قال عن أحد البخلاء: « وكان يملك خمسمائة جريب »[٣] ولفظة الجريب قيل إنها كلمة عربية وهى مكيال للمساحة المزروعة، وقد جاء في القاموس الجريب: مكيال قدر أربعة أقفزة والجمع أجربة، وجربان والمزرعة والوادى[٤]. وفي المعرب : فأما الجريب من الأرض فأحسبه معربا وهذا كلام ابن دريد كما ورد في المعرب[٥] وفي اللسان نقلا عن الأزهرى: الجريب من الأرض مقدر معلوم الذراع والمساحة، وهو عشرة أقفزة ، كل قفيز منها عشرة أعشراء، فالعشير جزء من مائة جزء من الجريب. والجريب: قدر ما يزرع فيه من الأرض. قال ابن دريد لا أحسبه عربيا[٦] . ويؤكد لنا استاينجس في معجمه بأن الجريب فارسى معرب وأنه يعنى مكيال يتسع لمساحة مزروعة من الأرض مقدارها ١٤٤ ياردة[٧] .

(١) الحيوان جـ٢ ص ٣٧٩ الاستاذ عبد السلام هارون .

(٢) معجم استاينجس ص ٢٠٣ .

(٣) البخلاء ص ١٠٣ .

(٤) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٤٦٦ .

(٥) المعرب الجواليقى ص ١١١ .

(٦) اللسان ص ٤٢٩ .

(٧) معجم استاينجس ص ٣٦١ .

القِمَطْر : لفظة وردت عند الجاحظ بصيغة الجمع قماطر قال فى الحيوان : كثيرا ما يكون فى المكان الترب من الصناديق والقماطر والأسفاط[1] والقماطر شرحها القاموس كعلايط والقمطر : كسجل : الجمل القوى الضخم . والرجل القصير وبالتشديد شاذ . وذكر الجوهرى هذه اللفظة بعد قمطر : وهم[2] . وفى اللسان قمطر : الجمل القوى السريع وقيل الجمل الضخم القوى والجمع قماطر[3] . وفى شفاء الغليل قمطر : اسم وعاء تكلمت به العرب وفيه لغات[4] . ويذكر فى معجم استاينجس أصل الكلمة فارسى ومعناها الجمل القوى أو الرجل القصير[5] .

دُوَال باى : حيوان خرافى . فقد ذكر الجاحظ لفظة الدوال باى فى رسائله فقال : هذا سوى ما قالوا فى الشق والواق واق والدوال باى[6] . ولفظة الدوال باى فسرها الأستاذ عبد السلام هارون فى حاشية الرسائل نقلا عن معجم استاينجس قال : يزعمون أن الدوال باى يطلق على جنس هندى ويزعمون أن له أرجلا دقيقة مرنة شبيهة بالسيور ويزعمون أيضا أنه كسيح يتحين فرصة العثور على المسافرين ويلح عليهم ليحملوه[7] . وفى معجم استاينجس تفسير لفظة الدوال باى حرفا بأنه اسم لناس من الهند قيل إن أرجلهم ضعيفة (رفيعة) وممطوطة مثل شرائط من الجلد ، وأصله فارسى محض[8] .

(١) الحيوان جـ٥ ص ٤١٥ .

(٢)) ق . م الفيروز ابادى جـ٣ ص ٦٨٩ .

(٣) اللسان ص ١٦٣ جـ ٣ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢١١ .

(٥) معجم استاينجس ص ٩٨٨ .

(٦) كتاب البغال ص ٣٧٤ .

(٧) حاشية كتاب البغال ص ٣٧٤ الأستاذ عبد السلام هارون .

(٨) معجم استاينجس ص ٥٣٩ .

مارد : ذكرها الجاحظ متسائلا عن أصلها فقال : ولم وقع عليه إذاً اسم شيطان ومارد وعفريت وأشباه ذلك »[1] وقد فسرت هذه اللفظة فى معجم استاينجس بأنه شئ خرافى خارق القوة وهى من الكلمات الفارسية المحضة[2] .

ولفظة مرد ومردة ذكرها الجاحظ فى كتاباته فقال : ومردة الأعراب وفتاك نهربط[3] وقال : « يسموننى مردا وما أنا والمرد[4] » وقد فسرت لفظة مرد فى المعاجم مثل القاموس قال الفيروزابادى : مرد كنصر وكرم . ومرودا ، ومرودة ، ومرادة ، فهو مارد ومريد ، ومتمرد : أقدم وعتا . أو هو أن يبلغ الغاية التى يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف والجمع مردة . ومرداء ، ومردة : قطعه ومزقه أى مزق عرضه[5] . ولم أجد تفسيرا للفظة المرد فى المعرب فقط ذكرها فى الحاشية محقق الكتاب نقلا عن القاموس . وفى معجم استاينجس قال المرد الرجل الشجاع البطل واللفظة فارسية[6] .

بوش : وهى تعنى الجمع من الناس ذكرها الجاحظ على لسان أحد بخلائه قال : وإذا كثر الصبيان وتضاعف البوش نزعت مسامير الأبواب[7] » وفى معجم استاينجس البوش حشد أو مجموعة كبيرة من الناس وأصلها فارسية[8] .

شَبْكُور : وقد ذكرها الجاحظ فى الحيوان مفسرا معناها وأصلها قال :

---

(١) الحيوان جـ٦ ص ٢٧٢ .

(٢) معجم استاينجس ص ١١٣٩ .

(٣) البخلاء ص ٥٠ .

(٤) البيان والتبيين جـ١ ص ١٤٢ .

(٥) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٢٢٤ .

(٦) معجم استاينجس ص ١٢١١ .

(٧) البخلاء ص ٨٢ .

(٨) معجم استاينجس ص ٢٠٧ .

والذى لا يبصر منهم بالليل تسميه الفرس شب كور وتأويله أنه أعمى ليل وليس له فى لغة العرب اسم أكثر من أنه يقال لمن لا يبصر بالليل هدبد[1] . ولم أجد تفسيرا لهذه اللفظة إلا فى معجم استاينجس وفى غرائب اللغة ، ففى استاينجس : شبكور : الذى لا يرى فى الليل وأصلها فارسى[2] . كما هو واضح من نص الجاحظ وفى غرائب اللغة شبكور : الذى لا يرى فى الليل وشب : ليل وكور أعمى وهى من الألفاظ الفارسية[3] .

ومن ألفاظ صفات الإنسان وخلقه وردت فى كتابات الجاحظ ألفاظ إيرانية الأصل .

رُوسْبِيد : من صفات الإنسان وردت فى شعر أحد الشعراء العباسيين وذكرها الجاحظ على أنها لفظة تتداولها العامة من الناس ، قال الشاعر ابن ربيعة بن مفرع : سميه روسبيد است[4] . وفى معجم استاينجس شرح مفصل لهذه الكلمة : روسبيد بمعنى الصادق النقى الممتاز العظيم وتتكون الكلمة من رو بمعنى وجه وسبيد أبيض وهذا كناية عن الشخص الأمين أى أبيض الوجه وأصلها فارسية محضة[5] .

بَانْوان : صفة الإنسان ذكرها الجاحظ فى كلام أبى الفاتك فقال : ولا شحاذ ولا كاغانى ولا بانوان[6] وفى معجم استاينجس ورد تفسير لهذه اللفظة رغم أننى لم أجدها فى معجم اللسان ولا القاموس وغيرها من المعاجم

(١) الحيوان جـ٣ ص ٥٣٥ .

(٢) معجم استاينجس ص ٦٣١ .

(٣) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٣٦ .

(٤) البيان والتبين جـ١ ص ١٤٣ .

(٥) معجم استاينجس ص ٥٩٤ .

(٦) البخلاء ص ٤٦ .

اللغوية ، وتفسير البانوان عند استاينجس هو الشخص الذى له صوت ناعم ، وأصل اللفظة فارسية[1] .

خَشْي بَخْر : وقد ذكرها الجاحظ وشرح معناها فقال : الدرهم البغلي مكتوب عليه بالفارسية خش بخر ترجمة هذه الكلمة : كل طيباً ، والدرهم البخي مكتوب عليه : ضرب هذا الدرهم . وهما مختلفان[2] . واللفظة خشي بخر شرحها الجاحظ شرحا وافيا ، وفى الحاشية زاد الأستاذ عبد السلام هارون على شرح الجاحظ فقال : خشي بمعنى اللذيذ الحسن الطيب وهو (الخوشى) وخر هى فى الكتابة الفارسية خور بمعنى كل والباء تزاد أحيانا قبل الأمر فى الفارسية[3] .

نحرير : من صفات الإنسان هذه اللفظة وردت عند الجاحظ فى أماكن عديدة من كتاباته ، وقد قال فى الحيوان : « مما لا يعرفه إلا الراوية والنحرير »[4] وقال فى الرسائل : وإن كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريرا نقابا[5] أما تفسير لفظة النحرير فى المعاجم ففى القاموس لم أجد هذه اللفظة وفى اللسان وجدتها بمعنى الحاذق الماهر العاقل المجرب ، وفى المعرب النحرير : ضد البليد وكان الأصمعي يقول : النحرير ليس من كلام العرب ، وإنما هى كلمة مولدة[6] . وقال صاحب اللسان : النحرير الرجل الطبن الفطن المتقن البصر فى كل شيء ، وجمعه النحارير . وفى حديث حذيفة : وكلت الفتنة بثلاثة : بالحاد النحرير وهو الفطن البصير بكل

(١) معجم استاينجس ص ١٥٢ .

(٢) كتاب البغال ص ٢٧٩ .

(٣) كتاب البغال ص ٢٧٩ الحاشية .

(٤) الحيوان جـ٣ ص ٢٦٨ .

(٥) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٥ .

(٦) المعرب الجواليقى ص ٣٣١ .

شىء[1] أما فى معجم استاينجس فقد أورد كلمة النحرير ضمن الألفاظ الفارسية المعربة وذكر معناها بالفاهم الفطن Skilful Knowing [2] .

الألفاظ اليونانية :

كان للثقافة اليونانية أثر كبير فى المسلمين وخاصة الفلسفة اليونانية والطب ، وكان العرب يقتبسون الألفاظ اليونانية فى كل هذه المجالات ، وقد أصبح العراق فى زمن الخلفاء العباسيين أهم منبع للثقافة اليونانية العلمية ، فنجد الألفاظ اليونانية المعربة فى كل فرع من فروع العلوم الرياضية والطبية والفلسفة ،وأهم الألفاظ اليونانية التى عربت قد وردت عند الجاحظ فى كتاباته وسوف أذكر بعض الألفاظ ومجالاتها .

أسقُف : وجاثليق ذكرهما الجاحظ فى نص له من رسالته فى الرد على النصارى فقال : « ومديحهم للجاثليق والمطران والأسقف والرهبان »[3] قال الجواليقى فى تفسير لفظة أسقف : وأسقف النصارى أعجمى معرب . وقالوا « أسقف » بالتخفيف والتشديد . ويجمع أساقفة وأساقف وقد تكلمت به العرب[4] . وقال الأب أنستاس : همزته أصلية ، بمعنى ناظر الكنيسة عند النصارى أو من كان فوق الكاهن . وليس بعربى ، والكلمة من اليونانية بمعنى الرقيب والساهر والمحافظ[5] .

الجَاثْلِيق : الذى ورد ذكره عند الجاحظ فى الرد على النصارى ص٢٠ لم أجده فى المعاجم العربية وفى كتاب غرائب اللغة فسر الجاثليق : الأعلى مقاما

(١) اللسان جـ٣ ص ٥٩٥ .

(٢) معجم استاينجس ص ١٣٩٠ .

(٣) الرد على النصارى ص ٢٠ .

(٤) المعرب الجواليقى ص ٣٥ .

(٥) المساعد الأب أنستاس جـ١ ص ٢٢٢ .

من الأساقفة وهى من الكلمات المقتبسة عن اليونانية[1] .

نواويس : ذكرها الجاحظ قال : « ولذلك لا يدفنون موتاهم ، ولا يحفرون لهم القبور ويضعونهم فى النواويس وضعا[2] . وفى شفاء الغليل الناووس : بمعنى القبر قاله ياقوت ، وقال صاحب المصباح مقبرة النصارى[3] . وفى البرهان القاطع ناوس بمعنى مقبرة المجوس وبمعنى بيت النار وهى كلمة يونانية دخلت الفارسية أما العرب فطوعوها فى الجمع لأصول العربية[4] ومما تقدم من تفاسير نجد أن الخفاجى يقول بأن النواويس تطلق على مقبرة النصارى ، والجاحظ يشير فى نصه إلى مقابر المجوس وربما كانت هذه الكلمة تعنى مقابر غير المسلمين عامة .

وفي مجال الألفاظ التي تعني بالترف أو بالأشياء المستعملة فى البيت والحياة اليومية ذكر الجاحظ الفسيفساء والابنوس والأتون والقرطاس والمنجنون وهناك ألفاظ كثيرة غيرها وقد ذكر هذه الألفاظ على سبيل المثال لا الحصر قال الجاحظ فى نص له ذاكراً لفة **الفسيفساء** : «وصنعة الزجاج والفسيفساء»[5] وهذه اللفظة يونانية الأصل وقد عربت إلى العربية وهى بمعنى حصاة التبليط وقد ذكرها صاحب غرائب اللغة العربية (فى جدول الكلمات المقتبة عن اليونانية[6] .

أبنوس : ذكره الجاحظ فى كلامه فى حديثه عن أنواع العصا قال : « وعصا الأبنوس وعصا أخرى كريمة العيدان »[7] ولم أجد ذكرا لهذه الكلمة فى معاجم اللغة وإنما رفائيل نخلة ذكرها فى جدول الكلمات المقتبسة من اليونانية إلى العربية[8] وبدون أى تعليق يذكر سوى لفظها اللاتينى Evenes .

قِرْطَاس : أوردها الجاحظ فى البخلاء وفى أماكن أخرى من كتبه قال : «وما كان من القراطيس فللطراز . وما كان من الصحف فلرؤوس الجرار »[9]

(١) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٦ .
(٢) الحيوان جـ٣ ص ٣٦٨ .
(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٦٥ .
(٤) البرهان القاطع ص ٥٧ .
(٥) الحيوان جـ ١ ص ٨١ .
(٦) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٦٢ .
(٧) البيان والتبيين جـ٣ ص ١٢١ .
(٨) غرائب اللغة العربية رفائيل نخله ص ٢٥١ .
(٩) البخلاء ص ١٤٣ .

وقد فسرت المعاجم لفظة القرطاس ، ففي القاموس : القرطاس مثلثة : الكاغد . وبالكسر : الجمل الأدم ، والجارية البيضاء المديدة القامة . والصحيفة من أى شيء كانت . وكل أديم ينصب للنضال . والناقة الفتية . وبرد مصري . ودابة قرطاسية : لا يخالط بياضها شيء[1] . وفي الجمهرة أشار إلى القرطاس والقرطاس[2] كأمثلة على الكلمات التي تأتي بحركتين ولم يعلق على الكلمة بأى تعليق أما المعرب قال : القرطاس قد تكلموا به قديما . ويقال أن أصله غير عربي[3] . وفي غرائب اللغة : القرطاس ورق يكتب عليه وفي اللاتيني Khartis ووردت الكلمة في جدول الألفاظ اليونانية التي نقلت إلى العربية[4] .

منجنون : أوردها الجاحظ في حيوانه قال : « فكأنه منجنون غرف من بحر وصب في جدول يفيض إلى ذلك النهر »[5] قال رفائيل نخلة في غرائب اللغة : منجنون منجنين : دولاب تديره دابة لاستقاء الماء وأسطوانة عمودية متحركة في فحل السفن الذى يرفع المرساة من قعر البحر ويقابلها في اللاتينية Manganen [6] .

رطلية : من العملات وقد ذكر الجاحظ هذه اللفظة في مجالات كثيرة ، ففي رسائله قال « فما كان بقدر ما يصفى الرجل دنا حتى تركناهم في أضيق من رطلية »[7] يقول الكسائي : وتقول رطل بكسر الراء للذى يكل فيه قال

(١) ق . م الفيروز ابادى جـ٣ ص ٥٩٥ .
(٢) الجمهرة لابن دريد جـ٢ ص ٢٩٥ .
(٣) المعرب - الجواليقى ص ٢٧٦ .
(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٦٤ .
(٥) الحيوان جـ٥ ص ٣٩ .
(٦) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٧٠ .
(٧) صناعات القواد ص ٣٩ .

الشاعر : لها رطل تكيل الزيت فيه[1] وهو الرطل للمكيال والميزان والأفصح في المكيال الكسر وفي الرخو الفتح . وفي القاموس الرخو مثلثة . واقتصر الجوهري على الكسر والفتح وفي التهذيب عن الليث الكسر والفتح لغتان[2] . والرطل والرطل من الألفاظ التي جاءت في جدول اليونانية في الأعجمية يقابلها Litra [3] ولم يذكر صاحب غرائب اللغة لها تفسيراً أوردها من الألفاظ اليونانية الأصل .

درهم : وردت عند الجاحظ كثيرا ، وفي البخلاء قال : « لا يزال [illegible] أموال بيوت الأموال إلا بدرهم من هنا ودرهم من ههنا »[4] ومعنى الدرهم اختلفت المعاجم في منشئها فمن المعاجم ما يذكر أنها آرامية ومنها ما يذكر أنها يونانية ، ولنستعرض قصة هذه الكلمة ومشتقاتها . في القاموس : الدرهم : كمنبر ، ومحراب ، وزبرج . والجمع دراهم ، ودراهيم . ورجل مدرهم بفتح الهاء : كثيرها ولا تقل درهم ، لكنه إذا وجد اسم المفعول فالفعل حاصل . ودرهمت الخبازى : صار ورقها كالدراهم . وشيخ مدرهم - كمشعل : ساقط كبرا ، والمادة « در »[5] . والمعرب يذكر : الدرهم : تكلمت به العرب قديما ، إذ لم يعرفوا غيره ، وألحقوه بهجرع قال الشاعر : وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم[6] . وشفاء الغليل يفسر درهم : معرب درم[7] . وأدى شير يؤكد كلام الخفاجي مع ذكر أصل الكلمة درهم : تعريب درم ومنه

(1) ما تلحن فيه العوام - للكسائي (ثلاث رسائل) ص ٣١ .

(2) السابق ص ٣٢ تعليق المحقق .

(3) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٨ .

(4) البخلاء ص ٦٣ .

(5) ق . م الفيروز ابادي جـ٢ ص ١٧٦ .

(6) المعرب الجواليقي ص ١٤٨ .

(7) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٢٠ .

اليـوناني ومنـه أخذ السريـاني ومن الـفارسي مأخـوذ الكردى دراق والتـركى درهم[1] . وفى حاشيـة المعرب قال المحقق أحمـد شاكر نقلا عن كتـاب النقود العربية للأب أنستاس الكرملى قال : « والـدرهم فى اليونانية دراخمى » ولسنا نرى فى شـىء من هذا دليـلا على عجـمة الكلمـة ولعلهـا مما فقدت أصـولها وأوزانها من كلام العـرب القديم . وبقى بعض فروعها فـقالوا : رجل مدرهم علـى اسم المفـعول ، إذا كان كـثير الـدراهم . حكـاه أبو زيد ، قـال : ولم يقولوا: درهم يعنى فعلا مبنيًا للمجهول . وقال ابن جنى « لكنه إذا وجد اسم المفعول فالفعل حاصل » يعنى أن القياس يقتضيه فلا حاجة إلى إثباته بالسماع. وقالوا درهمت الخبارى : استدارت فصارت على أشكال الدراهم . اشتقوا من الدراهم فعلا وإن كان أعجميا » هذا نص اللسـان ولكن الاشتقاق يؤيد عربيتها إذا لم يثبت أنها معربة[2] .

ومجال آخر من مجالات الألفاظ اليونانية المعربة وهو عالم الحيوان وأسماء بعـض النبـاتات التـى جاءت فى كـتابـات الجاحظ فـمن الحيـوانات التـى ذكر أسماءها: البراذين والد لعنين والأرضة .

البراذين : قال الجاحـظ : وكيف يجـعلون البرذون لاحـقا بالعـتيق وإن الفرس مـن أعراق البراذيـن شىء من الهـجنة ؟ »[3] ونجد لفظـة البرذون فى غرائب اللـغة من ضمن الألفاظ الـيونانية وأصلهـا جاء من اللاتينيـة حسب ما ذكره مؤلف الكتـاب بأنها من الكلمات المقـتبسة من اللاتينية وقـد اندمجت فى العربية بـواسطة اليونانية وفســر معناها بقول : برذون : فـرس غير أصيل أو بغل Berda أو Byrdonis [4] . وفى المساعد فسرت لفظة البرذون بالكديش فى

(١) الألفاظ الفارسية المعربة ادى شير ص ٦٢ .

(٢) حاشية المعرب ص ١٩٦ .

(٣) كتاب البغال ص ٣٧٦ .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٧٧ .

يومنا هذا . والبرذونة أو الكديشة أو الرمكة أنثى البرذون أو الكديش من اللاتينية[1] .

دِلْفِين : فقد ذكره الجاحظ مع الحيوانات البحرية قال : والتمساح والدخس والدلفين واللخم والبنبك وغير ذلك من الأصناف[2] . ولفظة الدلفين ذكرها صاحب غرائب اللغة العربية فى جدول الألفاظ اليونانية ، وذكر ما يقابلها فى اللاتينية Dhelfin [3] .

دِيمَاس : لفظة جاءت عند الجاحظ فى حديثه عن الحمام قال : « فيقص جناحه ويلقيه فى ديماس فنيب جناحه »[4] وفسر رفائيل نخلة هذه اللفظة بالمكان العميق الذى لا يدخله نور وأورد مثلا على أن سجن الحجاج سمى بالديماس بسبب ظلمته ، ويقابلها فى اللاتينية Dhimecien وهى من الألفاظ اليونانية التى اقتبستها العربية[5] .

دفلى : وهى من النباتات التى قال عنها الجاحظ : « ولا تغلط الخيل إلا فى الدفلى وحده »[6] وفى الحاشية أورد الأستاذ عبد السلام هارون تعريفا لهذه الشجرة بأنها مرة من السموم . وفى غرائب اللغة العربية دفلى : غار ويقابلها فى اللاتينى Dhafni وهى من الألفاظ اليونانية الأصل[7] .

بيطار : ذكرها الجاحظ فى كلامه عن معالجة الحيوان قال : أحتاج إلى

(١) المساعد جـ٢ ص ١٩٢ .
(٢) الحيوان جـ١ ص ٣١ .
(٣) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٨ .
(٤) الحيوان جـ٣ ص ٢٢٩ .
(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٨ .
(٦) الحيوان جـ ٥ ص ٣١٢ .
(٧) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٨ .

الأخذ من حافره ، وإلى أن يختلف به إلى البيطار[1] وكلمة بيطار جاءت في غرائب اللغة من الكلمة المقتبسة عن اليونانية ولم يذكر أي شرح للكلمة سوى ما يقابلها في اللاتيني Ippiyatres [2] .

ثم نأتي إلى مجال الألفاظ اليونانية التي دخلت مجالات الأدوات والآلات والعلوم الطبيعية والعلوم الفلكية وأصل المعادن وتعدينها وهذا كله ورد عند الجاحظ في كتاباته المتعددة ، يذكر فيها العلوم والأدوات التي تستعمل في تطبيقها والفلك والتنجيم وغيرها من العلوم التي تعرض لها الجاحظ في كلامه عن مظاهر ازدهار الحضارة وما اقتبس عن اليونان وشاع بين أفراد المجتمع العباسي في عصره ، فهو يذكر القرسطونات والأسطرلابات والفلز والإكسير والإقليم والهيولى والطلسم وأسرس وأرثما طيقي وغيرها من مئات الألفاظ التي وردت في كتبه ورسائله ، وقد ذكرت بعض الأمثلة التي وردت في تلك الكتب لأبين إلى أي مدى دخلت الألفاظ المعربة عن اليونانية في لغة الناس في ذلك العصر العباسي المزدهر .

قَرِسْطُونَات : ذكرها الجاحظ فقال : « وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التي في الحمامات وفي الاصطرلابات ، والقرسطونات »[3] وقد جاء في غرائب اللغة لفظة قرسطون أو قارسطون في جدول الألفاظ اليونانية ولم يعلق المؤلف بأي تعليق آخر . وفسر الأستاذ عبد السلام هارون في حاشية رسالة مناقب الترك نقلا عن النزهة المبهجة لداود الأنطاكي قال جاء في هامش تذكرة داود «علم مركز الأثقال مثال القرصطون . يعني القبان» ويبدو أنه ضرب من القبان[4] .

(١) الحيوان جـ٧ ص ١٠٠ .

(٢) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ٢٥٦ .

(٣) مناقب الترك ص ٦٨ .

(٤) الرسائل جـ١ الحاشية ص ٦٨ .

اسْطُرْلابات : وردت فى نص من رسالة الجاحظ مناقب الترك يقول فيه .
« وصاغوا من المنافع كالقرصطونات والقبانات والأسطرلابات وآلة الساعات »[1]
والأسطرلاب فسر فى القاموس رجل سطر أسطرا وبنى عليها حسابا ، فقيل أسطرلاب ، ثم مزجا ونزعت الإضافة ، فقيل الأصطرلاب : معرفة والأصطرلاب لتقدم السين على الطاء[2] . وفى شفاء الغليل الأصطرلاب قال الخفاجي تسمى الآلات التى يعرف بها الوقت أسطرلاب والطرجهارة وهى آلة مائية وبنكام وهى رملية . وكلها ألفاظ غير عربية . . ذكره فى نهاية الأرب[3] .
والأسطرلاب وصفه الأستاذ عبد السلام هارون فى حاشية رسائل الجاحظ قال : هو مقياس للنجوم وأصله باليونانية أصطرلابون واصطر هو النجم ، ولابون هو المرآة وقد يهذى بعض المولعين بالاشتقاقات فى هذا المعنى وهو أنهم يزعمون أن لاب اسم رجل وأسطر جمع سطر . وقد وقع صاحب القاموس فى هذا الوهم الذى بنى عليه الخوارزمى في مادة الأدب[4] . وفى غرائب اللغة تعد لفظة الأسطرلاب من الألفاظ اليونانية التى اقتبستها العربية وهى آلة فلكية[5] . وفى المساعد قال الأب أنستاس : أسطرلاب كلمة يونانية اللغة والتركيب من أسترون أى نجم ، ولمبانين أى أخذ وهى آلة يقاس بها موقع النجوم . وذهب بعضهم إلى إرجاع هذه الكلمة الدخيلة إلى العربية إرجاعا مضحكا ، قال الفيروز ابادى فى القاموس مادة لوب : واللاب : رجل سطر أسطرا وبنى عليها حسابا . والحكاية ظاهرة التلفيق وكلام الفيروز ابادي لم يقنع الزبيدى فنقل هذه العبارة ببعض الزيادة[6] .

(١) مناقب الترك ص ٦٨ .
(٢) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ١٨٠ .
(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٥١ .
(٤) حاشية الرسائل عبد السلام هارون ص ٦٨ .
(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٢ .
(٦) المساعد الأب انستاس جـ١ ص ٢١٣ .

فلز : قال الجاحظ معددا أنواع الفلزات : وأصناف الفلز من الذهب والفضة والرصاص والنحاس »[1] وقد فسر الفلز فى غرائب اللغة ، فلز ، فلز خبث الحديد أو معدن آخر على الأرجح وهى من الألفاظ اليونانية المعربة[2] .

إكسير : قال الجاحظ متسائلا عن الإكسير : « وما القول فى الإكسير والتلطيف ؟ »[3] قال الخفاجي : الإكسير معروف وأهل الصناعة تسميه الحجر المكرم ، قال أبو هلال فى كتاب الصناعتين وابن المعتز فى البديع إنه مولد يعاب استعماله[4] . وفى المعجم الكبير فسرت الأكسير معرب كسيريون فى اليونانية : مسحوق مجفف يوضع فوق الجروح ومادة مركبة كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص ذهباً [5] .

إقليميا : من الألفاظ اليونانية التى دخلت اللغة العربية فى زمن الجاحظ مع النزح الحضارى للثقافة اليونانية ، وقد ذكرها الجاحظ فى حيوانه قال : «وللتوتياء أصل قائم ، فيدبرون إقليميا النحاس فتستحيل توتياء »[6] وقد فسرت المعاجم لفظة الإقليم ، فالقاموس يذكر الإقليم كقنديل : واحد الأقاليم السبعة[7] والمعرب يفسر الإقليم : ليس بعربى محض[8] . أما المعجم الكبير فهو يفصل الشرح فى تفسير لفظة إقليم : « الأصل يونانى وهو منطقة ومنه بالمعنى نفسه قليما فى السريانية : قسم من الأرض تتشابه أجزاؤه فى مظهر أو أكثر من

---

(١) الحيوان جـ ٥ ص ١٠١ .

(٢) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٦٣ .

(٣) الحيوان جـ١ ص ٦ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجى ص ٤٠ .

(٥) المعجم الكبير جـ١ المجمع اللغوى ص ٣٩٠ .

(٦) الحيوان ـ٥ ص ٣٥٠ .

(٧) ق . م الفيروز ابادى جـ٣ ص ٦٨٣ .

(٨) المعرب الجواليقى ص ٧١ .

المظاهر الطبيعية والبشرية ، ويمتاز عما حوله . وعند جغرافى العرب القدماء : أحد الأقاليم السبعة لأنهم قسموا المعمور سبعة أقسام على موازاة خط الاستواء، ليكون كل منها تحت مدار واحد حكما فتتشابه أحوال البقاع الواقعة فى ذلك القسم وقد قسموا تلك الأقسام بالأقاليم . وإقليمياء الفلز : ثفل يعلو الفلز عند السبك يرسب ، إذا دار أو دخان[١] .

هَيُولى : ذكرها الجاحظ فى كتاباته قال فى الحيوان : « وكان يتعجب من القول بالهيولى »[٢] وقد فسرت لفظة الهيولى فى المعاجم المختلفة فالقاموس يفسر الهيولى : القطن وشبه الأوائل طينة العالم به ، أو هو فى اصطلاحهم موصوف بما يصف به أهل التوحيد الله تعالى أنه موجود بلا كمية وكيفية ، ولم يقترن به شىء من سمات الحدث ، ثم خلت به الصنعة ، واعترضت به الأعراض فحدث منه العالم[٣] . وفى شفاء الغليل هيولى : فى المزهر هى فى كلام المتكلمين أصل الشىء فإن يكن من كلام العرب فهو صحيح فى الاشتقاق ووزنه فعولى ، وقيل هو مخفف هيئة أولى والصواب أنه لفظ يونانى بمعنى الأصل والمادة ، وفى الاصطلاح جوهر فى الجسم قابل لما يعرض له من الاتصال والانفصال محل للصورتين النوعية والجسمية[٤] . وفى أبنية الصرف : الهيولى : القطن وأوردت المؤلفة كلام القاموس المحيط حرفيا ، فإذن لا جديد أضيف لتفسير هذه اللفظة بعدما عرفها القاموس وشفاء الغليل وإن كان صاحب غرائب اللغة فسر اللفظة فى جدول الألفاظ اليونانية وقال هى المادة فى الفلسفة وفى اللاتينى Ili [٥] .

(١) المعجم الكبير جـ١ ص ٣٨٣ ، المجمع اللغوى .

(٢) الحيوان جـ٥ ص ٥٠ .

(٣) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٥٥٦ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٦٨ .

(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٧١ .

طِلَّسم : من الألفاظ اليونانية التى ذكرها الجاحظ فى حيوانه فقال : فلو كان هذا ببلاد الشام أو بلاد مصر لا دعوا الطلسم »[١] ولفظة الطلسم فى القاموس كسبعر فهو أعجمى[٢] والخفاجى يقول طلسم بكسر الطاء وتشديد اللام وسكون السين المهملة قال ابن الرومى :

وفى لطفك طلسم   لحالى أى طلسم

ويقول الخفاجى إن الطلسم غير عربى وكأنه مأخوذ من لغة اليونان[٣] . وفى غرائب اللغة يؤكد المؤلف أن لفظة طلسم من الألفاظ اليونانية التى اقتبستها العربية ومعنى الطلسم : كتابة يستعملها الساحر زاعما أنه يدفع بها الأذى وأيضا هى طقس من الطقوس الدينية وفى اللاتينية Telezma[٤] .

أَسْرَس : من الألفاظ التى وردت فى كتابات الجاحظ وقد ذكرها فى أماكن متفرقة من كتبه وفى الحيوان قال : « وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد أسرس »[٥] ولم أجد فى المعاجم القديمة تفسيرا لهذه اللفظة وفى معجم محدث وجدتها بتفسير أن أسرس من عوالم بعض المجوس وهى من الكلمات اليونانية Asures وتعنى النجس[٦] .

الألفاظ الآرامية :

يظهر أن أكثر الكلمات الآرامية التى تسربت إلى العرب وملئت بها كتب

---

(١) الحيوان جـ٥ ص ٣٩٩ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى جـ٣ ص ٨٧ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٧٩ ، والبيت فى ديوان ابن الرومى .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٦١ .

(٥) الحيوان جـ٣ ص ٣٧٠ .

(٦) المساعد الأب أنستاس جـ١ ص ٢١٠ .

الأدب واللغة تعنى بالأمور الدينية لم يكن يعرفها العرب أو أسماء أشياء عرفها العرب بعد اتصالهم بالرومان . وكتب الجاحظ خير دليل فى العصر العباسى عصر ازدهار الحضارة ونقل النصارى من النساطرة واليعاقبة كلمات كثيرة من اللغة السريانية إلى اللغة العربية وكانت هناك محاولات كثيرة للنقل والتعريب ازدهرت مع ازدهار الحضارة فى العصر العباسى والجاحظ يورد فى كتبه بعض هذه الألفاظ .

ففى مجال الأمور الدينية نرى كلمات كثيرة تخص النصارى وغيرهم من الأمم غير الإسلامية وقد ذكر الجاحظ في كتاباته النسطورى والبيعة والدير والناقوس والشبور والأكليل والسفر وغيرها .

الألفاظ التى تتعلق بالمسائل الدينية لغير المسلمين كلمة .

نسطوري : وردت عند الجاحظ وهو يصف الرهبان قال : « رهبان الزنادقة سياحون وكأنهم جعلوا السياحة بدل تعلق النسطورى فى المطامير »[1] وقد فسرت المعاجم هذه الكلمة بتفسيرات عديدة فالقاموس يذكر النسطورية : بالضم ، وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون وتصرف فى الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وهو بالرومية نسطورس[2] . وفى المعرب النسطورى قال الأزهرى : والنسطورية : أمة من النصارى . يخالفون بقيتهم وهو بالرومية نسطورس[3] . والنسطورية فى شفاء الغليل : طائفة من النصارى منسوبة إلى نسطورس معربة[4] .

---

(١) الحيوان جـ٤ ص ٤٥٨ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٣٦٤ .

(٣) المعرب الجواليقى ص ٣٣٠

(٤) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٦٠ .

بِيعَة : قال الجاحظ فى بيانه : « فعدلت معه فأدخلنى فى منزل يتصل ببيعة »[١] .

والبيعة بالكسر فى القاموس : متعهد النصارى . والجمع كعنب . وهيئة البيع كالجلسة[٢] وفى المعرب البيعة والكنيسة : جعلهما بعض العلماء فارسيين معربين . وفى حاشية المعرب أنه « لا دليل على عجمية الكلمة » ومع هذا فالكلمة آرامية لأن العين الآرامية تقابل الضاد العربية . وفى اللسان كنيسة اليهود وجمعها كنائس وهى معربة أصلها كنشت ثم نقل عن الجوهرى أن الكنيسة للنصارى[٣] وفى كتاب غرائب اللغة العربية بيعة : كنيسة Bica : بيضة ، قبة . كانت قبة فى كثير من الكنائس القديمة . وقد ذكرها المؤلف فى الجدول الذى أعده للكلمات الآرامية الأصل[٤] .

إِكْلِيل : التى وردت عند الجاحظ بقوله فى إحدى رسائله : وأيها أجمل وأشكل : اللمة أم خط اللحية أم الإكليل[٥] ولفظة إكليل التى وصفها رفائيل نخلة بأنها آرامية الأصل وهى بمعنى التاج ، وفى اللاتينية Kiile[٦] .

مطران : لفظة وردت عند الجاحظ قال : « ووقع بين فتى من النصارى وبين ابن فهريز المطران كلام[٧] . وردت هذه اللفظة فى المعاجم القديمة بدون ذكر لأصلها ومن أين جاءت ، فالقاموس يذكر : مطران النصارى لكبيرهم

(١) البيان والتبيين جـ٣ ص ٤٨ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٣٥٠ .

(٣) المعرب الجواليقى ص ٨١ ص ١٤ .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل خلة ص ١٧٥ .

(٥) التربيع والتدوير ص ٦٢ .

(٦) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٧٣ .

(٧) البيان والتبيين جـ١ ص ١٢٤ .

ليس بعربى محض[1] والمعرب يردد نفس القول : مطـران النصارى ليس بعربى محض[2] . وشفاء الغليل يكرر قول المعرب قـال أبو منصور ليس بعربى محض وهو عابد النصارى[3] أما رفائيل نخلة فيقول إنهـا يونانية المنشأ وأن المطران بين الأسقف والبطريرك[4] .

ناقوس : تدخـل فى مـجال كلامـنا عن الأمـور الديـنية ذكـرها الجـاحظ متسائلا: قلت فلم تضرب الناقوس ؟ قال : جعلت فداك إن أبى نصرانى وهو صاحب البيعة[5] . والنـاقوس فى القـاموس المحيـط عرفه بـأنه الذى يضـربه النصـارى لأوقات صلاتهـم خشبة كبـيرة طويلة ، وأخـرى قصيرة ، واسـمها الوبيل وقد نقش بالوبيل النـاقوس والنقس : العيب والسخرية[6] . أما المعرب فلم يفـسر الكلمة ولم يعـطنا أى توضيحات عـن منشئها وظل علـى حيرته إذ يقول الجواليقى فأما القاموس فينظر فيه أعربى هو أم لا[7] .

وإذا دققنا النظر فـى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة وجـدنا مؤلفه أدى شير يقول : وكمـا أن الآرامية استعارت مـن الفارسية ألفـاظا كثيرة كذلـك أعارتها أيضا كلمات عديدة منها أفشاثا وتنور ، وناطورى ، وناقوس[8] . وهذه اللفظة وجدتها فى الجدول المعـد للألفاظ الآرامية الأصل التى دخلت اللـغة العربية ، فهى من الكلمات الدخيلة الآرامية وقـد عرفها المؤلف بقوله : ناقوس : قطعة

(١) ق . م الفيروز ابادى جـ ٤ ص ٢٥٧ .

(٢) المعرب الجواليقى ص ٣١٥ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٣٥ .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٦٩ .

(٥) البيان والتبيين جـ٣ ص ٤٨ .

(٦) ق . م النيروز ابادى جـ٤ ص ٤٢٦ .

(٧) المعرب الجواليقى ص ٣٣٩ .

(٨) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٨٩ .

طويلة من الخشب أو حديد كانوا يضربونها لدعوة النصارى إلى الكنائس ، وقد استعملت هذه الكلمة بمعنى جرس ولفظها في اللاتينية Neqeuche[1] .

دَيْر : ذكرها الجاحظ في رسائله قال : « فخطبها زياد وكانت في دير لها فكشفت عن رأسها ، فإذا رأس محلوق »[2] . والدير في القاموس : خان النصارى والجمع أديار وصاحبه ديار . ويقال لمن رأس أصحابه : رأس الدير ودير الزعفران : موضعان[3] ولم تذكر في المعرب وإنما جاءت في الحاشية : فإن دير باللغة البهلوية معناها القبة[4] . ومما أكد لنا أن لفظة دير آرامية الأصل رفائيل نخلة قال : الدير : بيت الرهبان والأصل دار ، وديراني منسوب إلى دير وقد ذكرها في الفهرس المعد للكلمات الآرامية الأصل وهذا هو مرجعنا الوحيد الذي ذكر أصل الكلمة دير[5] .

بِطْرِيق : لفظة تدخل في مجال الكلمات التي تتعلق بالديانات وقد وردت عند الجاحظ في كتبه مثل قوله : « كردوية الأقطع رئيس بطارقة سندان »[6] والبطريق في القاموس سيد المجوس ، والقائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل والجمع بطارقة[7] . والمعرب يفسر البطريق بلغة الروم : هو القائد وجمعه بطارقة وقد تكلموا به . ولما سمعت العرب بأن البطارقة أصل رئاسة صاروا يصفون الرئيس بالبطريق . وإنما يريدون به

---

(١) عرائب اللغة لعربية رفائيل نخلة ص ٢٠٨ .
(٢) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٧٢ .
(٣) ق . م الفيروز ابادى جـ٢ ص ٢٤٠ .
(٤) المعرب الحاشية ص ١٨٧ س ٢٠ .
(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٨٢ .
(٦) البرصان والعيمان ص ٣٣٣ .
(٧) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٢٨٧ .

المدح وعظم الشأن قال أبو ذؤيب : هوازن يحدوها كماة بطارق[1] . والخفاجى فى شفاء الغـليل يقول : بطريق : قـائد الروم معرب[2] . وأدى شير يـقول : البطريق الرجل المختال المزهو[3] .

شَبُّور : وردت لفـظة الـشبـور بقولـه : « وظهـرت الآية فـى شأن داود وطالـوت فى الـقرن وشبـور اليهـود من الـقرن »[4] وهذه الـلفظـة فسـرها الجواليقى: والشبور شئ ينفخ فيه . وليس بعربى صحيح[5] ، والخفاجى يقول شبور كتنور البوق معرّب[6] . وشبور فى غـرائب اللغة تدخل ضـمن الالفاظ الآرامية وأصلها Chifeure و المعنى البوق[7] . وفى حاشية المعرب أورد المحقق نقلا عن اللسان أنه البوق . وفسروه أيضا بـالقبع - يعنى بضم القاف وسكون الباء - واللفظة عبرانية[8] .

سِفْر : من الألفاظ الديـنية ذكرها الجاحظ فى رسائـله : وأى شىء عندك فى آصف وفـى سفر آدم[9] وقد فسر رفائـيل نخلة السفر : كتـاب كبير ، جزء كامل من التوراة وهى من الألفاظ الآرامية السريانية[10] .

ومجـال آخر للألفـاظ الآرامية الأصـل وهو الألفاظ الـتى تتـعلق ببـعض الوظائف أو المهن مثل لفظة .

(١) المعرب - الجواليقى ص ٧٦ .

(٢) شفاء الغليل للخفاجى ص ٦٦ .

(٣) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ٢٤ .

(٤) الحيوان جـ٧ ص ٢٤٦ .

(٥) المعرب للجواليقى ص ٢٠٩ . انظر الفهرست لابن النديم ص ٤٠ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٥٨ .

(٧) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٩٠ .

(٨) المعرب الحاشية ص ٢٠٩ .

(٩) التربيع والتدوير ص ٨ .

(١٠) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٨٧ .

أَرْكَنْد : من الألفاظ التى تختص بالألقاب وقد وردت عند الجاحظ فى تساؤلاته الكثيرة التى تضمنتها رسالته التربيع والتدوير قال : وأين كتب قوم صنعة السند هند والأركند »[1] ولم أجد تفسيرا لهذه اللفظة إلا فى كتاب المساعد قال أركنده : أو أركنطه : كلمة آرامية ، وهى فى هذه اللغة «أركونطا» وهى من اليونانية Arken أى رئيس ومقدم وقائد . وإذا خص بالخيل كان معناه رأس أصائل الخيل أو يكون رأساً لخيل أصائل[2] .

أَكَّار : تتعلق بالمهن وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ فى نص يوضح لنا مهنة هذا الأكار فقال : « إذا صعد ابن الأكار إلى نخلة له ليلتقط له رطبا ملأ فاه ماء »[3] وفسر لنا كتاب غرائب اللغة العربية لفظة أكار بمعنى حراث وأصلها أرامى ، وفى اللاتينية Akere[4] .

نَاطُور : فقد وردت عند الجاحظ فى بخلائه وفى أماكن أخرى من كتبه قال : « فمررنا بناطور على نهر الأبلة ، ونحن تعبون فجلسنا إليه »[5] ولفظة ناطور فسرتها المعاجم وأفاضت فى تفسيرها فناطور فى القاموس : حافظ الكرم والنخل أعجمى الجمع نطار ونطراء ونواطير ، ونطرة والفعل : النطر ، والنطارة بالكسر. وابن الناطور : صاحب إبليا وصاحب هرقل ، كان منجما ، سقف على نصارى الشام ويروى فيه بالظاء من النظر[6] . وابن دريد يفسر لفظة الناطور : ليس بعربى إنما هى كلمة من كلام أهل السواد لأن النبط يقلبون الظاء طاء ألا ترى أنهم يقولون برطلة وتفسير ذلك ابن الظل وإنما

(١) التربيع والتدوير ص ٨١ .
(٢) المساعد الأب أنستاس جـ١ ص ١٩٢ .
(٣) البخلاء ص ١٢٩ .
(٤) غرائب اللغة رفائيل نخلة ص ١٧٣ .
(٥) البخلاء ص ١٩٧ .
(٦) ق . م الفيرور ابادى جـ٤ ص ٣٩٠ .

الناطور الناظور بالعربية فقلبوا الظاء طاء والناطور الأمين وأصله من النظر[1] . وفى المعرب فسرت الناطور : حافظ النخل والشجر وقد تكلمت به العرب . قال أبو حاتم : قال الأصمعى : هو الناظور والنبط تجعل الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون برطلة » وإنما هو ابن الظل ، وسموا الناظور « ناظورا » لأنه ينظر[2] . وقال أدى شير : كما أن الآرامية استعارت من الفارسية ألفاظا كثيرة كذلك أعارتها أيضا كلمات عديدة منها تنور وباجورا وداغول وناطورى[3] وفى حاشية المعرب وفى اللسان رأى أبو حنيفة بأن الناطر ، والناطور عربية ، وأن الأزهرى تردد بين أن تكون عربية أو من كلام أهل السواد ثم نقل عنه قال: ورأيت بالبيضاء من بلاد بنى جذيمة عرازيل سويت لمن يحفظ ثمر النخيل وقت الصرام ، فسألت رجلا عنها فقال: هى مظال النواطير، كأنه جمع الناطور[4]. وصنف الكلمة رفائيل نخلة فى جدول الكلمات الآرامية الأصل وقال: ناطور حارس الكرم أو نحوه[5]. فالظاء العربية يقابلها الطاء فى الآرامية.

الأَكَرَة : وهذه عودة أخرى للفظة أكار ، وقد وردت عند الجاحظ فى البخلاء وغيرها من كتاباته قال مبيناً عمل الأكرة : « والرطب أهون على أولاد الأكرة وعلى أولاد غير الأكرة »[6] .

وتفسير هذه اللفظة جاء مفصلا فى المساعد قال الأب أنستاس : قال اللغويون أكار وجمعها أكرة . وهذا عندى غير صحيح لأن فعَّال لا يكسر إذا كان وصفها ، ولاسيما لا يكسر على (فعلة) ، قال التاج بن مكتوم فى التذكرة : لم ينكر علماء العربية واللغة من جموع التكسير إلا ما جاء على وزن

(١) الجمهرة . ابن دريد - جـ٢ ص ٣٧٥ .

(٢) المعرب الجواليقى ص ٣٣٤ .

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٨٩ .

(٤) المعرب - الحاشية ص ٣٣٥ ، واللسان جـ٣ ص ٤٦٣

(٥) غرائب اللغة رفائيل نخلة ص ٢٠٨ .

(٦) البخلاء ص ١٣٣ .

فعّال لئلا يذهب منه بناء المبالغة ومع ذلك فقد ورد فى كلامهم : جبار وجبابير وجبابرة ، دجال ودجاجلة ، وشماس ، وشمامسة ، إلى غيرها ،وإنما أكرة جمع أكر ، ككافر وكفرة . وجاحد وجحدة ، وكاتب وكتبة . وللمادة الآرامية الأصل : أكر « معنى ومبنى ، والأكار « أكار » مبنى ومعنى بزيادة الألف فى الآخر على مألوف ما يرد من تلك اللغة ، والأكر فى تلك اللغتين : الحفر وهو من شغل الفلاح أو الحراث ثم خص الاستعمال المؤاكرة ، وهى المخابرة أيضا بمعنى المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع فى الأرض كالثلث أو الربع أو غيرهما[1] .

ومجال آخر من مجالات الحياة المعيشية التى دخلت فيه الألفاظ الآرامية الطعام ومتطلباته من المواد الأولية أو الأدوات والأوانى وغيرها من الأشياء التى تحتاج لها عملية تحضير الأطعمة فلفظة صحناء وإجانة وخردل وبطم ومشان ونارجيل وصعتر وسفرجل كلمات كلها من أصل آرامى وفدت إلى المجتمع العباسى ، وشاعت فى عصر ازدهار الحضارة العباسية وأوردها الجاحظ فى كتاباته .

لفظة **الصِّحْنَاء** : ففى نص له من كتاب البخلاء قال : وخبز الشعير والصحناء والكراث والجواف جميعا تصير إلى ما ترون »[2] وقد فسر القاموس الصحنا ، الصحناة - يمدان ويكسران : أدام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلح للمعدة[3] . والمعرب يوضح لنا معنى اللفظة صحناء ومن أين جاءت للعربية قال أبو بكر : والصير الذى يسمى الصحناء أحسبه سريانيا معرباً ، لأن أهل الشام يتكلمون به[4] . وفى غرائب اللغة جاءت لفظة صحناء فى جدول

(١) المساعد - الاب انستاس جـ١ ص ٢٥٩ .

(٢) البخلاء ص ١١٤ .

(٣) ق . م الفيروز ابادى جـ٢ ص ٨٠١ .

(٤) المعرب - الجواليقى ص ٢١٦ .

الكلمات الآرامية الأصل وفسر معناها : سمك صغير مملح وفيها لغات صحنى ، صحناة وفى اللاتينى Sahnite وهى طعام من سميكات[١] .

وإجّانَة ذكرها الجاحظ مخاطبا أحد البخلاء قال : « فإذا غبت عن إجانة النورة »[٢] قال الكسائى : ومما تلحن فيه العوام لفظة إجانة بإسقاط النون[٣] . وهذه اللفظة فسرها المعجم الكبير الذى أعده المجمع اللغوى ، وذكر لنا أصل الكلمة الأول وتطورها قال : الإجانة فى الأكدية Agannu ، أجن : وعاء فى العبرية Aggan أجان = فى الآرامية اليهودية والسريانية Aggana أجانا = فى الحبشية Aigan عيجن أو Aigan عيجان . وقد انتقلت الكلمة إلى العربية من الآرامية[٤] . ولكن هذا القول مغاير لما جاء فى غرائب اللغة العربية بأن لفظة إجانة من الكلمات المقتبسة عن اليونانية وهى إناء لغسل الثياب Anguiyen[٥] وواضح أن الكلمة سامية كما جاء فى المعجم الكبير مع العلم بأن رفائيل نخلة كلامه منطقى جدا ولا يزال استعمال هذه اللفظة فى العراق حسب ما ذكره فى كتابه . أما لفظة **خَرْدَل** فقد وردت عند الجاحظ بقوله : « والخردل لا يرادم : قل لى أى شئ طبائع هؤلاء »[٦] . تفسير هذه الكلمة وجدته فى غرائب اللغة العربية بأنها من أصل آرامى وفى اللاتينى Hardle[٧] . ولفظة **الصَّعْتَر** ذكرها الجاحظ وصفا للعلاج قال : « والقنفد وابن عرس إذا ناهشا الأفاعى والحيات الكبار تعالجا بأكل الصعتر

(١) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٩٢ .

(٢) البخلاء ص ٤٤ .

(٣) ما تلحن فيه العوام - الكسائى ص ٢٨ .

(٤) المعجم الكبير ١/١٠٥ .

(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥١ .

(٦) البخلاء ص ٥٥ .

(٧) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٨٠ .

البرى »[1] من الألفاظ التى أوردهـا رفائيل نخلة التى ترجـع إلى أصول آرامية وفى اللاتينية Setre[2] .

والسَّفَرْجَل ورد عنـد الجاحـظ فقال : إنـهم ربما فـلقـوا السفـرجلـة أيام السفرجل للنقل والأكل »[3] وتفسير لـفظة السفرجل وجدته فى غـرائب اللغة العربـيـة ضمـن الألفاظ الآرامـية الأصل التـى دخلت إلـى العربيـة ، وفى اللاتينية Sfargle[4] . ولفظـة أخرى تدخل فـى مجال الأطعـمة : **البُطْم** وقد جاء ذكرها عند الجاحظ فى حيوانه قـال : « وأشجار البطم وهى الحبة الخضراء بعيدة المنـابت منا »[5] وفى غـرائب اللغـة البطم مـن الألفاظ الآراميـة الأصل ولفظها فى اللاتينية Betmte[6] .

ولفظة **النارجيل** قال الجاحظ فى حيوانه : « ويـزعم أهل الحجاز أن نخل النارجيل هو نخل المقل ولكنه انقلب لطباع البلدة »[7] وقد فسرت المعاجم لفظة النارجيل تفسيـرات مختلفة ففى القاموس جوز الهند واحـدته بهاء . وقد يهمز ونخلته طويلة تميد بمرتقيها حتى تدنيه من الأرض لينا . ويكون فى القنو الكريم منها ثلاثون نارجيلة . ولها لبن يسمى الأطواق ذكر فى القاف . وخاصية الزنج منها : إسهال الديـدان . والطرى باهى جدا[8] . وأدى شير يفسـر النارجيل :

(١) الحيوان جـ٧ ص ٣٣ .
(٢) غرائب اللغة العربية ميخائيل نخلة ص ١٩٢ .
(٣) الحيوان جـ٣ ص ٣٤٨ .
(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٨٧ .
(٥) الحيوان جـ ٥ ص ٤٥٣ .
(٦) غرائب اللغة العربية رفائيل نخل ص ١٧٤ .
(٧) الحيوان جـ٤ ص ١٣٠ .
(٨) ق . م الفيروز ابادى جـ٤ ص ٣٥٢ .

بجوز الهند تعريب ناركيل . ومنه النارجيلة لآلة يشرب بها التنبك لأنها قد تتخذ منه وهو بالسريانية[1] .

ومجال آخر من المجالات التى دخلت فيها الألفاظ الآرامية الأصل واستعملت من قبل الناس فى المجتمع العباسى فى تسمية الأشياء مثل **الكَوْثَلَة** ، وقد ذكرها الجاحظ فى بيانه قال : « فقال الشيخ الملاح : لا إله إلا الله ، ما أحسن ما جلس على كوثله »[2] وتفسير هذه اللفظة جاء فى غرائب اللغة بأنها آرامية الأصل ومعناها مؤخرة السفينة وفى اللاتينية Kawtle[3] . وفى مجال الأشياء التى أطلق عليها اللفظ الآرامى الأصل كلمة **طَبْطَابات** ، وهذه اللفظة ذكرها الجاحظ فى رسائله قال : « اختاروا البراذين للصوالجة والطبطابات والمشاولة »[4] وتفسير هذه اللفظة جاء فى غرائب اللغة العربية طبطابة : خشبة عريضة يلعب بها بالكرة وقد أوردها المؤلف فى جدول الكلمات التى اقتبست عن الآرامية[5] .

ولفظة **قرميد** وردت عند الجاحظ فقال « كانت الدار مقرمدة أو بالآجر مفروشة »[6] ، وقد فسرت لفظة القرميد فى القاموس « القرمد » : ماطلى به كالزعفران ، والجص وحجارة لها خروق تنضج ويبنى بها . والخزف المطبوخ ، والآجر كالقرميد . والمقرمد : مطلى بشبه الزعفران وبناء مقرمد . مبنى بالآجر والحجارة أو مشرف عال .[7] وفى المعرب قال ابن دريد : القرميد قالوا . هو

(١) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ١٥١ .
(٢) البيان والتبيين جـ٢ ص ١٧٦ .
(٣) غرائب اللغة العربية ميخائيل نخلة ص ٢٠٤ .
(٤) كتاب البغال ص ٣٧٦ .
(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٩٣ .
(٦) البخلاء ص ٨٤ .
(٧) ق . م الفيروز ابادى جـ٣ ص ٦٠٥ .

الآجر بالرومية أو شئ يشبهه . وقال الليث : القرميد : كل شئ يطلى به للزينة نحو الجص ، حتى يقال : ثوب مقرمد بالزعفران والطيب ، أى مطلى . قال النابغة يصف ركب امرأة : (رابى المجسة بالعبير مقرمد) أى : مطلى بالزعفران . قال : القراميد فى كلام أهل الشام آجر الحمامات ، وهى بالرومية قرميدى . وعن ابن عربى : يقال لطوابيق الدار القراميد واحدها قرميد . وقيل : هى الصخور[1] . والقرميد فى شفاء الغليل : معرب رومى الأصل وفى الرومية « كرمد » وفى شرح الحماسة : قرمد رومى معرب وأصله قرميد . وهو الأجر أو شئ يشبهه وقيل شئ كالجص يطلى به وقيل حجارة محرقة أو خزف مطبوخ وتصرفوا فيه ، ورد فى الشعر القديم ويقال ثوب مقرمد بالزعفران أى مطلى[2] .

ولفظة **تموز** وردت فى مجال الأشياء والأوقات والمكاييل وهى لفظة تعنى بالوقت فى تحديد الشهور ، وقد ذكرها الجاحظ فقال : « ولو كان هذا البرد الحادث فى تموز وآب لكان إبانا لهذا الكساء »[3] وتموز لفظة تدل على اسم أحد الأشهر الشمسية ، وقد وضعها ميخائيل نخلة فى جدول الألفاظ الآرامية التى اقتبستها العربية[4] .

أما لفظة **الأُبُلَّة** فقد أوردها الجاحظ فى كتبه وخاصة كتاب البخلاء قال : «سمعت شيخا من مشايخ الأبلة يزعم أن فقراء أهل البصرة أفضل من فقراء أهل الأبلة[5] » هذه اللفظة فسرها الجواليقى وأسهب فى تفسيرها وكيف جاءت إلى العربية ومتى استعملت والأبلة عرفها أبو منصور فقال : أصل هذه الكلمة

(١) المعرب الجواليقى ص ٢٥٤ .

(٢) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٠٧ .

(٣) البخلاء ص ٥٩ .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٧٥ .

(٥) البخلاء ص ١٢٥ .

بالنبطية . هو بالتا . فغلطت الفرس فقالوا « هوب لت » فعربتها العرب فقالوا « الأبلة » قال أبو حاتم الأصمعي : أصل هذا الاسم بالنبطية فقالوا « هو بالتا » وقال غيره : الأبلة تسمى بالنبطية بامرأة كانت تسكنها يقال لها « هوب » خمارة ، فماتت فجاء قوم من النبط يطلبونها ، فقيل لهم « هوب ليكا » أي ليست فغلطت الفرس فقالوا : « هوب لت » فعربتها العرب فقالوا « الأبلة » . والأبلة أيضا : القدرة من التمر . وقال بعض أهل العلم : بها سميت الأبلة وقال أبو على : وزن الأبلة « فعلة » تكون الهمزة أصلية . ولا قال قائل : إنه أفعلة والهمزة زائدة « مثل أبلمه » وأسمته « لكان قولا »[1] .

وفي مجال الألبسة وردت بعض الألفاظ الآرامية في كتب الجاحظ مثل جوذابة ، والراذع ، فلفظة **الجُوذَابَة** ذكرها الجاحظ في البخلاء قال : « وقد أتيتم نهطه أو بجوذابة أو بعصيدة أو ببعض ما يجرى في الحلق ولا يساغ بالماء ولا يحتاج فيه إلى مضغ[2] » ففي نص الجاحظ لفظة الجوذابة تعني نوعاً من الطعام ووافق الجاحظ قوله هذا أدى شير فقط أما بقية معاجم اللغة فقد اتفقت على أن الجواذبة نوع من الألبسة فنرى القاموس يؤكد أن الجوذى الجوذياء مدرعة من صوف للملاحين[3] . والخفاجي يؤكد هذا القول بأن الجوذبا كساء نبطية[4] . أما أدى شير فيوافق رأى الجاحظ بأن الجوذاب طعام يتخذ من سكر ورز وجوز ولحم تعريب كوزاب[5] وفي غرائب اللغة العربية يقول المؤلف أن جوذياء مدرعة من صوف يلبسها النواتي وقد وضعها في جدول الألفاظ

(١) المعرب الجواليقي ص ١٧ ، ١٦ .

(٢) البخلاء ص ١٢٧ .

(٣) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ٥٥٣ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجي ص ٩٢ .

(٥) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ٣٩ .

الآرامية الأصل[١] . وبعد هذا التفسير المنوع للكلمة لا أدرى هل هى طعام أم كساء أم أن الاختلاف فى الحروف أدى إلى هذا الخلط ؟

لفظة **بَرَاذِع** تدخل فى مجال الأكسية وردت عند الجاحظ فى البخلاء قال : « ما وجد من صوف ، فكان وجهه أن يباع إذا اجتمع من أصحاب البراذع »[٢] وهذه اللفظة فسرها الأب أنستاس البرذعة : ثوب طويل ينحدر من أعلى صدر لابسه إلى قدميه مفتوح الأعلى بقدر دخول الرأس فيه وهى لفظة مغربية[٣] وقال رفائيل نخلة البرذعة من الألفاظ الآرامية الأصل وفى اللاتينية Bardate[٤] .

وألفاظ آرامية أخرى وردت عند الجاحظ وتدخل فى مجال الحيوانات وحياتها وما يتعلق بها ، فمن الحيوانات التى ذكرها الجاحظ وكان أصلها من الآرامية **الزرافة** ، قال الجاحظ : «وزعم أن الزرافة خلق مركب بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية»[٥] ولفظة الزرافة هى آرامية كما ذكر رفائيل نخلة وفى اللاتينية Zenfe [٦] .

وحيوان آخر هو **الأُطْرُغُلَّة** وقد ذكر الجاحظ هذا الحيوان فى كتاب الحيوان . قال : « وبين الأطرغلة والشقران قتال ، لأنه يقتل الأطرغلة ويطالبها »[٧] وتفسير هذه اللفظة جاء فى المعجم الكبير : أطرغل : وقد انتقلت الكلمة الأكدية إلى السريانية والآرامية اليهودية والعبرية المتأخرة مع إبدال اللام

---

(١) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٧٧ .

(٢) البخلاء ص ١٤٢ .

(٣) المساعد الأب أنستاس جـ٢ ص ١٩٢ .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٧٤ .

(٥) الحيوان جـ١ ص ١٤٢ .

(٦) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٨٤ .

(٧) الحيوان جـ٢ ص ٥١ .

بعد الراء نـونا فـى هذه اللغات الثلاث ، وهـى طائر مشهور يصاد ، يسمى فى مصر : قـمرى وفى الشـام تزغل وفى الـعراق شفنـين والواحدة بتـاء والجمع أطرغلات[1] .

وحيوان آخر هو **التنّين** وقد ورد عند الجاحظ فـى رسائله قال : ولا والله إن بى قوة على الثعبـان فكيف التنين[2] . وقد فسـرت هذه اللفظة فـى غرائب اللغة العربية ولم أجدها فى غيره من معـاجم اللغة ، قال رفائيل نخلة : التنين حية كبيرة وهى من الألفاظ التى اقتبستها العربية من الآرامية[3] .

أما كلمة **الاصْطَبْل** فهى تدخل فى مجال الحيوانات وإن كانت لا تدل على حيوان وإنما على موضع لجميع الحيوانات أو لبعضها ، وقد وردت عند الجاحظ بقوله : لقيناهم فى مقدار صحن الاصطبل »[4] وقد فسرت المعاجم هذه اللفظة قال الفيروز ابادى الاصطبل كجردل: موقف الدواب. شامية[5]. وقال الجواليقى الاصطبل ليس من كلام العـرب وهذا القول نقلا عن ابن دريد[6] . والخفاجى يقول اصطبل : بلغة أهل الشام معناه الأعمى ، كما فى كتاب الهميان ولذا قال ابن عباد جروا الاصطبل فى قصته مع المعرى[7] . وفى المعجم الكبير الاصطبل معرب من اليونانية Stables وفى الآرامية اصطبل[8] .

(١) المعجم الكبير ص ٣٤٨ المجمع اللغوى الجزء الأول .

(٢) فى الجد والهزل ص ٢٥١ .

(٣) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٧٥ .

(٤) صناعات القواد ص ٣٨١ .

(٥) ق . م الفيروز ابادى جـ١ ص ١٥٤ .

(٦) المعرب الجواليقى ص ١٩ .

(٧) شفاء الغليل الخفاجى ص ٦١ .

(٨) المعجم الكبير ص ٣٣١ المجمع اللغوى الجزء الأول .

الألفاظ الهندية :

الألفاظ الهندية عربت أيام كان العرب يتاجرون مع الهند وينقلون سلعا هندية ، ويحملون مع هذه السلع أسماءها ، وقد كان من أتى بغداد من أطباء الهند وغيرهم يحملون معهم كتبا وصحفا فى مواضيع شتى منها الأدب[١] ، وذكر الجاحظ فى بيانه[٢] أن يحيى بن خالد اجتلب أطباء من الهند وكان معهم صحف فى موضوعات غير موضوعاتهم الطبية وكان العلماء يخالطونهم والتراجمة ينقلون من الهندية إلى العربية ، وقد نقلت إليهم جملة صيغت فى كتب البلاغة العربية فى شتى المجالات وهى ما أسموه « بمقتضى الحال » من الألفاظ الهندية التى وردت فى كتب الجاحظ ورسائله لفظة بلادر ولفظة بربهار والجمع بربهارات ولفظة الأنبجات ، وهناك ألفاظ كثيرة غيرها ولكن المجال لا يسع لإحصائها .

لفظة **بَلَادِر** ذكرها الجاحظ فقال : وإن البلادر إنما صار يصلح الفعل ويورث الحفظ لأنه صالح للعصب[٣] . قال أدى شير : البلادر نبات ثمره شبيه بنوى التمر ولبه مثل لب الجوز حلو وقشره متخلخل مثقب . معرب بلادر وأصل معنى بلادر بالهندية الصدقة قيل إن هذا النبات يقوى الحفظ ولهذا يعرف بحب الفهم وثمر الفهم ولكن الإكثار منه يؤدى إلى الجنون[٤] . وقال الأستاذ عبد السلام هارون البلادر لفظة هندية . وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب وفى داخلها مادة إسفنجية بها شئ شبيه بالدم[٥] .

(١) ضحى الإسلام أحمد امين جـ١ ص ٢٤٦ .

(٢) البيان والتبيين جـ١ ص ٧٩ .

(٣) الحيوان جـ٣ ص ٣٥٩ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة ادى شير ص ٢٥ .

(٥) الحيوان جـ٣ ص ٣٥٩ الحاشية .

ولفظة **البَرْبَهَار** والجمع بربهارات قال الجاحظ : فبلغوا أيضا فى البربهار والمعرفة بالعقاقير[1] . والبربهارات ذكرها الجاحظ فى رسائله فقال : « صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات »[2] وفى حاشية الرسائل شرح واف لـلفظة البربهار قال الأستاذ عبد السلام هارون البربهار : الأدوية التى تجلب من الهند من الحشيش والعقاقير والفلوس وغيرها ، يقول البحرية وأهل البصرة لها : البربهار . وقال الأب أنستاس مارى : المراد بها توابل بر الهند[3] .

أما لفظة **الأنْبَجَات** قال الجاحظ فى حيوانه يصف هذه اللفظة فى حديثه عن الأدوية والعقاقير . « إن المعجونات كلها إنما تكون بالعسل وكذلك الأنبجات[4] » . قال الخفاجى مفسرا لفظة الأنبجات : هى المربيات وهى فاكهة هندية تربى فأطلق عند الأطباء على سواه وهى غير عربية كذا فى مفتاح العلوم للخوارزمى[5] . وفى المعرب الذى كان من المفروض ذكره قبل كتاب الخفاجى . الأنبجات ضرب من الأدوية وهى جمع أنبج وهى فاكهة هندية وأظنه معربا[6] . وأدى شير يقول الأنبج ثمر شجرة هندية وهو ضربان لوزى وتفاحى تعريب أنبه[7] .

(١) الحيوان جـ٣ ص ٤٣٥ .
(٢) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٥ .
(٣) حاشية الرسائل جـ٥ ص ٢٢٥ .
(٤) الحيوان جـ٥ ص ٤٢٩ .
(٥) شفاء الغليل للخفاجى ص ٥٨ .
(٦) المعرب للجواليقى ص ٤٣ .
(٧) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٥٠ .

ثانياً : الكلمات الدخيلة بين الجمود وتكوين مشتقات فى العربية :

الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية لا تبقى على حالتها الأصلية بل تصاغ فى قالب بحيث تتغير أكثر حروفها إذا كان فيها من الحروف ما ليس فى العربية ويتبدل شكل تركيب هذه الألفاظ وبنائها حتى يوافق الأبنية العربية أو يكون قريبا منها . ويعرف اللفظ الدخيل فى اللغة العربية من فقدان الصلة بينه وبين إحدى مواد الألفاظ العربية ، ولو نظرنا إلى اللفظ الدخيل وتبينا حروفه وإلى اللفظ الأصلى الذى يمكن أن يكون مشتقا منه لم نجد له أصلا أو وجدنا الصلة المعنوية منقطعة بينه وبين الأصل ، وقد يقع الاشتباه لوجود أصل عربى يشابه اللفظ الدخيل ولابد من البحث التاريخى للفظ الأجنبى لمعرفة أصله ، وفى هذا المجال يقول الاستاذ الدكتور إبراهيم أنيس : إن استعارة اللفظ الأجنبى رغم وجود نظير أصيل له يعبر عن نفس المعنى تؤدى عادة إلى تطور فى دلالة اللفظ الأصيل وإذا لم ينكمش يندثر الأصل ولم تتغير نظرة المجتمع إليه فلم تنكمش دلالته أو تتطور عاش مع اللفظ الأجنبى ويكون منهما ما يسمى بالترادف فى اللغات . وتقتصر الاستعارة عادة على الألفاظ والكلمات ولا تكاد تتعداها إلى العناصر اللغوية الأخرى كالتصريف والاشتقاق وتركيب الجمل(١) .

والتأثير الذى يحدث عادة بين اللغات كالأصوات والصيغ والتراكيب يكاد يكون منعدما بالنسبة للغة العربية فلم تتغير أصوات الحروف العربية ولا تأثرت أبنية العربية وأوزانها(٢) . وقد لاحظ الجاحظ أن كثيراً من أصوات اللغات الأجنبية لا يصورها الخط العربى ، ولو تصفحنا كتابات الجاحظ لوجدنا ملاحظاته القوية فى شتى الظواهر اللغوية ونجد فيضا من هذه الملاحظات القيمة فى البيان والتبيين على وجه الخصوص وفى كتبه الأخرى . والجاحظ يصور لنا ظاهرة القدرة الاشتقاقية للكلمات الأجنبية المعربة الدخيلة من الألفاظ الإيرانية واليونانية والآرامية والهندية التى اشتقت من هذه الكلمات الدخيلة صيغاً وفق الأبنية والأوزان العربية ، وقد أمكن تصنيفها إلى صيغ متنوعة . ومن الملاحظ

---

(١) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٥٠ .

(٢) فقه اللغة العربية محمد المبارك ص ٢٩٥ .

أن هذه الصيغة الاشتقاقية أكثرها صيغ اشتقاقية للأسماء باختلاف أنواعها من جموع سالمة أو تكسير. أما الأفعال فقد كانت الصيغ الاشتقاقية منها نادرة جدا . وصيغ الأسماء أبرزها وأوضحها فى كتابات الجاحظ هى صيغ جمع المؤنث السالم ويليه جمع التكسير أما المثنى وجمع المذكر السالم فقد كان قليل الورود عنده .

جمع المؤنث السالم :

اهتم الجاحظ بصفة خاصة **بجمع المؤنث السالم** حتى إنه جاء بصيغ لألفاظ لا يمكن أن يصاغ منه جمع مؤنث سالم ، وهذا استخدام لغوى خاص بالجاحظ وهذا ما سوف نلاحظه فى صيغه من خلال كتاباته .

الألفاظ الدخيلة التى أوردها الجاحظ وقد جمعت جمعا مؤنثا سالما كثيرة جدا لا يمكن حصرها مثل الشاهمرك والجمع **شاهمركات** وقد وردت عند الجاحظ فى كلامه عن الطير قال : « فأما الطير والسودانيات والحصانيات والشاهمركات وغير ذلك من أصناف الطير »[1] وذكر المفرد بقوله : « ولذلك تأكلها الأوعال والخنازير والقنافذ والعقبان والشاهمرك[2] » وكلمة سراويل وقد جمعها **سراويلات** قال : « ولقد رأيته وإن زيق سراويله نورة »[3] والجمع ذكره فقال « ولا تعرفون الأقبية ولا السراويلات[4] » والفالوذج والجمع **فالوذجات** ، وقد ذكر هذه اللفظة الفالوذج : فالوذج وفالوذق قال : وأطعموا بدل الحيس الفالوذج[5] وقال : ولم يطعم الناس أحد منهم ذلك الطعام إلا عبد الله بن جدعان ، وهو الفالوذق[6] أما الجمع فقد ذكره جمعا مؤنثا سالما قال :

(١) الحيوان جـ٣ ص ١٨ .

(٢) الحيوان جـ١ ص ٢٨ .

(٣) البخلاء ص ٢٤ .

(٤) البيان والتبيين جـ٣ ص ١٨ .

(٥) البلدان ص ٧ .

(٦) البخلاء ص ٢٢٩ .

«الشبارقات والأخبصة والفالوذجات»[١] والبيمارستان جمعها **بيمارستانات** قال الجاحظ : « لقيناهم فى مقدار صحن البيمارستان[٢] وبيمارستانات والجمع المؤنث السالم قال : « وزعموا أنهم لم يروا رجلا لم يختلف إلى البيمارستانات[٣] » والخان لفظة أوردها الجاحظ واشتق منها جمعا مؤنثا سالما **خانات** . قال : « إن أنا خلفته فى الخان وليس عنده من يحفظه فش الباب وسرق »[٤] وقال : « ثم إنا نزلنا بعض الخانات وإن البيوت ملاء روثا وترابا »[٥] . ومن هذه الصيغة الاشتقاقية ذكر لفظة سكرجة وجمعها سكرجات جمعا سالما وأوردها فى النصين التاليين . قال : « أن خذ تلك السلة ، قال فكشفها فإذا برغيفين يابسين وسكرجة كامخ شبت »[٦] ، **وسكرجات** ذكرها فقال : «ما يفضل فى الجامات والسكرجات»[٧] ولفظة **الجامات** التى وردت فى النص السابق كانت جمعا مؤنثا سالما للفظة جام التى ذكرها الجاحظ فى البخلاء فقال : جاءنى بجام لبأ »[٨] ولفظة طباهج أورد الجاحظ صيغة اشتقاقية من هذه اللفظة **طباهجات** وهى جمع المؤنث السالم . قال : إن سمع نشيش اللحم فى المقلى وشم الطباهج » وقال « جعلنا الواحد طباهجة ، والآخر كردناجا »[٩] أما الجمع فقد ذكره فى الحيوان وفى أماكن أخرى من كتبه

---

(١) البخلاء ص ٢٠٣ .

(٢) الصناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٣) الحيوان جـ٥ ص ٣٥٣ .

(٤) الحيوان جـ٣ ص ٤٥٢ .

(٥) البيان والتبيين جـ٣ ص ٤٧ .

(٦) الحيوان جـ٣ ص ١٩ .

(٧) البخلاء ص ١٢٠ .

(٨) البخلاء ص ١٢٣ .

(٩) البخلاء ص ٢٣ ص ٢١٢ .

قال : « وللعصافير طباهجات وقلايا تدعى العصافيرية »[1] وقال يعدد آلات الحرب : ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العرادة »[2] وقد جاء بصيغ اشتقاقية لهذه الألفاظ المفردة الرتيلة والعرادة جمعها جمعا مؤنثا سالما قال : « وآلات الحرب كالمجانيق **والعرادات** ، **والرتيلات** »[3] ولفظة طبرزين جمعها على **طبرزينات** جمع مؤنث سالم ، قال فى رسائله : كان على صيغة الطبرزين »[4] وقال : « من العصى نصب المساحى والمرور والقدم والفؤوس والمعاول والمناجل والطبرزينات[5] ، ولفظة ترياق ذكر الجاحظ صيغة اشتقاقية لها وهى **الترياقات** جمع المؤنث السالم قال « باعنى حواء ثلاثين أفعى بدينارين وأهدى إلى خمسا اصطادها من قبالة القلب ، فى تلك الصحارى على شاطئ دجلة . قال وأردتها للترياق »[6] وصيغة جمع المؤنث السالم ذكرها الجاحظ بقوله « هو الذى حبب إلى الآخر أن يكون صيادا للأفاعى والحيات ، يتتبعها ويطلبها فى كل واد وموضع وجبل للترياقات »[7] .

جمع المذكر السالم :

أما جمع المذكر السالم فهذه الصيغة وردت عند الجاحظ بشكل قليل جدا لا يمكن أن يقاس على جمع المؤنث السالم الأكثر ورودا ومن الألفاظ التى ذكرها الجاحظ فى كتبه وجاءت فيها صيغ اشتقاقية لمذكر سالم لفظة مكدى والجمع **مكديون** قال : « وخدمت الخلفاء **والمكدين** »[8] والمفرد ذكره بقوله

(١) الحيوان جـ٥ ص ٢٢٢ .

(٢) البيان والتبيين جـ٣ .

(٣) مناقب الترك ص ٦٨ .

(٤) الرسائل جـ٢ ص ١٢٦ .

(٥) البيان والتبيين جـ٣ ص ٩٣ .

(٦) الحيوان جـ٤ ص ١١٤ .

(٧) الحيوان جـ١ ص ١٤١ .

(٨) البخلاء ص ٤٨ .

«خالد بن يزيد مولى المهالبة - هو خالويه المكدى»[1] ولفظة دهقان والصيغة المشتقة منها **الدهاقين** جمع مذكر سالم . وقد جاء فى رسائل الجاحظ قوله عن الدهقان : « وما عندى لك إلا ما قال الدهقان لأسد بن عبد الله وهو على خراسان »[2] والدهاقين : « فزعم لى بعض الدهاقين قولا لا أدرى كيف هو »[3] ولفظة أخرى اشتقت منها صيغة جمع المذكر السالم الشطرنج والجمع **شطرنجيون** قال الجاحظ عن لعب الشطرنج « أنت تعد فى الشطرنج زبرب وأنا فى الشطرنج لا أحد » وقال : « فمع من تعيش ؟ أمع الشطرنجيين »[4] .

صيغ المثنى

وردت عند الجاحظ بشكل نادر جدا إذ أنه لم يشتق من الكلمات الدخيلة صيغ المثنى إلا فى حالات مثل قوله **جرذقتان** مثنى جرذقة ، وقد وردت هذه اللفظة فى البخلاء قال : « أرى أحدهم يأخذ حرف الجرذقة فيغمسها فى الخل[5] » وقال يصف أحد أصدقائه البخلاء : « يأخذ حرف الجرذقة فيغمسها فى الخل[6] » . وذكر الجاحظ صيغة النسب بالفارسية قال : «أبى كان اشتريان وأبو زيد كان **بستان بان**[7] » ومفرد البساتين ذكره بقول : «اتخذ يزيد بن المهلب بستانا فى داره بخراسان[8] » . وقد أورد الجاحظ عدة صيغ لجمع المؤنث السالم ولم أجد مفردا لها مثل كلمة شبارقات وأيارجات والنيرنجات ، والقبانات وقد جاءت هذه الألفاظ التى لا مفرد لها فى ثنايا كتبه قال عن الشبارقات : « أبا فلان ما أدمك ؟ فيقول الشبارقات والأخبصة »[9] وقال يذكر

(١) البخلاء ص ٤٦ .

(٢) فى الجد والهزل ص ٢٤٤ .

(٣) الحيوان جـ٢ ص ١٢٥ .

(٤) فى الجد والهزل ص ٢٦٦ ، ٢٥٨ .

(٥ ، ٦) البخلاء ص ٢٤ ، ص ٥٥ .

(٧) البيان والتبين جـ٢ ص ٨٢ .

(٨) البيان والتبيين جـ٢ ص ٨٢ .

(٩) البخلاء ص ٢٠٣ .

الأيارجات والأبنجات : « والأشربة والأبنجات والأيارجات[1] » وهو يتساءل في رسالته التربيع والتدوير عن النيرنجات : « وخبرني ما النيرنجات وما الباربای وما الكرويات[2] ؟ وقال : « وصاغوا المنافع كالقرصطونات ، والقبانات ، والاسطرلابات[3] » .

صيغة جمع التكسير

فقد أوردها الجاحظ باشتقاقات متنوعة تماثل الأوزان التي يتخذها جمع التكسير من الكلمات العربية مثلا كلمة سكباجة وردت عند الجاحظ في رسائله وفي أماكن أخرى قال : « أما في الصيف فسكباجة حامضة عذبة[4] » وقد اشتق منها الجاحظ الجمع **سكباج** على الوزن التالي { فعلال } وأوردها بقوله « قطع لحم سكباج مبرد[5] » ولفظة خيشة اشتق منها صيغة الجمع **خيوش** وقد وردت الكلمات هذه عند الجاحظ في كتاباته قال : « خيشتي أرض ، وماء خيشتي من بئري وبيتي أبرد[6] » ففي هذا النص وردت كلمة خيشتي صيغة النسب ، وفي نص آخر قال : لو كانوا إذا جلسوا في الخيوش واتخذوا الحمامات في الدور[7] فصيغة خيوش جمع تكسير على وزن { فعول } ، وصيغة أخرى من صيغ جمع التكسير اشتقها الجاحظ من المفرد دانق ، وتنورَ ، وأنبار، وسنور ، ومنجنيق وجاموس ، ودينار وصهريج جاءت هذه المفردات على وزن جمع التكسير { فعاليل } مثل **دوانيق** ، **وتنانير** ، **وانابير** ،

(1) الحيوان جـ1 ص 81 .

(2) التربيع والتدوير ص 78 .

(3) الرسائل مناقب الترك ص 68 .

(4) فخر السودان على البيضان ص 182 .

(5) البخلاء ص 23 .

(6) البخلاء ص 102 .

(7) البخلاء ص 205 .

وسنانير ، **ومجانيق** ، **وجواميس** ، **ودنانير** ، **وصهاريج** ، وقد جاءت هذه الألفاظ المفردة ومشتقاتها فى كتابات الجاحظ بقوله : « اشترى لحم بقر بدرهم واشترى بصلاً بدانق[1] » والجمع لهذه اللفظة أورده بقوله : « أكسب **الدوانيق** شغلك عن أن تقول يا أبا سعيد[2] ؟ » وتنور قال الجاحظ على لسان أحد بخلائه : « ضع الجدى فى التنور حين نضع الخوان[3] » وأورد الجمع قائلا : « ثم لا ينصبون **التنانير** ولا يمكنون القدور[4] » ولفظة أنبار قال الجاحظ فى صناعات القواد : « لقيناهم فى مثل بيت الأنبار » وقال **أنابير** فى نفس الموضع : « وقتلناهم فجعلناهم كأنهم أنابير سرجين[5] » . وذكر لفظة سنور **وسنانير** فقال : « وزعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عطسة الأسد[6] » ، وسنانير ، ومن فضيلة ما فى السنانير أنها تضع فى السنة مرتين[7] » . ثم لفظة منجنيق **ومجانيق** ذكرهما بقوله : « نصبوا منجنيقهم حول بيتى[8] » وقال : « ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العرادة ولا المجانيق[9] » وجاموس اشتق منها **جواميس** وذكرهما فى نص واحد فقال : الجواميس هى ضأن البقر . يقال للجاموس الفارسية كاوماش[10] ودينار الجمع **دنانير** أوردهما الجاحظ فى كتاباته فقال : « وأربعين ومائة ألف دينار

---

(1) البيان والتبيين جـ٢ ص ٢١٩ .

(2) البخلاء ص ١٢١ .

(3) البخلاء ص ٥٦ .

(4) البخلاء ص ٨٣ .

(5) صناعات القواد ص ٣٨١ .

(٦) الحيوان ص ٥ ص ٣٤٧ .

(7) الحيوان جـ٥ ص ٣١٨ .

(8) الحيوان جـ٥ ص ٢٩٨ .

(9) البيان والتبيين جـ٣ ص ١٧ .

(10) الحيوان جـ٥ ص ٤٥٩ .

فأقتسمها[١] » وقال: « إنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير[٢] » ولفظة أخرى من صيغ الجموع التى على وزن { فعاليل } وهى صهريج وقد اشتق منها الجاحظ الجمع **صهاريج** على وزن { فعاليل } لفظة صهريج ذكرها بقوله: «أمرت بصهريج لى فى بستان عليه نخل مطل»[٣] وصهاريج ذكرها الجاحظ فى نفس المكان من رسالته هذه قال : « أحب إلينا من صهاريج ملئت للعب[٤] » .

ومن جموع التكسير **طوامير** ومردة وصكاك ، وقد جاءت هذه الاشتقاقات من ألفاظ إيرانية الأصل ، فلفظة الطوامير مفردها طومار ذكرها الجاحظ بقوله : ثم جعلت الكتاب فى سدس طومار ليكون المغرور أوثق بها[٥] » والجمع طوامير على وزن { فعاليل } أورده الجاحظ فى رسائله فقال : ورب كلام قد ملأ بطون الطوامير قد عرف جملته وما فيه[٦] » ولفظة **مردة** ذكرها الجاحظ فقال : ومردة الأعراب وفتاك نهريط[٧] » هذه اللفظة جاءت على وزن { فعلة } من المفرد مرد الذى ذكره الجاحظ فى بيانه يسمونني مردا[٨] » .

أما لفظة **صكاك** التى ذكرها الجاحظ فى حيوانه : لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكاك وكل أقطاع[٩] » هذه اللفظة على وزن { فعال } ومفردها

(١) البخلاء ص ٤١ .

(٢) البخلاء ص ١٠٦ .

(٣) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٨ .

(٤) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٩ .

(٥) كتاب القيان ص ١٧٢ .

(٦) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٩ .

(٧) البخلاء ص ٥٠ .

(٨) البيان والتبيين جـ١ ص ١٤٢ .

(٩) الحيوان جـ١ ص ٦٩ .

ذكره الجـاحظ بقولـه : « ثم نهض بالصـك وعليه طيـنته[1] » ، أما لـفظ **سراويل** : « وسراويل وشى مسدولة » عـلى وزن فواعيل وسراويلات : « تعرفون الأقبية ولا السراويلات[2] جمع مؤنـث سالم ، قال الليث فـى اللـ أعجمية أعربت وأنثت والجمع سراويلات[3] ، وكذلك لفظة تكة : وأهدت إ فى النيروز تكة وسكرا[4] » وجمعها **تكك** قال : قد جذبه إلـى حب الحمام وعمل التكك[5] » على وزن { فـعل } النيروزى : تنـازعا فى العنب الـنيرو والرازقى صيغة النسب .

ومن صيغ الجموع اشتق الجاحـظ الصيغ التالية **برابط** وقلانس على و فعالل وجواهر من المفردات بربط ، وقلنسوة ، وجوهر وقد جاءت صيغ الجـ التى ذكرها الجاحظ على وزن { فواعل } وسوف أذكر النصوص التى جاءت ، الكلمات المـفردة وجموعها ، فلفظة بـربط ذكرها الجاحظ فى التربـيع والتد قال : وخبرنى عن صـيغة البربط[6] » وفى نفـس الرسالة ونفس المـوضع ، الجمع برابـط فقال : « وهلا قدمتم أقلـيدس مع صيغة البـرابط والمعازف[7] والقلنسوة ذكرها الجاحظ مع جمعها **قلانس** فى أماكن كثيرة لا تحصى مثل ة فى البـخلاء : « ومن الإصلاح قـلب خرقة القـلنسوة إذا اتـسخت[8] » و موضـع من رسـائلـه ذكر الـقلانس » قـال : « ونحـن أصحـاب التـجاف والأجراس والبـازبكند والـلبود الطوال والأغـماد المقفعـة والشوارب المعـ

(١) البخلاء ص ١٤٢ .

(٢) البيان والتبيين جـ٢ ص ٣٤٢ .

(٣) البيان والتبيين جـ٣ ص ١٩ .

(٤) كتاب القيان ص ١٧٣ .

(٥) الحيوان جـ١ ص ١١٨ .

(٦، ٧) التربيع والتدوير ص ٨٢ - ٨٣ .

(٨) البخلاء ص ١٠٥ .

والقلانس الشاشية[1] » [قلانــس = فعالل] ثم ذكـر الجوهر **والجواهر** فقال فـى الـبيان والتـبيين : الفلـز : جوهر الأرض من الذهــب والفضة والـنحاس والآنك وغير ذلك[2] » . والجواهر جاءت فى نص من نصوص الجاحظ قال : « وإذا عرفـتم الجواهر وحـظوظها مـن القوى ، فـعند ذلك فـتعاطوا الإنـكار والإقرار[3] » .

ومـن صـيغ الجموع الـتى وردت عند الجـاحظ **زنادقة** جمعا لـزنـديق ، بيازرة ، جـمعا لبزيـار وموابذة جمعـا لموبذ ، وصوالجـة جمعا لصـولجان وقد كانت علـى وزن [فعاللة] وجاءت فى نصـوص من كتابات الجاحظ مثـل لفظة زنديق وردت فـى الحيوان وكذلك جمعــه الزنادقة ، قال الجاحظ فى حيوانه : « ومسألة أخرى سأل عنها أمير المؤمنين الزنديق الذى كان يكنى بأبى على[4] » وزنادقة : « إن إنـفاق الزنادقة علـى تحصيل الكتــب . كإنفاق النصـارى على البيع[5] » ولفظة بازيار صاغ منــها الجاحظ الجمع على **بيازرة** وهى على الوزن [فعاللـة] من جمع التكـسير فى العربيـة ، وقد وردت عند الجاحـظ فى قوله : «بلغ مـــن رقة طبع البـارى وعتقه أنه ينـقطع برد البـازيار له إلى مسقــطه من يده[6]» وذكر الـبيازرة جـمعا لـلبازيـار فقال : « يـخفى مـكانه عـلى البـيازرة والكلابين[7] » ولفظة موبـذ اشتق منها الجاحظ صيغة للجمع **موابذة** على وزن [فعاللة] وقد وردت لفظة موبذ فى الـنص التالى : « وحكى الموبذ أنه قرأ فى

(١) مناقب الترك ص ١٩ .
(٢) البيان والتبيين جـ١ ص ٣١ .
(٣) الحيوان جـ٣ ص ٣٧٤ .
(٤) الحيوان جـ٤ ص ٤٤٢ .
(٥) الحيوان جـ١ ص ٥٦ .
(٦) الرسائل جـ١ ص ٢٧٧ .
(٧) الحيوان جـ٢ ص ١٢٠ .

سيرة اسفنديار بن يستاسف من لهراسف بالفارسية[١] » وقال عن الموابذة : فأما نغمة الهرابذة ولغة المرابذة فلصاحب تفسير الزمزمة[٢] » . وذكر الصوجان وجمعها **الصوالجة** فقال : « أن يتقدم بدابته على دابة الملك وصوجانه على صوجان الملك[٣] » وقال ولذلك اختاروا البراذين للصوالجة والطبطابات[٤] » ووزن آخر من أوزان الجمع اشتقه الجاحظ من لفظة « البد » وجمعها **البددة** ، وقد جاءت هذه اللفظة فى كلام الجاحظ : « ما الفرق بين البد والوثن » وقال ذاكرا الجمع بدة[٥] : كإنفاق الهند على سدنة البددة[٦] . وصيغة الجمع بددة جاءت على وزن [فعلة] .

صيغ الأفعال

فى الكلمات الدخيلة التى وردت فى مؤلفات الجاحظ فهى صيغ نادرة وقليلة الورود وقد وردت الأفعال **تمجست وتزندق** ، وقد صاغها الجاحظ من الألفاظ مجوس وزنديق ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأفعال فى كتاباته عدة مرات وفى أماكن مختلفة من رسائله وكتبه ، قال يذكر لفظة مجوس : قال فهؤلاء المجوس يرتعون البصرة وبغداد وفارس[٧] » واشتق منها صيغة تمجست فقال : « وتهود ذو نواس وتمجست ملوك سبأ[٨] » . ولفظة زنديق ذكرها الجاحظ قال

---

(١) الحنين إلى الأوطان ص ٤٠٨ .
(٢) البيان والتبيين جـ٣ ص ١٣ .
(٣) التاج ص ٧٣ .
(٤) البغال ص ٣٧٦ .
(٥) الحيوان جـ١ ص ٥ .
(٦) الحيوان جـ١ ص ٥٦ .
(٧) البخلاء ص ١٠٤ .
(٨) التربيع والتدوير ص ٧٦ .

« سأل عنها أمير المؤمنين الزنديق الذى كان يكنى بأبى على[1] » واشتق من هذه اللفظة صيغة تزندق وهى على وزن تـفعل فقال : «ونحن لم نر أحدا قط ألحد ولا تزندق من قبل الغلط فى كلام الإمامة والاختلاف فيها[2] » وهكذا نرى أن ورود صيغ الأفعـال فى الكلمات الـدخيلة عند الجـاحظ قليل ، والصـيغ التى وردت : تمجست على وزن تفعّلت وتزندق على وزن تفعّل .

الألفاظ الآرامية الدخيلة والصيغ الاشتقاقية عند الجاحظ :

هذه الألفاظ الدخـيلة على اللغة العـربية وردت عند الجاحظ بشـكل قليل بالنسبة للألفـاظ الإيرانية وفى مجال القدرة الاشتقاقية جاءت صيـغها على هيئة الجموع وإن كان جمع المؤنث السالم هو الغالب على هذه الصيغ الاشتقاقية ثم جمع التكـسير ، أما جمع المذكر الـسالم فيكاد يكون نـادرا جدا . وقد جاءت بعض الصيغ على وزن النسب وهى قليل الورود .

جمـع المؤنث الـسـالم للألـفاظ الآراميـة ذكره الجاحظ فـى أماكن عـديدة وصفحات كثيرة من كـتاباته منها الرسائل والحيوان والبيـان والتبيين فقد جاءت الألفاظ : طبطابات وأطرغلات وديورات ، فقـد وردت لفظة المفرد طبطاب فى قـول الجـاحظ : والنـزو علـى الخيل صغارا ، ومـثل الطبطاب والـصوالجة[3] وقـال يذكر الجـمع **طبطابات** : اختـاروا البراذيـن للصـوالجة والـطبطـابات والمشاولة[4] » .

أما لفظة الأطـرغلة مفرد **الأطرغلات** فقد ذكـرها الجاحظ فى حديـثه عن

---

(١) الحيوان جـ٤ ص ٤٤٢ .

(٢) العثمانية ص ٢٧٠ .

(٣) مناقب الترك ص ٢٢ .

(٤) كتاب البغال ص ٣٧٦ .

الطيور قال : وبين الأطرغلة والشقـراق قتال لأنه يقتل الأطرغلة[1] » وقال : الأطرغلات والحمام البرى فإنها تبيض مرتين فى السنة[2] » .

واللفظة دير مفرد **ديورات** التى ذكرها الجاحظ فقـال فى حديثه عن إحدى نساء العـرب المعروفات : فخطـبها زياد وكانت فـى دير لها[3] » وأورد الجمـع ديورات وهو جمع استحدثه الجاحظ فى استخدامه اللغوى للألفاظ فقال : كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية والمقيمين فى الديورات والبيوت[4] » .

صيغ الجموع

وردت عند الجاحظ فى ألفاظ الأكرة وسفرجـل وبيع وغيرها كثير ، وهذه مجرد أمثال لألفاظ جموع التكسير التى ذكـرها الجاحظ فى كتاباته واشتقها عـن الألفاظ الآرامية وقـد ذكر مفرداتها مـثل أكار بقوله : إذا صعد ابن الأكار إلـى نخلة له ليلتقط لـه رطبـا ملأفاه ماء[5] » أما الجمع **اكرة** فهو على وزن { فعلة } وقد ورد عند الجاحظ بقوله : والرطب أهون على أولاد الأكرة[6] » .

ولفظة السفرجلة وردت عـند الجاحظ فى نص مع الجمع **السفرجل** فقال فى الحيوان : « أنهم ربما فلقوا السفرجلة أيام السفرجل للنقل والأكل[7] » وقد جاءت لفظـة السفرجل علـى وزن { فعلل } أما لفظـة بيعة فقد ذكـرها الجاحظ فقال : فأدخلنى فى منزل يتصل ببيعة[8] » **والبيع** صيغة الجمع أوردها الجاحظ

(١) الحيوان جـ٢ ص ٥١ .

(٢) الحيوان جـ٣ ص ١٧٠ .

(٣) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٧٢ .

(٤) الرد على النصارى ص ٢٠ .

(٥) البخلاء ص ١٢٩ .

(٦) البخلاء ص ١٣٣ .

(٧) الحيوان جـ٣ ص ٣٤٨ .

(٨) البيان والتبيين جـ٣ ص ٤٨ .

بقوله : إن إنفاق الزنادقة على تحصيل الكتب كإنفاق النصارى على البيع[1] » وصيغة الجمع وردت على وزن [فعل] ومن الصيغ الاشتقاقية للألفاظ الآرامية المعربة التى وردت عند الجاحظ صيغة النسب مثل **نسطورى** قالها الجاحظ فى حديثه عن النصارى : تعلق النسطورى فى المطامير .

أما الألفاظ اليونانية الدخيلة والصيغ الاشتقاقية التى وردت عند الجاحظ من هذه الألفاظ معظمها كان صيغاً لجمع المؤنث السالم وجمع التكسير وإن كان جمع المؤنث السالم يحتل مركز الصدارة من بين الجموع وصيغها المتنوعة[2] .

فمن صيغ **جمع المؤنث السالم** التى وردت فى كتابات الجاحظ مثل القرسطون والجمع **قرسطونات** وقد ذكر القرسطون فقال متسائلا : ومن صاحب القرسطون[3] ؟ والجمع ذكره فقال : وصاغوا من المنافع كالقرصطونات والقبانات[4] » . القرسطون : يقول القالى : قال الخليل : القرسطون بفتح القاف والراء وسكون السين وضم الطاء هو القبان بلغة أهل الشام وهو القلسطون باللام[5] . ولفظة الأسطرلاب والجمع **أسطرلابات** قال الجاحظ : ومن صاحب الأصطرلاب[6] ؟ وقال : وصاغوا من المنافع كالقرصطونات والقبانات والأسطرلابات[7] » . ولفظة إجانة والجمع منها **إجانات** قال الجاحظ فى حديثه عن الأوانى التى تستعمل لغسيل الثياب : وكانت عندهم أوعية

(١) الحيوان جـ١ ص ٥٦ .
(٢) الحيوان جـ٤ ص ٤٥٨ .
(٣) التربيع والتدوير ص ٤٤ .
(٤) مناقب الترك ص ٦٨ .
(٥) البارع للقالى ص ٥٥٤ .
(٦) التربيع والتدوير ص ٤٤ .
(٧) مناقب الترك ص ٦٨ .

يغسلون فيها ثيابهم يقال لها الإجانات وقال : وإذا هو قد أخرج إجانة كان فيها ماء من غسالة أوساخ الثياب[1] » .

ومن **صيغ الجموع** التى وردت عند الجاحظ وكانت مقتبسة عن اليونانية لفظة براذين ودراهم . وقد ذكر الجاحظ **البرذون** مفرد البراذين بقوله : وكيف يجعلون البرذون لاحقا بالعتيق وإن دخل الفرس من أعراق البراذين شىء من الهجنة[2] » أما الجمع براذين فهى على وزن { فعاليل } وقد وردت عند الجاحظ بقوله فى النص السابق من أعراق البراذين ، ولفظة **دراهم** قال الجاحظ : وهل اجتمعت أموال بيوت الأموال إلا بدرهم[3] وقال : كان على باب داره درهمان وقيراط[4] » أما الجمع فقد ذكره الجاحظ بقوله : من المنكرأن يشترى جدى بعشرة آلاف دراهم[5] إن لفظة دراهم على وزن { فعالل } صيغة اشتقاقية من الصيغ التى جاءت عن الكلمات اليونانية . وكذلك لفظة رطل وقد جاء الجاحظ بصيغة التأنيث منها رطلية وذكر الرطل فقال : ما شربت أمس بمقدار نصف رطل[6] » وقال : حتى تركناهم فى أضيق من رطلية[7] » ولفظة **رطلية** على وزن { فعلية } وهى **مصدر صناعى** .

(١) الحيوان جـ٣ ص ٣٤٩ .

(٢) كتاب البغال ص ٣٧٦ .

(٣) البخلاء ص ٣١ .

(٤) البخلاء ص ٣١ ،ص ٣٥ .

(٥) البخلاء ص ٤٣ .

(٦) البخلاء ص ١١٧ .

(٧) صناعات القواد ص ٣٩٠ .

الخاتمة

أن اهتمام الجاحظ بالمجتمع الإسلامي وتطوره قد ساعده إلى حد كبير على إدراك مسألة مهمة ، هي اللغة وتطورها في إطار التطور الاجتماعي .

فاللغة في كتابات الجاحظ ذات صلة وثيقة بفئات الناس الاجتماعية وطبقاتهم . لست أريد أن أعرض للجاحظ هنا فله السبق حيث كان الفكر في مرحلة من البحث وراء العلل التي لم تكن آثارها اتضحت للفكر الإسلامي بعد فأنار طريقها أبو عثمان .

وفي دراستنا لألفاظ الحضارة العباسية في ضوء كتابات الجاحظ برزت لنا عدة أمور منها ظاهرة التخصص في العمل والمعرفة التي يصورها الجاحظ في كتاباته ويتخذ ازاءها موقفًا محددًا تبعًا لطبيعة التخصص ومجاله .

وأمر آخر اهتمامه بمنزلة الحرف وأصحابها في المجتمع وقد اظهر الجاحظ اهتمامًا كبيرًا في هذا المجال فهو يهتم بالفرق بين لغة العامة ولغة الخاصة ويتضح هذا في تصنيفه الناس إلى صنفين : عامّة وخاصّة ، وذلك عند الحديث عن البلاغة ومستوى المتكلمين في مراعاة أصول لغتها .

والجاحظ مولع بإظهار أثر الصنعة في اللغة ، وهو ينتقد المتكلم أو الخطيب الذي يعجز عن الاتيان بألفاظ مناسبة للمقام فيضطر إلى استعمال ألفاظ تنتسب إلى صناعته أو اختصاصه ، كأن يستعمل المتكلم ألفاظ الفلسفة وعلم الكلام ، فإذا وقف ليخطب أتى بألفاظ الأيسيّة ، والليسيّة والجوهر والعرض والجاحظ في بخلائه يقصد إلى استغلال هذه الناحية لخلق فن جديد من الاضحاك والامتاع ، فمن بين بخلائه متكلمون يستغلون حجج المنطق وعلم الكلام في أمور لاتمت إلى المنطق أو علم الكلام بصلة ، وكأن الجاحظ قصد إلى وضع ألفاظ المتكلمين على ألسنتهم ، لينقلها من باب الجد إلى

معرض الهـزل ولفظتا الجوهـر والعرض من أكثر الألـفاظ التي كان المتـكلمون مولعين بها .

ويقصر الجاحظ اهتمامه على الناطـقين باللغة العربية أصلاً وحسب ، وهو يخرج من اعتباره الـفلاحين والصناع والباعة والحشوة لأن الغالبـية العظمى من هؤلاء لاتفهم الفصحى بـسهولة ، ويبدو أن لغتهم اختلطت فيهـا العربية بلغات أخرى . ويعـطينا الجـاحظ الدليـل على هذا فـى أكثر من مـوضع من كتـاباته المتعددة . ويبدو أثر اللغة الفارسية وغيـرها من اللغات الأجنبية المحلية واضحًا في الاستخدام اللغوي للمجتمع العباسي وذلك بصور مختلفة ، ولايقتصر هذا الأثر على دخول ألـفاظ غير عربية الأصل فـي اللغة العربية ، بـل وفي شيوع اشتقاقات من هذه الأصول الأجنبية أيضًا .

أما المحاورات في كتابات الجاحظ - وتأتي فـي أمثلة كثيرة - تبدو المحاورة وكان الجاحـظ لم يحدث فيـها تحويرًا كبيـرًا ، إلا ليلائم بيـنها وبين ما يـصلح للكـتابه فقط ، فـى حين هو نقل الحديـث بروحه وبالطـريقة التي تحـدث بها صاحبـه ، والجاحـظ فـي أحـيان كثيرة ينقـل لنا النص عن عـامة الناس دون تحوير . وهنـاك ألفاظ في العاميـة انتقلت من معـناها وصارت تتضمـن معاني أخري في لغـة الكلام ، وهذا المدلول ندركـه من الاستعمال لا مـن المعجم ، ومـن أمـثلة ذلك لفـظتا (التبـلية والبرنبـد) وهما غير عـربيتين وأيـضًا لفظ الناطور . ويشـير الجاحظ إلى أن لفظة الـناطور كانت شائعة فـي سواد العراق بصورة خاصة .

ويكشف لنا الجاحظ عن جوانب مهمـة من لغة المكديين وأصحاب الصنعة على لسـان خالويه المكديّ ، كـما يكشف عن لغـة أهل الفتوة علـى لسان أبى الفاتك الذى يصفـه بأنه قاضي الفتيان . ولقد وجد الجـاحظ الحاجة ماسة لأن

يشرح ما ورد من ألفـاظ في حديث خالويه (البخلاء ص ٤٤ - ٤٦) مما يشير إلى أن هذه اللغة لم تـكن شائعة أو معروفة عند جميع النـاس وفي متابعة هذه الألفاظ في المعاجم الـلغوية وجدنا الاختلاف كبيراً بين ماقصـد إليه أبو الفاتك وبين ما فسرته لنا هذه المعاجم .

وبحـث الجـاحـظ أيضًا فـي لـغة الحيوان وترقيـها من القط والكـلب إلى القرد ، وعدد الحروف التي تنطق بها (الحيوان جـ ٥ ص ٨٩) . فهذا الكتاب يدرس ألفاظ الحضارة العباسية بضوء ما عـرضه الجاحظ فيعطينا صورة واضحة للحضارة العباسية ، يعطينا صورة لـتكتل الناس على أساس الحِرَف ، ولتكتلهم على أســاس القوميات ، وفي هــذا العمل قصدت طـوائف معينة مــن الألفاظ وهي :

١ - اللفظ القديم الـذي ذكره الجاحظ واندثر فى عصرنا هـذا ، وهو مفيد لو احسنا اختياره .

٢ - واللفظ القديم الذي كان من مادة المصطلح العلمي ويحسن استخدامه فى عصرنا هذا .

٣ - اللفـظ الأعجمى الدخـيل مما عرَّبه العـرب أو مما لـم يعرّبـوه ، وفي ذلك أهمية حـضارية تاريخية ، ذلك أن نـوع هذه المعربات تكشـف عن فوائد تتصل بالحضارة .

٤ - اللفـظ العامي الذي اسـتخدمه الجاحظ لـغرض ما ، واللفـظ الذي ولدّه العوام في عصره مما لايمكن أن نجد له أصلاً قديما .

٥ - اللفظ الذي يـكشف عن خصوصية جـاحظية كأن يتفرد الجـاحظ بصوغه وبنائه ، ولم نجده في المعاجم اللغوية .

هذه جملة فوائد عرضت لها في هذا الـكتاب الذي وسمته بعنوان « ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحـظ » وهذا شيء من فيض أبي عثمان عمرو من بحـر الجاحظ الذي عرفتـه فأنست بألفـاظه . وتعقيبـها لاقف عليهـا وقفة جديدة اتوسم فيها خدمة اللغة العربية .

الكشاف اللغوى للكتاب

يضم هذا الكشاف الألفاظ الحضارية

التى تناولها الكتاب مع مواضع ورودها فى صفحاته

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الحاء

الكلمة

حرف الدال

الكلمة

الكلمة

حرف السين

الكلمة

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

الكلمة

حرف الياء

المصادر والمراجع

مؤلفات الجاحظ

كتب الجاحظ ورسائله المخطوطة والمطبوعة منها :

أ - كتابات الجاحظ المخطوطة :

١ - مختارات فصول الجاحظ مخطوطة المتحف البريطانى تحت رقم ٣١٣٨ وقد اشتملت هذه المخطوطة على فصول من كتبه ورسائله ، منها :

١ - فصل فى صدر كتابه فى المعلمين ص ٢ .

٢ - فصل من صدر رسالته إلى الحسن بن وهب فى مدح النبيذ وضعة أصحابه ص ١١ .

٣ - فصل فى حجج النبوة ص ٩١ .

٤ - فصل من كتابه فى خلق القرآن ص ١٢١ .

٥ - فصل من صدر كتابه فى مقالة العثمانية ص ١٦١ .

٦ - فصل من صدر كتابه المسائل والجوابات ص ١٧٩ .

٧ - فصل من صدر رسالته فى البلاغة والإيجاز ص ٢٢٠ .

٨ - فصل من صدر كتابه فى النبل والتنبل وذم الكبر ص ٢٢٨ .

٩ - فصل من صدر كتابه فى استحقاق الإمامة ص ٢٤٦ .

١٠ - فصل من صدر كتابه فى الجوابات فى الإمامة ص ٢٧٩ .

١١ - فصل من رسالته فى تفضيل البطن على الظهر .

ب - كتابات الجاحظ المطبوعة :

١ - البخلاء تحقيق طه الحاجرى - طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ م .

٢ - البيان والتبيين (٤ أجزاء) تحقيق عبد السلام هارون - نشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٨ .

٣ - التاج في أخلاق الملوك ، ط أحمد زكي باشا القاهرة ١٩١٤ المطبعة الأميرية هذا الكتاب ما يزال يكتنفه الشك في نسبته إلى الجاحظ .

٤ - التربيع والتدوير ، تحقيق شارل بيلا القاهرة ١٩٥٥ .

٥ - الحيوان (٧ أجزاء) ط الثانية تحقيق عبد السلام هارون مكتبة البابي الحلبي بمصر .

٦ - العثمانية تحقيق عبد السلام هارون - نشر دار الكاتب العربي ١٣٧٤ هـ .

٧ - البرصان والعرجان والعميان والحولان تحقيق محمد مرسي الخولي ط . دار الاعتصام للطبع والنشر - القاهرة - بيروت ١٩٧٢ م .

٨ - المحاسن والأضداد ، ط القاهرة ١٩٥٧ م .

٩ - البلدان ، نشره : صالح أحمد العلي ، مستلة من مجلة كلية الآداب مطبعة الحكومة (بغداد - ١٩٧٠) .

المطبوع من رسائل الجاحظ :

١ - مجموعة رسائله تحقيق عبد السلام هارون نشر مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ، وتضم ١٧ رسالة هي :

١ - رسالة مناقب الترك .

٢ - المعاش والمعاد .

٣ - كتمان السر وحفظ اللسان .

٤ - فخر السودان على البيضان .

٥ - في الجد والهزل .

٦ - في نفي التشبيه .

٧ - كتاب الفتيا .

٣ - مجموعة رسائله على هامش الكامل للمبرد عنوانها اختيارات عبيدالله بن حسان - على هامش الكامل للمبرد ط التقدم بمصر ١٣٢٣ هـ - ١٣٢٤ هـ وتضم هذه الرسائل ١٧ رسالة وهى :

١ - من كتابه فى الحاسد والمحسود .

٢ - من كتابه فى المعلمين .

٣ - من رسالته فى مدح التجارة وذم عمل السلطان .

٤ - من كتاب التربيع والتدوير .

٥ - من رسالته إلى الحسن بن وهب فى مدح النبيذ وأصحابه .

٦ - من كتابه فى النساء .

٧ - من رسالته إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك .

٨ - من كتابه فى خلق القرآن .

٩ - من كتابه فى الرد على النصارى .

١٠ - من رسالة إلى أبى الفرج الكاتب فى المودة والخلطة .

١١ - من كتابه فى استحقاق الإمامة .

١٢ - من رسالة فى استنجاز الوعد .

١٣ - من رسالته فى تفضيل النطق على الصمت .

١٤ - من كتابه فى صناعة الكلام .

١٥ - صفات الشارب والمشروب .

١٦ - من مقالته فى الزيدية والرافضية .

٤ - ثلاث رسائل باعتناء يوشع فنكل ط الثانية ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٢ هـ . وهى :

١ - كتاب الرد على النصارى .

٢ - ذم أخلاق الكتاب .

٣ - رسالة القيان .

٥ - نشرت بعض الرسائل مستقلة مثل التبصر بالتجارة نشر التونسى والتربيع والتدوير نشر شارل بيلا ، ومفاخر الجوارى والغلمان تحقيق شارل بيلا .

٦ - وهناك رسائل فقد الأصل وتبقى جزء منها مثل رسالة فى المغنين وقد سماها الساسى فى طبقات المغنين ورسالة فى الوكلاء فى مجموعة الساسى ٣ ورقات فقط وفى المتحف البريطانى ورقة ١٩٦ ب - ١٩٩ م نجد فصولا أخرى عدا التى نشرها الساسى فأضافه إليها - ورسالة فى فخر السودان ورسالة فى كتاب النساء وهى تجئ ضمن فصول عبدالله بن حسان المختارة ورقة ٥٢ - ٦٢ حاشية المبرد ط .

ونجد جملة من كتابات الجاحظ مبثوثة فى بطون أمهات الكتب مثل ثمار القلوب للثعالبى والفرج بعد الشدة للتنوخى ويشير التنوخى إلى نص نقله عن الجاحظ من كتاب اللصوص وكذلك البيهقى نقل نصا للجاحظ فى المحاسن والمساوئ فيه إشارات لكتاب اللصوص الذى يعد من الكتب المهمة التى لم يصلنا نصها كاملا ونقل البيهقى فى كتابه هذا أطول نص للجاحظ عن كتاب حيل المكدين وكذلك ترد إشارات لهذا الكتاب عند البغدادى عندما نقد الجاحظ على اهتمامه بحيل المكدين .

المصادر والمراجع :

١ - د. إبراهيم أنيس .

أ - دلالة الألفاظ ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية .

ب - من أسرار اللغة ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية .

٢ - ابن الأثير ، (أبو الحسن على بن أبى محمد الملقب بعز الدين) ت ٦٣٠ هـ .

الكامل فى التاريخ - طبعة بيروت ١٩٦٥ .

٣ - ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على) ت ٥٩٧ هـ .
أ - مناقب بغداد ، مطبعة دار السلام بغداد ١٣٤٢ هـ .
ب - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ .
٤ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ .
مقدمة ابن خلدون - تحقيق كاترميرج مكتبة لبنان بيروت ١٩٧٠ عن طبعة باريس ١٨٥٨ .
٥ - ابن دريد(أبو بكـر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى البـصرى) الجمهرة فى اللغة ط حيدر آباد ١٣٥١ هـ .
٦ - ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحق) ت ٢٤٤ .
أ - إصلاح المنطق ط الثانية دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م .
٧ - ابن سيده (أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى) ت ٤٥٨ هـ المخصص ى اللغة ط المكتب التجارى بيروت .
٨ - ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى) ت ٢٧٦ هـ.
أ - عيون الأخبار القاهرة ١٩٦٣ .
ب - أدب الكاتب القاهرة ١٩٦٣ .
٩ - ابن قوطية (أبـو بكر محمد بن عمـر بن عبد العزيز بن إبـراهيم المعروف بابن القوطية الأندلسى) ت ت ٩٧ هـ .
الأنعال ، ط الأولى مطبعة مصر ١٩٥٢ .
١٠ ابن كثير : عماد الـدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بـن كثير القرشى) ت ٧٧٤ البداية والنهاية مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣٢ م .
١ - ابن النديم (محمد بن إسحق)
الفهرست ط . الرحمانية بمصر ١٣٤٨ هـ وطبعة بيروت ١٩٦٥ . ،

١٢ - ابن منظور (جمال الدين محمد بن كرم) ت ٧١١ هـ لسان العرب . دار الصادر ودار بيروت ١٩٥٥ م .
١٣ - أبو زيد الأنصارى (سعيد بن أوس بن ثابت) النوادر فى اللغة ط . الثانية دار الكتاب العربى بيروت لبنان ١٩٦٧ م .
١٤ - أبو منصور الجواليقى (موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر) ت ٥٤٠ المعرب فى الكلام الأعجمى ط طهران ١٩٦٦ .
١٥ - أحمد أمين
ضحى الإسلام ط . العاشرة دار الكتاب العربى لبنان .
١٦ - أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ت ٢٨٤ هـ
البلدان نشر دى غوية ليدن ١٨٩١ م .
١٧ - أحمد الحملاوى
شذا العرف ط . السادسة عشرة مكتبة مصطفى البابى ١٩٦٥ م .
١٨ - إخوان الصفا
رسائل أخوان الصفاء بيروت ١٩٥٧ م .
١٩ - آدم ميتز
الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى دار الكتاب العربى بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
٢٠ - أدى شير
الألفاظ الفارسية المعربة المطبعة الكاثوليكية لليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م .
٢١ - الأزهرى (أبو منصور)
تهذيب اللغة تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٦٤ م .

٢٢ - استاينجس
معجم استاينجس طبعة بيروت لبنان عن طبعة لندن ١٩٣٨ .
Persian English Dictionary
٢٣ - الأصفهانى (أبو الفرج على بن الحسين بن محمد القرشى الأموى) ت ٣٥٦ هـ الأغانى دار الثقافة بيروت ١٩٥٧ مصور عن طبعة بولاق المصرية .
٢٤ - أنستاس مارى الكرملى
المساعد طبعة بغداد ١٩٧٠
٢٥ - البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى) الفَرْق بين الفِرَق - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة النهضة ، القاهرة ١٩٦١ م .
٢٦ - البيهقى (إبراهيم بن محمد) ت ٣٢٠ هـ
المحاسن والمساوئ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة النهضة ، القاهرة ١٩٦١ م .
٢٧ - د. تمام حسان
أ - مناهج البحث فى اللغة - مكتبة الأنجلو المصرية .
ب - اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٢٨ - التنوخى (أبو على المحسن بن أبى القاسم) ت ٣٨٤ .
الفرج بعد الشدة ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٥ م .
٢٩ - التوحيدى (أبو حيان) ت ٣٨٠ هـ .
الإمتاع والمؤانسة - مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة القاهرة - ١٩٥٣ م .
٣٠ - الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابورى) ت ٤٣٠ هـ خاص الخاص - دار مكتبة الحياة ، بيروت عن الطبعة الأولى لدار السعادة بالقاهرة ١٩٠٩ .

٣١ - جب هاملتون
دراسات في الحضارة الإسلامية - ترجمة إحساس عباس دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٤ .
٣٢ - جرجى زيدان
أ - تاريخ التمدن الإسلامى ط . دار الهلال القاهرة .
ب - الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ط ثانية دار الهلال ١٩٠٤ .
٣٣ - الجهشيارى (أبو عبدالله محمد بن عبدوس) ت ٣٣١ هـ .
الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة الحلبى القاهرة ١٩٣٨ م.
٣٤ - جروينبام جوستاف
حضارة الإسلام - ترجمة عبد العزيز جاويد القاهرة ١٩٥٦ .
٣٥ - الحريرى (أبو محمد القاسم بن على) ت ٥١٦ هـ .
درة الغواص في معرفة الخواص - دار النهضة القاهرة .
٣٦ د. حسن ظاظا
كلام العرب من قضايا اللغة ، مكتبة الدراسات اللغوية ، مطبعة المصرى ، ١٩٧١ .
٣٧ - حسين نصار
المعجم العربى نشأته وتطوره - مكتبة مصر ١٩٥٦ م .
٣٨ - خديجة الحديثى
أبنية الصرف فى كتاب سيبويه ط . بغداد ١٩٦٤ .
٣٩ - الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد) ت ٤٦٣ تاريخ بغداد ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٣١ .

٤٠ - الخفاجي - (شهاب الدين أحمد الخفاجي)
شفاء الغليل ط . الأولى مكتبة الحرم الحسيني التجارية القاهرة ١٩٥٢ م.
٤١ - الدميرى (كمال الدين محمد بن موسى الدميرى) ت ٨٠٨ هـ .
حياة الحيوان الكبرى ط الثانية ، مطبعة البابى بمصر ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م.
٤٢ - الرازى (أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى)
كتاب الزينة ط . الثانية دار الكتاب العربى ١٩٥٧ .
٤٣ - رفائيل نخلة اليسوعى
غرائب اللغة العربية ط. الثانية المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠ م .
٤٤ - الزبيدى (محمد الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى) ت ١٢٥٠ هـ .
تاج العروس ط الأولى القاهرة ١٣٠٦ هـ (مصور عنها)
٤٥ - السيوطى (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر) ت ٩١١ هـ المزهر فى علوم اللغة ط دار إحياء الكتب عيسى البابى .
٤٦ - الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) ت ٣١٠ هـ
تاريخ الرسل والملوك ط. دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ .
٤٧ - طه الحاجرى
الجاحظ حياته وآثاره - دار المعارف بمصر ١٩٦٢
٤٨ - الشرتونى (سعيد الخورى)
أقرب الموارد ط القاهرة . دار المعارف .
٤٩ - شارل بيلا
الجاحظ فى البصرة وبغداد - ترجمة الكيلانى القاهرة ١٩٥٢ .
٥٠ - د. عبد الحميد الشلقانى
مصادر اللغة - منشورات الشركة العامة للنشر طرابلس ليبيا ١٩٧٧ .

٥١ - عبدالله أمين

الاشتقاق - ط . الأولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة ١٩٥٦م.

٥٢ - عبد الصبور شاهين

في التطور اللغوى - مكتبة دار العلوم .

٥٣ على عبد الواحد وافى

أ - فقه اللغة ط الخامسة مطبعة لجنة البيان القاهرة ١٩٦٢ .

ب - علم اللغة ط الخامسة مطبعة لجنة البيان القاهرة ١٩٦٢ .

٥٤ - الفارابى

ديوان الأدب - تحقيق د. إبراهيم أنيس ود. أحمد مختار ، القاهرة

٥٥ - فندريس :

اللغة ترجمة محمد القصاص وعبد الحميد الدواخلى - القاهرة ١٩٥٠ .

٥٦ - الفيروزآبادى

القاموس المحيط - طبعة القاهرة .

٥٧ - القالى (أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى) ت ٣٥٦ هـ

البارع في اللغة - تحقيق هاشم الطعان مكتبة النهضة بغداد ١٩٧٤ .

٥٨ - الكسائى

ماتلحن فيه العامة ثلاث رسائل - تحقيق عبد العزيز الميمنى القاهرة ١٣٤٤ هـ .

٥٩ - محمد المبارك

فقه اللغة وخصائص العربية ط الرابعة - دار الفكر بيروت .

٦٠ - محمود فهمى حجازى

- علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة المكتبة الثقافية القاهرة .

- علم اللغة العربية وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣ .

٦١ - المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) ت ٣٤٦ هـ

مروج الذهب ط. منقحة - دار الأندلس بيروت ١٩٦٥ م .

٦٢ - مسكويه (أبو على أحمد بن محمد) ت ٤٢١ هـ

تجارب الأمم تصحيح آمدروز مطبعة التمدن الصناعية القاهرة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٥ م .

٦٣ - المقدسى (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسى البشارى)

أحسن التقاسيم باعتناء دى غويه . ليدن ١٩٠٦ .

٦٤ - الهمذانى (عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى)

- الألفاظ الكتابية ، اعتنى بتصحيحه الأب لويس شيخو ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩١٣ .

٦٥ - د. وديعة طه النجم

الجاحظ والحاضرة العباسية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٦٥ م .

٦٦ - ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومى الحموى) ت ٦٢٦ هـ .

معجم البلدان ط . بيروت ١٩٥٥ .

هذا الكتاب

هذا عمل متميز فى علم اللغة، وله أهميته -أيضاً - فى دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية. لقد تطورت اللغة العربية تطوراً بعيد المدى فى القرنين الثانى والثالث للهجرة، وأصبحت لغة حضارة راقية.

وقد رصد الجاحظ فى مؤلفاته الكثيرة ملامح هذا التحول الذى تناوله هذا الكتاب. هنا نجد ألفاظ الحضارة العباسية مصنفة فى مجالات الحياة المختلفة، وموثقة فى ضوء نصوص كتب الجاحظ، مع دراسة دلالتها بدقة فى ضوء معاجم التراث العربى وتأصيل الدخيل من الفارسية واليونانية، واستخراج ملامح التغير الدلالى فى مرحلة من أهم المراحل فى تاريخ اللغة العربية.

إنه كتاب يهم اللغويين والمؤرخين والمتخصصين فى الحضارة العربية والإسلامية.

عبده غريب